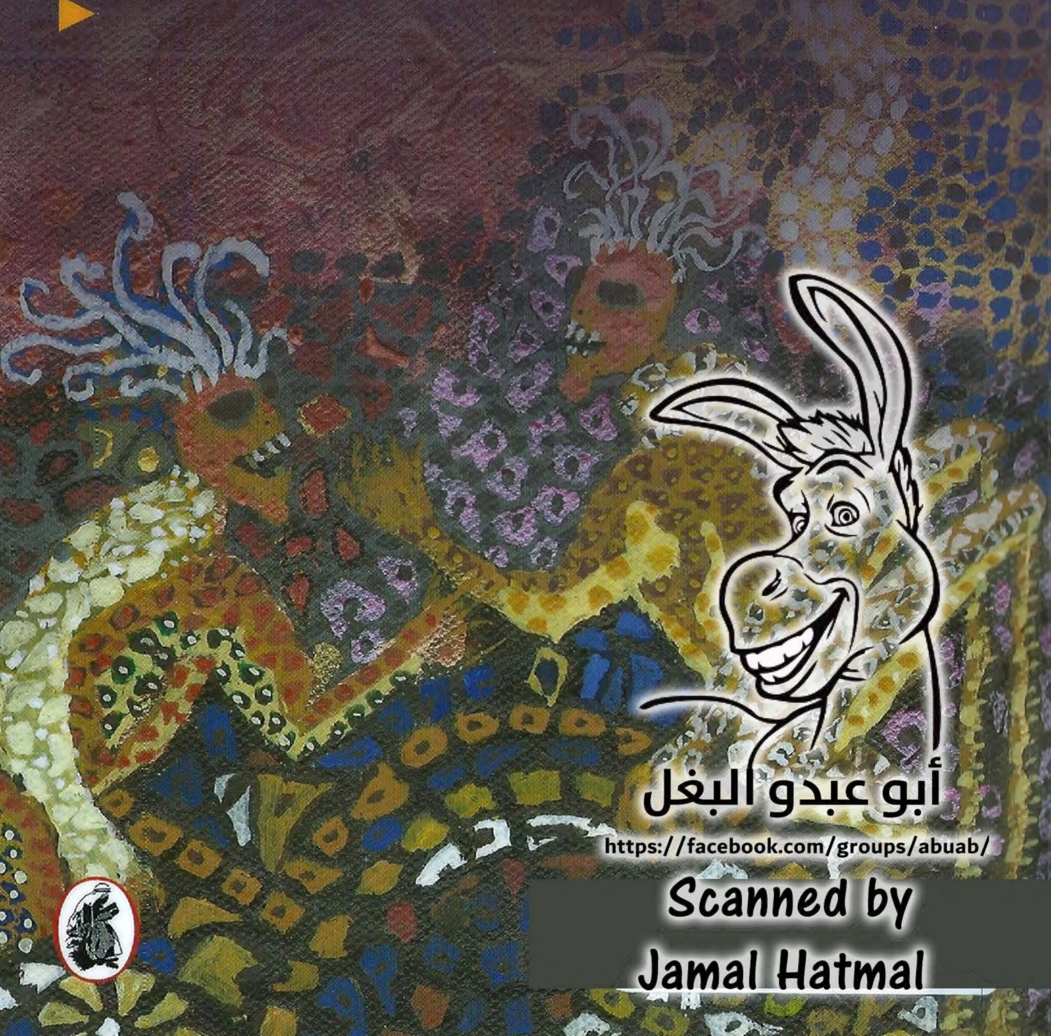
SALIM BARAKAT

رواية
NOVEL

سليم بركات

أقاليم الجنّ



أقاليم الجنّ

أقاليم الجن / رواية عربيّة
سليم بركات / مؤلّف من سوريّة
الطبعة الأولى، يناير، **2016**



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسيّ:
المصيطبة، شارع ميشال أبي شهلا، متفرّع من جسر سليم سلام
مفرق الجامعة اللبنانيّة الدوليّة LIU، بناية النجوم، مقابل ابراج بيروت
ص. ب 11-5460، الرمز البريديّ 2190-1107، بيروت، لبنان
هاتفاكس 707891/2 1 961+
e-mail: mkpublishing@terra.net.lb
موقع الدار الإلكترونيّ: www.airpbooks.com

التوزيع في الأردنّ:
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب 9157، عمّان 11191 الأردنّ،
هاتف 5605431 6 962+ / 5605432 6 962+ هاتفاكس 5685501 6 962+
info@airpbooks.com

تصميم الغلاف والإشراف الفنّيّ:
سعيد ® عمّان، هاتف 95297109 7 962+
لوحة الغلاف: **سليم بركات** / سوريّة.
الصفّ الضوئيّ: **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر** / بيروت، لبنان
التنفيذ الطباعيّ: **ديمو برس** / بيروت، لبنان

ISBN 978-614-419-621-2



سليم بركات

أقاليم الجنّ



تنبيهات الرَّاوية في التذكير بالسجلاَّت:
الأعلام والمعالم

* إقليم زِيْنَافِيْري : أرض وقائع الرواية .
* «النسيان الأعظم» : مصطلح يعني الموت عند جن إقليم زينافيري .
* واحة كَيْمَا : الواحة الكبرى في أرض زينافيري الرمال .
* أسواق كَاتْرَامِيْل : أسواق المقايضات . ولقبُها «أسواق الصمت المقدس» .
* صحراء مُوْهِي : صحراء الأعالي السيارة كالنجوم .
* قرود هيْهْمُو : قرود يثير ذِكرُها الهلع في زينافيري .
* كَاشَاجُو : سلطان زينافيري .
* شَاكْدْ : مطية السلطان .
* شَيْكْتَان : زوجة السلطان .
* نِيْنِيْسُو : مطية شيكتان .
* رِيْكَمْا : ابن السلطان .
* زِيْدِيْكا : مطية ريكما .
* سُوْك : زوجة السلطان الثانية .
* نَاكُوْلي : مطية سوك .
* مَايَاكي : عميد المحاربين في زينافيري .
* رَاتُو : مطية ماياكي .
* تَايْتُون : زوجة ماياكي .
* شَاتِيْك : مطية تايتون .
* خَامِيْدِس : كبير المنجمين .

* بوتيا ، توهتو ، كاسَاك : منجمون .
* «ملف الذئب الأبيض» : وحي المنجمين في المعبد .
* هيتاس . نيْدَجْ . دَارْديْك . فيْدْرُوكا . ميْلْدان . لالاَك . كُوْرْتا . تانس . أَتْلُو . ميْهانيس . سَافْتار . ماكَالُوني . سِيْدَاندا . رُوْجَان . رَوْمْسُو . أُوْبا . نُوْكاك : سادة فِرق المحاربين السبع عشرة .
* «مَجْمَع الذباب» : مَصنَعُ ذبابِ الاستنسال ـ جناحٌ في القصر .
* دامِيْكو : شاعر مَجْمع الذباب .
* تُوكا : شاعر آخر في مجمع الذباب .
* شَاتار : أنثى تَرِيْكة ، تتزعم فصيل الإناث التَّرِيْكات ، اللواتي لا يتخذهم الذكور شريكات .
* ماشْفيْر : المتمرد الأعمى على شرائع إقليم زينافيري .
* هَايْكاهيكسيْن : أنثى إنسية تظهر فجاءةً في أرض زينافيري .
* آرْدُو . زَايْ . دُوْيَان . رَانِيْلا : رسامات قصر السلطان .
* آلْما : نحَّاتٌ متفرِّغ لتصميم هيكل الإله كوياسي .
* كُوْيَاسي : إله إقليم زينافيري ، الذي لا يتوقف النحات آلما عن إضافة تفاصيل إلى تصميمه بلا نهاية .
* مايْشَا : جني يزعم أن قبائل الجن ستتبعه .
* سَانْياري : جني يزعم أنه يحتجب آناً ويظهر آناً .
* هِسْتار : زوجة سانياري .
* تارتوك : مغني أرواح طيور لاكِيْلا .
* طيور لاكِيْلا : عُميٌ ، لا جلود على جماجمها .
* وِيْلابو : قيَّاف البروق .
* مايتا : بوَّاق زينافيري .
* لِيُوْفا : أمير مهندسي مانعات الرياح .

* الأرض المنخفضة : أرض مصانع مانعات الرياح .
* بُوْكْلو : نائب الأمير ليوفا .
* المؤجَّرات : إناث في جناح من القصر يستأجرهن للتناسل الذكورُ الذين لايجدون شريكات .
* لِيْلُوت : مطية درديك سيد إحدى الفِرق .
* لِيْكْمورا : أمين أسرار خزائن القصر .
* دَايْجِيْك : أمين أسرار تجارة القصر مع القبائل .
* آمَاروك : أمين أسرار الحصون الرمال في إقليم زينافيري .
* آسْما : أخت سوك زوجة السلطان الثانية .
* رَادْبُور : جلاَّد زينافيري القادر على استنطاق الخارجين على القانون باستنشاق ذاكرتهم .
* زاجْرانو . ماسْتُو . بُوْهِيْدار . جِيْرَاجِيْك . شَايْمَات : علماء أقاليم الجن .
* مِيْهُو : سلطان إقليم سَايْنون الجنوبي .
* ماشايو : سلطان قبيلة يَتْرَاك الغربية .
* دَازْدَاه : إقليم الجن الشماليين .
* حانة يَامُوْز : حانة التخاطُر .

الفصل الأول
(غاياتُ التفصيل، ومَطالعُ التوثيق)

تلقَّفتْ طيورُ لاكِيْلا ، ذوات الجسومِ النسورِ ، والرؤوس العظام بلا لحم عليها أو جلد ، نفيرَ البوق الحجرِ ، جاثمةً على أعشاشها فوق قمةِ الهضبة الحمراء . منذ ثمانين عاماً لم ينفخ بوّاقٌ في البوق الحجر معلَّقاً إلى غصن من شجرةٍ لا كالشجر ، ابتناها النحاتون تصميماً من عظام شتّى لحموها قطعاً بالسيور الجلد ، ونصبوها إلى الجهةِ الشرق من بوابة المَعْبد الكبير ، في الساحة ، وسط مساكن قبيلة زِيْنَافِيري المنيعة ، المهيبة ، في أقاليم الجن .

أدارت الطيورُ رؤوسَها الفارغةَ المحاجرِ ، لاعيون فيها ، صوب مهبِّ النفير لم تبعثره الريحُ كاقتدار الريح على التقويض . داخَلَ النفيرُ الريحَ ، ذلك الصباح ، على الأرض الرمل ممتدَّةً كسماء ؛ عَلِقَ بزغبها الخفيِّ ، فوزَّعته الريحُ قطرةً قطرةً من الصوت على الجهات ، حيث حلَّتْ وارتحلتْ بالنقوش النافرة للصوت كارتحالها بالنقوش المتقوِّضة ، الفوضى ـ نقوشِ الرمال .

سبع مرات نفخ البوّاق في الأسطوانةِ النحتِ من حجرٍ ذي مسامٍّ ، ثم أعاده معلَّقاً إلى غصنٍ في الهيكل المصمَّم شجرةً من عظام . نهض الصخبُ واقفاً على أقدامه الذهبية مُذْ تزاحمت المعابرُ في مدينة جنِّ زيْنافيري بالملبِّيْنَ النداءَ النذيرَ . جموعٌ هبَّت قفزاً على سيقانها ، ثم تراصَّت ، بعد بعثرةٍ ، في انتظام . جمهراتٌ

جاورت جمهراتٍ على نحو محسوب في علوم الخطط أنجزها عقلُ المحاربيْن جيلاً عن جيل ، فطنةً عن فطنة ، دُرْبةً عن دُربة ، واختباراً عن اختبار . سريعاً كانت فِرَقُ المحاربين على أهبة بأسلحتها العظام في أيديها ، والخوذِ الحجرِ على الرؤوس ، مستقبلةً بوجوهها ، صفوفاً أنصافَ حلقاتٍ ، هيكلَ الإله الأكبر كُوْياسِي ، الذي لم يتوقف مصمِّمو هيئته ، منذ النشوء الأول لقبائل الجن ، عن التبديل فيه . كُلُّ حكيم ، أو قائد ، أو مُنجِّم ، أو سيد من أسياد السلالات ، له الحقُّ في إمّلاءِ إضافة إلى الشكل استزادةً ، أو إملاءِ إنقاصٍ يتولى المصمِّمون تنفيذَه بلا اعتراض . هو هيكلٌ ضخمٌ من مجموعِ عظامِ المخلوقاتِ شتَّى ، جنًا ، وحيواناتٍ ، وطيوراً ، جرى رصُّها قطعةً إلى قطعةٍ ، في حسابٍ حاذق لسقوطِ الظلال من بعضها على بعض ، ولعبورِ شعاعاتِ الشمسِ من خَلَلِ فراغاتها على الساحة المحيطة بالمعبد . وقد تراكم الهيكلُ الإلهُ علواً ، واتساعاً ، على نحوٍ يُرى ، من كل جهة فيه ، مخلوقاً متداخلاً من هيئاتٍ محيِّرة في انتسابها إلى كائنٍ بعينه . والجموعُ المحاربون ، الذين لبُّوا نداءَ البوقِ النذيرَ ، قادميْنَ قفزاً على سيقانهم ـ سيقانِ الجراد ، شخصوا تحديقاً إلى الهيكلِ الإلهِ يَرى كلٌّ فيه ، بالخيال النحَّات في باطنَيْ عينيه الحجريتين ، صورةَ الحقيقة التي تُلْهِمه الولاءَ عنيفاً للإرث في إقليم زينافيري .

بعد برهات من إحكام الفِرَق صفوفَها منتظمةً ، متهيئةً ، متأهبةً ، شقَّ الغبارُ العاصفُ قميصَه عن قائد المحاربين مَايَاكي ممتطياً جنِّياً ضخماً يقود الريحَ خلفه بأرسان السرعة قفزاً على أربع ـ ساقيه ، ويديه معاً كدابَّة . لجم الجنيُّ المطيَّةُ سرعتَه غوصاً بقدميه في الرمل . انتصب واقفا فنزل ماياكي عن ظهره .

للجنِّ السادة مطاياهم من الجنِّ الضِّخام تمشي على أربع إن اقتضى الانتقال ، أو على الساقين إنِ اقتضى . الجنُّ السادة ، والعاديون ، والجنُّ المطايا ، كلهم متشابهون في نشأة أعضائهم ، إلاَّ بتمايزٍ في ضخامة المطايا عن غيرها ، لذا تُتَّخذ كالدَّواب لنقل راكبيها . ماياكي وصل بمطيته الأسرع من شعاع على هضبة طيور لاكيلا المقدَّسة ، حين اكتملت أُهبة الفِرَق المحاربين تلقاءً بلا مرشدٍ ، يعرف الواحدُ ، بخصِّيْصة الخطط عن خيال المحارب فيه ، أين موضعه وموقعه .

تمشَّى قائد المحاربين مستعرضاً جمهراته في سلاحها وخُوَذها ، فتمشَّى الجنيُّ المطية من خلفه كحرَسيٍّ . قلَّب عينيه الحجريتين الرماديتين في محجريهما تقليبَ الرضا .

عيون الجن عيونٌ حجر في محاجرها ، رمادية ، كتيمة كأعين التماثيل لابريقَ فيها ، أو حدقاتٍ . لا أجفان لعيونها . محدِّقةٌ أبداً من الرؤوس الصِّغار ، المستطيلة الوجوه . ذكورُهم جُرْدٌ لا ينبت شعر على جلودهم . وهم يتخذون من شعور رؤوسهم الرمادية على زرقة جدائلَ طويلات ، حرَّةً على جهات الوجوه . عِجافٌ هزيلون ، ذكوراً وإناثاً ، كهياكلَ عظامٍ عليها جلودٌ خشنة ، رمادية ، بنقوشٍ من خطوط ونقاط بِيْضٍ وصُفر تولَّد معهم ، هي - في زعمهم - تدوينٌ من أقدارهم في حياة سابقة على الحياة الراهنة . والجنُّ ، جُملةً ، ذوو أيدٍ ضخام ، مفرطة في ضخامة راحاتها وأصابعها ، لاتتناسب مع جسومهم العجاف . هي أيد كلما تضاءلت ، وانكمشت ، وتصاغرت ، دلَّهم أمرُها على شيخوخة واحدهم . أنوفهم مطموسة ، مَسحاءُ ، مستوية مع صفحات الوجوه ، لا دليل عليها إلا ثقبان في الوجه الواحد ، فوق الفم ، ينتفخ جلد الخدَّين حولهما شهيقاً وزفيراً .

أسنانهم ضخامٌ في الأفواه . يولدون بأسنان ضخام ، في سياقٍ من الاستنسال قائم بقوانينه ـ قوانين نشوء الجن . كلُّ زوجين يستحصلان ، مطلعَ اختيار الواحد شريكَه ، كُرةً حجراً تتسع ملء راحتين من أيديهما . في الكُرة الحجر ثقبٌ عميق حتى مركزها ، توضع فيه ذبابة مختارة من مَجْمَع استنْسال الذباب ، القائم سُلطةً بذاته في جناح من قصر السلطان كَاشَاجُو ـ سلطان إقليم زينافيري . شعراءُ يتولون ، خَلَفاً عن سلف ، إدارةَ المجمع ، حيث يُحتفَظ بالذباب ، على أنواع بلا حصر ، في قوارير من خزف مغلقة . هُم الشعراء يَهَبون كلَّ زوجين ذبابةً ، بعد درسٍ عن سيرة سلالتيهما ، وطباعيهما ، ومقدار طاقتيهما على استحضار صورٍ مغالية في غرابتها ـ صورِ رؤىً .

قبل وضع الذبابة المختارة في ثقب الكرة الحجر ، تحتفظ الأنثى بها أربعين يوماً من أيام الجنِّ في راحة يدها اليسرى مطبقةً عليها ، لاتفتحها قط ، بل تنفخ عليها من وقت إلى وقت . ثم تُنقل الذبابة إلى راحة الذَّكر يُطْبقها عليها أربعين يوماً ينفخ عليها من وقت إلى وقت . بعد الثمانين يوماً تلك توضع الذبابة في ثقب الكرة الحجر ، ويُسدُّ الثقب بسدادة جلدٍ ثمانين يوماً هي دورةُ الريح بالرمالِ حلقةً من حول هضبة طيورٍ لاكيلا ، وإرساؤها النقوشَ متماوجةً بإتقانٍ على الرمال في العراء المحيط بالمعبد .

بعد الثمانين الأيام من أيام الجن تنشقُّ الكرة الحجَر عن وليدٍ كخادرة الفراشة ، لكنْ مكتمل الشكل على صِغرٍ في الهيئة ، بأسنانٍ كبيرة ، وعينين حجريتين ، ورجلين كرجلي الجرادة تماماً : فخذان صُلبتان من عظم عليه جلدٌ خشن مُعرَّق ، وساقان قصَبتان ، منشاريتان ، تنتهيان برسغَيْن عظمتين صغيرتين هما قَدَما الكائن الجن .

يقفز الوليدُ بعد تصدُّع الكرة الحجر كالجرادة ، دائراً دورتين من حول والديه . يقفز الوالدان من حول وليدهما دورتين . يضربانه على صدغيه ، كلٌّ بقبضة مضمومة ، ضربة تصرعه برهةً مغمىً عليه . يفيق فينطلقان به إلى مسكنهما .

مشيُ الجنِّ مشيُ الجرادة مُذْ يولدون بأرجلٍ كأرجل الجراد من ذبابٍ حاضنتُه الكُرةُ الحجر . شعراؤهم المتوارثون مَجْمَعَ انتخاب الذبابِ للاستنسال لا يُعهد بالمهنة إلى سواهم . يقلُّون عدداً أحياناً ، أو يزيدون ، لكنهم لايجاوزون الأربعة . منجِّمو إقليم زينافيري عهدوا بالتكليف إلى الشعراء منذ ما لا يحصره تحديدٌ من أزمنة الجن . ذلك كان زعمَهم في اقتسام عادلٍ للسماء والأرض بينهم : هُمُ المنجمون يتتبَّعون نشأةَ الخطط ، وقواعدَ الخطط ، وأخاديعَ الخطط في المشوف من كُرة السماء وبريقِ زجاجها المعتم ، ومطاوي البرازخ بين الكواكب وبناتها النجوم . أما الشعراء فيتتبَّعون المستورَ من كُرة الأرضِ ـ باطنَها العماءَ ، وأسسَ العماء ، وفروعَ الملتبسِ المُشْكل من فيض اللامحسوم : يتتبعون الكلماتِ حتى يرثوا منها ثقةَ الجنِّ بالأرض من حولهم ، كثقة الذباب بطيرانه المحيِّر ، وإخلاص الذباب للاستحالات في العناصر من نشأَت أجسام إلى روائح .

توكَّل الشعراء باختيار الذبابِ ، ونوعِه ، وجنسه ، لطالب النسْل من الجن تحفظ أنثاهم ، وذَكَرهم ، حظَّهما الحشرةَ في راحة اليدين ، كلٌّ أربعين يوماً ، فإن سَها أحدهما مرةً ، وتراخت يدُه المضمومة عن ذبابته ، قبل اكتمال الأربعين ، لم ينجب بعد ذا قط . قد يحدث أن لا تُنْجَزَ النشأةُ ، لامن خطأ يقترفانه ، بل من عجز الكرة الحجر ذاتها عن الإيفاء بوعدِها ـ وعدِ الحاضنة . يحدث أن لا تتصدع الكرة الحجر عن وليدٍ مكتمل بعد ثمانين يوماً من احتباس

الذبابة في جوفها ، بل تخرج من ثقب صغير آخر فيها ، ذبابتان صفراوان قرضتا الحجر حتى أحدثتا لنفسيهما مَخرجاً . تحومان حول رأس الذكر الجن قليلاً ، ثم حول رأس أنثاه ، ثم تختفيان : تلك علامة إخفاق الكرة الحجر في الحَبَل . لكنهما يستطيعان ، في الحال هذه ، إعادة الكَرَّةِ طلباً للنسل من اجتماع نفخِهما على خيال الذبابة ، التي تعرف ، دون سائر حشرات الأرض ، أنها وعدُ الانتقال بجسدها البزرةِ ، في الظلام ، إلى انبثاق الشكلِ الجنِّ وليداً يبدأ سيرتَه بالقفز أوَّلَ خروجه من الكرة الحجر .

الجن يتحركون قفزاً على أرجلهم ـ أرجلِ الجراد . مامن تأويل لذلك الرَّتْقِ الغامض بين أنصاف أجسادهم العليا الآدمية وأنصافهم السفلى مستعارةً من هيئة الجراد . كان حريًا بمنطق النشأة أن يستولد الجنَّ مزجاً من هيئة الآدميِّ والذباب الحاضن لبزرة العبور إلى تشكيل الجنين . في أقاليمهم جراد كثير ، تعرف نساؤهم ، اللواتي لاتتوقفن عن الغناءِ الهمهمة عاليةً أو خفيضةً ، كيف يستخلصْن من عصارة حشوها ترياقاً يزيل انتفاخَ الرُّكَب دَهْناً ، ويلحم الكسور في العظام طلياً على مواضع الكسور . منجِّمو إقليم زينافيري الأربعة ، المتطبِّعون على ربط الإشارات الكونية بطباع العناصر ، وترويض الطلسمات في إنشجار البروق برسمها هيئات ، واستنزاف المُلغز شرحاً موثوقاً في الأعراض الظاهرة للمخلوقات الخُنَاثى ، والهُجَناء ، لم يكلفوا أنفسهم جهْدَ النظر إلى المزْج في هيئات الجن يولدون بأنصاف متراكبة من حشرة بعينها هي الجرادة ، ومن الشكل الآدمي . لايرون في الأمر إلاَّ نشأةً محضاً قائمة بذاتها ، يتمايزون بها عن طيور لاكيلا ، والذئاب الصُّفر ، وقرود براري هِيْهْمو ، التي يرتعدون من ذِكْرها . لكنهم يرون الجراد

مراراً في تأمُّلهم سُحُبَ الغبار ، فيتأوَّلون أن الجراد جنيٌّ متنكر في صورة الحشرة لاغير ، هارباً من غزوات قرود هيهمو الزرق الأقدام ، الحمر العيون ، الذهبية الأنياب . هُمْ لايهابون حيواناً ، أو حشرة ، أو زاحفاً ، إلاَّ قرود هيهمو المتلذِّذة التهاماً للجن أحياء وموتى . قرودٌ تغزو أرض الجن إن بخلت أرضُها البراري جنوباً بوفرة في الطعام عليها نباتاً ، وحشرات ، وثمراً ، ودرنات عسقوليّة .

الجن لا يأكلون طَّعاماً إلاَّ العظام . يأكلون عظام موتاهم ، وعظام الطير ، وعظام الحيوان من كل نوع ، مجفَّفةً ، فيما يطرحون اللحوم على سفوح الهضبة الحمراء تقدمةً لطيور لاكيلا المقدسة ، ذوات الرؤوس العظم بلا جلد عليها ، والفارغة المحاجر لاعيونَ فيها . يثيرون الغبارَ بأقدامهم الأرساغ الحَشَريَّةِ ، أو بأيديهم ، فيحتسونَه استنشاقاً إن عطشوا . لانسغَ ، لاسائلَ ، لاعصارةَ ، لادماء فيهم . جراحهم يسيل منها غبارٌ رمادي ، وإذْ يلفظون أنفاسَهم موتاً ينفثون ، في الزفير ، غباراً برتقالياً . عيونهم حجر بلا أجفان تدور في محاجرها كعيون الحرباءات . لاينامون . يتشاءمون من ذِكْر الأعمار . كلما كبروا تصاغرت أيديهم المفرطةُ ضخامةً : ذلك مَسُّ الزمن في دورته أعمارَهم . سلاحهم عظامٌ ، أو نِزالٌ بالرَّكْل من سيقانهم القصبات المنشارية يتضاربون بها مستدبراً أحدُهم الآخرَ بظهره ، وللزمن عندهم وحدةُ قياس هي ترقوة الثور .

مامن ضرورة لفهم تلك الوحدة في قياس الزمن . قد تكون اقتباساً مُستغلقاً في مطابقة الزمن بالأبعاد المسافات ، والحجوم . أو ربما يرى الجنُّ الزمنَ استواءً محسوساً كالأرض تُقاس بالقفزات ، والأذرع ، والنظرِ الحاسبِ بالتخمين .

مامن مطر في أرضهم . يعرفون سُحُبَ الغبار ، لا غيرها ، مُذْ

أرضهم ريحٌ متصلة في شهور أعوامهم كلها . قد تهدأ أحياناً في شهور مختومة تتهيَّأ بها للوثبةِ أكثرَ عصفاً . وهُمْ ، في الآناء القصار من هدأة الريح يخمدون فلا يتحركون كأنهم في صوم . لا جنٌّ يغزو جنّاً ، أو يسرق من مخازن العظام ، أو يكمل نِزاله عراكاً ، أو يكمل معركةً ، أو يُبارح المكان الذي هم فيه إنْ خمدتِ الريح .

لا ينام الجن . فإن توسَّلوا حلماً مّا ، مقصوداً بالتحديد مثل وصف بالكلام واضحاً ، ألصقوا عيونَهم بساق الشجرة العظام ، شرقَ المعبد ، وتكلموا . كلامُ الجن ، في حالهم تلك اختلاءً بأنفسهم ، مكشوفين في الساحةِ الرمل ، هو حلمهم . مايتخيَّله الجنيُّ ، سرداً لرغائبه على نفْسه كلاماً ، هو حلمه . إنه يتدبر الحلمَ كاملاً ، موصوفاً ، منطوقاً بكلماتِ رغبته ، ثم يختزنه ملصِقاً عينيه الحجريتين بساق الشجرةِ العظام ، فيغدو الحلمُ المُحاك بعناية اليقظة حلماً رؤيا .

سُحبُ غبارٌ في أرض الجن ، وبروق مُسَطَّرةٌ بشهوةِ المصادفات الكثيرة للجفاف العميم ، العظيم . بروقٌ صلبةٌ ، لامن نار ، بل من حجرِ نار ، وفلزٌ معدن ، ترمي على الرمال ، بعد اشتعالها الزئير ، بُرادةً سوداء يجمعها قيَّافُ البروق وِيْلابو الطويل ، الذي لايُبارى طولاً في إقليم زينافيري ، ويقايض بها الآخرين على العظام . يمزج الشارونَ البرادةَ بعصارة جوف الجراد فيدْهنون ، بالمزيج ، أبواب مخازنهم الصِّغار لصقَ البيوت حِرْزاً من اللصوص ، أو دعاءً صامتاً باستنزال البرقِ لعنةً على مغتصبِ مايخزنون من عظام فيها ، لاغير . كل ناحية من إقليم زينافيري تشهد مواكبَ بروق ، وقُطُراً بروقاً متتابعةً تخصُّها بأشكالِ الشِّعَبِ النار ، وتشجُّرِ اللهب بما لايُحصى ، أو يُحصى ، من غصونٍ في البرق الواحد . بُرادة البروق

على أهضام الهضبة الحمراء ـ هضبة طيور لاكيلا ، هي الأوفى إغراءً يطلبها الطالبون من ويلابوذي القفزة الواحدة المديدة أوسع من أربع قفزات لجنيٍّ آخر . لذا هو الأوحد يصيد الذئاب الصُّفر ركضاً خلفها حتى إنهاكها ، فيما يتصيد الآخرون بمقاذفَ عظام .

جنوب غرب إقليم زينافيري تمتد واحة كيما شرخاً أخضرَ ، مستطيلاً ، في مرآة الرمال . أيْكٌ لفيفٌ من شجر ذي شوك ، وثمر ذي شوك ، يطوق الحدودَ الماءَ ، وسط الواحة ، منبجساً من نبع مستور هو بقايا الذاكرة الظاهرة لنهر آثرَ النسيانَ فغارَ دفيناً في ملجأ الماءِ الأصل . الجنُّ لا يردونَ الواحةَ إلاَّ بحثاً عن قنائصَ حيوانات أراويَ ، وثيرانٍ ، وطيور ، وذئاب صُفر ، يتموَّهون لقنصها اختباءً تحت الرمل ، آناء مجيئها للشرب ، أو قذْفاً بالعظام مبريَّةً كحراب . يأخذون اللحوم تقدمةً لطيور لاكيلا العُمْي ، ويجفِّفون العظامَ فيخزنونها طعاماً إلى جوار عظام موتاهم . غير أنَّ الأكثر إغراءً من بين القنائص جنٌّ صِغارُ الحجوم ، ضِئالٌ ، قُزُمٌ ، لايزيد طول واحدهم عن شبر من يد الجنِّ العاديين ، لهم أذيال ، وعلى جسومهم المهازيلِ ريشٌ بني وأحمر ، يقايضون به أسنان الموتى في سوق كاتْرَامِيْلْ ـ سوقِ الصمت ، الواقع على بعد قليل جنوب الواحة ، تختلف إليه القبائل للمقايضات .

صعبٌ قنصُ الجنِّ الضئال ، ذوي الريش والأذيال . يلزم القناصَ وقتٌ يُحْتَسَب بالأيام الكُثر في كمينه ، تحت الرمل ، ليختطف واحداً من المخلوقات القُزُم ، الساكنةِ جحوراً ضيقة ، غائرة عميقاً أسفل جذور الشجر الشوكِ الأيكِ ، الضخام الجذوع ، في واحة كيما . مخلوقات حذرةٌ أُوْلالكَ كالومضِ في برق . إنْ بوغتت ألقت بأنفسها في الماء حيث لا جراءة للجن على النزول إليه . كُره

الجن ، في زينافيري ، للماء ، وتِهْيابُهم البللَ شبيهان بالكوابيس [illegible]هم من الخناجر إنْ ذكروا قرودَ هيهمو . حيلة الجنِّ المريَّشيْنَ ، ال[illegible]ال ، تُنجيهم كثيراً ، لكنْ يحدُثُ أن لا يُنْجِد حظُّ الحيلة واحداً ، أو أكثر ، فيؤخذ قنيصةً نفيسة ، يُقايض ريشُه بأسنان الموتى الأكثر فخامةً في المقايضات ، أما العظام فتُستطاب مَضْغاً في ولائم الأعياد ، بعد الشّبع ، أو يتبادلون القليلَ منها قِطَعاً هدايا أثيرةً .

سوق كاتراميل هي ملتقى القبائل للمقايضات : عظام طيور تُقايض بعظام ذئاب . عظامُ شيوخ موتى تُقايضُ بعظام أطفالٍ موتى ، وريشُ الجن الأقزام بالأسنان . لكنهم لايقايضون من منافع حاجاتهم جلوداً بجلود . كل جنيٍّ ذَكَر يتخذ ثوبَه من جلد أنثى ميتة في عائلته . وكل أنثى تتخذ ثوبَها من جلد ذَكر ميت في عائلتها . يتوارث الجن جلودَ آبائهم ، وأمهاتهم ، وإخوتهم ، والأقربيْنَ الأخوال ، والخالات ، والأعمام ، ونسلهم الأولاد . منذ مايُسْتَحْضَر ، ومالايُستحضَر من ذاكرة شيوخ الجن ، كانت سوق كاتراميل في موضعها جنوب واحة كيما . سوق الصمت المقدَّس - هذا هو وصفُها المقدس بلا كلمات . يجتمع الجن ، في السوق ، للمقايضات صامتين ، حذرين في الحركة لايُحدِثون جلبةً ، أو ضوضاء ، أو صخباً . يُحاذِرون التلامسَ مهما كان اكتظاظ السوق الدائم بعروضه ، وبالجماعات على مشارفه تقيم أياماً ، ثم تحل محلها جماعاتُ أُخَرُ أياماً بعد رحيل الأُوَل : كل شيء يُنْجَز بإشارات خرساء .

بلا أسلحة يحضر الجنُّ سوقَ الصمت المقدس . لاينتقم منتقمُ لنفْسه هناك إن صادف غريماً خصماً . لايسرق اللصوصُ في زحامه أحداً . الإناث ، والذكور المقبِلون منهم على رغائب الإنجاب ، في

الأعمار الناضجة ، يتبادلون إشارات الرغبة من صميم المصادفات ، في موضع منفصل من السوق . معهم عيدان من نبات الواحة يربط إليها الواحدُ منهم ، ذكراً وأنثى ، ذبابةً بشعرة من شعر رأسه الطويل . إن حطت الذبابة على كتف العابر به ، أو بها ، تلازما زوجين للاستنسال ، بعون من اختيار مَجْمع الذباب ذبابةً لائقة بهما ، للبلوغ بالرغبة قَصْدَهَا في الحاضنة الكرة الحجر .

يفهم الجنُّ لغاتِ الجن كلهم . يتلقَّفون اللغاتِ مكتملةَ المعاني من هبوب الريح على أقاليمهم من الجهات كافةً بنبْرٍ في العزيف هو بلوغُ المقاصد في الكلماتِ الغمغمةِ ، والهمهمة ، تعبيرَها منْجَزاً مستوفىً تتحصَّلُه ذاكرةُ الجنيِّ فتختزنه . هم ناطقون بلغات ثعالب أرض كَارُوس ، وثيران أرض هَادولا ، وعصافير أرض كُوشْنُو ، وبعوض بحيرة سِيْمِيْر ، وحيتان أرخبيل محيط زِيْلُو السحيق على تخوم نهاية الممالك القديمة ، وجراد أودية بَاكْنون ، وعناكب كثبان أرض ماناو المتراصفة الرمال كالحراشف . قاطنو إقليم زينافيري الأكثر ذباباً مكينون ، إضافةً إلى اللغات أُوْلالِكَ ، في لغة ذبابهم على أنواعه : اللحوحة ، والطائشة الرعناء ، والجسورة لاتأبه لانتهار ، والهادئة طيراناً ، والطَّنَّانة طيراناً ، والمشعَّة ، والكامدة ، والسريعة ، والبطيئة ، والواضحة أشغالاً ، والغامضة أشغالاً تحطُّ على موضع أياماً بتمامها ، واقفة على رؤوسها في توازن يحفظه الخفْقُ المتلاحق للأجنحة . والجنُّ يخصصون هذا النوع من الذباب بلقب «المُنجِّم» .

مدن إقليم زينافيري ، وقراها ، أبنيةٌ ومساكن بلا تصاميم في الهندسة تُحْسَبُ رُقياً ، أو براعات من اختصاص في العمارة : عظامٌ تكوَّم فوق عظام بأناة من حفظ الثقل متَّزناً علَى الأرض الرمل . تُقام الجدران أولاً ، دائرية في أغلبها ، غير عالية ، ثم تُجعل عليها

الجلودَ سقوفاً تُغطى بالعظام الصغار حتى تغدو قباباً . تُحاط المدينة بسور من العظام الكبار بلا ارتفاع ، وفي السور معابر إلى القرى المحيطة بالمدينة عن قربٍ كبير ، حتى تكاد تلامس مساكنُها السورَ من الجهات كلها . فإنْ باغتهم غزاةٌ لجأ أهل القرى سُراعاً إلى الداخل . غير أن إقليم زينافيري لا يُفاجأ بغزاة ؛ لا يجرؤ غزاة على انتداب الخطط لغزو الإقليم المنيع ، الكثير المحاربين لم تخُض قبيلة حرباً ضد أهلها منذ ثمانين عاماً من أعوام الجن البالغة مَبْلغَها طولاً .

غزو قبيلةٍ لأخرى ، في تاريخ الجن ، الذي يُدوَّن بإضافة العظام إلى الأسوار ، يتحكَّمُه طلبُ العظام لاغير ، إن فَرَغَتْ مخازن أمَّة منها ، وصَعُب عليها التعويض بعظام موتاها فقط ، وقلَّتِ الطرائدُ ، والمواردُ من الحيوان والطير . لاعن استزادة للسَّعةِ في ماتخزنه ، أو تغليباً للرَّفاهِ في المخزون من العظام ، تغزو أمةٌ من الجن أمة أخرى ، بل الإضطرار من مسِّ الجوع . قد تقتطع مللٌ ثرية لِملل محتاجة بعضاً من وفرة مواردها ، إذا توسَّلتها العونَ : ذلك قليل ، بل نادر . أما غزو أمة لأمة ، لأسباب أخرى غير طلب القوت ، فلربما اقتضته ، على حَصْرٍ كبير في الحدوث ، رؤى منجِّميهم إن غلب على تأويل وحيها الذّعرُ من نفاد المؤنة ، أو الإنذار مبكراً بتربُّص من أُمم أخريات بمخازنها نهباً . تلك هي الغزواتُ الإستبَاقية يسيرُ بهاً وحيُ العلاماتِ الموصوفة ، وتراكُبِ الإشاراتِ الصورِ ، وتقاطعاتِ المعارج بين الأفلاك ، ومجاهراتِ الكسوف والخسوف ، واحتجابِ النجوم في مياه الكواكب ومرايا الشُّهُب والرُّجوم .

حروب الوحي ، استباقاً من الأقدار ، لاتنتهي بتسويات إخضاعٍ ، أو اتِّفاقٍ على الحدِّ من الخسارة يُرتضى به وصْفاً

للأغالبيْنَ ، بل بإفناءٍ نهائي من أمة لأمة حتى آخر محارب فيها ، وآخر نسلٍ صغير أو كبير ، ذُكراناً وإناثاً . المنتصرون يعرُّون عظامَ المغلوبيْنَ من اللحم الضئيل عليها فيؤخذ تقدمةً إلى طيور لاكيلا ، ويقيمون الولائم وَقتاً على قدْر انتهائهم من التهام آخر عظمٍ من عظام من قَتَلوا . هي الحال الوحيدة في إرث الجن يأكلون عظاماً غير مجفَّفة بعد . لايستسيغونها ، لكنهم لا ينتظرون انتقالَ الغضب ، الذي تلهبُه المعركةُ فيهم ، من جهة في قلب الواحد إلى الجهة الأخرى . هُم عنيفون أبداً . غاضبون أبداً . أنصافُ قلوبهم الأيامِنُ مضطرمةٌ غضباً في أعمارهم ، ونشوبُ المعارك يملأ الجهات اليُسْريات . لاينتظرون انحسار الغضب عن جهات قلوبهم اليسريات : يأكلون عظامَ الأعداء القتلى غَيرَ مجفَّفة بعْد قبل انحساره .

في أعيادهم ـ أعيادِ أرض زينافيري ، يصحب الجنُّ إلى الساحات في المدينة ، وفي القرى ، أفضلَ ماادَّخروه من مخازنهم : جمجمةَ أبٍ ، أو جدٍّ ، أو أم ، أو أخت ، أو أخ . يصحبون جماجمَ الأقربين إليهم في كبار الأعياد ـ عيد طيور لاكيلا ، وعيد الجراد ، وعيد العاصفة الزرقاء .

يصعدون الهضبة الحمراء ، في عيد الطيور . القمةُ المستوية ، الشاسعة الأرجاء ، تتسع لسلطان زينافيري ، والمنجِّميْنَ ، والأسياد ، فيما يقيم المحاربون ، والعامَّةُ ، شعائرَ العيد على أهضام الهضبة ، وسفوحها ، في خشوع يتوسَّلون به ترويضَ المصائر إفراغاً للموت من هيبته كطيور لاكيلاً أفرغتِ الظلامَ ، في محاجر رؤوسها العظامِ الحية ، من هيبة الظلام .

عيدُ الجراد شعائرُ احتفالٍ مفتوحة : يدور الجنُّ قفزاً من حول

أنفسهم ، متصنّعيْنَ بأيديهم الضخام رفيفاً كرفيف أجنحة الحشرة ، التي منحتّهم كمالاً في الأرجل على مُطابَقةٍ من شكلِ رِجْليها في وراء خلائق الظاهر . وفي عيد الجراد هذا تستحضر إناث الجن السمَّ الناقع ، الفَتْكَةَ ، من دقيق عظمِ فِقَرِ الأطفال الموتى ، إذْ خاصيَّةُ السم في عظام أطفال الجن موصوفةٌ معلومة ، لكنها تتلاشى كلما كبروا . والذكور ، الذين تستخلص نساؤهم هذا السمَّ دقيقاً مطحوناً ، يحفظونَ الدقيقَ في رقاقاتٍ جلد مطوية مغلقة بإحكام . فإن راموا انتقاماً ، أو ثأراً ، نثروه على وجوه الخصوم في غفلةٍ منهم : مَنْ يتنشَّقون شيئاً من طحين السم تتصلّب مفاصلهم كلها ، تلتحم فلا يتحرك فيهم عضوٌ بعد ذلك : تموت الضحية متحجِّرةً .

الجن الخَلْق الذين لاينامون ، ويبتكرون أحلاماً متوافقةً مع رغباتهم المتوسِّلةِ أحلاماً معلومة بتفاصيلها ، يعمدون ، في عيد الجراد ، إلى إلصاق عيونهم الجواحظِ الحجرِ بأيٍّ موضع من جدران المعبد الدائريِّ ، العظيم بناءً قبَّةً من العظام ، منقسميْنَ على صنفيْنِ في الفكر يهَبُونهما أجسادَهم كأنما في أشغالٍ مرهقة ، وهم ثابتون لايتحركون ؛ مرهِقة تبلغ مبلغَها من الكَدْحِ ضراوةً . فكرتان تشبهان الركض وراء طريدة ، أو منازلةَ خصمٍ ركْلاً . فكرتان مجهِدتان : الأولى أنَّ الجنيَّ يتوهم حفْرَ سرداب حفراً شاقاً بيدَيْ خياله ، للعبور إلى الجهة الأخرى من الأرض ، ثم يَجد نَفْسَه ، بعد إنجاز الحفر ، في متاهة من ممرات رملٍ ضيقة جداً ، بين مياه مترامية تتماوج في قاعها وجوهٌ كوجوه قرودٍ هيهمو المُحاطة بشعر أصفر طويل . ممراتٌ تتأرجح به كأنها طافية ، وذعرُه من السقوط في الماء يقوِّضُ بُنيانَه ، أو يكاد .

الفكرة الثانية التي يهَبُها الجنيُّ خيالَ جسدِه ، هي انكبابه ،

في حاله المتفكِّرة ، على تركيب أجنحة كأجنحة الذباب على جانبَيْ جذعه ، حَفْراً بشظية مسنونة من العظم في جلده ، ولحمه الأعجف الضامر ، لتثبيت جذور الأجنحة في الجراح المستوهَمة ، الأكثر إيلاماً من جراح حاصلةٍ حقًا . وإذْ يثبتها ، ويهمُّ بالطيران ، يسقط أرضاً متمرِّغاً في الرمل .

الجن الذين يلصقون عيونهم بجدران المعبد العظام من كل صنف وخَلْق ، ينهارون حالما يستنفدون ما تفكروا فيه . يتراخون منهَكيْنَ ، أو ينطرحون صرعى من الإعياء .

فكرتان يمتحنُ الجنُّ بهما ، في عيد الجراد ، احتمالَ أجسادهم ، ذكوراً وإناثاً . ولمَّا ينجزونَ الإنهاكَ قويًا كما توقَّعوه ، يلبثون في غضب يوماً بتمامه من أيام الجن ، فيقوِّضون منازلهم سقوفاً ، وجدراناً في النهار ، ثم يعيدون بناءها في الليل على نحوٍ مختلف عما كانت عليه قبل الهدم . يدورون حول منازلهم الجديدة قفْزاً هياجاً يثيرون به الغبارَ زوابعَ يستنشقونها في نشوة سُكْر .

عيد العاصفة الزرقاء عيدٌ بلا احتفال . مناسكُ القيام به عيداً تخصُّ أطفالَ الجنِّ الإناثَ . ففي كل عام من نضوج الوقت على غصن مصادفاته المتقَنة نظاماً ، يحملُ الهبوبُ من الغرب سحائبَ نَمْلاً أزرق الأجنحة . سُحُبٌ تدفع سحباً من مناكبها . تتقاطع ، وتتلاحم ، فلا تُرى السماءُ في أيِّما جهة من إقليم زينافيري . تمطر السحائبُ نملَها على كل شيء ، فلا تُرى أرضٌ في إقليم زينافيري . الأعراءُ الرمالُ تنزف زرقةً من كل رملة أو حصاة . سفوحُ الهضبة ، وقُلَّتُها المستوية الشاسعة ، تنضو عنها حُمرةَ التراب ، لتتدرَّعَ بالزرقة . منازل المدينة ، وأكواخ القرى ومساكنها تغدو قِباباً صِغاراً زُرقاً بعد المطرِ النملِ . زرقة تدوم يوماً ونصف اليوم من وقت الجن

قبل أن تحمل السحائبُ من الأرض ما أمطرتْهُ من نمل . عاصفةٌ أشدُّ من التي حملت النمل إلى إقليم زينافيري ستدفع السحائبَ جنوباً . كل شيء يرجع إلى حِصنِ لونه : الرملُ العُرَامُ ، والهضبة ، والمساكن ، والأغاني الهمهماتُ في حناجر النساء .

آنَ مكوث النمل على أرض زينافيري ، تعمد كل عائلة لديها طفلة أنثى إلى إلزامها الوقوف على صخرة ، أمام باب مسكنها . تغطي الأمهاتُ بناتهن الصغيرات بالنمل من رؤوسهن إلى أرساغهنَّ الأقدام ـ أقدام الجراد . لاتريم الأنثى الصغيرة ، ولاتتحرك في وقفتها على الصخرَة . لكنَّ الخوف ، والرهبة من النمل الذي يتزاحم طبقات على جسدها ، يستنبتان همهمةً في فمها بلا كلمات . همهمةٌ تعلو ، أو تنخفض بحسب ارتداد الهلع من قلبها إلى لسانها . يوماً ونصفَ اليوم ، من مكوث النمل في أرض زينافيري ، لاتتوقف الأنثى الصغيرة عن ترديد الصوت الخائف في أعماقها على نبْرٍ يتخالفُ ، ويتجانس ، ويتنافر ، ويتناغم ، ويخمد ، ويعلو ، ويتقطع ، ويتصل . ذلك اليوم ونصف اليوم هما المِرانُ الواجب ، الذي سيهيئ حنجرةَ الأنثى الصغيرة للغناء بلا انقطاع قط ، منذئذ حتى آخر نَفَسٍ من الرمل في رئة عُمرها .

كل عامٍ تنضم طائفةٌ أُخرى من الإناثِ إلى جَوْقِ الهمهمات الأكبر ـ جَوْقِ النساء يغَنِّيْنَ بأصوات خافتة ، أو صادحة . وفي كل عام ، بعد نهاية المِران على الغناءِ من تلقين الخوفِ الغناءَ للحناجر ، يضع السلطان كاشاجو ذبابةَ الإستنسال في راحة يد زوجته شيكْتَان طلباً للنسل : لقد استولدا معاً من الكُرات الصخور الحواضِنِ حشداً من الأطفال لم يَنْجُ منهم إلاَّ ابنه رِيْكْمَا . عظام أطفالهما الموتى قبل أوان نضجهم محفوظةٌ طحيناً سَمّاً في رقائق

من جلودهم . سمٌّ لم يستخدمه كاشاجو ضدَّ أحد بعد . وهو يعاودُ ، الكَرَّةَ تلو الكَرة ، أن يختبر مصادفاتِ حظوظه كلّما أمطرتِ السُّحبُ نملاً أزرق على أرض زينافيري ، غير آبهٍ بالتوريات في لسانِ كبير المنجِّمينَ خَاميْدِس عن ملوك غيَّروا الأعيادَ ، وغيَّروا أسماءَ البروج الفلكية ، وغيَّروا الآلهة .

حفلاتُ جنٍّ زينافيري لاتقتصر على بعض الأعياد حَسْبُ : لهم في بزوغ القمر هلالاً ، ناجياً من نمر السماء الأسود بعد اختطافه في المَحَاق ، تَدَاعٍ إلى ساحة المعبد بالمصارعيْن يراهنون عليهم ، ويستعذبون نَشْقَ الغبار يثيره المستعرضون ضراوةَ النّزال ركْلاً ، وقفزاً صِدَاماً . غبار العِراكِ مُثاراً حول المصارعين هو النفيس نوعاً يتهافت المستنشقون عليه حلقاتٍ ، ويتزاحمون في كَسْبه بأنوفهم الممسوحة المطموسة ، حتى أنَّ المصارعين يرتطمون بهم أحياناً ، فيطرحونهم بعيداً مقذوفيْن .

بلا أسلحة يتجابه الأقوياءُ في النِّزال استعراضاً للقُوى . الأذرع ، والأرجل ، وبراعاتُ القفز ، والزحف على البطون من بين سيقان المتجالِديْنَ تحايُلاً ، هي الأسلحةُ شرعاً إلى الغَلَبة . لكن يحضر هذا الحفل من مولد القمر الناجي من خَطْفة نمر السماء الأسود ، جنٌّ أوثقوا جنًّا آخرين بالحبالِ الجلدِ من سيقانهم الحشَريَّة ، ومن معاصم أيديهم . إنهم المنتقمون ، طالِبو الثأر يجيئون بمن يثأرون منهم ليقاصصوهم على مرآى من الجموع في الساحة . هُمْ يحدِّدون صورةَ العقاب ثأراً ، أو انتقاماً . مامن أحدٍ يتدخل في القضاءِ أبرَمَهُ المنتقمون ، والثائرون ، وأوجبوا تنفيذه على النحو الذي يشاؤونه بالمطلوبيْنَ . لاسلطان زينافيري ، لا المنجِّمون ، لا الأسياد ، يوقفون إجراءً ، أو يعترضون ، أو ينصبون حَكَماً بين طالب الثأر

والمطلوب ليُثأر منه ، والمنتقِم والمُنتقَم منه .

أحكام القضاء ، في إقليم زينافيري ، واضحة كأرضها الرمال . من أعرافٌ موصوفةٌ إرثاً لايحوجها قضاةٌ . كل جنيٍّ هو قاضي نفسه ، ومصْدرُ حُكْم على من يوجب الحُكْمُ القصاصَ عليه . كل قاتل عليه أن ينتظر مَنْ يثأر منه قتلاً . أقرباء المقتول موكلون ، عُرْفاً ، بتدبير القصاص الذي يرفِّهون به عن روح قتيلهم في فردوسه النار ـ الفردوسِ الشمسِ ، ويبشرونه بلقاء روح قاتله كي يتهيَّأ للثأر منه ثانيةً هناك . قصاصان يُسْتَحْضران لكل قاتل : الأولُ انتظارُه ـ هلعُه المترقِّب أن يُقتَلَ يوماً مَّا ، والثاني طريقة القتل . القتلةُ الأقوياء ، الذين ليس في أقرباء مَنْ قتلوا جنٌّ قادرون على النكال بهم ثأراً ، يصيرون موضعَ مشاع في القصاص حُكْماً ، يطلبهم مَنْ هم أقوى منهم ، من غير أقرباء ٱلقتيل ، فيثأرون ثأرَ غيرهم لقتيل لاصلة لهم به .

مَنْ يسرق عظاماً ، أو جلودَ جنٍّ موتى ، من مخزن جنيٍّ آخر ، في أرض زينافيري ، تُباح سرقتُه ، إنْ عُرِفَ ، مِنْ كل قادرٍ مستطيع بلوغاً إلى الاختلاس من مخزن السارق ، وإلى نهبه . وفي مقدورٍ أطفال من عائلة جنيٍّ سُرِقَ مخزنُه ، أن يقتلوا واحداً من أطفال السارق إنْ عُرِف ، من غير أن يُثأرَ منهم على انتقامهم من السارق بقتل طفل له .

لاأعرافَ أُخَرَ تُذْكَرَ من القضاء جارياً في أرض زينافيري الناطقة بلغة الذباب . الأحكامُ الصغار ، خارج القتل والسرقة ، يتولاها كلُّ جنيٍّ بنفسه ، بحسب إحساسه بالضرر إنْ تضرَّر ، كالخيانة الزوجية مثلاً . كأن يضع ذكرٌ متزوج ذبابتَه في راحة أنثى عزباء أو أرملة ، أو أن تضع أنثى متزوجة ذبابتَها في راحة ذكر

أعزب ، أو أرمل . هما ، الخائنان ، لن يحظيا برعاية وليدهما بعد انفلاق الكُرة الحجر عنه . قد يعمدان إلى إخفاء الكُرة الحجر بعيداً في أرض ما . لكنْ أنَّى لهما أن يرعيا المولودَ من انفلاقها؟ سيُكشفان إن حاولا . لذا يلجآن إلى أخذ الوليد ، سراً ، إلى بوابة المعبد ، ويطرحانه هناك مقيَّداً . المنجِّمون سيَهَبون الوليدَ سِفاحاً إلى مَجْمَعِ سادةِ فِرَق المحاربين . هناك يتولون رعايةَ اللُّقطاء تدريباً ، وتمكيناً من فنون النزال بالأسلحة العِظام ، وطرائقِ الرَّكْل الفاتكة في المواضِع الأكثر ضعفاً من أجساد الجن .

قليلةٌ خيانات الجن الزوجية على أية حال ، لِتَعَذُّر إبقاء راحة يد الذكر ، أو الأنثى ، مطبقةً على ذبابة الاستنسال من غير أن يلحظ أحدٌ ذلك ، مهما تحايلا . لكنْ يحدث الأمر أحياناً ، في عزلةٍ مَّا . يحدث الأمرُ كعناد ضدَّ الحظوظ لم تمكِّن ذكراً ، أو أنثى ، انجذب أحدُهما إلى الآخر ، من أن تستقرَّ ذبابةُ واحد منهما على كتف الشخص المرغوب ، في سوق كاتراميل ـ سوق الصمت المقدس . هُما ، إذ تتلبَّسْهُما الغوايةُ بوميض برقها الأخرس ، يتجاسران على المغامرة المحفوفة بنوافذ افتضاحهما وأبوابها ، كتواطؤٍ كَيْد ، في تصحيح عابر للمصادفة خانتهما ، وفي تأكيدِ الولاءِ للأحاسيس لَمَّا تزل جاذبةً طباعَ الاستنسال فيهما إلى أن يتشاركا ، هما لا سواهما ، في وليدٍ .

قِصاص الخيانة الزوجية يتولاه الشعراء في مجمَع الذئاب يُحضِرون الخائنة ، أو الخائن ، إلى ردهة المجمع في جناح من أجنحة قصر السلطان كاشاجو ـ القصر القبَّة الواسعة تضاهي تصميماً ، بالعظام من ثلاث سلالاتٍ في الجن ، تصميمَ المعبد فخامةً من غير أن تَبزَّه ، إجلالاً لمقام المعبدً . جرَّاحٌ يشقُّ ، بمبضع من شظيَّةِ عظْمٍ ،

جزءاً صغيراً من جلد كتف الجاني، أو الجانية. توضع ذبابة [illegible]اء، شديدة الهياج، في الجرح الجاف، ثم يُخاط الجرح بشعرة من رأس الجرَّاح نفسه. أربعون يوماً، كمقدار حفْظِ الذكر، والأنثى، ذبابةً في راحتي يديهما للاستنسال، ستطنُّ الذبابة تحت الجلد الذي سيعروه حِكَاكٌ مزعجٌ، وقحٌ، طوال الوقت. بعد أربعين يوماً يُعادُ فتقُ الجرح، في ردهة المجمَع ذاته. تتحرَّر الذبابة. يتحرر الجاني من الحكاك، ويُختتمُ القِصاص.

في احتفالات الجن الأخريات المرتجلة، خارج عيد الجراد، وعيد طيور لاكيلا، وعيد العاصفة الزرقاء، الموسومة أعرافاً خالدة، تُذبح الذئاب الصفر في العراء أسفلِ سفح الهضبة الغربي. قنَّاصو الجن الحذَّاق في صيد الطرائد أحياءً هم عمادُ الحصول على الذئاب الصفر، المرغوبة الجلود. أكثر هؤلاء القناصين من الجنِّ المطايا عادةً، الأقوياء قفزاً يسابقون به الحيوانات الواردة مياهَ واحة كيما. يلتقطون الذئاب بأيديهم الضخام من أعناقها حيَّةً، ويجرُّونها من أقدامها إلى أقفاص من أضلاع الثيران الضخمة، أمام منازل أسيادهم. تُطعَمُ الذئاب ذوات العواءِ الزفيرِ الحجريِّ، وتُسقى، في انتظار مناسبةٍ مَّا يرتجلها واحدٌ من الأسياد أنفسهم، فيتداعى الآخرون إلى مواضع اللهو بذئابهم تُذبح من حناجرها رمياً، عن بُعْد، بصفافيحَ حجرِ شفرات. لايقترب جزَّارو الذئاب منها حتى يستنفدها النزفُ. يُغطى الدَّم بالرمل على كُرْهِ الجن كلَّ شيءٍ فيه بللُ الماء، أو بللُ الدم، أو رطوبتهما. يتجاذب كلُّ قويَّين ذئباً من قدميه، وذراعيه، حتى يتشقق الجلدُ فينتزعانه سلْخاً فظًّا، مع غمس أيديهما في الرمل، ورشِّ الرمل على لحم الذئبِ كلما تعرَّى، كي يُبقياه جافًّا قدْرَ استطاعتهما.

أطفال الجن ينضمون إلى الجزَّارين عوناً لهم في رشِّ الرمل على اللحوم ، التي ستُحملُ فوق محفَّات من جذوع الشجر إلى قمة الهضبة الحمراء طعاماً لطيور لاكيلا . ولربما عضَّ بعضُ الأطفال ، متقزِّزيْنَ ، على العظام معرَّاةً ، في استعراض لجسارتهم على اقتراف مايُذْعِرُ ويُسْتَهْوَل .

لحومُ الذئاب الصفر ، المريَّشةِ الجلود ريشاً صغيراً ، لحومٌ عجافٌ ، ضامرة على هياكلها الضخمة البادية العظام هُزالاً . دمُها قليل في النزف . جلودُها زينةٌ أوشحةً ، وعصابات للرؤوس ، وأحزمةً ، وأطواقاً للرقاب ، وأساورَ للمعاصم . ولربما عقدت نساءُ الأسياد شرائطَ منها على نهايات ضفائر بناتهن ، أو قايضن بها عائلات الأثرياء شراءً للجنِّ المطايا يهدينهم أولادَهنَّ سَعةً في الرفاه ، وإفاضةً في امتلاك الدَّواب .

تنتهي الاحتفالات المرتجلة هذه ، وكذلك الأعيادُ في اختتام شعائرها ، بوداع مهيب يستمرُّ يوماً بتمامه : سبعة وسبعون قارعاً لحجارة كُرات فيَّ أيديهم بحجارة أخرى مسطحة ، يوطِّدون الوداعَ بإيقاع فيِّ النَّقْرِ خافت أوْجَبَهُ المنجمون مُقَطَّعاً ، وَفق حساب للبعد بين ممالِك الأعالي - ممالك الجنِّ الأصولِ ، الخفيَّة في أفلاك الكون ، والممالك الظاهرة على صورِ البروج .

خافتاً يقرع القارعون الحجارةَ بالحجارة ، وسط سكون يشلُّ كلَّ شيء يوماً بتمامه ، فلا يتحرك جنيٌّ من موضعه ، كحال المخلوقات الجنِّ إذا خمدتِ الريحُ . صمتُهم هو طربُهم ، استغراقاً في الإصغاء إلى الأمكنة المهجورة ، والأمكنة المهاجرة وراء كلِّ ريح . صمتُهم قَبَسٌ طَرَبٌ من بزوغ الصمت الأعظم ، وراءَ كلِّ وراء ، متوطِّداً ، خالصاً لا يُداخله شيءٌ آخر ، ولاتُخالطُه إلاَّ حقيقتُه صمتاً مُحْكَماً

بقضائه الكلّيّ . هُم ، في سكونهم الصامت ، عَوْدٌ إلى ماكانوه قبل انعدام الوجود ضيّقاً في الكونِ ذي الزوايا الثلاث ـ كونِ الجن .

صادفَ اليومَ الخامس من اختتام عيد العاصفة الزرقاء انطلاقُ نفير البوق العظم ، بعد ثمانين عاماً من صمت الهواء في عقلِ الفراغ . قَفْزاً أحكمت فِرقُ المحاربين نظامَ احتشادها على نصف دائرة كبيرٍ قبالة هيكل الإله الأكبر كوياسي . استعرض عميدُ سادة المحاربين ماياكي الفِرَقَ يتبعه الجنيُّ المطية الضخم رَاتُوْ ، المقطوع الإصبع السبَّابة من يده اليمنى ، زحفاً على يديه وركبتيه .

جموع من جن زينافيري ، نساءً وأطفالاً ، وشيوخاً متكئين على عظام طوال ، أحاطت بالساحة على استدارة المعبد ، قبل أن تنشقَّ ثغرةٌ في لُحُمتها أَحدثها اندفاعُ جنٍّ ضخام هم طلائعُ عبور موكب كاشاجو السلطان .

على ظهر دابة من الجن وصل كاشاجو ترافقه زوجته شيكتان ، وابنه ريكما ، على دابَّتين أخريين ، تبعهم المنجمون ذوو الأعناق الطوال قفزاً على سيقانهم ، بشعور ضفائر مضمومة بانتصاب فوق رؤوسهم الصغيرة . وقف الموكبُ في الوسط بين تمثال الإله وصفوف الفِرَق المحاربين . تقدم منهم ماياكي ذو الشفة السفلى المشروخة من ضربة . قلَّب عينيه الحجريتين في وَقبيهما دليلَ جاهزيَّةٍ لم يوقظها نفير البوق الحجر ، بل رُسُلُ استطلاع من المراصد على التخوم قبل أربعة أيام بتمامها ، فأعدَّ مايكي خططَ الحشْر والنَّشر مع سادة الفِرَق .

نزل كاشاجو عن ظهر مطيته ممسكاً بسلاحه العظم الغريب ، الضخم ، المعقوف . أخرجَ لسانَه الرماديَّ . نَضْنَضَ به كثعبان يصغي ، ثم أبقاه خارج زاوية فمه اليسرى مترقِّباً تباشيرَ الأصوات .

كاشاجو لايسمع . ليس له أذنان ، أو ثقبان للإصغاء في موضع الأذنين . وقد استعاض للسَّمع بلسانه يتذوق نِثارَ الأصوات توابلَ مترجمَةً إلى كلمات في صمت وجوده الأخرس . هو الأوحد بين جن زينافيري لايسمع ، أصمُّ مُذْ وُلِدَ من غير أذنين ، لكنه ثرثار إنْ نطق . وإنْ نطقَ استكملَ كلَّ مايريد قوله ، دفعة واحدة ، قبل دفع لسانه خارج فمه يتنصَّت نضنضةً به إلى محدِّثيه . وفي يوم النفير ذاك ، وقف ساكناً يصغي ، بعينين محدِّقتين إلى عميد سادة المحاربين ماياكي ، فتكلمَ ماياكي ذو النقاطِ الصفر الثلاثِ ـ الوشم على موضع أنفه الممسوح لم يوجد في وجهه قطُّ :

– هُم وراء الهضبة شرقاً . مِهْيُوْ من إقليم سَايْنُونْ الجنوب ، ومَاشايو من إقليم يَتْرَاكْ الغرب . تكفينا عظامُهم ولائمَ أربعة أعياد .

صرَّت الأسنانُ الضخمة في أفواه المحاربين صريراً حجرياً .

نضْنضَ كاشاجو بلسانه متلقِّفاً وعيدَ الهول من فم ياماكي . أرسلَ بصرَه إلى المحاربين ، وصرَّ بأسنانه مثلهم . اقترب من عميد سادة المحاربين . تكلَّم :

– ألم نرسل عظاماً إلى سليل الذئاب ماشايو؟ توسَّلَنا عظاماً فاعطيناه . لماذا هو قادم مع ميهو صاحب الفمِ الكهف؟ سأمزق الثوب الذي يرتديه من جلد أخته ، وسآكل جمجمته في عيد لاكيلا .

«وأنا سأحتسي غباراً في جمجمة ميهو» ، قال ابن ريكما ، الذي تتوسط عينَه اليسرى نقرةٌ محفورة في حَجرها . الوى عنقه صوب أمه . تخطاها ببصره إلى الصف الثاني من إحدى فِرق المحاربين المتجاورة بفواصل بينها . ثبَّته على وجه سُوْكْ الفتاة المحاربة ، ذات الوشم المثلث أصفرَ خطوطاً تحت العينين الصغيرتين .

خرجت من بين الصفوف المنتظمة قبالة تمثال الإله الأعظم أربع نساء، يحملن حجارة رقيقةً الواحاً. وضعنها على الأرض الرمل قريباً من سلطان زينافيري وعميد محاربيه. جثيْنَ على رباب سيقانهن ـ سيقان الجراد. أخرجن من جعَبٍ معلقة إلى أكتافهن حجارة ملونة صغاراً. انكببن في عجلة يرسمن شيئاً من تاريخ الريح في ذلك اليوم الطافي على نفير البوق الحجر. حدَّق كاشاجو إليهن في ثيابهن المتشاكلة تفصيلاً من جلود إخوتهن، كل ثوب قطعة واحدة من العنق حتى الركبتين. قسَّم صوتَه نَبْراً حجريًّا عليهن من بين شفتيه الرقيقتين، المنفرجتين:

– املأنَ أنصافَ ألواحكن برسومنا. أبقيْنَ الأنصاف الأُخَرَ لميهو مذعوراً، ولجيشه أكواماً لحوماً على المِحفَّات يصعد بها المحاربون إلى طيور لاكيلا.

«سأمزق ماشايو. سترسمنه ممزَّقاً»، قال ابنه ريكما مُقْحِماً لسانَه في عروض الوعيد.

«أقلتَ شيئاً؟»، تساءل كاشاجو، مديراً وجهه صوب ابنه العاري الرأس من الشعر إلاَّ غُرَّته القصيرة مضفورةً. نَضْنَضَ بلسانه منتظراً رداً.

تحرك ماياكي صوبَ كاشاجو. لاصقَهُ، فالتفت سلطان زينافيري إلى عميد محاربيه.

«سأذلُّ ماشايو أمام ميهو، اليوم»، قال ماياكي.

تلقَّف كاشاجو كلمات ماياكي بالتذاذٍ على لسانه الرمادي. أدارَ عينيه على وجه عميد المحاربين. تساءل مستنكراً: «أيريد ميهو حرباً؟!». نقرَ الأرضَ الرمل بقدميه الرُّسغيْنِ ـ قدميِّ الجرادة. «أيريد ميهو حرباً؟». كرر سؤاله قبل أن يردَّ بنفسه: «حشدٌ مثل

الذي معه حشدُ حرب ، ياماياكي» ، قال بصوته الحجري . نضنضَ بلسانه مديراً وجهه إلى صفوف المحاربين : «حننتُ إلى حرب ، ياماياكي . حننتُ إلى احتساء غبار تثيره الأقدام في الحرب . للريح هبوبٌ في الحرب لايشبه سواه . آخر حرب خضتُها مع أبي ضدَّ إقليم دَازْدَاهْ الشمالِ . لم تزل في مخزني ، حتى اليوم ، عظامُ زوجة كُونُو ـ زعيم دازداه» .

قفز كاشاجو ، بعد كلماته ، قفزة قصيرة ، واحدة ، إلى الأمام ، ثم استدار إلى عميد المحاربين . نَضْنَض بلسانه يتحسَّس في الهواء كلماتٍ معلَّقةً . ألقى بصرَه إلى زوجته ملتصقة بابنها ريكما . قفز قفزة قصيرة أخرى راجعاً إلى موضعه قرب عميد المحاربين . همس :

– هي أجمل من رأيت ، ياماياكي .

«هي جميلة ، ياكاشاجو» ، عقَّب ماياكي متطلعاً إلى حيث ينظر سلطانُ زينافيري ، الذي استدار إليه محدِّقاً :

– أقلتَ شيئاً ، ياماياكي؟

«نعم . هي جميلة» ، ردَّ ماياكي .

تلقف كاشاجو كلمات ماياكي بلسانه ـ لسان الأفعى . همهم مستدركاً :

– نعم . زوجتي جميلة . لكنني عنيتُ زوجة كونو ـ سيد إقليم دازداه ، ياماياكي . هي أجمل مَنْ رأيت من نساء مخلوقاتنا . عظامها في مخزني بَعْدُ ، ملفوفة بجلد زوجها . لم آكل منها إلاَّ ترقوتَيها ، وفقرتين من العَصعص .

قرَّب رأسَه من رأس ماياكي : «هل سمعتني شيكتان؟» ، تساءل بصوت خفيض . نضنض بلسانه خارج فمه متهيِّأً أن يسمع ردَّ عميد المحاربين . أبعد رأسَه قليلاً . قلَّب عينيه في وجه محدِّثه

وهو يتحسّس ، بيده اليسرى ، قلادةً من جلد في عنقه ، يتدلى منها منقارُ طائر أحمرُ . تساءل :

ماذا عنيت من أنك ستُذلُّ ماشايو أمام ميهو؟ .

«سأذلُّه . اسمعْني» ، ردَّ ماياكي ذو الصوت الطنين . انتفخ الجلدُ حول ثقبَيْ أنفه الممسوح ، ثم انكمش مع حركة لسانه بالكلمات كأنما يندفع هواءٌ تحت جلده وينحسر . مدَّ عنقَه الطويل صوب كاشاجو . انتصبت أذناه الكبيرتان ، الطويلتان يتدلى من يمناهما قرطٌ خرزةٌ بيضاء ، معلقة بخيط أسود . استرسلَ محدِّثاً سيدَ زينافيري في هدوء ، بصوت خفيض تتبَّع لسان كاشاجو كلَّ نبرة فيه ، حريصاً أن يلتقط تفاصيل خطة عميد المحاربين المرتدي ثوباً قطعتين رماديتين من جلد أختين من أخواته الخمس الميتات ، واحدة من العنق حتى السرة بلا كمين ، والأخرى كالمئزر لَفًا على وسطه حتى الركبتين .

طويلاً عَرَض مايكي لعبتَه الخطَّة التي سيُذلُّ بها ماشايو . طويلاً أبقى كاشاجو لسانه مهتزاً خارج فمه يتذوق به خطَّةَ عميد المحاربين . اكتفى إصغاءً مُذِ استوعب التفصيلَ . همس :

- هذا مَكْرٌ جيد .

تنهَّد مايكي مستريحاً فانتفخ الجلد حول ثقبَيْ أنفه . استدار إلى مطيَّته الجنيِّ راتو الضخم ، ذي الندبة الطويلة في وجهه ، من صدغه الأيمن حتى حَنَكه الأيسر . أومأ ، فاقتربَ الجنيُّ بنصف قفزة فصار قبالة راكبه . كلَّمه ياماكي باستفاضة تفهَّمها راتو . طأطأ برأسه . قفز مبتعداً إلى مهمته سريعاً كالريح ذاتها .

استدار الرمل على نفسه في الهبوب الجامح . انبسطَ وانطوى . تسطَّحَ على امتداد العراء ، وتحدَّبَ في بلوغهِ جدران المعبد وقاعدة

تمثال الإله كوياسي ، المرتفعة قدماً واحدة لا أكثر ، مزيجاً حصىً وكعابرَ عظاماً .

تراجع كاشاجو قفزتين إلى الوراء . جاورَ المنجميْنَ الثلاثة الذكورَ ، ورابعتَهم الأنثى بُوْنيا ذات الوشم التسعةِ الخطوطِ صُفْراً من جبينها حتى الذقن ، مروراً فوق العينين . غمغمَ بنبرٍ حجري :

- ما حالُ الذئب الأبيض؟ .

«لم يكلمنا منذ ثمانية أيام ، ياكاشاجو» ، ردَّ كبير المنجمين خاميدس ، ذو العِصابة من سيور بيض حول رأسه .

«ماذا يعني ذلك؟» ، تساءلَ كاشاجو منضنضاً بلسانه ـ لسان الأفعى يتقرى الصوتَ صُلباً كنقش نافر .

«هو في نزهة» ، ردَّ تُوْهْتُو المنجِّمُ ، ذو العينين الحجر البنيتين .

«في نزهة أين؟» ، تساءل كاشاجو .

«هناك» ، ردَّ توهتو ، مشيراً بيده اليسرى الضخمة إلى فراغ في الأفق الشمالي ، ملبَّدٍ بالرمل معصوفاً .

«لاشيء هناك» ، تمتم كاشاجو . استرسلَ : «لاجيوش . لامدن . لاأسواق . لاكهوف . لارياح أيضاً» .

«هو هناك ، إذاً» ، ردَّ توهتو ، ذو الوشمِ الدائرةِ البيضاء ، الصغيرة ، بين عينيه .

الذئب الأبيض هو وحيُ المنجمين في إقليم زينافيري . يُسْتقصى موضعُه ، في الأمكنة المحجوبة ، بعيون الخيال الثالث ـ خيالِ المؤتَمَنيْنَ على نبوءات اللاتعيين . المنجمون لايستنطقون الذئبَ كشوفاً في آتي المصائر ، وقادم الأحوال ، بل يلاعبونه ، هُمْ في زوبعة ، والذئب الأبيض ذو العينين البيضاوين والأنياب الحمر ، في زوبعة . تتداخل الزوبعتان تحت قبة المعبد . يصيرون هم والذئبَ

شبحاً رملياً نصفَ جنيٍّ ونصفَ ذئب، متكلماً بلغاتِ أقاليم الأرض الظاهرة والمحجوبة ـ لغاتِ عصافير كوشنو، وبعوض بحيرات [illegible] ميير، وثيران هادولا، وثعالبَ كاروس، وحيتان أرخبيل زايلو، وذباب زينافيري، وطيور كُوْتِيْري الشبيهة بالسحالي، وأرواح الأودية، وأرواح الكهوف، وأرواح الصدوع الكِبار في صخور الشمس الأمِّ، وجراد حدائق الأسلاف الرمل بتصاميمها الفوضى تحت السماءِ ذات الغيوم العَظْم ـ السماءِ الأولى، التي أنجبت السماءَ الراهنة سِفاحاً من لقاء عابر بجدٍّ قرود هيهمو. المنجمون ينطقون، مُذ يصيرون شبحاً من مزيج الشكل الجنيِّ والشكل الذئب، لالتعيين مُلْغِزٍ، أو فكِّ طِلَّسم، أو استنباءٍ في إشارات البروق، وعويل طيور لاكَيلا العمياوات. هُمْ في مرح والذئبَ، مُلْهَمُون أن يرجعوا إلى أنفسهم وحدها إنْ سُئلوا في مُعَّضلٍ، أو مَخْرج من معضل. حسْبُهم أنهم في خلوة تحت قبة المعبد، يلاعبون الذئبَ الطيفَ. حسبُهم أن يمرَّ بهم الذئبُ الأبيضُ الطيفُ، لا غير. وعليهم الاستلقاء، بعد ذلك، على بطونهم، في حلقة صغيرة ينفخون على الرمل بأنوفهم الممسوحة، وينظرون في آثار النفخ، ثم يقرِّرون الأحكامَ عن عَمْدِ عقولهم المتفحِّصةِ في الظواهر وضروبها.

امتطى كاشاجو ظهرَ الجنيِّ الدَّابة الضخم. تباعدَ شقَّا ثوبه من جانبَيْ فخذيه ـ فخذَي الجرادة. خفقَ ثوبُه الرمادي، الذي بلا كُمين. ثوبه شبيه بجلده، تحصَّله من جلد جدَّته عمَّرت مائةً وثمانين عاماً من أعوام الجن. كان يرتدي جلدَ جدَّة جدَّته قبلاً فأورثه ابنَه ريكما. لقد جفَّفوا جلدَ جدته، بعد سلخها ميتةً، على حبل في ساحة القصر، وحملوا لحمَها إلى طيور لاكيلا. كل جن

زينافيري يصنعون ذلك بموتاهم الأقربين ، ويحفظون عظامَهم معروضةً للريح على مساطبَ حصىً ليخزنوها قُوْتاً .

خَفَقَ ثوبُ ياماكي الجلدُ الجاسئ ـ جلدُ أختيه من صفع الريح عليه ، حين صعد ظهر مطيته الجنيِّ راتو . خَفَقَ ثوب شيكتان المتشعبُ خيوطاً سيُوراً حُرَّةً فوق ركبتيها ، فصَّلْته من جلد عمها ، حين صعدت ظهر دابتها الجنية الضخمة الأنثى . خفقت أثوابُ أسياد الفِرَق القِصارُ حتى ركابهم إذْ صعدوا ظهورَ مطاياهم الجنِّ الجاثين على ركابهم .

رفع ماياكي ذراعه اليمنى بسلاحه من عظم فخذ الثور فانطلق نفيرُ البوق الحجر أكثر عُمقاً ؛ زفيراً عزيفاً كالريح .

عضَّتِ الريحُ أذيالَ بناتها يتلهَّيْنَ . عضَّتهنَّ مستثارةً فاثارتهنَّ .

نزف الرملُ تحت الأقدام ماينزفه من جروح الرمل عادةً .

الفصل الثاني
(توثيقُ النشأة الناقصة)

ليس معبد إقليم زينافيري بمكانٍ لمبادلات الخوف، والرجاء، أو للتذكير بوعد، واتّقاءِ وعيد، بين الجن وإلهِهم كوياسي المتنافر شكلاً في تمثاله، الخاضع ـ كلّ وقتٍ ـ للبتر، والإضافة، والامتداد، والانحسار، والتجانس في موضع، واللاتناسق في موضع منه بحسب مايُمليه أسيادُ فِرَق المحاربين، وأسيادُ المآدب، وأسياد المقايضات الكبريات في سوق كاترامِيل، على النحّات آلْما، مصمّم هيكل الإله من العظام شتّى، إنْ عبروا.

آلْما النحاتُ لا يُخْضِعُ تدخُّلاً في تصميمه الهيكلَ الشكلَ للمساءلة. هو يبري عظاماً، ويقطعها، وينجّرها بصُفّاح حجرٍ كالشفرة، ويربط بعضها إلى بعض بالسّيور، ويُداخلها من ثقوبٍ فيها، ويعلّق عظاماً صغاراً بالحبال تتقارع مصوِّتةً بندائها الخفيض المِبْرَدِ متحاكّاً بمِبْرَد الريح. كل يوم ينجز آلما شيئاً مّما قدّره بخياله مرسوماً شكلاً على الرملِ لايلبث أن يتذرّى، فيُعادُ الرسمُ التخطيط. الأسياد، الذين يعبرون الساحة من الجِهةِ الغرب للمعبد، يوقفون مواكبهم. يتأملون المُنجزَ من هيكل الإله النحيل متشعباً في فضائه. يخمّنون النقصانَ، أو التفصيل الذي بلا لزوم. يكلمون آلما همساً بما عراهم من رأيٍ نازِعُهُ الإتقان. بعضهم لايوقف موكبه في العبور. يدقّقون، من ظهور مطاياهم، في الشكلِ

الهيكلِ ، ثم يبعثون رُسلاً إلى آلما ببعض التنبيهات ، والتوجيهات ، والتصحيحات . غير أنهم لايُجاوزون تدخُّلهم بأكثر من طلب واحد ، صغير عادةً .

منذُ مَا لَّم يدقِّقِ الجنُّ في أصله من الوقت ، واتِّفاقه من تاريخ زينافيري ، يجري تحصيل أعضاءِ الإله كوياسي من خيال النحاتين يتوارثون تصميمه نَكْتاً في الرمل ، ومن خيال الأسياد أسلافاً عن أسلاف . يزعم بعضُ الجن أن التمثال التجميعَ عظاماً بلغ أحياناً ، في ماضي زمن الجن ، سفوحَ هضبة طيور لاكيلا ؛ بل تسلقها نحاتون لتثبيت عينٍ له في الوسط بين السفح والقمة ، وتثبيت عينٍ أخرى من عيونه السِّتمائة قريباً من قُلَّتها المسطحة . هي عيون تخضع ، بدورها ، لزيادة أو إنقاص ، وَفْقَ استشراف النحاتين المصمِّمين ، والأسياد ، لكمال الإحاطة البصرية بالوجود من زوايا الكون الثلاث . لذا أوجبوا عيوناً لإلههم كوياسي من أنصاف جماجم طيور لاكيلا ، ودفنوها تحت قاعدته ، ليكتمل لهُ الإشرافُ ، والإحاطةُ الكُلِّيانِ بظاهر الأرض وباطنها ؛ والإحاطةُ ، من ثم ، بنفْسه الأخرى الدفينة التفاصيل في خيال كل جنيٍّ ، وكل طير ، وكل حشرة وُجدت أم لم توجد بعدُ .

تخالطتِ التصوراتُ المراتبُ ، وأقيسةُ الكَمَلانيَّةِ ، في تقريب الشكلِ الإلهِ كوياسي إلى تصميم من تضافرِ العظام الملائمة ، وتَجاوُرِ المتناسبِ ، وتحصينِ المفاصلِ وتعضيدها بالسيور من جلد الذئب الأصفر ، وإحاطة العيون بأنيابه . شكلٌ رَسَا ، متقلِّباً في الغَلَبَة ، على بعضٍ من صورة الجني ، وبعضٍ من صورة الـ[illegible] ، وبعضٍ من صورة طيور لاكيلا ، وبعضٍ من صورة الجرادة ، وبعضٍ من صورة الذبابة البيضاء ، وبعضٍ من صورة الأفعوان ، وبعضٍ من

صيرورة دورة الاستنسال . كما عُضِدَ الشكلُ ، المتقلبُ في غلبة هذا المتدبر عليه أو ذاك ، بمرموزاتٍ من عظام سلاميات الأيدي لم تتخذ صوراً ، وإنما اكتُفيَ منها أنهاً إشاراتٌ إلى الرمل والريح .

الإله كوياسي قائمٌ على الجهةِ الغرب من المعبد . لا يدخلُ أحدٌ المعبدَ ذكْراً ، أو تقديساً . لا يتقرب أحدٌ إليه بقربان ، ولا يُشركُهُ جنيٌّ في وجوده كقُدْرة : كوياسي مصادفةٌ لم تَشْغَل نَفْسَها بأكثر من أنها إلهٌ ذَكَرٌ تتخالط الصورُ فيه ، ويتراكَبُ جِرْمُهُ تزييداً ، أو تنقيصاً ، من يوم إلى آخر .

المنجمون الأربعة ساووا معبدَهم بالإله كوياسي نفسه . معبدُهم ليس بمكانٍ لمناجاة القُدْرَة ؛ ليس بمكانٍ لاستصلاح الحظوظ تضرُّعاً ؛ ليس بمكانٍ للمقايضات على ثوابٍ إيماناً ؛ ليس بمكان للاحتكام إلى الضرورة كي تتساهلَ الضرورةُ ؛ ليس بمكان لتجرُّدِ الجن من وجودهم ، في برهة مناجاة ، تعظيماً لوجود آخر ؛ ليس بمكان لتشغيل الأرواح بمَلَكاتٍ الغيوب أو تعطيلها . المَعبدُ ، على التخصيص ، ملتقى المنجِّمين لاستحضار الذئب الأبيض ، الوحي ، يلاعبونه بلا استنباء ، أو تصريفٍ للمُسْتغلقات كشْفاً وتفريجاً . هو ملتقاهم ليتدارسوا الأعمارَ التي يكره الجِنُّ ذِكرَها ؛ الأعمارَ في ظهورها واختبائها ؛ في خصائص قِصَرها وطولها ؛ في انحسارها وامتدادها ، الذي لايتوقف أحياناً إلاَّ عند السفح الجنوبي من الوقت .

«لاشمالَ للوقت» ، تقول بونيا ذات الثوبِ القِطَع الثلاثِ موصولةً من العنق حتى البطن ، ومن البطن حتى الركبتين ، ومن الركبتين حتى أرساغ قدميها بحاشيةِ ذيلٍ يزحف خلفها على الرمل .

«للوقت ثلاث جـهـات ، كـزوايا الكون الثـلاث : الشـرق ، والغرب ، والجنوب» ـ ذلك ماوثّقه لها في أَسْماع الجن صوتُها النَّقْرُ بلسانها على أعالي فمها .

المنجمـون يتدارسـون مـا سيـقـولونه للجن من كـلام يريدونه محفوظاً كـاعتـقـادٍ . يوثّقـونه أولاً برفع وجوههم إلى قبة المعبد ، وترديده ، ثم بالسجـود فـالنفخ على الرمل : هكذا انتظمَ العِلْمُ في الأجيالِ الجنّ من ولاية المنجِّم خاميدس ورهطه على مصكوكات الخلود ، مثل عـودتهم ، في الموت ، إلى الصميمِ النارِ من فـردوس الشمس ؛ إلى المخاطبات الدائرية بألسنة لهبٍ .

لا ذكـريات للمـوتى في الموت . الموت هو «النسيـان الأعظم» صكَّه المنجم كاساك ، القصير بين جن زينافيري ، صورةً معنىً بنقرِ حجر على حجر . لايَذكُر الجنُّ الموتَ ، بل «النسيـان الأعظم» ، الذي ليس فيه إلاَّ المخاطباتِ الدائرية بألسنة من لهب الشمس ، في دورة أرواحهم الخالية من أيِّ التماس لاستقرارها . مخاطباتٌ زمجرةٌ على فَلَكِ الشمس ـ الفَلَكِ الرملِ المتَّقد بحُبيباتِهِ النار .

في فجـر اليوم الذي استنهض نفيرُ البوق الحجـر محـاربي زينافيري ، خرج المنجمون الأربعة من المعبد بحفنات من الرمل في يد كلٍّ واحد حفنةٌ . نثروا الرملَ في الريح دائريًا . خبطوا بأقدامهم الأرضَ فأثاروا غباراً تنشّقوه بقوة ، ثم اتجهوا قفزاً سريعاً إلى مقام الإله كوياسي العشواءِ الهيئة ، حيث تجتمع الفِرَق إنِ استُنْفِرت . جاوروا موكب السلطان كاشاجو ، الذي التحق سريعاً بعميد المحاربين .

«كأنني لمحت طيف الذئب الأبيض ، بجسم أكثر طولاً» ، قالت المنجِّمة بونيا ، وهي تقي عينيها الحجريتين بيديها ، كأنما تثبّت

طيف الذئب في البعد الضيق للرؤيا . «جسمه طويل كأفعى» ، أردفت . «إنه يتسلل من بين المحاربين في اتجاه المعبد» .

قالت بونيا ذلك بعد وقت من سؤال كاشاجو المنجمين عن الذئب الأبيض ، قبل انطلاقه والمحاربين إلى ملاقاة الغازيين ميهو وحليفه ماشايو ، اللذيْن بلغت طلائعُهما السفوحَ الشرقَ من الهضبة الحمراء .

استعجل المنجم القصير كاساك قفزاته بسُعار وتَّرَ ساقيه من كلمات بونيا الرؤيا . ضاعفَ قفزاته حتى بلغَ جِوارَ كاشاجو . جاوَزَه قليلاً ليلفت بصر السلطان الأصم ، فالتفت السلطان إليه .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو ، مدركاً أن كاساك يريد إبلاغه بشيء ما . نضنض بلسان ـ لسان الأفعى مستمعاً .

«رأت بونيا طيفَ الذئب الأبيض» ، قال كاساك ، ذو الوشم النقاط الصُّفر والبيض تغطي نصفَ وجهه الأيسر ، نزولاً حتى عنقه .

«ماذا يعني ذلك؟» ، تساءل كاشاجو من فوق ظهر مطيته الراكضة قفزاً .

«لاشيء» ، ردَّ كاساك بصوته الزفير . أضاف : «لقد ظهر الذئب» .

«أتزمعون العودةَ إلى المعبد لتلاعبوه؟» ، ساءله كاشاجو بصوته الحجري . «هذا ليس يوماً لملاعبة ذئب ، أو مداعبته» . ربت على ظهر الجنيِّ المطية كي يبطئ قفزَه قليلاً . التفت إلى الوراء : «أين رهطك ، ياكاساك؟» . تساءل . نضنض بلسانه ينتظر جواباً . أكملَ قبل أن يتكلم المنجم القصير : «أراهم» ، ردَّ بنفسه على سؤاله . ربت ثانيةً على ظهر مطيَّته الجنيِّ يستحثه على الإسراع لاحقاً بعميد المحاربين

ياماكي ، القريب من شيكتان ، وابنها ريكما . نادى :

- ماياكي .

خفف راتو ، مطيةُ ماياكي ، من قفزاته الطويلة ، لكن من غير توقف . التفت ماياكي إلى السلطان :

- أناديتني ، ياكاشاجو؟ .

«نعم» ، ردَّ كاشاجو منضنضاً بلسانه . «رأتْ بونيا طيفَ الذئب الأبيض» .

«مانفعُ ذلك؟ مانفعُ الطيف الرؤيا؟» ، تساءل ماياكي بصوته الطنين وقد تلاطمت ضفائره الطوال الأربع عشرة ، كلٌّ سبع على جهة من رأسه .

«لا نفع» ، ردَّ كاشاجو . تلوى لسانُه خارج فمه يتلقَّف سؤالاً آخر من ماياكي :

- ما مهمة الذئبِ الوحي ، ياكاشاجو؟ .

«ملاعبة المنجمين» ، ردَّ كاشاجو ، مبقياً بصره ، جانبيًا ، على وجه ماياكي .

«أيجعلهم ذلك أكثر استبصاراً في الأحكام ، وفي التأويل؟» ، تساءل ماياكي . أردفَ : «لماذا لايظهر طيفُ هذا الذئب الأبيض على أيٍّ مِنَّا؟ هل منجمونا صادقون في ادِّعاء ظهور الذئب عليهم؟» .

ارتدَّ رأس كاشاجو إلى الوراء قليلاً . فاجأه ملمحُ الشك أسالَهُ لسان ماياكي في شأنٍ يخص منجمي إقليم زينافيري . لجَم نقزة خياله . ردَّ على سؤال عميد المحاربين :

- لا معنى لظهور طيف الذئب علينا . لا نلاعب ذئاباً ، أو نداعبها .

«ما معنى ظهوره عليهم؟» ، تساءل ماياكي . «قد أصير منجِّماً ليوم واحد» ، أضاف ، محدِّقاً إلى وجه كاشاجو . شدَّ ضفائر شعر مطيته راتو بيده اليسرى كالرسن ، يحثه على الاقتراب أكثر من السلطان :

– كيف أصير منجماً ، ياكاشاجو؟

نضنض كاشاجو بلسانه وهو يشدُّ ، بدوره ، ضفائر مطيته كالرسن ، فخفَّف الجنيُّ المطية من قفزه . أربكه قليلاً سؤالُ ماياكي .

«لم أسائل نفسي في ذلك ، ياماياكي» ، ردَّ كاشاجو . «قد اسأل خاميدس بعد أن ننتهي من هذا» ، مشيراً بسلاحه العظم المعقوف إلى نواحي الهضبة في البعيد البعيد . قلَّب عينيه على الأفقِ الشرق نازفاً رملاً من وريد الريح ، ثم أعادَ بصرَه إلى ماياكي :

– أقلتَ شيئاً؟

«لا» ، ردَّ ماياكي . استرسلَ مقتنصاً برهةَ النظر من عيني كاشاجو إليه :

– لا مخازن ستتسع لعظام محاربي ميهو ، وماشايو . أَين سنخزن فائضَها؟

«أوه» ، تمتم كاشاجو . نقل سلاحَه خطْفاً إلى يده اليسرى . نظر إلى أظافر يده اليمنى المصبوغة خضرةً ، وكذلك سبابتها الخضراء صِباغاً . «سنجد مخزناً» ، ردَّ .

«المعبد فارغ» ، قال ماياكي في تلميح منكشف القصد .

«المعبد؟!» ، تساءل كاشاجو مستَغرباً . «أأنت جاد في اقتراحك؟» .

«ولِمَ لا؟ معبد واسع الأرجاء يقطنه أربعةُ منجمين» ، ردَّ

ماياكي . ألقى إضافةً تحتمل السخرية : «أربعة منجمين ، وطيفُ ذئب» .

نضنض كاشاجو بلسانه يتذوّق الرملَ ملتصقاً بالكلمات . أعادَ سؤالَه :

- أأنت جاد ، ياماياكي؟

لم يُجِبه ماياكي عن سؤاله تخصيصاً . وسَّع فكرة المُقْتَرح :

- عظام ميهو وحليفه ماشايو في المحراب . عظام أسياد فرقهما في القوس اليمنى من جدار القبة . عظام المحاربين تُنَضَّدُ مساطب على جهتَيِّ المدخل . زرتُ التخوم مع الرُّقباء . المحاربون كثرٌ ، ياكاشاجو ، وأرى عظامهم في المآدب .

«ماذا لو رفض المنجمون؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ ماياكي متسائلاً :

- أرسلْ كاساك ليجلب بقيتهم إليك . اسألْهم . لن يرفضوا .

لم يكن كاساك على مبعدة بعد حديثه العابر مع السلطان ، الذي أشار إليه بيده الممسكةِ سلاحَه ، فاقترب المنجم القصير باستفاضةٍ في القفز .

«نعم» ، قال كاساك ملبِّياً النداءَ الواضح في عيني كاشاجو .

«فليعجِّلْ رهطُ المنجمين إلى لقائي» ، قال كاشاجو .

رعودٌ حجريةُ الصوت كلمت سفوحَ الهضبة . أضاء برقٌ قُلَّتها في مرآة الرمل محمولةً بيديِّ الريح .

ربت ماياكي على كتف راتو المطيَّة وهو ينظر ، من خلفه ، إلى المنجمين قادمين تسبقهم بونيا قفزاً : «أين الفتاة؟» ، ساءل الجنيُّ الضخم .

«في مطلع حشد المواكبين من العامَّة فرقةَ المحاربين الثالثة» ، ردَّ

راتو بصوته المتسرِّب من حنجرتهِ الكهف .

«ألقنتها ، تماما ، ماسألتُكَ أن تلقِّنَها؟» ، ساءله ماياكي ، فردَّ راتو :

- تماماً .

«سأهين ماشايو» ، تمتم ماياكي .

راتو المطيةُ مضى ، قبل مسير المحاربين ، إلى بيوت زينافيري في المهمةِ التكليفِ من عميد المحاربين . لم يُطلْ غيابَه المختصرَ بقفزاته أضعافاً ساقَ بها هيكله . كلَّمه ماياكي في خطة يلقِّنُها راتو فتاةً بعينها ، ويأتي بها في الحشود خلف الفِرق . هي خطةٌ سردَها عميدُ المحاربين تفصيلاً على كاشاجو ، فأكد سلطانُ زينافيري اقتدارها : «هذا مَكْرٌ جيد» ، قال بصوته الحجر .

أحضر راتو الفتاةَ إلى الحشود متهيئةً بالتلقين لمهمتها ، ثم عبر صفوف المحاربين إلى ماياكي ، الذي لم يسأله ، في برهة من انشغال بصره ، وعقله ، باستعراض سادة الفرق ، عن إنجاز ما أوفده إليه . امتطاه فانطلقت سيقان المحاربين قفزاً ، بنفير البوق ، إلى مجابهة الدخلاء . لكنَّ أمرَ الخطَّةِ الحيلةِ التمع على الصَّفاة الصقيلة من خيال ماياكي حين ذهاب المنجم كاساك لإحضار رهطه الآخرين ، لذا سأل مطيَّته راتو عن الفتاة فأجاب راتو على سؤال راكبه .

وصل المنجمون . حثَّ كاشاجو ، وماياكي مطيَّتيهما على التخفيف من غلواء القفز فخفَّفا . حدَّق سلطان زينافيري إلى وجه خاميدس . دحرج الكلمات على لسانه ـ لسانِ الأفعى :

- رأت بونيا طيفَ الذئب الأبيض .

«نعم . رأتْه» ، ردَّ خاميدس .

«ماذا أنتم فاعلون الآن؟» ، ساءله كاشاجو .

«مـاذا تعني؟» ، ردَّ خـامـيـدس ذو الثـوب الطويل ، والعـبـاءة المتشققة أربعةَ فتوق من جلد خالَتَيْه .

«ألن ترجعوا لملاعبته؟» ، ساءله كاشاجو ، فرد خاميدس مؤكداً بقاء المنجمين حيث يتوجه السلطان :

– سينتظرنا طيفُ الذئب .

«وماذا إنْ لم تعودوا؟» ، ساءله كاشاجو .

«نذهب معك ، ونعود معك» ، ردَّ خاميدس .

غمغم كاشاجو مستحسناً ردَّ كبير المنجمين . نضنض بلسانه . نادى :

– ماياكي . ماذا عندك من اقتراح لمنجِّمِيْنا؟ .

استدار راتو المطيةُ قفزاً ليصير راكبُه على قُرب من خاميدس . تكلَّم ماياكي :

– ماذا سنفعل بعظام الدُّخلاء ، يا خاميدس؟ .

«نأكلها» ، ردَّ خاميدس من فوره . «سنطعم لحومَهم طيورنا المقدسة لاكيلا العُمْيَ» .

«سنخزنها عندكم ، في المعبد» ، قال ماياكي .

اختلَّت قفزات خاميدس متجهاً ، في مقدَّم المحاربين ، صوب شرق الهضبة لملاقاة الدخلاء . ترنَّح . كاد يسقط لولا أن أمسك به راتو من كتفه .

حدَّق خاميدس طويلاً ، في صمتٍ ، مفتوح الفم ، إلى وجه ماياكي . نقل بصرَه إلى كاشاجو يستجلي في عينيه ارتدادَ الهدير من كلمات ماياكي على قلبه هو ـ قلب خاميدس ـ إلى الريح . تمتمَ اسمَ السلطان بحروفٍ متشاجرة كأنما يستغيث به ، ويستنجد :

– كا شـ شـ اا جو .

الآن لايتخاطبون بألقاب تبجيل ، أو تزلُّف ، أو إكبار ، أو تكريم . يتنادون بالأسماء صِرْفاً لا يُدانيها لَقبٌ يتقدَّمها ، أو يَرْدِفُها . وهم لا يتبادلون تحيات إذْ يتلاقون وقوفاً بعضُهم على بعض ، أو [illegible]بورا بعضُهم ببعض . إسم كاشاجو خرج حروفاً متصادمةً ، متحاكَّةً ، من فم خاميدس الرمادي الشفتين . أردفَ اسمَ السلطان بكلمة أخرى : «المعبد» ، تلقَّفها منه لسانُ كاشاجو المتظاهر بجهلِ سببِ المخاطبة بين عميد المحاربين وكبير منجِّمي زينافيري . صاح في الريح النازفة رملاً من جرح هبوبها :

– مابه المعبد؟ .

«يريده ماياكي مخزناً للعظام» ، رد خاميدس متوسِّلاً الحسمَ من السلطان بعينيه .

«ألا يصلح مخزناً للعظام؟» ، ساءله كاشاجو .

موجةُ ريحٌ ، في استدارتها من الجنوب على الشمال ، ساقتْ أصواتَ نساء زينافيري في غنائهن الزَّفير من وراء حشود الفِرَق . همهماتٌ ، وغمغماتٌ موقَّعةٌ نحتت نقشَها الوشمَ الهواءَ في غبار الزحف قفزاً بسيقان الجراد في الجذوع الأسافل للجن . بلغ الغناءُ بهديره الخافت مسامعَ أسياد الفِرق ، كأنما يحفر الصوتُ ، خفيضاً ، مجرى هبوبه تحت الأقدام كي لاتبعثره الريحُ .

نساء زينافيري ، المغنِّياتُ دواماً لايتوقفن عنه ، يتحسَّبْنَ بحناجرهن لقياس الأبعاد ، التي يقْدِرُ الصوتُ فتْقَها بيديه بلوغاً : في الريح العاصفة طبقةُ صوتٌ من ضرب الألسنة سقوفَ الأفواه . في الريح المترددة بلا حزم أو حسم لصرْفِ مشيئتها غُلواً ، أو وَسَطاً في الهبوب ، طبقةُ صوتٌ منَ التكتكة برؤوس الألسنة على الأسنان ، مع امتصاصٍ للهواء من بين الشفاه إلى الحناجر . في

خمود الريح يخمد غناؤهن ؛ يصير طنيناً كذباب عالق في وعاء مقفل بإقفالهنَّ أفواههن تماماً .

غمغمت بونيا رجْعاً من صدى الأغاني البعيدة فاسكتها توهْتو :

- منذ متى تغنين ، يابونيا؟ تنصَّتي إلى خاميدس . هو مرتبك منصدم .

ترنَّح خاميدس من جديد ، كأنما تخذله ركبتاه ، حين تلقَّف ردَّ كاشاجو موجِعاً على توسُّله : «ألا يصلح مخزناً للطعام؟» . كيف تأتَّى لسلطان زينافيري أن يتواطأ مع ماياكي على مُقتَرَحٍ كذاك ولو في صيغة سؤال لايحسم انحيازَه؟ .

«أيصلح المعبد لخزنِ عظام؟» ، تساءل خاميدس مستنكراً ، ردّاً على سؤال كاشاجو ، فأعاد سلطّان زينافيري صوغَ المماحكة الخافتة في سؤال ثالث ردّاً على سؤال ثان كان ردّاً على سؤالٍ أول :

- ألاّ يصلح المعبدُ مخزناً للعظّام ، ياخاميدس؟ .

تضعضع صوت خاميدس . لهثَ :

- أيصلح أو لايصلح ، ياكاشاجو؟ لايصلح تداول مُقْتَرَحٍ كهذا .

«قُلْ ذلك لماياكي» ، ردَّ كاشاجو .

تمالك خاميدس أنفاسَه الغبارَ في الزفير . استعاد بعضاً من جأش المنجم فاتجه بصوته إلى عميد المحاربين :

- لايصلح المعبد إلاّ مخزناً للرؤى ، ياماياكي .

«ومُلاعبة الذئب» ، عقَّب ماياكي .

«هو ذئب المعبد» ، أكَّد خاميدس .

«أين يكون ذئب المعبد حين لايكون في المعبد؟» ، ساءله

ماياكي ، فردّت بونيا من وراء ظهر خاميدس :
يكون حيث أُرسلُه .
«أرسليه إليّ مرة ، يابونيا» ، قال ماياكي متطلعاً جانبيًا إلى ناشاجو المتنقّل بلسانه نضنضةً بين المنجمين وعميد المحاربين ، صاعدين نازلين في ركضهم السريع قفزاً .
«لستَ مكاناً» ، ردّت بونيا .
«رئتاي ممتلئتان رملاً . عيناي ممتلئتان رملاً . صوتي ممتلئ رملاً . إنْ جُرِحتُ نزفتُ غباراً رملاً . إنِ احتسيتُ ، في نشوتي ، احتسيتُ الغبارَ . أنا رملُ زينافيري وغباره . أمكانٌ أوسع من رمل زينافيري ، يابونيا؟» ، تساءل ماياكي بصوته الطنين كطنين الزنبور . وجّه بصرَه إلى خاميدس :
- ماذا تقترح إنْ فاضت عن مخازننا العظامُ بعد هذه المعركة ، ياخاميدس؟ أننشر الفائضَ على سفوح الهضبة الحمراء؟ اللصوص يكثرون كما عرفتُ . ملكهم ميْسُوْدا يتقرّب من سلطان المتمرّدين علينا ماشْفِيْرْ الأعمى . هُمْ في كل مكان من نهايات إقليم زينافيري ، وليسوا في أيّ مكان . لهم أنفاقٌ تحت الرمال ، وأسواق تحت الكثبان .
نظر خاميدس إلى سفح الهضبة الغربي ، فالجنوبي . كُتَلٌ رمادية كانت تتماوج على استدارة الأهضام في بطءٍ خالَهُ كبير المنجمين وَهْماً :
- أتتحرك الهضبة ، أم عيناي لم تعودا تخترقان الريح؟ .
«بل تتحرك الهضبة» ، ردّ ماياكي . «كمائن محاربي زينافيري تتحرك في ثيابها الرمادية على السفوح الحُمر» . جالَ ببصره على أسياد الفرق على مطاياهم الضخام ـ كلٌّ سيد في خوذةٍ حجرٍ ، ويده الممسكةُ سلاحَه في قفاز من جلد الذئب الأصفر . نفض

براحة يده اليسرى ذباباً عن ظهر مطيته راتو ، وعن ضفائره الطوال : «أسياد الذباب يواكبوننا» ، قال .

على نَوْلِ الريح تواشجتِ الخيوطُ المشغولةُ من وَبَرِ الصوت وفروه : أغاني نساء زينافيري ، الهادرة عميقاً تحت أقدامَ المحاربين كأنما من مدافن الأعماق السحيقة ، تَخَالطَها نَوْحٌ رقراق من الأعالي . طيورُ لاكيلا العَمِياتُ جاوبنَ غناءَ النساء .

اشتدَّ القفزُ بالمحاربين ، وبالمطايا الجن تحت أسياد زينافيري . تفتَّقَ الرملُ وَتَرَتَّى ؛ تقلَّب مَخْضاً من نقْرِ الأقدام في سُرَر الرمل وتعاريج بطونه . اغتلتِ الغمغماتُ مستثارةً في الحناجر توقاً إلى نزالٍ .

بَدَت طلائعُ محاربي إقليم ساينون ، وإقليم يَتْرَاكْ ، في الجنوب الشرق من الهضبة . توقَّف غطاريفُ مقدَّمها رافعين أيديهم بالأسلحة أمارةً لإبطاء المسير . فوجئوا ، في الأرجح ، بحشد زينافيري الهائل مسرعاً في قفزه ، الذي لم يتوقف حتى بات كاشاجو ، وعميد محاربيه ، على بُعْد يرى المحاربُ منه هيئة خصمه واضحةً في غلالة الريح ذات المسامِّ الرملِ .

«كلِّمْ ميهو ، يامامايكي . لن يلحق لساني بفزعه ، وبفزع ماشايو معاً» ، قال كاشاجو . «وسِّع الرعبَ في عينيه» .

تقدم ماياكي بمطيتهَ راتو وثبتين اثنتين من طليعة المحاربين الدخلاء . نادى :

– ميهو . اقتربْ لأكلِّمك .

انفصل ميهو ، سلطان إقليم ساينون ، عن طليعة المحاربين . تقدَّم على ظهر مطيته الجنية الضخمة ، الصلعاء ، ذات الأذنين المتهدِّلتين حتى كتفيها . أرخى الرسنَ الذي جعله حول رأس المطية إذْ وقف قبالة ماياكي .

«حشدٌ كبير» قال ميهو . تقلَّبت عيناه الحجريتان في محجريهما .

«لم ترَ شيئاً بعد» ، ردَّ ماياكي . «انظرْ إلى الهضبة» .

ارتجفت شفتا ميهو الرماديتان ، الضخمتان ، وهو يلمح التماوجَ الرمادي على السفوح الحمر للهضبة . غمغم :

– لماذا كل هذا الحشد؟ .

لم يكن كاشاجو يسمع بلسانه النضناض شيئاً من كلمات عميد محاربيه ، المديرِ ظهرَه إليه ، لكنْ تلقَّف شيئاً من النبر الثقيل جارياً من حنجرة ميهو في الريح . حثَّ مطيَّته الجنيَّ أن يقترب من المتحاورين ، فقفز الجنيُّ حتى جاورهما .

قفزت مطيةُ ماشايو ، حليف ميهو ، مقتربةً براكبها سلطانِ إقليم يتراك من الثلاثة المتقابلين ، فرفع كاشاجو يده بالسلاح العظم المعقوف معترضاً :

– ارْجعْ أنت . لم نأكل ابنتك بعد ، لكنْ سنأكلك قبلَها .

شدّ ماشايو ضفائر مطيته فاوقفها . تباعدت شفتاه المتهدِّلتان تستلقي العليا على السفلى ، مستغرباً كلمات كاشاجو .

استدار ميهو إلى ماشايو مستغرباً بدوره . تمتم : «إبنتُك؟» . أعادَ بصره إلى وجه سلطان زينافيري ، الذي أخرج لسانه متوقعاً سؤالاً من ميهو .

«لاأعرف ماذا عنيتَ من ذِكر ابنة ماشايو ، ياكاشاجو . لكنْ لِمَ هذه الحشود؟» ، ساءله ميهو ، فردَّ كاشاجو مستنكراً بصوته الحجر :

– ماالحشد هذا الذي معك؟ .

«نتتبع متمردين علينا وعلى ماشايو» ، ردَّ ميهو .

«لماذا تتتبَّعونهم في أرضنا؟» ، ساءله كاشاجو .

التفت ميهو إلى ماشايو الساكن في وقفته بعيداً قفزتين عنهم . استفسر :

– ألم يترصد مخبروك المتمردين يعبرون من هنا؟ .

«نعم» ، ردَّ ماشايو بصوت غير واثق من تسديد حروفه . أتْبَعَ الردَّ بسؤالٍ من باطن حيرته :

– ماذا عنيتَ من أنك لم تأكل ابنتي بعد ، ياكاشاجو؟ أية إبنة؟ .

لم يردَّ كاشاجو الأصم . حدَّق إليه مليًا قبل أن يقسِّم صوته الحجرَ على الأسماع :

ـ توسَّلْتَنا عظاماً فأعطيناك . تسلَّلت بعد ذلك إلى أرض زينافيري!

قاطعه ماشايو مذهولاً :

– لم أتسلَّل قط إلى أرض زينافيري . جئتُ قبلاً إلى أسواق كاترامبل في مواكب مُعْلَنة .

«هِيْهْ» ، غمغم مایاكي مُقْحماً لسانه في مخاطبة ماشايو :

– تركتَ وراءك محاربين أكلنا عظامهم ، وتركتَ ابنتَك . لم نأكلها بعد .

نزل ماشايو عن مطيته مُعتصَرَ الخيال ، مصعوقاً . تقدَّم نصفَ قفزة فألجمه الصوتُ الحجرُ ، الآمرُ ، من فم كاشاجو :

– لاتقترب أنت ، أو أكَلْناكُما أنت وميهو الآن .

«أوضحْ لي» ، قال ماشايو بنبرٍ متوسل . «أوضحْ لي هذا التلفيق ، ياكاشاجو» .

«تلفيق؟!» ، زعقَ كاشاجو بصوتِهِ رنَّ طويلاً . «أسمعُ العظام متهشِّمةً قبل أن نبدأ المعركة» .

«لستُ هنا طلباً لمعركة» ، قال ميهو ملقياً بصره إلى سفوح الهضبة متماوجةً بالمحاربين بدأوا نزولهم .
«أجئت ، مثل ماشايو ، متسللاً إذاً؟» ، سأله ماياكي .
«أيأتي متسللٌ ومعه حشد كالذي معي؟» ، ردَّ ميهو .
«لستَ ذاهباً إلى صيد بهذا الحشد» ، قال ماياكي . «ولستَ ذاهباً بهذا الحشد إلى مقايضاتٍ في سوق كاتراميل» .
اقترب كاشاجو من ميهو حتى كاد يلامسه بأنفاسه . وجَّه صوتَه إلى عميد محاربيه من غير أن ينظر إليه :
- فلْنجعلِ الوقتَ ممتعاً قبل المعركة .
نزل ماياكي عن مطيته . دار من وراء كاشاجو ليمكِّنَ لسانَه النضناض من سماعه :
- فلنجعل المعركة ممتعةً بتعجيلها . ألستَ في لهفةٍ إلى معركة؟ .
«بلى» ، ردَّ كاشاجو بصوته القابض على قلق تذرفه عيونٌ ميهو وماشايو . «فلمنهِّد لها بمتعة أيضاً ، ياماياكي . سنولِّم لميهو» .
«ماذا عن ماشايو؟» ، ساءله ماياكي .
«ماشايو؟» ، تساءل كاشاجو بامتعاض . حدَّق إلى ميهو :
- لماذا جئت به معك؟ محاربو ماشايو لاعظام لهم .
«لماذا تكرهه ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ميهو ، فردَّ سلطان زينافيري :
- أعرفُ مُذْ رأيت حشدَكم ، وتعرف أنت ، ياميهو ، أن وَنْيَمَ الذباب ماشايو لم ينضم إليك ليتتبَّع متمرديْنَ عليك . هو هنا ليقاسمك الغنائم مُذْ ظنَّنا غافلين . توسَّلَ عظاماً فأعطيناه ، ثم تسلل إلينا خلسةً فأسرنا محاربين أكلْنا عظامهم . لم نأكل ابنتَه بعد .

«لم أتسلل إلى زينافيري . لا ابنةَ لي عندك» ، غمغم ماشايو ، ذو الأذنين الصغيرتين الملتصقتيِّ الغضروفين بجانبي رأسه ، كأنما يقنع ميهو ، فرفع كاشاجو سبابة يده اليمنى المطلية خضرةً يُسْكته :

- لن تحضر وليمتنا الآن . احْضُرْ وليمةَ الغد فجراً بعظام محاربيك .

«لسنا هنا في معركة» ، كرَّر ميهو تأكيده ، فكرر كاشاجو استخفافه بعذر ميهو :

- لن أُفْلِتَ مني الآن معركةً أستطيع لمسها بلساني ، ياميهو . حشدكم كبير يغري بمعركة حتى لو كنت ذاهباً لصيد النمل . سأكافئك على إهدائي معركةً بمأدبة من عظام الذئاب الصفر .

أومأ كاشاجو برأسه إلى ماياكي . ترجم ماياكي العلامة إلى همس في أذن مطيته راتو أولاً ، ثم أوعز بإحضار عظام للمأدبة .

تنحىً كاشاجو بضيوف مأدبته ركناً من الرمل وسطاً بين الحشدين . أُحضرت عظامٌ كثرٌ في لفائفَ جلودٍ كأنما أعدَّها سلطانُ زينافيري جاهزةً قبل فكرته عن المأدبة . ركع على الأرض فركع الحاضرون معه : ميهو ، وبعضٌ من قوَّاد محاربيه ، وماياكي ، وشيكتان زوجة كاشاجو ، والمنجمون الأربعة ، فيما وقف الجنُّ المطايا الضخام كلٌّ خلف راكبه حَرَسيّاً . وإذِ اقترب ريكما ليجالسهم ، شدَّه أبوه بذراعه الطويلة من زنده فأجلسه إلى جواره راكعاً على ركبةٍ واحدة . قرَّب فمه من أذن ابنه هامساً :

- مَنْ تلك المحاربة التي لا توقِفُ ذبابَ عينيك عن الحَوْم حولها؟ .

«أتعني سُوْكْ؟» ، ردَّ ريكما ذو الوشم النقاط بِيْضاً على استدارة عنقه ، والخطين الأصفرين فوق الأنف المطموس .

«أهي التي تأكل عينيك بذباب عينيها؟» ، تساءل كاشاجو .
[illegible] ردَّ ابنه . أمَرَه :
أحضِرْها .
أحضر ريكما الفتاةَ المحاربة سُوك . ركعت الفتاة في موضع من الحلقة ممتثلةً بلا تساؤل . تحسَّستها عيونُ الجلساء في فضول ، حتى ماياكي . وأذْ همَّ ريكما بالجلوس ركوعاً انتهره أبوه :
- عُدْ إلى المحاربين .
شيكتان لم تُرِدْ مماحكةَ زوجها في شأن فتاة محاربة دعاها إلى المأدبة . تجاهلت الأمر كالذباب حائماً حول الرؤوس تجاهَلَهُ الجالسون حيث حطَّ ، على العيون ، أو الشفاه ، أو الأيدي .
مدَّد كاشاجو سلاحَه أرضاً . رَبَتَ براحتي يديه على فخذيه إيقاعاً خفيضاً جاوبَ غناءَ النساء خفيضاً في سراديب الرمل الأسافل ، كأنه يسمعه .
«كُلوا» ، قال كاشاجو سافراً اللفائفَ الجلودَ عن العظام . نثرها بيديه يقرِّبها من أيدي الجالسين حلقةً . خبط براحته اليمنى الأرضَ الرملَ فأثار غبارها . تنشَّقَهُ من منخريه الثقبين أنفاساً ، وتنشَّقه بفمه المفتوح يحتسيه . أثبت عينيه على عيني ميهو ، اللتين استدارتا فجاءةً إلى الجهة حيث لم يبارح ماشايو واقفاً منذ ألزمَه كاشاجو أن لايتقدم أكثر . ألوى كاشاجو وجهه متطلعاً إلى ماشايو بدوره : كانت فتاةٌ بعشر ضفائر ، وثوب حتى الركبتين مشقوقٍ من جانبي فخذيها ، تقفز صارخة بصوتٍ لوعةٍ ، وشوقٍ معاً :
- ماشايو .
عينا ماياكي تفحَّصتا موضعَ انطلاقة الفتاة . رأى مطيتَه راتو قادماً من طليعة محاربي زينافيري في اتجاهه . أعاد بصرَه راضياً إلى

وجه كاشاجو الذي كان ينظر إلى الفتاة بدوره ، ثم إلى ميهو الغارق في استغرابه .

«إنها ابنته» قال ماياكي بصوت عال .

نهض ميهو مدفوعاً بفضول ، وهو يمضغ عظماً بعدُ . توجَّه إلى حليفه ماشايو كي يشهد اللقاءَ المحيِّر . نهض ماياكي بدوره على وقْع سؤال من فم شيكتان : «إبنة من هذه؟» ، ساءلتْه ، فردَّ عميدَ المحاربين بحروف حَزْم وهو يرى الاستغرابَ ذاته في عيون المنجمين :

- أتمنى عليكم الصمتَ الآن .

الجالسون في المأدبة من قوَّاد ميهو لم يلحظوا ذلك التفاوت بين إعلان ماياكي أن الفتاة هي ابنة ماشايو ، وبين استغراب شيكتان والمنجمين . كان الأمر برمَّته حيلةً حصرها ماياكي به ، وبكاشاجو ، وبمطيته راتو ، الذي أوكله بجلب الفتاة المُلقَّنَة دورَها . لقد دلَّها راتو ، منذ أوصلها إلى صفٍّ متقدم من حشد المحاربين ، على ماشايو . وها كانت الفتاة ذات الضفائر العشر منطلقةً قفزاً بصوتٍ شوقٍ من صُنْعِ الخدعة تنادي أباها المزعوم .

لحق ماياكي بميهو المتوجه إلى حليفه . لحق بهما كاشاجو قفزاً . تَقاربَ الأربعة في حلقة صوت الفتاة وقد أمسكت بيد ماشايو المنكمش العنق استنكاراً واستغراباً ، يتمتم بلسان مُبعثرٍ في فمه على نبرٍ كالنباح :

- من أنَتِ؟ لستِ ابنتي .

تصنَّعت الفَتاة بدورها ذهولاً من إنكار ماشايو نسَبَها :

- مابك؟ أنا ابنتك زَاهو .

أفلت ماشايو يده الضخمة بفظاظة من يد الفتاة . دار ببصره المتكسر على وجهَيْ ماياكي وكاشاجو :

أية خدعة هذه؟

نضنض كاشاجو بلسانه ـ لسان الأفعى . زفر زفيراً حجريًا :

- أجئتني ، ياميهو ، بحليف لك يُنكِر ابنتَه؟ . ثِقْ : هو الذي سيسلِّمك مقيَّداً إليَّ غداً ، حين تخسر المعركة ، متضرِّعاً أن نُبقي على لحمه فوق عظامه .

تبلبل ميهو ، الذي بدا جاهلاً قراباتِ حليفه ماشايو وشأنَ عائلته ، لكنه استعرضَ سؤالاً في منطق الغموض الحاصل :

- أما من أحد من محاربيك هنا يعرف ، ياماشايو ، أولادك؟ .

«نعم ، في الأرجح» ، ردَّ ماشايو . «فلنعرض الفتاة على من جاءوا معي من إقليم يتراك» .

أدركت الفتاة خلل الموقف إنْ عُرِضَتْ على من يعرفون أولاد ماشايو . استجمعت نباهتَها في صرخةِ غضب : «أتتصنَّع أنك لاتعرفني ـ أنا زاهور ابنتك ، ياماشايو؟» . استدارتْ إلى كاشاجو : «فليأكلْ محاربو زينافيري عظامي» . قفزت فاتحةً ذراعيها ركضاً لم توقفه حتى في بلوغها طليعةَ محاربي إقليم زينافيري . اخترقت صفوفهم مختفيةً .

أمسك ماشايو بعضد حليفه ميهو كأنما يؤكد باللمس صدقَ إنكاره أمرَ الفتاة منذ البداية :

- لم افهم هذه الحيلة .

«أكان الأمر حيلةً ، ياكاشاجو؟» ، ساءل ميهو سلطانَ زينافيري ، الذي صرف عينيه عنه ، متطلعاً إلى حشود المحاربين على جهتي العراء المديد . ألقى صوتَه الحجرَ في الريح توزِّعه على الأسماع :

- نراكم غداً فجراً ، في الموضع هناك قرب الكثيب جنوب الهضبة .

امتطى كاشاجو دابتَه الجنيَّ الضخم قبل أن تنزلق كلماتٌ أخرى على لسانه : «ارجعْ بقيةَ هذا اليوم ، والليل القادم ، ياميهو ، إلى محاربيك . قُصَّ عليهم شيئاً من مولد أسلافك ، وغزواتك ، وما أردتَ أن تربح ، وما خفتَ أن تربحه أيضاً . أمَّا أنت» ، تمتم مستديراً بعينيه إلى ماشايو ، فتأرجحت قلادته التي يتدلى منها منقارُ طائر أحمرُ مفلطح : «لن نأكل ابنتك . سيشاركها محاربٌ من إقليم زينافيري ذبابتَه ليستولدا إبنةً يكون جلدُك ثوبَها» .

«لسنا هنا لحربٍ» ، دمدمَ لسانُ ميهو بآخر تأكيدٍ يائسٍ ، وهو يرى موكب كاشاجو منصرفاً .

كان في مستطاع الفريقين المتقابلين عن بُعد أن يرصدا كلَّ نظامَ الآخر صفوفاً ، وهيئاتٍ ، بالرغم من عبث الريح بالأشكال في نثره الرملَ على سواري الرملِ وأشرعته . عاصفاً تقلَّب المكانُ على سرير الريح . ضفائر الجن تلوَّت طائرةً على جهات الرؤوس ، وخفقت الثيابُ الجلود تكاد تُنْتَزَع عن الأجساد . تلبَّدتِ المرئياتُ وتداخلت وقتاً بعد آخر .

قبل مغيب ذلك اليوم لم تَعُدِ العيونُ الرواصد تستوضح ، من الجهتين المتقابلتين للمحاربين عن بُعْد ، أبعدَ من الأيدي إنْ رُفِعَت أمام العيون . نساء زينافيري طَوَيْنَ أصواتهن بَعْدَ النشر حتى باتت ملتصقة بشفاههن لا تُجاوزها . لكنْ لم يتوقفن عنه هُنَّ اللواتي لايتوقَّفنَ عن غناء منذ تُدرِّبهُنَّ أمَّهاتهن على الخوف من النمل الأزرق ، في أعياد العاصفة الزرقاء ، إلى اليوم الذي ينفُثْنَ فيه زفراتهن الأخيرة من الغبار برتقالياً .

زئيرٌ ، وعزيفٌ ، وخَمْشٌ رملٌ : ذلك كان ليلُ انتظارهم فجرَ المعركة ـ هُمُ الجنُّ الذين لاينامون . أصغوا طويلاً إلى كل موجةِ ريحٍ

[illegible] ظهر أختها واعتلتْها بالزئيرِ العزيفِ ، والخَمْشِ الرملِ . [illegible]وا إلى الظلام يُوْرِي الظلامَ قَدْحاً بحجرهِ . لم يكلِّم أحدٌ أحداً .

نزع الفجرُ بطيئاً ، مفرطاً في بطئه ، ما امتلكه اللامرئيُّ من حظوة منحتْها الريحُ العاصف للامرئي . استعادت الصورُ شيئاً مما سُلِبَتْهُ ، فاستهلَّ لسانُ كاشاجو جذبَ الكلمات التي حوصرتْ لاتُنْطَقُ حتى الفجر :

– تتبَّعتُ نشأة كون الجن ، ياماياكي .

بدا ماياكي ساهياً حين التفت إليه سلطان زينافيري ينتظر تعقيباً منه على كلامه الرؤيا . نضنضَ بلسانه : «أقلتَ شيئاً فاتني؟» ، ساءله ، فاستعادَ ماياكي نفسه من سهوها عن صوت كاشاجو الحجر :

– أقلتَ شيئاً ، ياكاشاجو؟ .

«سألتك إنْ قلتَ أنتَ شيئاً فاتني» ، ردَّ كاشاجو .

«لم أقل شيئاً» ، قال ماياكي . أشار بالسلاح في يده إلى البعيد مجاوراً مطيته راتو :

– أترى أحداً؟ .

أنعمَ كاشاجو النظرَ إلى البعيد الرملِ متصلاً بأهضام الهضبة الحمراء جنوباً : ما من أثر لمحاربي ميهو وحليفه . تلفَّت حوله مستغرباً : «ألم أحدِّد موقع النِّزال؟» ، تساءل سلطان زينافيري بصوته موزَّعاً على اللاتعيين . حدَّق إلى ماياكي :

– ماذا ترى؟ .

«لا أرى أحداً» ، ردَّ ماياكي . نادى مطيتَه الجنيَّ الضخم : «راتو . اجمعْ بعضاً من مطايا الأسياد ، واستقصِ أمرَ محاربي ميهو ، وماشايو» .

غمغم راتو ذو الصوت الكهف زمجرةً . قفز يستجمع كالريح جنّا مطايا من صنفه ضخاماً ، حذّاقاً في لجم المسافات جذْباً بأرسان السرعة ، ثم انطلق برهطه شمالَ شرقٍ ، إلى الجهة الجنوب من الهضبة .

«أيبادلنا ميهو خدعةً بخدعة؟» ، سأل كاشاجو عميد محاربيه . أضاف مسترسلاً : «أتظنُّ خدعةَ الفتاة المزعومة ابنة ماشايو انطلت على ميهو؟» . هز رأسه : «لم تكن خدعة جيدة» .

تأمل ماياكي وجه سلطان زينافيري المنضنض بلسانه تهيُّؤاً للسماع . ردَّ :

- لحظْتُ احتقاراً في عيني ميهو لماشايو المرتبك . هذا ماأردتُ ، لاغير .

«خُدْعتُنا لم تكن مُحْكَمة . ميهو لم يقتنع بها» ، كرَّر كاشاجو شكَّه بحروفٍ في صوته الحجر . «أهرب ميهو؟» . ضرب ظاهر فخذه اليمنى بسلاحه ضرباً خفيفاً في استياء :

- كانت المعركة تحت لساني .

«لَئِن انسحبَ الحليفان نكُنْ ربحنا معركة بلا احتراب» ، قال ماياكي ، فهز كاشاجو رأسَه غير مقتنع :

- هذا لايجعلها معركة . ربما أخطأنا في صناعة خدعة الفتاة . لم نكن في حاجة إلى حيلة ، ياماياكي . تشوَّقتُ إلى حرب ، فما الفرق إنِ احتقر ميهو حليفَه أو لم يحتقره؟ ماجدوى ذلك؟ ماذا كان يهمنا من ثقة ميهو بحليفه أو عدم ثقته به؟ كانا هنا ، تحت لساني . كانت المعركة تحت لساني ، وذلك يكفيني ، ويُرضيني ، ياماياكي . أين المعركة الآن؟ .

صمت ماياكي برهةً . استجمع منطقَه :

لم أعرف أن ميهو سينسحب ، ياكاشاجو . ربما لم يكونا انويين لحرب أصلاً . ربما هما يكمنان في مكان شرق الهضبة ، أو تحت الرمال . سيأتي جنُّنا المطايا بخبرٍ ، فاصبرْ .

أفاق كاشاجو من استيائه على يدٍ جذبت ذراعه ، فاستدار . كانت زوجته شيكتان تُلفِتُه إلى سؤالٍ لم يشرُد قلبُها عنه ، لكنها أجّلته ليلَها كلَّه :

– لماذا جلبتَ الفتاة المحاربة إلى مأدبتنا؟ .

التفت كاشاجو إلى مayaكي . باغته بسؤالٍ :

– لماذا أحضرتُ الفتاةَ المحاربة إلى مأدبتنا؟ .

بسرعة خاطرٍ تلفَّظ ماياكي الجواب :

– ليرى ميهو ، وبعض قادة محاربيه ، عن كثب ، واحداً ممَّن سيطحنون عظامهم .

أبقت شيكتان بصرَها على ماياكي مرتابةً في جوابه . لم تعاود السؤال مذْ تولى المنجمون بسْطَ بعضٍ من رضاهم عن رحيل الدُّخلاء بلا حرب : «لا عظامَ فائضةً لِتُخزن في المعبد» ، قال كاساك الأقصر بينهم .

غمغمت بونيا كأنما تهمس إلى نفسها :

– رأيتُ طيفَ الذئب الأبيض خارجاً من المعبد كما دخله بجسد خيط . انقذفَ لولبيًا إلى الأعلى .

«أأرسلتِه ، يابونيا ، في نزهة جديدة؟» ، ساءلها ماياكي ، فردَّت المنجمة :

– أخالُني فعلتُ ذلك .

«كم ستطول نزهته؟» ، ساءلها ماياكي ، فردت بونيا : «من بزوغ النجمةِ الماء إلى أفولها تحت الرماد الحلقات ـ رماد الكوكب

الطاووس» . أشارت بعظم طويل في يدها إلى كثيب ضخم غرباً ، تراكم عقلُ الرمل فيه فكرةً فوق فكرة :

- أسمعُ زفيرَه .

قادةُ أرهاطٍ صغارٍ من المحاربين ، ذوي الكمائن الظاهرة على سفوح الهضبة ، عجّلوا بالظهور يسألون عميدهم في الشأن المحيِّر : «أتنزل فِرَقُنا أم تظل في مواضعها؟ الدخلاء غادروا» .

«أرأيتموهم يغادرون؟» ، ساءلهم ماياكي ، فردوا :

- لا .

«ألم تلحظوا حركة مّا ، أو جلبة في الليل؟» ، ساءلهم ماياكي ، فردوا معاً بإيماءات التأكيد أنهم لم يلحظوا حركة ، ولم يسمعوا جلبة .

«إِبقوا حيث أنتم بعض الوقت» ، قال ماياكي يصرفهم . تقدَّم من كاشاجو :

- ربما الأفضل أن نرجع إلى المدينة في بطء ، ريثما يأتينا الجنُّ المطايا بخبر . لقد أطَلْنا الوقوف هنا .

نضنض كاشاجو بلسانه يقلِّب المقترحَ الواضح في الكلمات . «ليكُنْ» ، ردَّ .

بلا قفز تراجعت فِرق المحاربين يتبع بعضُها بعضاً في انتشار منتظم ، سائرةً ، بعد إيذان البوق ، وراء موكب سلطان زينافيري . عبروا الكثبان الواطئة في اتجاه الجنوب الشرق من الأرض ، التي تُبدِّل التواءاتِها ، وتُبدِّل مخابئَ يقينها ، وانحداراتها الهينةَ ، وارتفاعاتها الهيِّنة كل يوم ، كالإله الأعظم كوياسي الهيكل المتراكب عظاماً .

خرج ريكما ، ابن كاشاجو من بين صفوف المحاربين ، تجاوره

الفتاة سوك ، ويتبعه الجنيُّ المطية الضخم رُوْكْتا . لحق بأبيه قفزاً متصلا . تنبَّه أبوه لُمحاً إلى ابنه يخترق موكبَه إليه . أوقف مطيته . تمضمض بلسانه متلمِّساً طعمَ كلماتٍ مَّا في الريح :

– أقلتَ شيئاً ، ياريكما؟ .

«ليس بعد» ، ردَّ ابنه . نظر إلى سوك :

– المحاربون يتحسَّرون إلى معركة فاتتهم ، ياكاشاجو .

«وأنا أيضاً» ، ردَّ كاشاجو .

«لماذا لا تلحق بالدُّخلاء؟» ، ساءله ابنُه ، فردَّ ماياكي :

– هذا شأن مدبِّري الخطط ، ياريكما .

«فلْنرتجلْ خطةً ، الآن» ، قال ريكما ذو العين اليسرى فيها نقرةٌ صغيرة ككَسْرٍ .

«لستَ من مدبِّري الخطط» ، قال ماياكي بصوت فيه تذكير بأنْ لاشأن لريكما في التدبير ، أو الاقتراح بتدبير .

«أنا ابن كاشاجو» ، قال ريكما تذكَّيراً لماياكي بمقامه ، فاستخفت به أمه شيكتان :

– خذْ فتاتك إلى مَجْمع الذباب . استنسِلا لي حفيداً .

«ماسلاحُكِ هذا؟» ، تدخَّل كاشاجو بسؤال رماه إلى الفتاة سوك ، ذات الثوبِ المئزر من الصدر حتى الركبتين ، فردَّت الفتاة :

– ترقوة ذئب .

«أعرف العَظم الذي في يدك . لكنني عنيتُ السلاحَ الآخر» ، قال كاشاجو مشيراً إلى عينيها الصغيرتين . أردف : «أين الرسَّامات؟ فلْيوثِّقْنَ عينيك رَسْماً» .

«ربما هنَّ يتقصَّين ، الآن ، محاربي ميهو وحليفه الهاربين ، ليرسمنهم» ، ردت شيكتان بنبرٍ ساخر . حدقت إلى سوك :

- خذي ريكما إلى الشعراء . اختارا ذبابةً لاستنسالِ حفيدٍ لي .

فتحت الفتاة فمها . اهتزَّ جلدُ وجهها بالوشم الأصفر مثلثاً فوق الأنف المطموس . تدارك ريكما حياءَ سوك ، راجعاً إلى سؤاله الأول :

- لماذا لا نلحق بالدخلاء؟ .

«استمعْ إلى سادة الخطط» ، قالت أمه شيكتان ، مشيرة برأسها إلى ماياكي .

«أنا محارب» قال ريكما . «للمحارب حسرتُهُ التي تُقال» .

«ليكنْ لك أدبُ المحارب أيضاً» ، ردت أمه . «استمعْ إلى سادة الخطط» .

أمسك ريكما فجاءة بذراع الفتاة سوك . وجَّه كلماته إلى أبيه المنضنض بلسانه :

- سألحق أنا وسوك بميهو وحليفه .

غمغم كاشاجو بصوته الحجر على نبْرِ هُزء :

- وماذا إنْ لحقتَ بهما ، وأدركتهما؟ . أستقتلهما ، وتأتي بمحاربيهما أسرى زاحفين على البطون؟ .

«ربما على أحد أن يفعل ذلك ، ما دمتُ لا أرى إلاَّ متخاذليْنَ» ، ردَّ ريكما بنبرٍ يردُّ الإهانةَ الساخرة في كلمات أبيه .

«مَن المتخاذل ، ياريكما؟» ، صرخ ماياكي غاضباً .

لم يردَّ ريكما . نادى مطيتَه الجنيَّ :

- رُوْكْتا .

اقترب الجنيُّ الضخم منه ، وانحنى . وضع ريكما يده على ظهر المطية محدِّقاً إلى أبيه :

سأجد من آخذه معي ، وسألحق بالدُّخلاء .

أطلق كاشاجو زئيرَ الوعيد والتوبيخ معاً ، بصوت زوبعة لا نأمات فيه ، فتراجع الجنيُّ روكتا المطيةُ عن راكبه امتثالاً لسلطان زينافيري المحتدم .

امتعض ريكما من تراجع مطيته . أشار إشارةَ الأمر النافذ : «تعال ياروكتا» ، فلم يتحرك روكتا وقد صار على بعد منه مقدار قفزة واسعة .

اختطف ريكما من يد الفتاة سوك سلاحَها ـ ترقوة الذئب . رمى بها مطيتَه روكتا فدارت الترقوة في الهواء كقُرص ذي صفير . صدمتْ ذقنَ المطية فانحذف الذقنُ من موضعه ؛ انكسر مقذوفاً هو والترقوةُ السلاح . سقط العظمان على الرمل متجاوريْن .

كتم روكتا ألَمه . ظلَّ جامداً متجالداً . تحسَّس ذقنَه براحة يده اليسرى الضخمة . أرسل زمجرةً مكتومة تعضُّ نفْسَها حقداً . استدار قافزاً ، مبتعداً كالريح في اتجاه الشمال ، قبل أن يلتقط أحدٌ نَفَسه من قسوة ما فعل ريكما .

مطيةُ شيكتان الأنثى نِيْنِيْسُو أرسلت زمجرةً من أعماق حنجرتها . استهولتْ ما فعل ريكما بمطيته الجنيِّ المخْلص روكتا . لم تتمالك لسانَها فَأَفْضت الكلمات عاريةً :

– أيها الطائش . أهنتَ ثمانية من الجن المطايا قبلاً . كلهم التحقوا بالمتمرد ماشفير . روكتا سيلتحق به أيضاً . أنت حليف المتمردين .

استفظعَ ريكما التهمةَ . كاد يرفع أحد سلاحَيْه الاثنين ، اللذيْن هما عظما ساقَيْ جدِّه ملفوفين بسيور جلد ، مهدِّداً بعينيه مطيةَ أمه ، لولا أن بادر كاشاجو إلى نزع قِلادَته من عنقه ، ورمى

بها رأسَ ابنه العاري من الشعر إلاَّ غرة صغيرة ، مضفورة . شقَّ المنقارُ الأحمر ، المعلَّق إلى القلادة ، ثلماً في صُدغ ريكما الأيسر .

عوى ريكما من الإهانة . أمسك بيد الفتاة سوك يجذبها ، هامًا بمغادرة موكب أبيه ، لكن كاشاجو أوقف الفتاة منادياً باسمها :

- سوك . إبقي في الموكب .

امتثلت سوك لطلب سلطان زينافيري . نظرت باعتذار من عينيها الصغيرتين إلى ريكما ، الذي ضرب الأرض غضباً بأحد سلاحيه العظميْنِ من ساقي جدِّه فانكسر العظم من شدة الضربة . قفز مبتعداً في سرعة كأنما يهرب من قرود هيهمو .

شيكتان ، التي تتبعت ببصرها ابنَها محلِّقاً قفزاً ، أعادته إلى زوجها باستنكار واستغراب ، وريبة ، من إبقائه الفتاةَ سوك في الموكب . ماياكي نفسه حدق إلى كاشاجو ، الذي تجاهل النظرات . نضنض بلسانه قليلاً قبل أن يوزع صوتَه على محاوريْهِ :

- فلنعبر أحقَّةَ المُنْهَدَمِ الرمليِّ في العودة .

على تخوم القرى المَتلاصقة بسور المدينة ، أرضٌ انهدامٌ خفيض مقدارَ ساقِ جنيٍّ عمقاً ، واسعة الأرجاء ، ممهَّدة من شرق دائرتها بمدخل سهل المنحدر للنزول إليها ، والخروج منها . مهندسون من إقليم زينافيري اتخذوا الأرضَ المنخفضَ مصانع لمانعات الرياح ، التي لم ينجز أحد من الجن واحدة منها بعدُ . ربما خطر لكاشاجو ، كعادته حين العبور من حِفاف المُنهَدَم ، أن يَبري سخريات مُلطَّفةً ، بلا غلوٍّ ، من تلك الصناعة الغامضة انتدبَ لها المخطِّطون في خرائطهم الرملِ عمَّالاً كثراً ، لجلب جذوع الأشجار من واحة كيما ، وقطْعِها على مقاساتٍ صُرِفَ في تقديرها جَهْدُ حسابٍ بالمساطر العظام ، والأشبار ، والقَفز المتوسط ، والأذرع الطوال ، كي

يستقيم بناءٌ أبراج مرتفعة ، عريضة ، قدْر ما يمكن الوزنُ احتماله ، وتخمين وسائط النقل إن أُنجزت .

منطقٌ من إشراف العقل المغامر على البراعات سَلَكَ بالفكرة إلى طبقة من الجن المهندسين ، زمناً بعد آخر . منطقٌ بسيط من نسَب المعقولات المتخيَّلة أجاز للعقل تصاويرَ أبراج سدود مانعات للرياح . سهلاً كان نظامُ البناء في الرسم على الرملً ، مُتْقَناً ، واضحَ الغاية : أن يسدَّ المهندسون ، بأبراج سدودٍ قوية ، من جذوع الشجر ، مجاري الرياح إلى أراضي الأقاليمً الأُخر . سدُّ هبوب الريح على أرضٍ يعني أن يَخْلِدَ قاطنوها إلى سكون لاحركة بَعْده . هُمُ الجن لايتحركون إن همدت الريح وخمدت حتى عودتها جاريةً من جديد . فماذا لو قَدِرَ قادرون على قطْع الريح عن إقليم بمانعاتٍ سدودِ أبراج ، متصلة بعضها ببعض كَسُورٍ عظيم؟ ردَّد مهنّدسون ، على مرارٍ فيً المحاولات المخفقة عبر السنينً ، أنهم سيمضون في مجابهة الوجود بفكرتهم ، ولن يتراجعوا ، إلى أن يكتمل لهم ، يوماً ما ، ترويضُ المُعْضِل في أمور الأوزان ، وترتيبات النقل ، وآلاتها . كانوا ، بترديد المعقول المتخيَّل على كاشاجو ، وعلى أبيه قبله ، وعلى جدِّه ربما ، يصِفُون خضوعاً من الأعداء لهم بلا مثيل : «سنسدُّ الرياحَ عن أرضهم . سيبقون ساكنين بلا حركة آلافاً من أعوام الجن . بل ربما يبقون ساكنين ، خامدين ، جامدين ، ثابتين حتى الزمن الذي ينتهي فيه زمنُ الجن» .

تفكَّر المهندسون طويلاً في نقل الأبراج السدودِ إلى نواحٍ أربع من كل إقليم يريدون إخضاعَه للسكون بحجب هبوب الريح عنه ، لكنهم في حيرة ، بعدُ ، من تدبير جذوع الشجر الكافية سدوداً عظائمَ كالزمن ذاته . جُلُّ جهدهم ، في راهنه ، أن ينجزوا عيِّنَةً

أمثولةً أُولى من مانعات الرياح يجرِّبونها على أنفسهم أوّلاً ، في الأرضِ المُنْخَفَض . وهم كانوا في دأبٍ من الشغل على خطط المعقولات ، حين مرَّ بهم موكب كاشاجو .

«لِيُوْفا» ، نادى كاشاجو المهندسَ الكبير ، المتصاغر اليدين من نزفِه العمرَ ، متكئاً على عظمٍ طويل متقوِّس . «أستحمل هذه الأبراج على منكبيك؟» ، ساءله ، مشيراً إلى أربعة أبراج متفرقة في المنخَفَض لم يجْرِ ضمُّها كسدٍّ واحد بعد .

«لاتهتم بأمر نقلها بعد إنجازها ، ياكاشاجو . قد أستعير مطايا الجن كلهم في زينافيري» ، ردَّ ليوفا ذو الوشم دوائرَ صغيرةً أربعاً على كل جهة من عنقه ، ونقطتين بيضاوين على الشفة العليا .

«من سيحملنا إذا أخذت مطايانا ، ياليوفا؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ ليوفا العاري الصدر والبطن ، في ثوبه المئزر ملفوفاً على جذعه الأسفل :

«سأتعهد أنا بحملك .

«أتستطيع حملي على ظهرك ، والقفز بي ، ياليوفا؟» ، ساءلهُ كاشاجو ، فردَّ ليوفا المتهدل الأذنين ، على شحمتيهما نقطتان خضراوان :

- حملتُ إقليم زينافيري على كتفيَّ منذ أيام جدك لِيْكو الثاني ، فكيف أعجز عن حملك؟ .

«أنت إرث زينافيري كمانعات الرياح هذه» ، عقَّب كاشاجو منضنضاً بلسانه .

«أكره كلَّ إرث» ، ردَّ ليوفا بتأفُّفٍ في لسانه ـ لسانِ الزمن طاعناً في قديمه .

«الإرثُ روحُ أمة زينافيري» ، قال كاشاجو ، فردَّ ليوفا :

أكره روحَ الأمة . أحبُّ روح بُوْكْلُو .

«بوكلو» ، تمتم كاشاجو مديراً بصره إلى نائب ليوفا ، المهندس ذي الإصبعين السبابةِ والوسطى المقطوعتين في يده اليسرى . استرسلَ :

– تكره روحَ أمة زينافيري ، وتحب روحَ نائبك بوكلو ، إذاً . مااختيارُك الغريب في حُبِّ الأرواح؟ .

«أحبُّ الروحَ مُفْرَدةً ، ياكاشاجو . أرواحُ الأمة مجتمعةً خَلْطٌ . الأمة أمرٌ مقلق» ، ردَّ ليوفا .

فوجئ كاشاجو قليلاً برد ليوفا . تلقَّف كلماتِه كأنما عليها نَفَسٌ من حنجرة المتمرد ماشفير الأعمى ، الداعيةِ إلى انعزال الجن فرادى ، عائدين إلى تيهٍ في المهجورات ، بلا مدن ، أو قرى ؛ كل فرد في شأنه . ماشيفر الأعمى استلهم دعوتَه مما تداعى إلى علمه من أخبار الأسلاف الأصول كانوا في النشأة فرادى ، لم يتصلوا جماعاتٍ إلاَّ بعد توطيد المارقين على الفطرة للدساكر القديمة ، ومن ثم إعلانِ الممالك ، والأقاليم وفق تشريع مُخْتَلَس من نُظُم الحيوان القطعان . كلمات كبير المهندسين ليوفا موَّجت طيفَ المتمرد ماشفير أمام بصر كاشاجو ، الذي رأى المسارَ ، في تخيُّره للمزاح الساخر ، يمضي إلى توريات من خزائن المروق ، والشك في الأعراف . سأل المهندسَ سؤاله المستدرِجَ :

– أمة زينافيري تحمي إقليم زينافيري ، ياليوفا .

«كلُّ جنيٍّ في زينافيري يحمي الذي يخصُّه من أرض زينافيري ، ياكاشاجو» ، ردَّ ليوفا من شفتيه الضخمتين ، اللَّمياوَيْنِ على سواد في جلده الرمادي .

«لماذا أقمتَ كلَّ هذا الزمن مع أمة زينافيري ، ياليوفا؟» ، ساءله

كاشاجو محاصِراً ، فردَّ ليوفا بصوته المتدرج خفوتاً ، لكنْ واضحاً :
- أعيش معي ، في المكان الذي يخصُّني ، ياكاشاجو .
«وما بناءُ السدودِ الأبراج هذه؟» ، ساءله مايالكي متقحِّماً المحاورةَ ، فردَّ ليوفا :
- هذه الأبراج هي ما يخصني في المكان الذي يخصني .
أدار كاشاجو وجهَه إلى بوكلو ، نائب ليوفا في توطيد فكرة الممكناتِ المُقامِرةِ المغامِرة :
- ماذا عنك ، يابوكلو؟ .
«ماذا عنِّي؟» ، تساءل بوكلو ذو الوشم الخطين المتوازيين عمودياً على صفحة وجهه اليمنى ، بينهما أربع نقاط صُفر .
«ليوفا يحب روحك أكثر من روح أمة زينافيري» ، قال كاشاجو .
«يحب ليوفا روحي لأنْ لاروحَ لي ، ياكاشاجو» ، ردَّ بوكلو .
نضنض كاشاجو بلسانه يتحسَّس في الكلمات سِيْرةَ المذاق . أدار وجهه إلى مايالكي فألفاهُ والجمْعَ الذي معه مرسلين أبصارهم إلى زمرة من النساء الجن تخالطتْ أصواتُهن الواضحةُ احتجاجاً ، قادمات من تخوم المدينة في اتجاههم .
«أتسمعينهن ، ياشيكتان؟» ، تساءل كاشاجو مقترباً بمطيته من مطية زوجته .
«إنهن غاضبات . لكنني لاأسمع مايقُلْنه واضحاً» ، ردت شيكتان المدهَّنةُ الأظافر بلون أصفر . أضافت : «أرى شَاتَار العنيدة تتقدَّمهنَّ . أنت لا تعرفها ، وإلى جوارها الشاعر دامِيْكو» .
«داميكو؟» ، تساءل كاشاجو . «أيحمل إليَّ ذباباً؟» ، أضاف بنبرٍ ساخر ، ملقياً نظرة واضحةَ المقصد إلى زوجته . حثَّ مطيته

على الإسراع للقاء الزمرة الغاضبة ، فجاوره ماياكي راكضاً قفزاً . لمس ذراع كاشاجو يُلْفتُ عينيه . نضنض سلطان زينافيري بلسانه مستغيا .

«أظنني أعرف لِمَ هنَّ حانقات ، ياكاشاجو» ، قال مايا كي

«النساء أكثر رِقَّة وهن حانقات» ، عقَّب كاشاجو قبل أن يتساءل :

- عَلامَ حَنَقُهن؟ .

«هؤلاء نساء لم يجدن ذكوراً يقبلون مشاركتهن الذبابَ للاستنسال» ، قال مايا كي ، فأبدى كاشاجو استغراباً :

- إن كنَّ يقصدنني فماذا في استطاعتي فعلُه لهنَّ؟ .

«هنَّ يقصدنك . ستعرف . لقد اقتربنَ» ، ردَّ مايا كي .

نزل كاشاجو عن مطيته . مشى زاحفاً على قدميه ويديه ، فقلَّده الآخرون جميعاً ماشين على أيديهم ، وأقدامهم الأرساغ الحَشريَّة كمشي الجراد زاحفاً . اقترب موكب سلطان زينافيري من الزمرة النساء من غير أن ينتصب كاشاجو على رجليه . جَارَتْهُ شاتار ، المتقدِّمةُ أرهاطَها ، فانحنت أولاً ، ثم اتكأت على يديها بصدرٍ يُقاربُ الرملَ ، ثم زحفت كالجرادة .

تقَابلت شاتار وكاشاجو زاحفيْنِ كالجميع زاحفاً إلاَّ شيكتان فوق ظهر مطيتها نينيسو الأنثى الهائلة الجسم ، المفرطة الأسنان ضخامةً انحسر عنها شفتاها الرقيقتان .

«أنا شاتار» ، قالت الأنثى المتقدمة زمرةَ النساء . أضافت كلماتٍ أُخريات لم يتلقَّفها كاشاجو مُذْ أرخى بصرَه إلى يديها الكبيرتين ، المضمومتين على شظيتين عظميْنِ مسنونتين . نضنض بلسانه : «اسمكِ اسمُ خنفساء ، لكنك تمشين كالفهد المجنَّح» . رفع

بصرَه عن يديها إلى وجهها ذي الوشم النقاط بِيْضاً على الجلد كله . «أأنتِ من المحاربات؟» ، ساءلها ، فردت :

- لا .

«سلاحكِ سلاح محارب» ، قال كاشاجو . «أم تتهيَّئين للانتقام من أحدٍ؟» .

«مني» ، ردت شاتار .

«ماذا فعلت بنفسك لتنتقمي منها؟» ، ساءلها كاشاجو ، فردت مستعرضةً أسبابَ مثولها أمام موكبه بلا تمهيد :

- ليس منصفاً ألاَّ نجد ، نحن الإناث هؤلاء ، ذكوراً يقبلون مشاركتنا في الاستنسال .

«أعليَّ أن أُقسِر ذكوراً من جن زينافيري على ذلك؟» ، ساءلها كاشاجو باستنكار في نبْرِ صوته الحجري .

«في قصركَ مجْمَعٌ للإناث تؤجِّرهن للذكور الذين لايجدون إناثاً يقبلن الاستنسال معهم شراكةً . أضفْ إلى المجْمَع ذكوراً أيضاً تؤجِّرهم لمن هنَّ على حالنا . لدينا عظام ندفعها لك كما يدفع الذكور المتروكون» ، قالت شاتار .

رفع كاشاجو وجهه في استلقائه ، ببعض الجهد ، إلى زوجته في عليائها على ظهر المطية نينيسو . خاطبَها : «لم يفكر أحد من نسل ملوك أقاليم الجن في استحداث مَجْمَع للذكور يُستأجرون للاستنسال . هذه فكرة تُذعِر» ، قال . خبط بإحدى راحتيه على الأرض فأثار غباراً تنشَّقَه ، ثم نهض ، واقفاً على ساقيه فنهض كلٌّ من جاراه قبلاً في انبطاحه . حدَّق طويلاً إلى وجه شاتار ، مقصِّر اللسان في الموافقة مَنْطقاً بين امتلاكه إناثاً في القصر لامهمة لهن سوى أن يؤجَّرن للذكور الطالبين استنسالاً ، وبين أن لايكون لديه

مجمع ذكور يؤجرهم للاستنسال . مداخيلُ جُلَلٌ من العظام وفيها كاشاجو من مقايضاته هذه لإحياء الولائم ، وتدبير الهبات ، ودفع الأجور للمحاربين . عند كاشاجو منابعُ أُخَرُ لرفد مخازنه الكبار بفائض من العظام يليق بسلطان زينافيري ، كاحتكاره طُرُقَ المواكب إلى المقايضات في أسواق كاتراميل عبر أرض زينافيري ، وكذلك احتكاره الإناث يؤجرهن للاستنسال . لقد هبَّ نَفَسٌ من فضول الخيال عليه في سؤال شاتار . كيف أغفل حاكمو شعب الإقليم استحداثَ مجمع للذكور يؤجَّرون أيضاً؟ لكنَّ الفكرة مسَّت نَقْراً حجرَ القلق فيه فاستكرهها ـ استكرَهَ وجودَ ذكور في قصره يؤجِّرهم لإناث تَرِيْكات ، أخفقت مصادفات الرغبة في إكرامهنَّ بذُكْرانٍ يشاركونهن الذبابَ ، والكراتِ الحجرَ الحواضنَ . تلمَّس مَخْرجاً . نضنض بلسانه : «أقلتِ شيئاً ، ياشاتار؟» ، ساءلها كأنما فاتَ لسانَه أن يلتقط مالم تقلْه شاتار ، التي ردَّت :

– قلتُ ماأريد قوله .

«اسمعي» ، قال كاشاجو بصوته الحجر . «سأضمُّكنَّ ، أنتن الإناث هؤلاء ، إلى محاربي زينافيري» .

«لا نريد أن نكون محاربات ، ياكاشاجو . نريد نَسْلاً» ، عقَّبت شاتار على مقترحه .

«ليس في مقدوري أبعد من هذا» ، قال كاشاجو حاسماً جدالهما .

غمغمت شاتار بصوت مستنكِر :

– أتريدنا ، نحن الإناثَ التَّريكَات ، أن نتشارك في الاستنسال أنثى مع أنثى؟ .

استفظعت شيكتان ، على همهمات صوت زوجها المستفظع ،

الك الخيالَ الوخْزَ في كلمات شاتار :

– إناثٌ يشاركن إناثاً في الاستنسال؟ أيُّ ذبابٍ ملعون سيتجرَّع رغبةً كهذه في الاستنسال من أنثى مع أنثى من غير أن يجفَّ؟ أية صخرة ملعونة ستتولى احتضانَ ذبابة الرغبة؟ . بأي صوت من أصوات الجن في زينافيري نطقتِ هجاءَكِ لخلود الجن ، ياشاتار؟ .

قبض كاشاجو بغتةً على ذراع الشاعر القادم مع زمرة الإناث . خاطبه محتدماً :

– أأنت معهن ، هنا ، ياداميكو ، لتستشيرنا في الذباب الأصلح لاستنسالٍ تتشاركه الإناثُ بلا ذكور؟ .

فوجئ داميكو ، ذو الأذن اليمنى الوحيدة ، بالسؤال . ردَّ :

– فضولي جاء بي معهن ، لاغير .

«أعرفتَ لِمَ جئنَ للقائي؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ داميكو :

– عرفتُ .

«ألم يكن لديك ماتقوله لهنَّ؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ الشاعر :

– لا أدبِّر مقترحاتٍ ، ياكاشاجو ، ولا أعترض على مقترحات . أتخيَّرُ الذبابَ لطالبي الاستنسال وفق طباعهم . تلك مهمتي .

فاجأه كاشاجو بتعقيب كالسخرية : «لِمَ لم تعرض على شاتار أن تشاركها ذبابةَ الاستنسال؟ كنتَ أنقذتني من تَرَف خيالها» ، قال . نضنض بلسانه يتذوق حيرةَ داميكو مباغَتاً . «ماذا لو تجاسرت إناثٌ على التشارك في الاستنسال ، كلٌّ اثنتين معاً؟» ، جحظت عيناه الحجريتان أكثر . حدَّق إلى شاتار الطويلة ، المضفورة الشعر منتصباً عُرْفاً فوق رأسها : «أعنيتِ ماقلتِ؟» ، لم ينتظر جوابها .

أرسل نظرته الملتهبة إلى زمرة الإناث المعترضاتِ موكبَه . هتف بهزء : «أخطر لأنثى في زينافيري خاطرٌ كالذي تتهدَّد به شاتار خلود الجن؟» ، رفع صوته أعلى : «أخَطَر ذلك لإحداكن أيضاً؟» .

«ما إقحامُ الخلود ، يا كاشاجو ، في مَثَلٍ أردتُ به حضَّك على إعانتنا في الاستنسال ، نحن التَّرِيْكاتِ بلا حظوظ؟» ، ساءلته شاتار .

التفت كاشاجو إلى زوجته شيكتان في عليائها على ظهر الدابة . ساءلها :

- ألم تذكُري أن شاتار نطقت هجاءً لخلود الجن؟ .

«تهديدُها هجاءٌ لخلود الجن» ، ردَّت شيكتان .

«لمْ أهدِّد . سألْتُه أتريدنا أن نلجأ إلى استنسالٍ تتشارك فيه أنثى مع أنثى؟» ، قالت شاتار .

«خاطرٌ كهذا تهديدٌ لخلود الجن» ، عقَّبت شيكتان وهي تلمس قلادةً فيها جمجمةُ طائرِ سَاكُوتيري متدلياً على صدرها .

«كيف؟» ، ساءلتها شاتار ، فصوَّبت شيكتان كلماتها إلى داميكو ، الذي خلا مَجْمع الذباب إلاَّ منه ومن رفيق آخر بعد موت الثالث :

- أإنْ خُيِّرتَ ، بلا عقاب عُقبى ماتختار ، منحَ من تشاء ذباباً للاستنسال ، أكنتَ منحتَ إناثاً يشاركن إناثاً في الرغبة؟ .

«لم يخطر لي ذلك قَبْلاً» ، ردَّ داميكو ذو الوشم خطوطاً ثلاثةً أفقيًا ، بِيْضاً ، فوق الجبهة ، وخطين من نقاطٍ صُفرٍ نصفي قوسين فوق أنفه المطموس .

«قُلْتُ لو خُيِّرْتَ» ، قالت شيكتان . أكدت : «سألْتُك ذلك افتراضاً» ، فانبرت شاتار موضحةً موقفَها :

- ذكرتُ المقترحَ لكاشاجو افتراضاً ، ياشيكتان . ماالجن؟ ماخلود الجن؟ .

همهماتٌ من حناجر مذهولة الصوت عَلَتْ في فِرَق المحاربين . قفز ماياكي من موضعه في موكب سلطان زينافيري مستطلعاً مصدرَ الفجاءة ألهبت الأصواتَ في الحناجر إجفالاتها متتابعةً . بضعُ قفزاتٍ لا غير ألقته في الموجة ذاتها من الصَّعَقِ أصاب الذين رأوا راتو الضخم ، مطية ماياكي ، قادماً قفزاً يتبعه جنِّيون مطايا ضخامٌ مثله ، أُرسِلوا يستطلعون المستورَ من اختفاء محاربي ميهو ، وماشايو . جمد ماياكي مأخوذاً مما رآه عن بعُد قليل ، ثم مما رآه إذْ توقف راتو قبالته ، حاملاً بين ذراعيه الكبيرتين كائناً لم يخطر ببال الجن أجمعين أن يبتكر لهم خيالٌ شديدُ الجموح هيئةً كالتي أحضرها .

موكب كاشاجو ، الذي انعطفَ بكامل بطانته من الأسياد ، والمطايا الجن ، إلى حيث تسمَّرَ ماياكي مذهولاً ، دحرجَ ذهولَه أيضاً غمغماتٍ كنَقْر الرمل ثيابَهم الجلودَ من نفخ الريح . تصاكَّت سيقانُ الناظرين المنشارية ـ سيقانُ الجراد لَمَّا أنزلَ راتو الكائنَ على الأرض . تراجعوا أنصاف قفزات أولاً ، ثم تقدموا زحفاً بطيئاً بأقدامهم في الرمل يستقرئون بأبصارهم مالم تعرضهُ غرائبُ أرض زينافيري ، قَبْلاً ، على بصر .

واقفاً أمسكَ كاشاجو بعضد ماياكي الأيسر ، كأنما يستجير به شرحاً لِما يرى . شيكتان ظلت على ظهر مطيتها نينيسو ، جاذبةً جدائلها في حال أقربَ إلى حثِّها على الهرب بها . داميكو الشاعر ، وحده ، اجترأ على السؤال الأول مُنتزَعاً من هدير الذهول :

- من أين جئت بهذا الكائن ، ياراتو؟ .

ردّ راتو بعينين متنقلتين بين وجهي ماياكي وكاشاجو :

وجدته في موضع معسكر ميهو المهجور .

تمالك مـاياكـي حنجـرته المســدودة برمل الدَّهَش والاسـتـهـوال معاً :

- كيف تجرَّأتَ على حمله؟ .

ردَّ راتو وهو ممسك بعدُ بكتف الكـائن الواقف متحيِّراً بين الجن المتحيِّرين :

- وجدتُه وديعا .

اندفعت نينيسو وهي تمط عنقها كأنما تتشمم الكائنَ الغريب . أرسلت صوتها واثقاً :

- إنها أنثى .

دار كـاشـاجـو حَذِراً من حول راتو والكائن الأنثى في تقـدير مطية شيكتان . نضنض بلسانه : «أقال أحد شيئاً؟» ، تساءل من غير أن يحيد ببصره عن الهيئة الغريبة . لمس ماياكي كتفه فاستدار سلطان زينافيري إليه :

«نينيـسـو تزعـم أن هذا الكائـن أنثى» ، قـال مـاياكي ، فغـمـغم كاشاجو :

- كيف تعرفين يانينيسو؟ هذه هيئة لاتُفهم .

«انظرْ إلى شفـتـيـهـا . همَّا تهـمَّان بالكلام لكن لاتتكلمـان» ، ردت نينيسو ، محدِّقة في فضول آسر إلى صدر الأنثى الكائنة وقد ارتفع الثوب الأزرق المغبرُّ عن كتلتين ناهدتين ، تترجرجان مع كل حركة منها باهتزاز يد راتو الممسك بكتفها كلما تحرك .

ليس لنسـاء الجن ثُديٌ كي تخـمن نينيـسـو أن مـاتراه نافـراً من اللحم في صدر الأنثى الكائنة ، تحت ثوبها ، هما نهدان . لكن ليس

ثديا الكائنة الأنثى وحدهما أشعلا حرائقَ التخمين ، والمقارنات ، والمطابقات ، في خيال الناظرين المذهولين : رأس الكائنة الأنثى لم يكن صغيراً كرؤوس الجن . لم يكن وجهها متطاولاً كوجوه الجن . لم يكن في وجهها وشم كوشوم الجن . لم يكن شعرها البني ، المتماوج ، مضفوراً كشعور الجن ، بل مرسَلاً طليقاً . لم تكن عيناها حجريتين كعيون الجن ، بل بلّوريتين لهما أجفانٌ بأهدابٍ على أشفارها تُغمض وتُفتح . لم يكن أنفها مطموساً ، ممسوحاً ، ممحوًّا كأنوف الجن ، بل نافراً ، طويلاً ، أفطسَ قليلاً . لم تكن رجلاها الظاهرتان من شقَّيْ ثوبها على الجنبين كأرجل الجن ـ أرجل الجراد ، بل فخذان يُرى نصفاهما تحت حاشية الثوب اسطوانيتين تستدقّان عند الركبتين ، وساقان لحمان على عظم ، منتفختان عند الربلتين ، رقيقتان نزولاً حتى القدمين الحافيتين ، اللتين لا تشبهان أقدامَ الجرادِ الأرساغَ . ولم تكن الساقان منشاريتين ، بل بلا أثر لبروزٍ كالشوك الجاسئ في الجهات الخلفية من سيقان الجن . وكان في القدمين الحافيتين أصابع لم يعهدها الجنُّ حتى في الحيوان ، سوى مادَرَجَ الواصفون الرواةُ على تضمين أخبارهم عن قرود هيمو أن لأقدامها أصابع كأصابع أيدي الجن . لم تكن يدا الكائنة الأنثى كبيرتين كأيدي الجن ، بل صغيرتين ، متناسبتين مع ذراعيها العاريتين في الثوب الأزرق المتهرِّئ الحواشي على منتصَفَيْ فخذيها . لم يكن الجلدُ ، على مايُرى من جسد الكائنة الأنثى ، رمادياً ، كتيم اللون بلا لمعة ، خشناً كما جلود الجن ، بل رقيقَ المرأى ، أبيضَ على سُمرة من لفح الشمس ، ذا مسامَّ يلحظها الجنُّ بعيونهم الراصدة دقائق الأشياء مُذْ أنشأتِ الريحُ أبصارَهم على النفاذ من شِباك الرمل المعصوف رَصَداً لما حولهم .

لكن الكائنة الأنثى كانت ترتدي ثوباً كما يلبس الجن ،
وتنتصب واقفة على قدميها كالجن ، ولها شفتان ، وعنق ، وجذع
أعلى ، وشعر ، ويدان كالجن على صِغَرٍ . ثوبها لم يكن جلداً ،
طوقته من الخصر بوشاح بني مهترئ . وهي تحمل جعبة تتدلى من
كتف ، ومن الأخرى قربة متجعدة ، متراخية .

«أكلَّمتك هذه الأنثى ، ياراتو؟» ، سألت نينيسو ، مطيةُ شيكتان ، مطيةَ مايابكي ، فردَّ الجني الضخم :

– لا . هي صامتة منذ أمسكت بها . لم تقاوم . لم تنطق .

«فلْنسمِّ هذه الأنثى هايْكَاهِيْكْسين» ، قالت نينيسو ، أيْ الكائن الناطق بصوت غير مسموع .

«انتبهوا» ، قال كبير المنجمين خاميدس بصوت فيه حذرُ الريبة ، وهو يقرب وجهه الطويل محدقاً إلى الأنثى بعينيه اللتين شرخٌ في يسراهما . «إنها تقول شيئاً» .

لم تكن الكائنة الأنثى تهم بقول شيء ، بل استجمعت قسماتُ وجهها بقايا نشيج أفرغتها حنجرتُها في بكاءٍ كاللَّمح لجُمِ من فور ابتدائه . قطرتان من الدمع سالتا بالتفاف من حول خديها النافرين . تنهَّدت .

«أماءٌ في عينيها؟» ، تمتمت المنجمةُ بونيا ، فيما علا سؤال شيكتان :

– أظنها تكلمت . أم ماذا؟ .

«ربما هذا هو كلامها» ، ردَّ خاميدس . لمس بيده الضخمة يدَ الكائنة الأنثى . ساءلها عنها من تكون ، ومن أين أتت ، وعن نوعها ، بلغات عصافير كوشنو ، وبعوض بحيرات سيمير ، وثعالب كاروس ، وحيتان أرخبيل زيلو ، وجراد وديان باكنون . رفع بصره إلى

،اشاجو متحيِّراً . تقدمت نينيسو ، مطية شيكتان من الكائنة . مرّرت راحة يدها على شعرها البني المتماوج منسدلاً على كتفيها . ،الت عليها تهامِسُها ، فأبعدت شيكتان جذعها إلى الوراء فوق ظهر ،مليتها حَذَراً .

«هايكاهيكسين» ، تمتمت نينيسو من شفتيها الرقيقتين . ،ررت الإسمَ الذي أطلقته على الكائنة الغريبة مرتين . مسَّت بإصبعها السبابة الطويلة جلدَ ذقنها . تراجعت لما احتوت هايكاهيكسين قِرْبتها بيديها . نزعت السدادةَ ، ورفعتها إلى فمها . شربت ماءً اندلقت قطراتٌ منه سائلة من زاويتي فمها . غَمغَم الناظرون ذهولاً . تململوا متحيِّرين .

«إنها تشرب الماء!! هي حيوان» ، قال الشاعر داميكو مندهشاً . استجمع خيالَه يعتصر المعضلةَ فُضْلَةً من وضوح مّا . نطق كمن عثر على مخبوءٍ ضائع :

– هايكاهيكسين خدعة .

كاشاجو ، الذي لم يتسقَّط بلسانه الحروفَ في كلمات داميكو ، خطر له الوصفُ الضائع ذاته للمعضلة ، كأنما تَلامَسَ خاطراهما : «إنها خدعة» ، قال مخاطباً عميد محاربيه . أمسك بعضده منقسِمَ اليقين : «أتظنها خدعة من ميهو ، يامايايكي؟» .

عمد الشاعر داميكو إلى استدراج ساذج للكائنة حين صرَّح كاشاجو بظنونه . اقترب من هايكاهيكسين . ردَّد اسمَيِّ السلطانين من السلاطين في أقاليم الجن : «ميهو . ميهو . ماشايو . ماشايو» .

«ماذا تفعل؟» ، ساءله مايايكي ، فردَّ داميكو :

– استثيرها بالإسمين لأعرف مايعنيان لها .

«لاشيء في وجهها يدل أنها سمعت بهما» ، قال مايايكي .

«إلى أين تنظر هايكاهيكسين؟» ، تساءل وهو يرى الكائنة تنقل جسدها على سيقانهم ـ سيقان الجراد ، ثم تضم يدها على الجعبة المتدلية من كتفها . همهم تحذيراً :

- إن كان في أحد كيسيها الجلديين ماء ، فماذا في الآخر؟ .

تراجع داميكو نصفَ قفزة ، مطلقاً لسانه بالحروف ثقيلةً :

- ربما سلاح .

«سلاح؟» ، تساءل ماياكي . أطبق يده الضخمة على الجعبة تتدلى من كتف هايكاهيكسين اليسرى . همَّ بانتزاعها فأبعدت الكائنةُ يده في رفق عن جعبتها . لم يتمادَ ماياكي وهو يرى في عينيها البنيتين ، البلوريتين الصغيرتين ، شكوى من تجرُّئه عليها . فتحت بنفسها الجعبة . أخرجت ثمرات جافة قدمتها إلى ماياكي ، الذي تردد في التقاطها . ابتسمت ، فهمهم الناظرون استغراباً ـ هُمُ الجن لايبتسمون . قضمت هايكاهيكسين من إحدى الثمرات قضمةً فاستثارت صخباً من الحناجر . صاح داميكو :

- إنها تأكل مايأكله الحيوان . هايكاهيكسين حيوان .

كانت نظُمُ المحاربين الصفوفُ ، على اختصاص في التشكيل ، تتقوَّض ، وتتبعثر فوضى من اندفاعها فضولاً ، وذهولاً ، إلى رؤية هايكاهيكسين ، فاستاء ماياكي . نادى :

- أين البوَّاق مايتا؟ .

تعالت الأصوات من حول ماياكي مردِّدةً اسمَ البواق ، فأطلَّ بعد قليل ببوقه العظم .

«أَعْلِنْ نفيرَ النظام» ، صرخ به ماياكي وهو يدقُّ بسلاحه على قصبة البوق ، فأطلق مايتا النفيرَ مديداً ، حازماً ، توزَّعته الريحُ على مسالكها الدائرية ، وزوابعها المستقيمة ، والمائلة ، والمنقلبة .

ا... ا..ارت الجموع بعضها على بعض متداخلةً ، ثم متوزِّعةً تشاكيلَ .. , هندسة الخطط . الأنفارُ في موكب كاشاجو ، وبطانتُه المحيطة ،الـ..ائنة هايكاهيكسين ، باعدوا حلقتهم ؛ كسروها ، في تهيُّؤٍ لمعاودة المـ..ـر ، لكن بقلوب حيارى في شأن الكائنة ، التي لم يتوقفْ ترداد الـ..ـامر داميكو عن تذكيرهم بحلِّه معضلةَ وجودها : «هايكاهيكسين ..ـا..عة . أترون كيف انحلَّت صفوف المحاربين؟ ربما يتربص ميهو بكم الآن في هذه الفوضى . هذه هي الخدعة» .

لمس ماياكي كتف كاشاجو يُلفت لسانَه إلى كلماته . أشار ...ده إلى هايكاهيكسين :

– ماذا نفعل بها؟ .

عجَّلت المنجمة بونيا إلى ردٍّ قبل أن يتلفَّظ سلطانُ زينافيري . ..كلّمت بصوتها النَّقْر من لسانها على سقف فمها :

– سنأخذها إلى المعبد .

«أستأخذين الخدعةَ إلى المعبد؟» ، تساءل داميكو ، فلم تردَّ ..ونيا الطويلة . أمسكت معصمَ هايكاهيكسين ومشتْ لاتقفز ، بل ..جر قدميها الأرساغ زحفاً على الرمل ، فمشت الأنثى الآدمية معها وديعةً ، مبعثرةَ الشعر كلُّ خصلةٍ سطرٌ من تدوين الريح في الفراغ المعصوفِ رملاً .

الفصل الثالث
(المعبد مزدحماً في الفجر الأول)

«مَن أنشأ هايكاهيكسين لم ينجزها» ، قال المنجِّم كاساك الأقصر في جنٍّ زينافيري ، وهو مستلق أرضاً باتكاء على قدميه ويديه ، قبالة محراب المعبد الذي جلست الأنثى الآدمية فيه متربِّعةً ، واضعةً متاعها الجَعبةَ ، والقربة ، في حِجرها ، محدِّقة ببصر لافضول يعروه من عينيها الصغيرتين ، الخجولتين ، إلى المنجمين الأربعة نصفَ قوس ، مستلقين ، تكاد صدورهم تلمس الأرضَ الرمل ، فيما وقف الشاعر داميكو ، وشريكه الآخر في مجمع الذباب تُوْكا ، خلفهم منتصبيْنِ على أرجلهما ـ أرجل الجراد .

صفعت بونيا الرملَ في أرض المعبد براحة يدها مبسوطةً . تنشَّقت مااستثارته من غبار خفيف . تكلمت بصوتها النَّقْر من لسانها على سقف فمها :

– هايكاهيكسين نامت طوال الليل . إنها رؤيا . قد يلاعبُها طيفُ الذئب الأبيض إن زارنا .

«هذا فأل سيء . الحيوانات تنام . نعرف ذلك . لكن أن تنام كائنةٌ تشبهنا في الكثير من أعضائها فالأمرُ فأل سيء» ، قال الشاعر داميكو . ارتعشت يده اليمنى الضخمة من عبور فكرة مذعورة إلى لسانه :

– ماذا لو أصابت هايكاهيكسين الجنَّ بعدوى النوم؟ .

غمغم المنجم توهتو غمغمة طويلة . نظَّمَ وقائعَ النشأة في خيال الجن مختزَلةً . مسَّ بأنامله ركبةَ الأنثى الآدمية يتلمَّس تاريخ جلدها . كلمها بلسان أرض زينافيري ـ لسان الذباب :

– أأنت جنية في سبيلها أن تصير مخلوقاً آخر ، أم مخلوق آخر في طريقه أن يصير جنِّيةً؟ .

ربتت المنجمة بونيا على أنامل توهتو محذِّرة : «أنت تجفلها» ، قالت . نظرت جانبيًا إلى كبير المنجمين خاميدس :

ـ أنَشأ نوعُ هايكاهيكسين قبل الجن ، أم بعد الجن؟ .

«لم نر سواها» ، ردَّ خاميدس . «هي ليست نشأةً بعدُ . هي غير منجَزَة» .

لم يكن معتاداً دخول الجن إلى المعبد . لكنَّ ذلك الفجر الذي أرسل محاورات من ألسنة المنجمين إلى مسامع الرمل ، كان مختلفاً . أطفال كثر يخاطبون أنفسهم ، ويخاطبون أترابهم ، دخلوا قفزاً خاطفاً كفضولهم الصاخب ، فيما هاجت الأرض العراء ، المحيطة بالمعبد من الوفود شتى تجامعت ، مثل اجتماعها في أسواق كاترامیل ، بأصوات لغطٍ من الذُّكْران ، وأصوات غناءٍ خفيض من حناجر الإناث يتأوَّلْنَ به عبورَ المُلْغِز متجسِّماً في هيئةٍ لم يعهدها الجنُّ قبلاً ـ هيئةِ الأنثى الآدمية . هنَّ لم يكن يسمعن ترديد الشاعر داميكو لكلمتهِ من وراء ظهور المنجمين : «هايكاهيكسين خدعة» ، لكنهن يتلقَّفنَ في خيالهن ذرَّاتٍ رملاً من ريح الوصف ذاك .

المنجمون توسَّلوا سلطان زينافيري إقامةً لِهَايكاهيكسين بينهم في المعبد : «إنها كائنةٌ استثناء ، ياكاشاجو» ، قال خاميدس وقتَ

وصولهم من معركة مفقودة لم يأنْ وقتُها ، خالِيْنَ من أسلاب ، إلى المدينة . «لن تتركها سارحةً بين المنازل . قد تُنْتهب عظامُها ، ياكاشاجو . هي ليست كحيوانات واحة كيما بالرغم من أنها تأكل مايشبه طعام الحيوان ، وتشرب ماءً . انظر إليها كيف تمشي بلا قفز ، بل مهلاً ، تقدِّم رِجْلاً ثم تتبعها بأخرى كطيور لاكيلا . هَبْها للمعبد . سنعرضها على طيف الذئب الأبيض» .

«ماعسى طيفُ الذئب الأبيض أن يعينَكم على تأويل لهيئة هايكاهيكسين المُلغزة ، ياخاميدس؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ كبير المنجمين :

- إنْ لاعبَها عرفنا أنها رؤيا كالجن . كلُّ جنيٍّ رؤيا .

نضنض كاشاجو بلسانه . تمتم : «مَنْ آباؤها؟» ، تساءل ، ثم صمت مغادراً المكانَ ، فكان صمتُه ، بعد المحاورة المختَزَلة ، علامة قبول نصفِ محسوم ، مؤجَّلٍ نصفهُ الآخر الذي سيُبْنى عليه اختبار وجودِ هايكاهيكسين في زينافيري ، فتولى المنجمون ، وسط ذهول الجن في مسالك المدينة ، نقل الأنثى الآدمية إلى المعبد ، ثم أغلقوا بوَّابتها العريضة العالية . أسكنوها محرابَ المعبد ـ الجوفَ الغائرَ كقفص كبير نصفَ كرة في التصميم داخل الجدار الشرقي ، حيث يحفظونَ رسوماً حَفْراً على صفافيح من الصخر لأسلاف منجِّمين . رَقَبوها تأكل . رَقَبوها تشرب . تواعدوا على إحضار زاد لها وشرابٍ في اليوم القادم . نامت هايكاهيكسين ليلتها . ظلوا هُمُ الأربعةَ متفكرين يرسمون خُطاطات من نظام المعقول متنكراً في لامعقوله ، على فراغ السماء يُرى موزَّعاً ، من قبة المعبد المفتوحة ، على مراصده من ممالك الجن السيَّارة كمواكب النجوم في الأعالي .

قبل الفجر فتح المنجمون بوابة المعبد ، فدلف داميكو قفزاً يتبعه

. ، ،كه في مجمع الذباب تُوْكا الصامت . تولَّوا أحاديثَهم في الا ـ كام ، قبل العبور إلى تساؤلاتهم في الطبائع المرشدة إلى معلوم ،م، في شأن هايكاهيكسين . كانت بونيا قد بنَت تصوراتٍ ، ، لا ، عن مخلوق مولدُه من «صخرة الخوف» . هي افترضتْ «ص خرةَ الخوف» جزءاً من صخرة الكون الكلي ذي الزوايا الثلاث ـ ،ون الجن . اعترض توهتو مراراً على تسميتها للصخرة : «مامن ،وف في زوايا كون الجن حتى افتراضاً ، يابونيا» ، قال ذو العينين الحجر البنيتين . «صخور زينافيري وكراتُ الاستنسال نفْسُها ليست إلاّ من نظام الأجزاء في الكون الكلي بلا خوفٍ . يخرج المواليدُ الجنّ من الكرات الصخر بلا خوف» .

«لماذا نخاف القتلَ ، إذاً؟ لماذا نخاف قرود هيهمو؟» ، تساءل ،اساك ، فردَّ توهتو :

– ذلك عَرَضٌ يعرونا من أنفاس الحيوان في واحة كيما . حين ،نتهي الحيوانات هناك ينتهي الخوف .

«من أين نأتي بعظام إن انتهت الحيوانات؟» ، قالت بونيا . «إن انتهت سيبدأ ذعرُنا اللانهائي» . ضربت الأرض الرمل براحتها واستنشقت غباراً أثارته . «منطقك لايقود إلى شيء . دعني أكمل ياتوهتو : مولودٌ خيالي المفترضُ من صخرة الخوف ، لا وساطة المذباب في إنضاج جنينه داخل كتلتها الصلبة» ، قالت . «أنا أفترض . أنا أخلقُ بافتراض . أنا أتدبَّر معضلةً مفترضة لِمَا خلقتُ افتراضاً . هذه مهمة الرؤيا . أنَا منجِّمة ، ياتوهتو» .

«لماذا نُلْزِمُ الرؤيا مَهمَّات أصلاً؟» ، تساءل توهتو .

«كلُّ رؤيا مَهَمَّةٌ في أصلها ، أو تكليف بمَهمة» ، ردَّت بونيا .

«أسمعك يابونيا ، لكنني لا أفهمك أحياناً» ، قال توهتو .

«اسمعْ أكثر» ، تمتمت بونيا وهي تنظر إلى الأنثى الآدمية مستندة بمرفقها الأيسر على فخذها ، محتويةً نصف وجهها براحتها . «أنا لاأعرف من وضع بزرة النسل في صخرة الخوف . لاأعرف آباء الوليد من صخرة الخوف . ربَّما هو أبُ نفْسه وأمُّها . أَنْشأَ نفسَه كما أنْشأ الجنُّ أنفسَهم» .

«ثم ماذا ، يابونيا؟» ، قاطعها توهتو .

«سمعُك يفقد صبرَه سريعاً هذه الأيام ، ياتوهتو» ، قالت بونيا . «حسناً . سأختزل» . مسحت براحتها أثراً من آثار أقدامهم على رمل أرض المعبد فأعادته مستوياً مروَّضاً . نقرت بإصبع في الرمل نقشاً على فكرتها المتماوجة : «حين يعجز حجر زينافيري عن حَضْنِ ذباباتنا ؛ حين لانعود موجودين ، سيبزغ وجودُ الجنِّ ثانيةً في ذاكرة هذا المخلوق الخائف الوليد من صخرة الخوف» .

«مَن ينشئ نفْسَه لاينتهي ، يابونيا» ، قال توهتو . «الجن لاينتهون . كنا في أنفسنا ، قبل الوجود ، ذاكرةً هي نحنُ ما نحنُ . من يكُنْ ذاكرةً قبل وجوده لاينتهي وجودُه بعد ظهوره في الكون الظاهر» .

«من يشبه مخلوقُ الرؤيا ، يابونيا؟» ، ساءلها كاساك بصوته الزفير .

«يشبه نفسه» ، ردت بونيا .

«هايكاهيكسين تشبه نفسها ، لكنَّ خاميدس يزعم أنها نشأةٌ غير منجَزة» ، قال كاساك .

«إن كانت هايكاهيكسين نشأةً غيرَ منجَزة ، فهي تشبه نفسَها غيرَ المنجزة» ، قالت بونيا . «لكنها ، قطعاً ، ذاكرةٌ منجَزة» .

«ما أدراكِ؟» ، ساءلها توهتو . «لايبدو عليها أنها تعرف شيئاً» .

«تعرف هايكاهيكسين ما لا نعرفه بعد . قد تصير يوماً مَعْبَر ،انتقالنا إلى وجود يشبه وجودَها» ، قالت بونيا .
غمغم خاميدس :
أنتِ تستعيرين شيئاً من رؤياي في الأحكام الكِبار .
«أتعني رؤياك في تسوُّل الأم خصائصَ تخصها؟» ، تساءلت بونيا ، فردَّ خاميدس :
- أنت تجتزئين رؤياي ، وتحرِّفين . الخلود أن تحتلَّ أمةٌ ذاكرة أمة أخرى لا تشبهها حين تنقرض هي .
«أكانت رؤياك عن الخلود؟» ، تساءل توهتو . «بونيا تحاول ،ملاطفتك ، على كل حال» ، أضاف من غير أن ينظر إلى المنجمة ، التي نكتتِ الرملَ أكثر بأناملها ، مدافَعَةً ربما عن فكرتها :
- مايميز رؤياي عن رؤيا خاميدس هي هذا الفارق : سنحيا في ذاكرة المخلوق من صخرة الخوف وجوداً خوفاً . سنكون نحن خوفَه .
«أمخلوقُك الوليدُ من صخرة الخوف وُجِدَ قبلنا ، أم بعدنا ـ نحن الجن؟» ، ساءلها توهتو ، فردت بونيا :
- هو في الرؤيا . ليس بوجودٍ قبلنا ، ولا بوجود بعدنا .
«هي رؤياك أنتِ ، يابونيا . وُجِدَ في رؤياك ، وليس قبلها» ، قال توهتو ، فردت بونيا :
- رؤياي هذي وُجِدتْ قبلي ؛ وُجِدتْ في الكون ذي الزوايا الثلاث قبل أن يُنشئ الجنُّ أنفسَهم .
توزَّع أطفال كثرٌ في أنحاء المعبد ، لكن في نصف دائرة واسعة من حول المنجمين ، وشاعرَيْ مَجْمَع الذباب ، في مواجهة المحراب الذي اكتنف الأنثى الآدمية ، من غير اقتراب . كل طفل كان يكلِّم نفسه أولاً قبل أن يقفز ملتصقاً بِتِرْبٍ من أترابه يبادله حديثَه في

غرائب التفصيل من هيئة هايكاهيكسين . لغطُهم ظلٌّ خفيضا كالغناء الخفيض همهمةً من حناجر الإناث الجنِّيات توزَّعْن أنحاء المعبد المترامي الجَوْف .

خارج المعبد ، في الجهة الشرق من البوابة ، وقف ماياكي أمام الشجرة العظام ، حيث يعلَّق بوق النفير إلى غصن فيها ، يجاوره الجلاد رَادْبُوْر ، الذي في ضخامة الجن المطايا ، ممسكاً برسنين جعلهما حول عنقَيْ جنِّيين مُذَلَّيْن منكسري النظر في عيونهما الحجر الكتيمة . كان عميد المحاربين قد أرسل مطيته راتو ، منذ وقت ، لإحضار فاكهة ، وماء ، من واحة كيما ، للأنثى الآدمية . وفي انتظار عودته ، ذاهباً بالجنيين المأسورين إلى إعدامهما في المعبد ، ارتأى صناعةَ حلم مقصود بتمام تفصيله ـ حلمٍ رغبةٍ ، منتظمةِ التخيُّل كفعل الجنّ الذين لا ينامون .

ألصق ماياكي عينيه الحجريتين بساق الشجرة ذات التصميم بإضافات عظام إلى عظام . إنتقامُ القضاء المرتقبُ من الجنيين المأسورين سَلكَ بخياله ، في المتاهة المعلومة للرغبات ، إلى الحجاب المنسدل أمام طيف سلطان المتمردين ماشفير الأعمى ، ذي راحتَيِّ اليدين المثقوبتين عاقبَه بهما كاشاجو في بداية دعوته إلى التمرد على نُظُم الجن في زينافيري ، كي لا يتمكن من حفظ ذبابة الاستنسال في أيٍّ منهما . ثَقْبُ الأيدي في الذكور ، وفي الإناث ، قطْعُ للاستنسال عقاباً إنْ أظهروا شكَّهم في جدوى قيام المدن ، أو انتظام جموع من الجن في الحواضر بمراتبيَّة سلطة من الأسياد . الجنيانَ ألمُذلاَّنِّ ، اللذان أمسك بالرسنين في عنقيهما الجلادُ رادبور ، كانا من متمرِّديْ ماشفير ، مبعوثين لاغتيال من يَقْدِران الوصولَ إليه من أسياد فِرَق المحاربين . وقد تقدم بهما ماياكي إلى المعبد لتنفيذ

الزحام . لكنه ، في وصوله إلى الساحة مزدحمةً بالوافدينَ فضولاً ، ما لرؤية هايكاهيكسين ، ارتأى صناعةَ حلم ، ريثما يحضر راتو بما يأمله راكبُه . ألصق عينيه بساق الشجرةِ العظام . كلم نفسَه في إتيانه الحلمَ لائقاً بوعيده :

«بمَ تحلم؟» ، سأل ماياكي نفسَه ، ثم أجابها :

- أحلم بماشفير الأعمى .

«ماذا ستفعل به إنْ أدركتَه ، وأسَرْته؟» ، ساءل نفسَه ، ثم ردَّ :

- سأجعله مبصراً أولاً ، كي يرى عينيَّ .

«ما قصدُكَ؟» ، سأل ماياكي نفسَه ، ثم ردَّ :

- سيكون في عينيَّ أنني أسلخه في حفرةٍ ملأى ماءً بلا خوف من الماء ، وأجرِّد عظامه من اللحم حيًا بعدُ ، فيأكل لحمَه أولاد من الجن .

«أنت تخيفني ، ياماياكي . أتطعم الجنَّ لحماً؟» ، سأل ماياكي نفسه ، ثم ردَّ :

- لماذا لانأكل اللحم؟ فلنأكله .

«الطعام الرطب سمٌّ للجني» ، قال ماياكي لنفسه بصوته الطنين كطنين الزنبور . انتفخ الجلدُ وانفرغ من حول ثقبَيْ منخريه في نطقه بالكلمات . استرسل : «ربما عليَّ تعذيب ماشفير بإرغامه على أكل قِطع من لحمه» ، قال . دقَّ بجبينه على ساق الشجرة يستنطقها : «لا أفهم ماشفير . لا أفهم دعوة التمرد على نُظم زينافيري . كيف يُقْنع أتباعَه المتمردين بدعوى أن يتفرق الجن فرادى ، كلٌّ في مهجور يخصُّه أو فلاة ، حيث لامدن ؛ لاقرى ؛ لا اختلاطَ ؛ لا أسواق ؛ لاً اجتماع ؛ لاً تشاركات في الصيد ؛ لا أعياد؟ ماشفير محيِّر . هو في مكانه اللامعلوم محاط بجماعته ،

رائهم نتلامُ في فهم تمرُّدهم . لماذا لا يتفرَّقون فرادى في المهجورات؟
أيريد ماشفير تدمير كلِّ جماعةٍ أولاً قبل نشر الجن في متاهات
عزلاتهم؟» . دق ساق الشجرة بجبينه ثانيةً : «الذين لا يتفكرون
في المحيِّر هم أتباعه» ، قال ماياكي لنفسه بصوت عالٍ ، فداخَل
صوتَهُ صوتٌ آخر من واقف فجاءةً إلى جواره :
- أدْخِلْني حلمَك ، يا ماياكي .
التفت ماياكي إلى محدِّثه . ردَّ :
- ماذا لو أدخلتُك حلمي ، يا سَانْيَارِي؟ .
«سآخذ ماشفير منك إلى ما يحجبه عن زمن الجن ، حيث
أحتجب أنا بين قَرن وقرن» ، ردَّ سانياري ذو الخمار الجلد أبيضَ
مصبوغاً يغطي رأسه .
«متى سترجع إلى غيبتك؟» ، ساءله ماياكي ، فردَّ سانياري ذو
الوشمِ النقاطِ تسعاً على صفحتي وجهه :
- أنا في غيبتي الآن .
أعاد ماياكي لصقَ عينيه بساق الشجرةِ العظام ، كانما ينسلُّ
بنفْسه من خراقات الأحاديث على لسان سانياري . كلَّمه من غير
أن ينظر إليه :
- سآخذك إلى ماشفير .
«سأصحب معي هايكاهيكسين أيضاً . أنا ذاهب إلى المعبد
لأراها» ، قال سانياري ، فلم يعقِّب ماياكي . صمتَ صمتاً مبعثراً
بمخالب أصوات القادمين قفزاً إلى بوابة المعبد ، الذي لم تتوقف
المجادلاتُ قبالة محرابه ، بين بونيا وتوهتو المنجميْنِ .
«هذه رؤياي ، في الزمن الذي يخصُّني» ،كانت بونيا تؤكد
لتوهتو ما لا يؤكَّد قط .

«كيف ابتدأ زمن الجن؟» ، تساءل داميكو ، فردَّ خاميدس :
كلُّ جنيٍّ زمنُ نفْسه . يبدأ زمنه وينتهي فيه .
«ما زمن الكائنات الأُخَر؟» ، تساءل داميكو ، فردَّ خاميدس :
زمنها مهشَّم . يتقدم ويتراجع متردداً في حسم حدوده .
«لا أفـهم مـاتقـول ، ياخـامـيـدس ، لكنني أخـمِّن أن زمن الكائنات الأُخَر هو خدعة» ، قال داميكو .
انتصب خاميدس واقفاً . قلَّب عينيه الحجريتين في وَقبيهما إلى جهات المحراب يترصَّد أطيافَ الجن المستورين : «أليس الزمن ما نسمِّمُه من هيئة الإله كوياسي؟» ، تساءل .
انتصبت بونيا واقفة بدورها بعد استلقائها الطويل . قفزت نصف قفزة فاجتازت عتبة المحراب . أشارت بإصبعها السبابة اليسرى إلى هايكاهيكسين ، متجاهلة تعقيب خاميدس على الزمن :
– أزمنها خدعة؟ ربما . أما هي فليست خدعة .
«أيخدع كائنٌ زمنَه؟» ، تساءل داميكو ، فلم يردَّ عليه أحد ، بل عقَّب توهتو على كلام بونيا :
– إنْ كنتِ واثقة أن هايكاهيكسين ليست خدعة ، فهذا أول تعريف بخصِّيصة من خصائصها . استمري يابونيا .
«هايكَاهيكسَين لم تتصورَّنا قبلاً . لم نعبر خيالها» ، قالت بونيا ، فعقَّبَ كاساك القصير :
– أهناك كائنات لم تتصوَّرنا نحن الجن؟ يذعرني أن أفكر بكائنات لم نخطر بخيالها . نكون لاموجودين ، إذاً .
«حيوانات واحة كيما لم تتصور الجن» ، قال توهتو .
«هي تعرفنا ، لذلك تخافنا» ، قالت بونيا .

«نحن إمَّا نخاف ممَّا لا نعرف، وإمَّا لا نخافه قط»، قال كاساك.

«ألم تَخَفْ من هايكاهيكسين، ياكاساك؟»، ساءله داميكو.

فردّ كاساك:

- ذهلتُ. لكنني لم أَخف.

«من هي إذاً؟ أهي ما لا تعرفه ولا تخافه؟»، ساءله توهتو.

فتدخل داميكو:

- أنا خفتُها.

«لماذا؟»، ساءلته بونيا، فردَّ داميكو:

- تبدو كمن يرصد الجنَّ ليُخضِعهم.

«أهذه الأنثى الوديعة تعني؟»، تساءلت بونيا، فتقدم داميكو قفزةً إلى عتبة المحراب. كلَّم المنجِّمِيْنَ محدِّقاً إلى الأنثى الآدمية:

- سأضع ذبابتي في يدها.

غمغم شريكه في مَجْمَع الذباب توكا. غمغم المنجمون متفاجئين.

«أهذه دعابة، أم فكَّرتَ بذلك حقًّا؟»، ساءله خاميدس، فردَّ داميكو:

- خطر لي ذلك الآن.

«تصفُها بالخدعة كأنما تحرِّضنا عليها، وتريدها شريكةً في الإستنسال؟»، تساءل توهتو. هزَّ رأسه فاهتز شعرُه المنتصب كعُرف: «أية ذبابة ستختار؟ ذبابة الخدعة؟!»، قال ساخراً. تقدَّم من عتبة المحراب:

- ما النسيج الذي ترتديه هايكاهيكسين؟ ليس جِلْداً.

«قد يكون نسيجاً من شَعر أبيها»، قال خاميدس. استجلبَ سؤالاً مؤجَّلاً: «كيف استنسلها آباؤها؟». لمح دمعتين منحدرتين

.. ـني هايكاهيكسين ، فعاوده دَهَشُ البرهة الأولى من حضور
... ها ، محمولة بين ذراعيه ، إلى زينافيري . تمتم :
في عينيها ماء ، أيها الإله كوياسي الأعظم .

اقترب أطفالٌ أكثرَ من موضع المحراب . اقتربت إناثٌ يغنين همساً بأصوات تستدرج السرِّيَّ إلى الامتثال . استدار المنجمون إلى القادمينَ لم يكتنف المعبدُ عديداً مثلهم قبلاً ، بل لايزور الجنُّ المعبد عادة ، سوى سلطان زينافيري ، وبعض الأسياد ، بعُروض من الأسئلة مختصَرةٍ في وقت مختصر . كثرةُ الداخلين استثارت عَصْفاً في الوصف من خيال خاميدس المحيط بالأحكام الكبار ، والأحكام الدقائق الصغار : «الجهاتُ معتدلة ، والشكوكُ نبوءات» ، قال . قفز إلى داخل المحراب مجاوراً هايكاهيكسين الجالسةَ مُطرقةً . حدَّق إلى الجدران عُلِّقت إليها صفافيحُ صوَّانٌ برسوم غائرة للمنجمين الأسلاف . «أنت» ، تمتم مخاطباً رسماً . «ماذا قلتَ؟ لن أنتظر لأعرف ما يقلقك» . وضع راحة يده الضخمة على عظام متلاصقة في تصميم جدران المحراب : «ماذ تستذكرُ أمهاتُكم الآن ، في الفردوس الملتهب كنظام الريح؟ أسمعُهن . أراهن» ، قال . نظر إلى سقف المحراب تتدلى منه تَرْقواتٌ بخيوطٍ جلد : «ستُنجز قبائلُ الاعالي سلالمها لصعود الغيوم الحجر . الغُيومُ قادمة» ، غمغم . «حين تتوسط الغيومُ الحجر كونَ الجن ، ستسند قبائل الأعالي سلالمها إلى أحفَّة الغيوم . ستصعد الغيومَ الحجر إلى كون الجن الثاني الذي بلا زوايا» ، قال بصوت هدير . استدار إلى الأنثى الأدمية الصامتة رفعت وجهها إليه متأمِّلةً . خاطبها : «نحن أنشأْنا ماأنشأْنا ، ياهايكاهيكسين ، فمن أنشأَنا؟» . تصنَّع إنصاتاً إلى الأدمية الصامتة . «ستردِّين : أننا أنشأْنا أنفسَنا . حسناً . كم من

السنين مضت مذ أنشأْنا أنفسَنا؟» . تصنع من جديد ، إنصاتاً . «ماذا قلتِ؟» ، تمتم . «سنونٌ على قدْرِ اصطدام الرمل بالرمل في صحراء مُوْهِي ـ صحراء الأعالي السيَّارة كالنجوم» ، ردَّ بلسانه على سؤال لسانه . انحنى على هايكاهيكسين : «لماذ لم نفكر في إنشاء أنفسنا قبل تلك السنين؟» ، تساءل ، ثم لم يلبث أن ردَّ : «ما الفرق؟» . استغرقه التحديقُ إليها من عليائه برهاتٍ ، في صمت يتنازعه صخبُ المحتشدين في المعبد بلغطهم ، وقفزهم ، وغناء النساء . ردَّ : «الفرق ، ياهايكاهيكسين ، أننا لم نفكر في إنشاء أنفسنا قبلاً . لكن ، أخبريني ، كم من السنين مضت على لاوجودنا قبل أن نخلق أنفسَنا في وجودٍ؟» .

استقام خاميدس بعد انحناء . غمغم : «ماالفرق؟» . هزَّ رأسَه بالشعر منتصباً عُرفاً . عارَضَ نفسَه : «بل فرقٌ كبير ، ياهايكاهيكسين . أخبريني ماذا كانت تلك السنون التي لم تكن لنا نشأةٌ فيها؟ ماذا كانت من دوننا؟» .

«أستستمر في مخاطبة هايكاهيكسين هكذا؟» ، ساءلته بونيا . أشارت بوجهها إلى المحتشدين يتقدمون ، في حذر ، من المحراب ، فاحتدم خاميدس فجاءةً :

- من أجل هايكاهيكسين امتلأ المعبد الوسيع بالجن ، أيها الإله كوياسي ، يامن صمَّمت هيئاتٍ في الخفيِّ الذي فيك كالنحات ألّا يصمِّمُك في ظاهر خيالنا .

اشتدَّ هرجِ المتفرجين يتدافعون بالمناكب . فتح خاميدس ذراعيه المفرطتين طولاً يحتوي الحشدَ من موضعه في المحراب : «اخرُجوا» ، صرخ . مدَّ يده إلى عضد الأنثى الآدمية فأوقفها على قدميها الحافيتين . دفعها في رفق إلى خارج المحراب . «من رأى

هايكاهيكسين فلْيخرج» . تنشَّق غباراً أثارته قفزات الأطفال في ا.ا.فاعهم مبتعدين . نظر إلى قبة المعبد المفتوحة على سماء غبراء مُتطلعة من حدائق الريح . نادى مخاطباً أقاليم الأعالي : «لَم أُعِدْ . فليمَ يقظتي اليوم . استيقظتُ من يقظتي تواً ، أيها الإله كوياسي» . خفض بصره متطلعاً إلى الأنثى الآدمية سارحةً بعينيها الصغيرتين بين الوجوه المستطيلة النحيلة ، فاغراتِ الأفواه ، قبل أن تُخرج من جعبتها حباتٍ من الفاكهة الجافة ، ملء راحة يدها اليمنى الصغيرة ، وتقدمها إلى المتطلعين إليها بذراع ممدودة ، لا على التعيين ، فغمغم الناظرون إليها حَذَراً .

«ابتعِدوا» ، صرخ خاميدس من جديد . عاد متطلعاً بعينيه ، المتين في يسراهما شرخٌ ، إلى الأعالي : «ياإله نفْسِك ، ياكوياسي . أيها المديد كإقليم مديد . أيها المهجور كالمدن المهجورة . أيها الدفين كالممالك الدفينة في رمال السماء ، وفي السماء تحت الرمال . أيها الذي ريحُ كلِّ ريح يجرُّها إلى حظائره كما نجرُّ الذئاب الصفر إلى الحظائر : أهذه الأنثى ، هايكاهيكسين ، من تصميم نحَّاتيك؟ أنت لم تكلم أحداً قبلاً . لن تكلمني . لم تمنح مصمِّمَك آلْما علامةَ غضب من شكلكَ المتراخي ، الممتد ، المنحسر ، المنتشر ، الفوضى ، أو علامةَ رضى . يحوجك إلهٌ أعظمُ يقسرك على البوح بشكلك انحَّاتِيْ زينافيري» ، قال خاميدس . توجَّه بصوته إلى المنجمين الثلاثة الآخرين في نجواه التي لاتخصُّهم : «أيحتاج كوياسي إلى شيء ، أو أحد؟ ما أبعاد كوياسي؟ ماهيئته؟ أنتم مثلي لاتعرفون . كوياسي لايعرف أيضاً ، لكنه كوياسي . الإلهُ الأعظم ، اليقينُ المحيِّر» . التفت إلى الأنثى الآدمية مقرِّباً وجهه من وجهها بانحناءٍ عليها : «هايكاهيكسين . أترين كوياسي بعينيك الغريبتين هاتين؟

أهو صغير، مفرط في الصِّغر، عليَّ مضاعفتُه لأتخيله؟ لماذا لم ينحت كوياسي نفسه مرة؟». قفز قفزة طويلة فصدم بعض الجن المذهلين. صرخ: «انْحَتْ نفسَك مرةً، ياكوياسي. كلُّ قوي سيد، في زينافيري، يُملي على النحات آلما شيئاً من مفقود هيئتك. امْل على آلما شيئاً من هيئتك. خُصَّه بخوفك من تمرُّد هيئتك الظاهرة تصميماً عظاماً عليك».

«آلما مستغرق، عادةً في صناعة هيئة الإله كوياسي. هو يعرفه، ياخاميدس»، قال توهتو. «يبدو آلما راضياً عمَّا يفعل حتى حين تُملى عليه زيادةٌ، أو تنقيصٌ، تحسيرٌ، أو نشرٌ لتصميمه. كل خاطرة من خواطره في تدبير الشكل، وكل خاطرة من الأسياد في التعديل، هي من الإله الأعظم كوياسي. هو، وحده، يُلهم، ويُملي ما يظنون أنهم أمْلُوه».

أطلق خاميدس صوتاً كالهرير. غمغم ملتفتاً إلى الأنثى الآدمية: «هايكاهيكسين»، نادى، فأتاهُ صوتٌ من بين الحشد بنبرٍ حجر:

– أبدأتَ بتعذيب هايكاهيكسين، ياخاميدس؟.

كان ذلك صوت كاشاجو، البادي من فوق الرؤوس ممتطياً دابَّته الجنيَّ الضخم شَاكْدْ. «وسِّعوا»، قال. «صفافيحُ الحجر ستلدُ رسوماً».

خرجت الرسامات الأربع الطويلات من وراء موكب كاشاجو، الذي تولَّى أتباعه إبعادَ الجنِّ الحشدِ حلقةً من حوله. ثلاثٌ نفخنَ بأفواههن على الصفافيح السود المستطيلة، ذوات الأحفة غير المنتظمة تشذيباً. سللن حجارة صغاراً بألوان رمادية، وصُفر، وبنِّية من جِعابٍ جلدٍ تنكَّبنها، إلاَّ رابعتهن آرْدُو، أمسكت اللوحَ الصُّفَّاحَ

..ا لا مثيل لأطوال أصابعها ، وبالأخرى شظيةً عظماً ملبَّسة بمعدن
.ما ا مسنون . حكَّت بالنصل على اللوح الحجر من فورها تدويناً
لما أولَ من هيئة هايكاهيكسين حَفْراً ، فانفلت صريرُ الحكِّ زفيراً
.. يب الشكل على تظاهره في سديم اللوح .

«أوقفْ هايكاهيكسين ثابتةً ، ياخاميدس» ، قال كاشاجو وهو
... الأنثى الأدمية متملِّصةً من يد كبير المنجمين ، مادَّةً ذراعها
.الفاكهة الجافة إلى أولاد من الجن تردَّدوا في لمسها ، ثم تراجعوا ،
. ..مت هي أكثر صوبهم قبل أن يمسك خاميدس بعضدها من
..يد . حدقت هايكاهيكسين إليه مستثقلةً . خاطبها خاميدس
.. إمساكَه بها بعدما استشفَّ في نظرتها ضِيْقاً :

- هؤلاء يرسمنك ، ياهايكاهيكسين . وحيُ الحجر يلهمهن
.ملق الحجر بالرسوم . اثبتي قليلاً ريثما ينتهين من الدخول بك إلى
الذاكرة العظمى ، التي يحذَرُها النسيانُ الأعظم .

أعادت هايكاهيكسين حبات الفاكهة إلى جَعبتها . أَفلتت
.عضُدَها من يد خاميدس . مشت خطوتين في اتجاه الرسامات
.حدِّقات إليها بأبصار لها أناملُ تتقرَّى ملامحها ، وتقيس أبعادَ
الشكل متجانسةَ النَّظْم في الإملاء على الصفافيح . تأمَّلتهن .
دارت من جنبهن تلقي نظرة على ما يصنعن ، فتوقفت أيديهن عن
نقلِم المُخاطَبات رسْماً . تنهَّدت . نقلت خطاها صوب كاشاجو ممتطياً
الجنيَّ شاكدْ . لمست ذراعَ المطية . أنزلت يدها ، في روية ، إلى يده
المفرطة ضخامةً . بسطت راحتها على راحته تقيس الفرق الكبير
بينهما .

«أعِدْها إلى موضعها أمام الرسامات ، ياخاميدس» ، غمغم
كاشاجو .

تقدم خاميدس من هايكاهيكسين . أمسك بمعصم يدها اليسرى في رفق ، وقادها طائعةً إلى المدى القصير قبالة الرسامات أعدّنَ النَّكْتَ ، ثلاث بالحجارة الألوان ، ورابعة بالنصل المعدن ، على ألواحهن الصفافيح يفتِّقْنَ سوادَها خطوطاً من هيئة الأنثى الآدمية .

«أنا هو» . فَلَقَ صوتٌ الصخبَ بصخبٍ أعلى . «أنا هو» ، قال الجني المطوق الرأس على ضفائره بِعصابةٍ جلد . شقَّ لنفسه ، وللمرأتين اللتين تتبعانه ، ممراً بين الحشد ، ليجّاورَ كَاشاجو ، محدِّقا إلى هايكاهيكسين يلتهمها بأسنان حيرته : «أنا هو ، فمن هي هذي؟» ، تساءل .

مدَّ شاكد ، مطيةُ كاشاجو ، يده إلى كتف الجني ذاك فأعاده ، بإيعازٍ لَكْزةٍ من سلطان زينافيري ، إلى الوراء قليلاً .

ردَّد كَاشاجو كلمات الجني : «أنا هو . أنا هو» . نضنض بلسانه : «مَنِ الذي أنت هُوَ ، يامَايْشَا؟» ، سألَ الجنيَّ ذا الوشم الدائرةِ سوداءَ على الجبهة ، وأربع نقاط بيضٍ ، كل اثنتين على صُدغ من صدغيه .

«كنت أجمع صوتي المبعثر عاماً بعد عام ، حتى اكتمل هذا الفجر ، ياكاشاجو . صوتي مكتملٌ الآن إذْ أرى هايكاهيكسين ، التي سمعتُ عنها البارحة . أعرف ، بيقين كالريح تنفُش وَبَرَها من قبة هذا المعبد ، ومن بوَّابته ، ومن خلل العظام في بنائه ، من أنا هُوَ» ، قال مَايْشَا . التفت إلى المرأتين ، المطليتيِّ الوجهين سواداً . طوَّقهما بعينيه الجاحظتين بإفراطٍ : «أمي تعرف مثلي مَنْ أنا هُوَ» ، قال . شدَّ إحدى المرأتين فقرَّبها منه . «هذه تعرف» ، قال ، ثم شدَّ الأخرى فقرَّبها أيضاً .

«من كنتَ ، يا مايشا؟ من صرتَ؟» ، ساءله خاميدس بنظرة ا.ب.اب في ما اعتاده من أقوال ناقصة ، ملأ بها مايشا المتوسط طولاً أ.. ر.افيري الرملَ منذ أعوام .

«لم أصِرْ مَنْ صرتُ . أنا هُوَ مُذ كنتُ أنا هُوَ . وقد اكتمل ه ... استجمعتُه من عويل طيور لاكيلا ، وسكون أسواق .اراسيل ، وصمت المرأتين هاتين تتبعانني من مطلع زمن الجن» ، قال مايشا .

«أنقذْنا ، يامايشا ، وقُل من أنت هُوَ» ، قال خاميدس . «أنتظرُ ه .لك إلى مأزق أخيراً» .

«أنا من تنتظرهُ قبائلُ الجن» ، ردَّ مايشا .

«هيْهْ» ، غمغم خاميدس . ألقى بصرَه إلى وجه كاشاجو ، الذي بدا خالياً من ردٍّ ، كأن لم يتعقَّب بلسانه كلمات مايشا . لكنَّ .. آخر انبرى معترضاً ، وقد تسمَّع من موضعه قولةَ مايشا :

- أنت تقلِّد دعواي ، يامايشا .

نظر مايشا إلى موضع محدِّثه فلم يتمكن من رؤيته : «أهذا صوتك ، ياسانياري؟» ، تساءل ، فتقدَّم سانياري موسِّعاً لنفسه .راعاً أقرب إلى كاشاجو .

«هذا صوتي» ، ردَّ ذو الخمار أبيضَ مغبراً على رأسه . «إن .تَ من تنتظره قبائل الجن ، فأنا أودعتُ قبائلَ الجنِّ غيبتي . إنْ ظهرتُ ظهرتْ قبائلُ الجن لتتبعني ، لالتتبعك» .

«أيها الظاهرُ المغيَّب» ، قال خاميدس بصوت ألقاه واضحاً أمام بصر لسان كاشاجو . «مابكما تقتسمان كونَ الجن؟» .

نزل كاشاجو عن ظهر مطيته . حكَّ فخذه اليمنى بسلاحه العظم المعقوف . نقَّلَ وجهه بين مايشا وسانياري : «عندي مقترحٌ» ،

قال . «سنعيد هايكاهيكسين إلى الموضع الذي عثر فيه راتو عليها . هي تعرف ، ربما ، من أين أتت . اتبعاها إلى قبائل آبائها ، ولا ترجعا إلى زينافيري» .

«أنا في غيبة ، ياكاشاجو» ، قال سانياري متملِّصاً . «لا أستطيع دخولَ مكانٍ أو الخروج منه» .

«ماذ عنك ، يامايشا؟» ، تساءل كاشاجو .

«سأذهب إلى حيث يدلُّني أبي . وهو لم يُشِر عليَّ بعد للخروج من أرض زينافيري» ، ردَّ مايشا . وجَّه بصرهُ إلى هايكاهيكسين :

– إنها نسلُ أبٍ تائه .

«مارغبتك هذه في أن تتبعك قبائل الجن ، يامايشا؟ تتبعك إلى أين؟» ، ساءله كاشاجو باستخفافٍ في نبرِ صوته الحجر ، فردَّ مايشا :

– هذه رغبة أبي . القبائل ستتبعني إلى حيث يريد أبي .

«أين عظام أبيك؟» ، ساءله خاميدس متقحِّماً المحادثةَ . «ألم تأكلها في عيد لاكيلا؟» .

«لا عظام لأبي . هو رغبةُ نفْسه التي هي طريقي إليَّ ، ياخاميدس» ، ردَّ مايشا . التفت إلى أمه فصفعها . التفت إلى الأنثى الأخرى . غمغم : «لماذا تتبعينني؟ أتحرِّضُك أمي عليَّ؟» .

تطلع خاميدس إلى كاشاجو بتذمُّر :

– إنه يهذي . لقد تنشَّق غباراً أثارته قرودُ هيهمو .

غمغم السامعون استهوالاً من كهوف حناجرهم . قرَّب كاشاجو وجهَه الطويل من وجه مايشا ، يتلمَّس بعينيه تدرُّجات الرمال العميقة ـ رمالِ العقل . نضنض بلسانه يتذوَّق عزيفَ الريح الأخرى ـ ريح العقل . كلَّمه :

بمَ تَعدُ قبائل الجن إنِ اتَّبعتُك ، ياmaيشا؟ .

«أن يكون كلُّ جني سيداً على أُمَّة» ، ردَّ ذو الثوب الطويل ، الفضفاض ، مفصَّلاً من جلد أختهِ الكبرى . زمَّ شفتيه الكبيرتين إطباقاً على أذيال كلماته .

«وماذا عن الأمة التي ستُحَكِّم سيداً عليها؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ مايشا ذو العينين الحجر الضيقتين :

- كلُّ جنيٍّ في تلك الأمة ، التي يتحكَّمها سيدٌ جنيٌّ ، سيدُ على أمة أخرى .

«وماذا بعد؟ ماذا عن الأُمة ، التي سيحكمها جنيٌّ جعلتَه سيداً ، وهو لم يزل بعد عبداً لجنيٍّ سيدٍ على أُمته؟» ، ساءله كاشاجو بنبرِ ازدراءٍ للفكرة لن يعثر منطقٌ على نهاية في سلسلتها ، فردَّ مايشا :

- كلُّ جني فيها سيكون سيداً على أمة ثالثة من الجن .

«كم سيمضي بك وعدُك في تلفيق أسيادٍ على أمم عبيدٍ أسيادٍ؟ إلى أين أنت ذاهب ، يا مايشا؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ مايشا :

- إلى أبي .

«مات أبوك» ، صرخ خاميدس وقد ضاق به . «قتلتَه بحربة في الصيد بين شجر واحة كيما . حفرتَ قلبَه بحربتك العظم ظنًا منك أنك تحفر جذور الشجر استخراجاً للجنِّ القُزُم ذوي الأذيال والريش ، يامايشا» .

«حفرتُ قلبَ أبي؟!!» ، تساءل مايشا بصوتٍ متقوِّض استغراباً . التفت إلى المرأتين المسترسلتين في نوحٍ خافت ، أو مايشبه النوحَ ، مُذ الجنُّ لا ينوحون . «أمي» ، صرخ ، ثم صفع أمه

على وجهها المصبوغ سواداً . «لا قلب لأبي منذ سلمني إلى رغبتي في الذهاب بقبائل الجن إليه» . أمسك بضفائر المرأة الأخرى التي معه . جذبها إليه : «كيف أحفر قلبَ من لا قلبَ له بحربة لا أملكها؟ أنتِ وحدك تتبعينني إليَّ ، لا إلى أبي» .

«إنه يهذي» ، قال خاميدس ، فالتفت إليه مايشا غاضباً :

– أصْغُوا إلى الأطفال حين يكذبون .

«ما معنى هذا؟» ، تساءل خاميدس وهو ينظر إلى كاشاجو .

«لماذا لا تنفيه إلى صحراء مُوْهي؟» . استدار إلى سانياري :

«انْفِ هذا أيضاً» .

أمسكَ كاشاجو بكتف كبير المنجمين مهدِّئاً :

– قد أفكر بأمر مايشا ، لكنَّ سانياري منفيٌّ . هو في غيبته .

«نعم» ، قال سانياري . «أنا مغيَّب» .

«ظاهرٌ حاضرٌ هو حين يريد . مغيَّبٌ حين يريد» ، عقَّب خاميدس . «اخْلطْ عليه ظهورَه بغيبته ، ياكاشاجو . إنه الرؤيا المأزق» .

اقتحم الشاعر داميكو المحادثةَ واقفاً قبالة كاشاجو :

– سأشارك هايكاهيكسين ذبابةَ استنسال .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو . نضنض بلسانه . «أهذا يومُ هذيانٌ في زينافيري؟ ماذا تنشَّقتم؟» .

«سألتُها» ، قال داميكو متقصِّداً ، بحركة شفتيه المتأنيتين ، أن يسمع كاشاجو ماقاله .

«من سألتَ؟» ، تساءل كاشاجو .

«سألتُ هايكاهيكسين» ، ردَّ داميكو ذو الأذن اليمنى الصغيرة ، واليسرى المحوَّة إلاَّ ثقبَها .

أبعد كاشاجو الشاعرَ بيده عن طريقه ، باحثاً بعينيه عن الأنثى الآدمية ، المتراجعة إلى قُربٍ من المحراب :

- أهي تتكلم؟ .

«لا . ليس بعد» ، ردَّ داميكو ، فأبدى كاشاجو إحباطاً :

- ليس بعد؟ بأيِّ لسان سألْتَها فوافقتْك؟ .

«قلتُ شعراً» ، ردَّ داميكو .

«ردِّدْ عليَّ ماقلتَه لها» ، طلب كاشاجو من شاعر مَجْمَع الذباب .

نفخ داميكو جلدَ خديه حول المنخرين الثقبين . مطَّ عنقه . وضع ذراعيه متعامدتين خلف ظهره . صَدَرَ طنينٌ مختنق من فمه المغلق ، فاستوقفه سلطان زينافيري :

- لا يلتقط لساني طعمَ صوتك . مابه صوتك؟ .

«صوتي؟ أتسمع صوتي؟» ، تساءل داميكو ، فهز كاشاجو رأسه مستخفًا بسؤال الشاعر .

«أين كلماتك؟» ، ساءله كاشاجو .

«هي في فمي» ، ردَّ داميكو .

«أطلِقْها لأتذوَّقها سماعاً بلساني» ، قال كاشاجو .

«هي شعر ، يا كاشاجو» ، أوضحَ الشاعر .

«ههْ» ، غمغم كاشاجو كالمستذكر مانسيه من شأن الأشعار صناعةً : هُمُ الشعراء يحتبسون الصوتَ مغلقاً على الكلمات في أفواههم مغلقةً إذْ يُنشدون . «فهمتُ» ، قال مستدركاً . «ترْجم لي إلى كلماتٍ ماعرضتَهُ من شعرك على هايكاهيكسين» .

اتَّخذ داميكو الوضع ذاته : خدَّان منتفخا الجلد . فم مغلق . يدان معقودتان خلف الظهر . أصدرَ طنيناً .

«أين الكلمات؟» ، ساءله كاشاجو منضنضاً بلسانه .

«هي مغلقة في صوتي المغلق ، ياكاشاجو» ، ردَّ داميكو .

صرخ : «لا أسمع نفسي من صخب هذا الحشد . فليخرِسْهم أحدٌ مّا» .

«أخرِسْهم ، ياشاكد» ، طلب كاشاجو من مطيته الجني الضخم ، الذي هبَّ بصوته زئيراً عصفَ بأركان المعبد .

سدَّت هايكاهيكسين أذنيها ، ملقيةً قربتها أرضاً . خمدت الأصواتُ في الحناجر .

«أهذا أفضل ، يادامیكو؟» ، ساءله كاشاجو . أردفَ : «ماذا قلتَ لهايكاهيكسين؟» .

كاد داميكو أن يتخذ الوضع الخاص بإنشاده ، لكنه توقف . ردَّ :

- فهمتْ هايكاهيكسين ماقلتُه .

«أنوعها يتناسل بالذباب في الكرات الحجر مثلنا؟» ، ساءله كاشاجو .

«لاأعرف» ، ردَّ داميكو .

«قلتَ إنها أجابتْك إلى عرضك عليها أن تستنسِلا» ، قال كاشاجو .

«نعم» ، ردَّ داميكو .

«ماذا قالت؟ حيَّرْتني» ، دمدم كاشاجو متبرِّماً ، فردَّ داميكو :

- لم تقل شيئاً . ظلت صامتة .

«كيف فهمتَ قبولها ، إذاً؟» ، ساءله كاشاجو .

«من صمتها» ، ردَّ داميكو .

«داميكو يهذي أيضاً ، ربما ذبابُ المَجْمَع يهذي اليوم . لاتوزِّعا

ذباباً على الطالبين حتى الغد» ، قال كاشاجو مشيراً إلى الشاعرين .

فتق صوتٌ مهتاجٌ ذلك السكونَ الذي رَتَقهُ زئيرٌ شاكد في أرجاء المعبد . كانت جنيةٌ مذهولة تصدم الأجسادَ بحثاً عن موضع سلطان زينافيري . «كاشاجو» ، ردَّدت الاسم صراخاً بزفيرٍ متلاحق .

أحس كاشاجو طارئاً من رؤيته الوجوهَ تلاحق بأبصارها موضعاً لم تحسم جهته على التحديد . غير أن الصوت المتهدِّج ، الذي لايسمعه كاشاجو ، وقف منتصباً بالجنية التي أطلقته من حنجرتها . فتحت راحة يدها المكسورة الأصابع أمام بصر سلطان زينافيري هادرةً :

- ذهبت ذبابتي .

قلَّب لسانُ كاشاجو الكلماتِ القليلةَ ، المذهولةَ ، على وجوه طَعْمها :

- ما بها ذبابتك؟ .

«أُفلتت من يدي» ، ردَّت الجنيَّة الملوَّعة .

«هذا حظٌّ بعضنا أحياناً» ، قال كاشاجو تعقيباً غيرَ مكتمل ، إذْ قاطعته الجنية المهتزة الذراعين :

- ثمتَ من أفلتها من يدي .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو وسط غمغمات المنجمين ، وبعض أسياد فِرق المحاربين ، والقريبين من موكب سلطان زينافيري .

«حملتُ الذبابة ثمانية وثلاثين يوماً في راحتي ، حتى صباح اليوم . مرَّ بي مَنْ ضرب على يدي بعظم فتراخت أصابعي الما تكسرتْ ، وأُفلتتِ الذبابةُ» ، قالت تلك الجنية . رفعت يدها المرتجفة مؤكِّدةً لبصر سلطان زينافيري نكبتَها .

«من كان؟» ، ساءلها كاشاجو مستفظعاً .

«لا أعرف . كان مغطى الرأس» ، ردت الجنية الملتاعة . «حدث الأمر على نحوٍ خاطف . مَنْ فعل ذلك فعلَ عن قصد» .

تبادل المنجِّمون نظرات استنكار ، واستغراب ، يتمازجُها تأويلٌ لم يهيئوا ترتيبَ مقدِّماتٍ له من عقل الريبة .

«أمتأكدة أنت أن الفاعلَ قصد ذلك بتصميم؟» ، سأل توهتو الجنية المتبلبلة . «ربما أصيبت يدُك عن خطأ» ، استرسلَ يتدبَّر مخرجاً لفعلة أقلقَه أن يكون الصوابُ هو حدوثها عن قصدٍ ، بتخطيطٍ وتصميمٍ معاً .

«جاءت الضربةُ على يدي بتصميم من الضارب» ، قالت الجنية المتلوِّعة بلا تردُّد ، واثقةً من حُكمها .

«أكان الفاعل على دراية بما في يدك؟» ، ساءلها توهتو ، فردَّت :

- قَطْعاً .

«هو يعرفك ، إذاً» ، أردفَ توهتو .

«ربما» ، ردت الجنية . «بل الأرجح أنه يعرفني ، ويعرف أنني أحتضن ذبابةَ الإستنسال في راحتي» .

«أحدثَ مثل هذا ، قبلاً ، في زينافيري؟» ، تساءل الشاعر داميكو .

غمغم بعض الأسياد ، في موكب كاشاجو ، نَفْياً .

«إنها ساعتي . أنا هُوَ» ، قال مايشا بصوت واثق النبر . نظر إلى سانياري ذي الأذنين الكبيرتين : «أرى ذبابةً مغيَّبةً مثلك .اتْبعْها» ، قال ساخراً ، فردَّ سانياري هازئاً بدوره :

- بل ستتبعها قبائلُ الجن قبل أن يتبعك أحد سوى هاتين

المتولتين، أمّك والأخرى. من هي يامايشا؟.
«هي المشيئةُ متعلِّقةً بي»، ردَّ مايشا.
«إن كانت متعلقة بك فهل من ذبابةٍ تتشاركانها استنسالاً؟»، قال سانياري. التفت إلى الشاعر الآخر الصامت، شريك داميكو في المَجْمَع:
- اخْتَرْ لهما ذبابةً من عصر ما قبل نشأة الجن. قد يَرِثانِ بها ما نالَ كلُّهم أباءُ أنفسهم، ياتُوْكا.
«إنْ تَكَلَّم توكا وسمعتَه، ياسانياري، تكن في غيبةٍ حقًّا، مستجباً»، عقَّب مايشا.
«أقلتما شيئاً؟»، ساءلهما كاشاجو بغتةً، عقب انصرافه جهات يستوضح الجنيةَ الملتاعةَ في شأن نكبتها. «ماذا لو كلَّفناكما استقصاءَ الفاعل؟».
«كأنك ستكلفنا عدَّ الرمل في زينافيري، ياكاشاجو. أَوْلى بهذه الجنية أن تستقصي، في خيالها، خطوات الفاعل. لقد حام حولها قبلاً. لقد اقترب منها قبلاً. ولربما حادثَها قبلاً»، قال سانياري. «لكن إن أردت حقًّا تكليف أحد، فعليك بمايشا. قد يستخبر من أمه، ومن الأخرى التي معه، دافعَ أحدٍ من الجن إلى إجهاض الذبابة من يد أحدٍ آخر. لإناث زينافيري خيالُ القيَّافين».
«دَعْكَ من هذين، ياكاشاجو»، قالت المنجمة بونيا، وهي ممسكة بعضد الجنية المنكوبة مواسيةً. «هذا أمرٌ لايؤخذ على سخرية يتكلَّفها هذان». أشارت بعينيها، وبصوتها النَّقْر من لسانها على سقف فمها، إلى مايشا وسانياري.
نضنض كاشاجو بلسانه. أدار وجهه إلى وجوه أُمناء أسرار

الثلاثة : لِيْكْمورا ، آمَارُوْك ، دَايْجيْك المفقود الساق اليمنى ، وكذلك على بعضٍ من سادة فرق المحاربين في موكبه : «من أين نبدأ؟» ، سألهم بصوته الحجر .

«من الجنية المنكوبة» ، ردَّ دايجيك ، أمين تجارة القصر مع القبائل . «فلْتصحبْ جنيًا من الجلاوزة المطايا الجبارين ، وليبدأ ، من موضع الحادثة ، بحثاً عن مشتبه» .

«أهذه علامة ، أم ماذا؟» ، تساءلت بونيا ، خارج مُقترَح دايجيك ، بصوت شكٍّ . «لم يَحدث الأمرُ قبلاً في زينافيري . لم يُجهِضْ أحدٌ أحداً ذبابتَه» .

«فِعْلة كهذه لاسابقة لها ، ياكاشاجو . فلْنستعرضِ الاحتمالات» ، قال خاميدس ، فعقَّب عليه آماروك ، أمين شؤون الحصون الرمال على تخوم إقليم زينافيري :

– احتمالان لا أكثر : إمَّا انتقامُ أحدٍ من هذه الجنية ، وإمَّا خطة من ماشفير لبلبلة جنِّ زينافيري بحادثٍ لم يشهده قبلاً إقليم زينافيري .

«ماشفير» ، تمتم كاشاجو الاسمَ في حقد . نضنض بلسانه . تساءل :

– إن كان الأمر من تدبير ماشفير ، فما الغاية؟ .

«هذه ليست خطة من ماشفير ، في الأرجح» ، قال أمين خزائن العظام في القصر ليكمورا الشديدُ النحول ، ذو الخمار الجلد على رأسه . أردف : «هذا إشعارٌ» .

«إشعار بماذا؟» ، تساءلت بونيا ، فردَّ ليكمورا :

– إشعار بأن التقويضَ قادمٌ .

«أظنُّها مبالغة منك» ، قال كاشاجو . «ذبابة أُفلتت من يد

صاحبتها ، بضربة مقصودة ، أو غير مقصودة ، هذا كل ما في الأمر» .

«الخطط الأكثر إحكاماً تكون معلنةً على الأبصار ، من غير إثارة للريبة» ، عقّب ليكمورا .

«أحضِروا قيّافَ البروق وِيْلابُو» ، قال كاشاجو ، مزمِعاً إنهاءَ استطراداتهم . «فلْيرافقْ هذه الجنية المنكوبة بحثاً عن أي شيء» . شدّ العصابةَ الجلدَ المتراخية حول رأسه : «والآن ، ماذا كان حديثنا قبلاً؟» .

استدرك مايشا النقلةَ من موضوع إلى آخر ، متسائلاً :

- ماذا في استطاعة قيّاف البروق أن يصنع ، ياكاشاجو؟ .

«ماالذي يقلقك أنت من هذا الأمر؟» ، ردَّ كاشاجو ببعض الازدراء . «وِيْلابو سيقتفي أثرَ الذبابة ، التي أُفلتت من يد هذه الجنية» . أدار وجهه صوب هايكاهيكسين . صرخ :

- من أنت؟ .

بدت هايكَاهيكسين واجمةً مُذ لحظت من كاشاجو صرخةً مقذوفة إليها بتحديد . تقدمت صوبه . أخرجت من جعبتها فاكهةً جافة . مدت يدها بالفاكهة إليه . وجم كاشاجو ، بدوره ، من الحركة اللامفهومة .

«تسألك هايكاهيكسين أن تأكل من طعامها ، ياكاشاجو» ، فسَّر خاميدس .

تناول سلطان زينافيري حبّتي فاكهة بأطراف أنامله الطويلة ، كأنما يحاذر أن تتّسخ . استدار إلى سانياري ، ومايشا . غمغم : «افتحا يديكما» ، ثم أسقط حبّةً في يد كل منهما إذْ فَعَلا . «كُلا» ، قال آمِراً .

«أهذه طريقة إعدام مبتَكَرة ، ياكاشاجو؟» ، ساءله سانياري ، ....ئاً في الأمرِ مزاحاً .

«أنت في غيبة . لستَ هنا . لستَ في أيٍّ مكان ، ياسانياري . ما خوفك من أكل طعام الحيوان؟» ، قال كاشاجو .

«لا بأس» ، ردَّ سانياري . «سآكل هذا الطعام إن أكله مايشا قبلي» . حدَّق إلى مايشا المتردِّد الخيال في أخذِ ما أمرهما به كاشاجو على محمل الجدِّ أم المزاح . «ههْ» ، همس سانياري يستردُّه من شروده : «عليك أن تتدرَّب ، يامايشا ، على طعام الحيوان . إنْ اتَّبعتك قبائلُ الجن لن تجد عظاماً تكفي أجوراً لجيوشك ، وطعاماً لأتباعك» .

تباعد بعضُ المحيطين بسلطان زينافيري مُذْ حضرت زوجته شيكتان راكبةً ظهرَ مطيتها نينيسو الأنثى الضخمة . ثم لم يلبث أن تباعد آخرون من حلقات الحشد باندفاع ويلابو ، قيَّاف البروق ، مُتْقَنَ الوثب من غير سعةٍ في القفزات . لم يتردد في تثبيت صوته المتماوج على مرمى لسان كاشاجو : «أُبلِغْتُ أنك تستدعيني» ، قال الجني ذو الوشم الخطوط أربعةً بيضاً على جبهته ، والنقطتين الصفراوين على الذقن . ضمَّ ثوبه المنتفخَ حول جسده المفرط طولاً فصَّله من جلد ابنتيه وزوجته قُتِلْن في عراك ، فانتقم لهنَّ بقتل سبعة وسبعين جنيًا من ذرية القاتليْنَ ، ذكوراً وإناثاً ، صغاراً وكباراً ، في فورة خَبَله من هول الأسى ، ثم أهدى عظامَ المقتوليْنَ إلى خزنة سلطان زينافيري ، وصعد باللحوم محمولةً في قُفة على رأسه إلى طيور لاكيلا ، فوق الهضبة الحمراء . يُقال إنه لعق بلسانه قطعة من تلك اللحوم في هذيانه لوعة على ابنتيه . غير أن أحداً لم يجرؤ ، في زينافيري ، على الانتقام منه للعدد الزائد من القتلى بلا موجب .

«ماذا تَقْفُو هذه الأيام؟» ، سأل كاشاجو الجنيَّ العظيم الوثب ويلابو .

«البروق ذاتها ، ياكاشاجو . ما يظهر منها شرقَ زينافيري ويختفي ، يظهر ثانيةً في غرب زينافيري» ، ردَّ ويلابو ، ذو الشعر الرمادي محلولاً على الجهة اليمنى من رأسه ، والمضفور أربعاً جدائلَ على يسار رأسه . أضاف : «للبروق في أرضنا أبٌ واحد» .

«متى ستُحضر بعضها إلى القصر؟» ، ساءله كاشاجو ، فرد ويلابو :

- حين تشاء .

«جيِّد . لكنْ لأَقُلْ لك الآن لِمَ استدعيتك» ، قال كاشاجو . نظر إلى الجنية المنكوبة :

- أسعيتَ قطُّ إلى اقتفاء ذباب ، ياويلابو؟ .

«ذباب» ، تمتم ويلابو مستغرباً . «أيُقتفى الذبابُ؟» ، تساءل باستنكار .

«أيُقتفى الذبابُ ، يامايشا؟» ، سأل كاشاجو الجنيَّ المصحوب بأمه ، وبأخرى لم يُعلَن نَسَبُها .

«كل شيء يُقتفى» ، ردَّ مايشا . «للمشيئة أقدام كأقدام القرود تقبض بها على آثار الخفيِّ» .

«فلنسألْ ويلابو ، إذاً ، أن يقتفي ذبابة هذه الجنية ، ويستخبرها حين يعثر عليها ، عمَّن أطلقها» ، قال كاشاجو .

مطَّ ويلابو عنقه مستوضحاً بعينيه ، في صمت ، ذلك اللغز من حديث كاشاجو ، فتنبَّه سلطانُ زينافيري إلى حيرة قياف البروق . ربت على كتفه :

لا تقلق . اصحبْ هذه الجنيـة المنكوبة ، وستـتـفـقـان على شيء مّا تفعلانه .

غادرت الجنيةُ المنكوبةُ المعبدَ في رفقة قياف البروق ، سارحيْن سعاً ، بخياليهما المتجاوريْنِ في نظام الشكّ ، على أفقٍ موصد : لا احتـمـال لمعـرفـة الفـاعل . ويلابو لم يكن على يقينٍ في جـدوى تكليفه عـملاً لايعرف حتى الظنُّ مدخلاً إلى انطلاقه . هو قياف بروق تكلَّف مهمة اقتفائها بنفسه منذ مقتل ابنتيه وزوجته ، في عراك ، ذات يوم ، على مَن الأَوْلى منهن ، هُنَّ أم جيرانٌ شاركتهن أنثى منهم في صيدِ نعامةٍ ، بحمل لحم النعامة إلى طيور لاكيلا المقدسة . تهارشت العائلتان . تقاذفتا بالعظام المسنونة .

لم يكن ويلابو حاضراً . عاد إلى مسكنه ففُجع . انتقم جامحاً مهتاجاً . ثم بات ، إذْ هدأ ، واضحاً في قصده اقتفاءَ البروق يراها جاريةً في سماء زينافيري بقرع حجريٍّ ، فيختطف نفْسَه وثباً ، كالبروق ذاتها ، إلى كل ناحية تَنشقُّ عن غصونها النار : إنه يريد اقتناص واحد منها هو الأكثر تفرُّعاً بشعَبه اللهب : «ستشاركني أنثى في الاستنسال ببرق أضعه في يدها بدلَ الذباب . ستشاركني برقاً بثمانية وأربعين لساناً من لغات ممالك الجن في الأعالي . ما نستنسله بالذباب نَسَلٌ يُقتَل . ما سأستنسله بالبرق لن يموت» .

أهل زينافيري مقتنعون ، على نحوٍ مَّا ، باقتدار ذلك الجني الجبار ، ذي الوثب المذهل ، على اعتقال برقٍ ذات يوم ؛ على إطباق يده الضخمة على برق . لكنهم لم يحسموا مَنْ ذِي التي تقبل مِن إناث الجن بمشاركة ويلابو برقَه ، وأيُّ نسلٍ سيجترحان من جوف كُرةٍ حجرٍ .

كانت الجنيَّة المنكوبة بلا يقين ، مثل ويلابو ، في جدوى

تكليفه عملاً لا مدخلَ إليه : ماذا إن وقفا في الموضع حيث حدثت الواقعة؟ أَتَرِكَ الفاعلُ ظلَّه وراءه هناك ، وهما سيحملانه إلى كاشاجو فيُلْبِسَه أجسادَ الجنِّ في زينافيري ، فإن ناسبَ أحدَهم مقاساً اعتقلَهُ كاشاجو؟ هي مضت بقياف البروق إلى المكان المقصود ، وعلى الأقدار الخُضْر ، كنمور واحة كيما ، أن تنجز خيبةً أقلَّ خشونه من نكبتها .

كثيرون غادروا المعبد من أهل الحشدِ الفضول ، بعد إلقاء نظرات التأويل المذهول على الأنثى الآدمية ، من تلقاء أنفسهم ، أو بأمر من كاشاجو . اتسع المكانُ على رحبه بعد ضيْق ، فتسرّى سلطان زينافيري بالتجوال ، بموكبه ، في الأنحاء الشاسعة متأمِّلاً تصاميم الجدران ، مُريحاً هايكاهيكسين قليلاً من حصار الأسئلة التي لن تفهمها ، ومجاري الشروح التي لن تفهمها ، ولن تفهم ، بالطبع ، حيرتهم في أنها أنثى آدمية من نشأةٍ لاتشبه مخلوقات زينافيري .

«منذ متى لم يدخل المعبد أحدٌ ، ياخاميدس؟» ، سأل كاشاجو كبيرَ المنجمين .

«لا أتذكر» ، رد خاميدس . استدرك : «بل أتذكر . أنت وآماروك كنتما هنا قبل عامين» .

«هكذا إذاً» ، تمتم كاشاجو . «سألناك عن الأزمنة الناضجة لاستنسال المنجمين» .

حدق خاميدس إلى القلادة يتدلى منها منقارُ طائر أحمرُ ، في عنق سلطان زينافيري . استشرف من حاضر برهته مغيبَ اللقاء القديم ، في المعبد ، قبل عامين . صحَّح الخبر عن زيارة كاشاجو :

– لا . سألتماني عن خسفٍ هَضَّ حصنين رمليين في التخوم

[illegible] غار الحصنان ، فأردتما أَحكاماً في أمر الخسف .

«أذلك كان ما سألناك فيه؟» ، قال كاشاجو . رمى بصره إلى الأنثى الادمية :

– ماذا نفعل بها؟ .

«إنسَ أمرَها» ، ردَّ خاميدس . «هي وديعةٌ ، كما ترى ، لاتؤذي . وفي المعبد متَّسعٌ» .

«يخطر لي أن آخذها إلى القصر . سأضمها إلى أقفاص الذئاب الصُّفر في حديقتي» ، قال كاشاجو ، فغمغمت شيكتان اعتراضاً . نزلت عن ظهر مطيَّتها وهي تلقي الكلمات واضحةً أمام عيني زوجها ولسانه :

– أتتسع يدُها الصغيرة لذبابة؟ .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو مستغرباً ، فانبرى داميكو الشاعر بهبوبٍ من صوته :

– سأضع ذبابتي في يدها .

«قصدتُ أنا أن أشاركها ذبابةً» ، قالت شيكتان متعمدةً إثارةَ زوجها ، فاستُثيرَ كاشاجو :

– أتنشَّقت ، أنت أيضاً ، غبارَ الهذيان؟ .

«خاطبتُ هايكاهيكسين شعراً» ، قال داميكو مذعوراً من مُقتَرَحِ شيكتان . «أنت أنثى» ، قال لها بخوفٍ من أن تُنتزَع منه بزرةُ الريح سقاها خيالَهُ ـ بزرةُ رغبته . أضافَ : «هايكاهيكسين في شِعري الآن . يدُها في شِعري مطبقةٌ على ذبابة» .

«ماذا تفعلان هنا؟ لماذا لستما في مَجْمع الذباب؟» ، سألت شيكتان الشاعرَيْن داميكو ، وتوكا ، فأعادها كاشاجو إلى سياق حديثها الأول ، المستثير :

لا تكرري ماقلته ، ياشيكتان .

«ماذا ستفعل لو احتضنتُ ذبابةً أربعين يوماً في يدي ، ثم أودعتُها يدَ هايكاهيكسين؟» ، ساءلته شيكتان متمادية في استثارته عقاباً ، ربما ، على مُقتَرَحِه أخذ الأنثى الآدمية إلى حديقة القصر ـ الحديقةِ العظام الأقواس الوسيعة ، العالية ، فوق أقفاص الذباب الصفر يرعاها خَدَمٌ لاحتفالات السَّلْخ حيَّةً .

«سأقطع يدها» ، ردَّ كاشاجو مهدِّداً بصوتٍ زفير .

همَّت شيكتان بالكلام ، فقاطعها زوجها من فوره :

– سأهدم مَجْمَعَ الذباب إن تكرَّر على لسانك ما قلتِ .

«لا تبالغ في غضبك . لم أُرِدْ إثارتك إلى هذا الحد» ، قالت زوجته بصوت رقَّقته كالنَّقْر خفيضاً .

«ضعي صوتاً آخر في فمك بعد اليوم» ، همهم كاشاجو ، فاسترضتْه شيكتان تلجمُ تماديه :

– خُذ هايكاهيكسين إلى حديقة القصر .

«لن تذهب هايكاهيكسين إلى أيِّ مكان» ، قالت المنجمة دونيا . «هي تجتذب أهل زينافيري إلى المعبد . فلْتبقَ هنا» .

تراقص شعرُ الأنثى الآدمية ، المُرسلُ طليقاً على كتفيها ، من تصادم أجنحة الريح الصغار . شلالٌ من الهبوب انحدرَ قويًا من قبة المعبد المفتوحة ، فلاقاه عصفٌ منفلت من البوابة الكبيرة . روافدُ ريح أخرياتٌ ، رِقاقٌ ، انسكبت من خلل الثغرات في الجدران العظّام . تعانقت مجاري الريح ، وتلاحمت زوبعةً صغيرة دارت حول هايكاهيكسين . تراقص شعرها كحواشي ثوبها . تعابثت الخُصلُ بصوت لن يسمعه أحد . قبضت الأنثى الصامتة بيدها على مجتمع الشَّعر فوق القذال تثبِّت فُوضاه على نظامٍ عليل لم

يلبث أن تبدّد ، وتقوّض ، إذْ أرخت يدها عن شعرها .

«لماذا لا نعقد شعرَ هايكاهيكسين ضفائرَ مثلنا؟» ، تساءلت بونيا . غمغمت مضيفةً : «ثوبُها . ليس جلداً ثوبها» . تقدَّمت وثبةً من الأنثى الآدمية . تحسست بأناملها القُماشَ الأزرق ، المُرخى طويلاً حتى عقبَيْ قدميها الحافيتين . «خطر لي ، مراراً ، أن أتحسس ثوب هايكاهيكسين» ، قالت المنجمة . «لكنني تجنبتُ إجفالها» . استدارت إلى شيكتان : «تعالي . المسي هذا الثوب . رقيق ، ناعم . ممَّ صُنع؟» .

تقدمت شيكتان بدورها ، وثباً قصيراً ، إلى الأنثى الآدمية . لمست بأناملها قماشَ الثوب فوق كتفها اليمنى . تنهَّدت من منخريها الثقبين :

- نسلُ مَنْ هايكاهيكسين ، هذه؟ .

«هي ، قطْعاً ، من نسل لا يحضنون الذباب في أيديهم للاستنسال» ، ردَّ توهتو من موضعه قرب كاشاجو .

وَثَبَت نينيسو ، مطيةُ شيكتان ، وثبةً رشيقة لتنضم إلى راكبتها والمنجمة . باحت بتخمينها :

- هي من كائنات تحتضن في أيديها بَيْضَ الطيور .

تأملتها شيكتان مستغربة ذلك التقدير :

- لا أرى ريشاً على أي موضع في جسد هايكاهيكسين ، يانينيسو .

«لا أجنحة ذباب لنا» ، عقَّبت بونيا . «أَوْلى أن تكون لنا أجنحةُ ذباب ، لاأرجُلَ جراد» . حامت حول هايكاهيكسين : «ما تقدير نوعها للفردوس كيف يكون؟» .

«لاتفكر مخلوقات كهذه بالفردوس» ، قال مايشا .

«أن لاتفكر هايكاهيكسين بفردوس فذلك أفضل من انحدارك إلى التبشير بفردوس أبيك» ، قال سانياري . «ما فردوسنا ، ياخاميدس؟» ، سأل كبيرَ المنجمين من غير التفات إليه ، ثم ردَّ نفسه مستبقاً : «نعود إلى الصميم النار في الشمس ؛ إلى الغاطبات الدائرية بألسنة من لهب» . قرَّب وجهه من وجه مايشا . سأله بنبرٍ زفير :

- ما فردوس أبيك ، التي ستتبعك قبائلُ الجن الموتى إليها؟ .

«عصيٌّ عليك ، ياسانياري ، فهمُ اللذة أبعدَ من عظام تأكلها» ، قال مايشا . أدار وجهه صوب أمه المدّهنةِ الوجه سواداً ، لكنه ظلَّ متوجهاً بخطابه إلى سانياري : «ستذوب عظامكَ متعةً لو مسَّ خيالَك رفيفُ جناح من فَهْم مافي خاطري» .

«أرني فَهْمَك كي أتبعَك» ، قال سانياري ، فردَّ مايشا في سخرية :

- أنتَ موصَدٌ . أنت محتجبٌ ، في غيبةٍ ، فكيف لي أن أُرِيَ غائباً آيةَ أبي؟ .

«أرِ الحاضرين هنا شيئاً من آية أبيك» ، قال سانياري .

«لم يسألوني» ، ردَّ مايشا . فتح ذراعيه أمام بصر كاشاجو والمحيطين به : «الموتى في لذة ، لامن رؤية شيء ، أو لمس شيء ، أو تذوُّقِ شيء ، في كهوف أبي . كلُّ عضو من أجسادهم متخمٌ لذةً لاتوصف . هم يفقدون ذاكرتهم ، في نهايةِ يومهم ، ليُمَتَّعوا باللذائذ ذاتها في اليوم التالي كأنهم استحصلوها أوَّل مرة» ، قال . ارتعش من ضفائره حتى ساقيه ـ ساقي الجرادة : «أنا هو» ، دمدمَ . «مستني الذئبُ المضيء» . زفرَ قوياً : «سيأكل المنجمون يوماً معبدَهم عظاماً عظماً» .

«ذئبـه المضيء لايشـبـه ذئبنا الطيفَ الأبيض . ذئبُـه وحيُ أ...» ، قال خاميدس . أردفَ : «لانخاف وحي أبيه» .

«سيأكل أهل زينافيـري بيوتهم العظام» ، دمدمَ مايشا . ارتدَّ على أمه فصفعها هائجاً :

– لماذا جئت بهذه الأنثى الأخرى معك؟ أتمتحنينني؟ أنا رؤيا أبي .

في وثبٍ متماثل ، جنباً إلى جنب ، دخل ريكما ، والفتاة المحاربة سوكٍ ، إلى المعبد . انضما إلى موكب كاشاجو ، الذي حدَّجه بنظرة ازدراء :

– كم قتلتَ ، وأسرتَ ، من محاربي ميهو الهاربين؟ .

«اعتقلتُ لصوصاً من أتباع مِيْسُوْدَا الأعمى» ، ردَّ ابنُهُ ريكما .

«أين ملجأ ميسودا؟ هل استنطقتهم؟» ، ساءله أبوه ، فردَّ ريكما :

– خَلَعْنا سيقانهم ، وكسرنا عيونهم الحجر في أوْقابها ، لكنهم لم يعترفوا إلاَّ بشيء واحد : سينضم ملكهم ميسودا الأعمى إلى ماشفير الأعمى .

«على ماذا يتفق الأعميان؟» ، تساءل الشاعر داميكو .

«على نهب زينافيري» ، ردَّ دايجيك ، أمين تجارة القصر مع القبائل ، ذو الساق اليمنى المفقودة ، ثابتاً على ساقه اليسرى في توازنٍ محسوب .

«لاأرى اتفاقاً على هذا بينهما» ، قال المنجم توهتو . «ماذا يجمع الأعميين؟ ماشفير يريد تشريد الجنِّ كلَّ فردٍ في فلاةٍ قَفْرٍ ، وميسودا يروم المخازن في تجمعات الجن» .

«ربما سيُعين ماشفير ملكَ اللصوص ميسودا على إفراغ مخازن

الجن ليتشردوا» ، عقّب ليكمورا ، مستشار كاشاجو الأمين على خزائن العظام في القصر .

لم يلتقط كاشاجو بلسانه مذاقَ الأصوات في أفواه المتحدثين ، إذ شغلت عينا سوك الصغيرتان عينيه . رفع يده مومئاً بأصبعه استدعاءً .

قرَّب خاميدس رأسه من سلطان زينافيري ليمكِّنه من الإصغاء بلسانه إلى سؤاله :

– ماذا تريد ، ياكاشاجو؟

«الرسَّامات» ، تمتم كاشاجو .

أدار خاميدس وجهه على أرهاط الموكب ، فلم يستغرقه البحث سوى برهة . لمح الرسامات الأربع مجتمعات في ركنٍ غير بعيد ، تستعرض إحداهن على الأخريات ما اجْتَلَتْ رسْماً بالحجر من شكل هايكاهيكسين . ناداهن : «دُوْيَان . رَانِيْــلا . آرْدو . زاي» ، فالتفتن إليه . أشار بيد إليهن أن يتقدمن ، وبالأخرى إلى كاشاجو تدليلاً على أن سلطان زينافيري يطلبهن ، فوثبن وثباتٍ قصاراً ، متواقتةً . وقفن قبالته ليسمعْنَه ، ويسمعهن بلسانه إنْ تكلمن .

«ارسمن سوك على الوجوه الأُخَرِ من ألواحكن» ، قال كاشاجو بصوته الحجر .

طقطقت أسنان الرسامات تبليغاً باعتكافهن ، سُراعاً ، على إرضاء كاشاجو . حدَّقن لحظةً إلى سوك ، ثم مرَّرن أناملهن ، باقتدار القبض فيها على الأشكال ، فوق الصفافيح السود الألواح ، كأنما يعتقلن الملامحَ خطوطاً وَهْماً أولاً ، قبل أن تَصِرَّ حجارتهن الأقلام صريرَ اللون الناطق : كُنَّ يستعرن المحاربةَ سوك للإقامة في إقامة الرسمِ على ظهور الألواح الحجر لإقليم هايكاهيكسين الرسم .

تهدّلت شفة شيكتان الممتلئةُ ، السفلى ، امتعاضاً . غمغمت بدون نقر ، فعجّلت مطيّتها نينيسو وثباً إلى جوارها . اقترب منها سانياريَ أيضاً ، مُذْ رآها اعتكرتْ من اهتمام زوجها بالمحاربة سوك على نحوٍ غير معهود . كلمها مواسياً في مايشبه الدعابة :

- حين أظهرُ غيرَ محتجبٍ ، سآخذ إقليم زينافيري معي إلى غيبتي الجديدة بين ممالك الأعالي .

«لا تتكلمْ . ظلَّ في غيبتك» ، قال مايشا المقترب من الرسامات تتبعه المرأتان . أردفَ سائلاً :

- أية أمكنة تختارها لغيبتك واحتجابك ، ياسانياري؟ .

«أختار الأمكنة المعلّقة» ، ردَّ سانياري .

«ماالأمكنة المعلَّقة؟» ، تساءل مايشا ، فردَّ سانياري :

- الأمكنة التي بلا يقين ؛ بلا شك ؛ بلا حدائق ؛ بلا محاربين ؛ بلا تجارة ؛ بلا منجمين ؛ بلا معابد ، حيث لاتأهُّب لملاقاة شيء ؛ لا توقعات ؛ لا انتظار . الجنيُّ ، في الأمكنة المعلّقة ، لايعرف نفسَه ، ولا يعرف جنًا آخرين . غيرُ مَعْنيٍّ مُذْ لا مَعْنى ، وهو في ذهول ، وَدَهَشٍ لامن رجاء أو خوف . حال كالغيبوبة حالُ الأمكنة المعلَّقة ، يامايشا ، والجنُّ المغيَّبون ، المحتجبون ، مثلي ، يهتدون إلى بواباتها بعقل الجراد قبل الدخول ، ويتجولون فيها بعقل النسيان بعد الدخول . للجن تجوالٌ ، هناك ، في نسيانهم ذي الطرق المائية .

«أمكنة تليق بك حقًا» ، عقَّب مايشا مستهزئاً . «طرق مائية» ، قال في لعثمة مقصودة . تصنَّع حَذَراً : «لا تقترب مني ، ياسانياري . أنت مبتلٌّ» .

«خذا أحاديثكما إلى الأعمى ماشفير» ، صرخت بهما

شـ يكتان ، مصرِّفة استياءَها من زوجها عليهما ، فتراجع سانياري ، ومايشا ، مبتعدين .

«أغلقوا هذا المعبد» ، صرخت شيكتان ثانيةً . تقدَّمت من الرسّامات بتحديق وزَّعتْه عنيفاً على وجوههن ، وصفافيحهن الألواح . كُدْن يوقفنَ الرسمَ لولا احتداد كاشاجو ، بدوره ، لكن من غير هياج :

- ارسمْنَ سوك وقد سجد لها المنجمون خشوعاً .

تبادلت الرسامات النظر بعضهن إلى بعض . قِسْنَ الفراغات بالأصابع في ألواحهن على غمغمات وزفير من منخرَيْ شيكتان ، التي أمسك ابنها ريكما بذراعها ، ثم همَّ أن يمشي بها فأفلتت ذراعَها منه :

- إلى أين تمشي بي؟ .

«إلى البوابة» ، ردَّ ابنها . «امتطي نينيسو ، وغادري» .

«لماذا علي أن أغادر ، ياريكما؟» ، ساءلته أمه ممتعضةً . استدارت إلى زوجها :

- أنت مهينٌ اليوم .

«أقلت شيئاً؟» ، تساءل كاشاجو منضنضاً بلسانه ، مُذْ فاته ما قالت ، لكنه أدرك في الأبصار المتجهة إلى زوجته أنها تمادت هياجاً .

«أنت مهين» ، كرَّرت شيكتان ازدراءَها ، فبادلها كاشاجو ازدراءً :

- يدك مهينة ، ياشيكتان . كل ذبابة تحتضنينها في كفِّك تستحيل ذبابةً مُجْهَضة .

«أنت تحتضن ذبابة الاستنسال في كفِّك أولاً . يا... هو

الأمينةَ المجْهضة ، ياكاشاجو . أنفاسُك نَفْخاً على الذباب في كفِّك أنفاسٌ مجهِضة» ، قالت زوجته .

زأرَ كاشاجو غضباً فاقشعرَّ الرملِ في أرض المعبد ، وعلى محيط الجدران خارج المعبد . وثبَ وثبةَ السلطان الكبيرة فحاذى المحاربةَ سوك . فاجأها :

– شاركيني ذبابةَ استنسال .

تبلبلت سوك ، متوجهة ببصرها من كاشاجو إلى ابنه ريكما . جذبتِ الكلماتِ زحفاً من حنجرتها إلى لسانها . ردَّت :

– أنا وريكما متفقان على التشارك في ذبابةِ استنسال .

«أهذا اتفاقك معها ، حقّاً ، ياريكما؟» ، سألَ كاشاجو ابنَه .

«نعم» ، رد ريكما .

«لماذا انتظرتما حتى الآن؟» ، سأله أبوه .

«انتظرنا الوقت المناسب» ، ردَّ ريكما .

دار كاشاجو حول نفسه يزِنُ الزمنَ بميزان خياله . نظر إلى شيكتان خرساءَ من ذهول . فتح ذراعيه كأنه يحتوي جنَّ موكبه كلِّهم . «أسمعتم؟» ، تساءل . «ينتظر ريكما الوقت المناسب» . اقترب نصفَ وثبةٍ من سوك : «كان الوقت مناسباً فيما مضى ، فأجَّلتماه . مات الوقتُ المناسب ، وها أنا أعيده إلى الحياة وقتاً مناسباً لي» . تنفس في وجهها من منخريه الثقبين في جَزْمٍ حسْم . «سنختار الذبابة الأكثر طنيناً ، والأشدَّ هياجاً أيضاً يستكِّين لهَا جوفُ الكرةِ الحجر ، ويمتثل لها الظلامُ الذي سيحتضن وليدَنا» . نضنض بلسانه متوقعاً رداً ، فلم تنطق سوك .

لهث ريكما صامتاً كأمه ، منتفخَ الجلد حول منخريه . أدار كاشاجو بصره إلى ابنه : «أقلتَ شيئاً؟ سمعتُك» ، قال بنبرٍ ساخر .

«أنا أسمع كلَّ شيء اليوم بعينيَّ قبل لساني» . بحث عن غائبٍ بلا رغبة واضحة في العثور عليه : «أين المغني تَارْتُوك؟ أريد أن أسمع سوك غناءه» .

«قطْعاً هو في وادي الرمل الأعظم ـ مَجْمَعِ أرواح طيور لاكيلا الميتة» ، ردَّت بونيا .

«أين زوجته؟» ، تساءل كاشاجو ، في ثرثرةٍ هربٍ من لحظته ، فأجابته بونيا ثانيةً :

– تكون معه ، هي وابنتاه . كل يوم تلحق أرواح موتى جدد من طيور لاكيلا بَمجْمع الأرواح في الوادي الأعظم . تارتوك يغني لها .

«لماذا زوجته وابنتاه عاريات الرؤوس من الشعر؟ سألتُه مرة ونسيت ردَّه» ، قال كاشاجو ، فردت بونيا :

– يغدو غناؤه أكثر رقَّةً إذْ يصحبنه قرْعاً بالأيدي على رؤوسهن العارية . هُنَّ يتشبهن بطيور لاكيلا اللواتي بلا جلد أو ريش على رؤوسها .

صدمت شيكتان الرسامات بغتةً باندفاعة وثباً نصفَ دائريٍّ . أسقطت الألواحَ من أيديهن . قفزت مستقرَّةً على ظهر مطيَّتها نينيسو ، صارخة : «لن يكون لك ماتريد ، ياكاشاجو» . شدَّت ضفائر المطية كالرسن فانطلقت قفزاً كالريح في اتجاه البوابة .

وثْباً منكسراً لحق ريكما بأمه خارجاً من المعبد . كاد أن يصدم عميد المحاربين ماياكي في دخوله من البوابة يصحبه الجلاد رادبور ، والأسيران من أتباع ماشفير .

«هيْه» ، نادى ماياكي ابنَ سلطان زينافيري تنبيهاً : «مطية أمك كادت أن تطيح بنا» ، قال ، ثم واصل وثبَه المتأني ، القصير ، متَّجهاً إلى الجمع من حول كاشاجو .

«أنعْـزل لحمَ هذين المتـمرديْن عن عظامـهـمـا ، أم يتـدبر رادبور إعداماً على طريقته؟» ، سأل ماياكي سلطانَ زينافيري .

خياران في الإعدام عرضهما عميدُ المحاربين على كاشاجو ، كي يتصرف بتقدير الحُكْم وفق أحدهما مناسباً مثاقيلَ مزاجه هادئاً أو مستثاراً . فسلخ المعتقلين ، ونزع اللحم الليفِ الخشن ، والجافٍّ ـ لحم الجن ، تصرُّفٌ من إفراط في غلبة الَغضب ، لكنه يوفر اللحمَ لطيور لاكيـلا ، والعظام لخزْنة القصـر . أمَّا توكيل الجلاد رادبور بالإعدام على طريقته ففيه إتلاف لجسد المعدوم لا يتحصَّلون به لحـمـاً أو عظامـاً ، لكنَّه تدبيـرٌ في الاسـتنطاق توسُّعـاً في كـشف مؤامرة ، أو دسيسة ، وكذلك المحرِّضيْنَ عليها ، والمتصلين بها ، من أعداءٍ كماشـفير ، أو طامحيْنَ طامعين في سلطة أوسعَ لهم ، من مقرَّبين إلى قصر كاشاجو .

مهنة رادبور الجلادِ اختصاصٌ توارثته السلالة ، ذكوراً وإناثاً . هي مهنة استنشاق ذاكرة المحكوم بالإعدام من محجوب الدماغ كتنشُّق الجن الغبارَ . رادبور الضخم كالجن المطايا تماماً ، يُقسر المحكوم على الجلوس برأس مرتدٍّ إلى الوراء ، فيما يقف هو قبالته منحنياً عليه ، فيلصق جبهته بجبهة المحكوم ، وعينيه الحجريتين بعينيه ، متنفساً في موضع منخري الضحية زفيراً وشهيقاً يومين من أيام الجن بتمامها .

برهةً برهة يستجمع رادبور ، في ذاكرته ، ذاكرةَ المحكوم بخاراً يصَّاعد لامرئياً ، يتكاثف صوراً ناقصة ، أو كاملة ، أو غائمة لا يستقيم لبصر ذاكرة الجلاد استشرافَها هيئةً تُعْتَمَدُ كشفاً . أتباع ماشفير يتلقون من ماشفير نفسه تدريباً على تقويض ذاكرتهم إن اعتُقلوا . كل تابع ومريد يخضع لسلب ذاكرته ، واستعادتها على

نحو متقَن . ماشفير يضع عينيه العمياوين على عيني مريده نصف ساعة من ساعات الجن . يقوِّض ذاكرةَ المريد . يخلطها كرملٍ معصوف ، وسط حلقة من الجن يتبادلون زئيراً مدوِّياً . ثم يعيد إنشاءَ ذاكرة المريد وسط سكون يتخلله النَّقْر من جبين سلطان المتمردين على جبين المريد .

كلُّ من قُبِض عليه مطلوباً لسطان زينافيري ، ترضخ ذاكرتُه لكشف مكنونها على بصر ذاكرة رادبور المستنطِقة ، إلاَّ أتباع ماشفير : يزأرون أن افتضاحهم فيتلاشى الكثير من مكنون مايعرفون . رادبور يتقصَّى ، باستنطاقه الصامت ذاكرةَ المحكوم ، بقايا آثار فيها . وقد اقتصر ما استجلبه استنطاقُه ممن أخضعَهم ، من أتباع ماشفير ، على صور أنفاق معتمة ، متلوِّية المسالك ، لم يتأوَّلها المنجمون على وجهٍ يُرضي الأَفهام .

«أنفاق» ، كان رادبور يعرض ، بلفظٍ واحد ، كنزَه الفقير ، المُنتَشَل من آبار الرمال في أدمغة المتمردين على زينافيري .

«أنفاق لاأبصر فيها مخرجاً . لقد استبدل ماشفير ذاكرةَ كل مريد بنفق» ، ذلك كان تأويل عقله ـ عقلِ الجلاد . «أنفاق لا آثار فيها . لا اتِّجاه لها» . لكنه ، على أية حال ، يكون قد أنجز استنشاقَ كلِّ مدَّخر من خزْنة الخيال في المحكوم بالإعدام . وهؤلاء يُطلَقون ، في هذه الحَال ، أحراراً في أزقة زينافيري بلا ذاكرة ، يتبعهم الأطفال ساخرين ، مهدِّدينَهم بعظام طيور في أيديهم . والمحكومون الأحرار ، أولئك ، تتفتت أجسادهم ، رويداً رويداً ، عضواً بعد آخر ، بدءا بالعيون تسيل رملاً من محاجرها ، فالأيدي ، فالآذان ، فالشعر ، فالاكتاف ، فالأرجل ، فالرؤوس أخيراً . لايتبقى منهم عظمٌ يُحفظ في مخازن كاشاجو ، أو لحم يُرفع تقدمةً إلى طيور لاكيلا العُميان

عـاد مـاياكي إلى سؤاله في عـرض الخـيـارين على سلطان زينافيري :

– ما الذي ترتئيه؟ أننزَعُ لحم الأسيرين عن عظامهما حيَّين ، أم يتكفَّل رادبور استنشاقاً لذاكرتيهما؟ .

تفكر كاشـاجو قليـلاً . لكنْ صَرَفه عن النُطق بالحُكم مجيئُ راتو ، مطية مایاكي ، بأحمال على ظهرِه يقفز بها ، وفي يديه . أنزل مامعه أمام عميد المحاربين . تكَلَّم على عجل :

– هذه هي الفاكهة . هذا هو الماء . هذا حوض .

كيسُ جلد مليئاً فاكهـةً عُرض على مایاكي ، وكـذلك قِربة كبيرة ملأى ماءً ، وحوضٌ حجر ، صغير ، مما يسقون فيه الذئاب الصفر في الأقفاص .

كان مایاكي كلَّف راتو بالمؤنة للأنثى الآدمية . وقد أجابه راتو إلى ذلك فعجَّل بالمطلوب إلى المعبد . خاميـدس حملَ الحوضَ الحجر بنفسه إلى المحراب ، وحملت بونيا كيس الفاكهة ، وتولى توهتو حمل الماء على حَذَر من البلل ، على الرغم من الوِكاء المُحْكم إغلاقاً على فم القربة الكبيرة .

«أهايكاهيكسين حيوان؟» ، ردَّد كاشاجو الحُكْمَ سؤالاً لايعني به أحداً ، قبل أن يتنبَّه إلى التفات الوجوه صوب المنجمة بونيا ، بعد وضعَها كيس الفاكهة أرضاً : كانت تفتح ذراعيها للثغرة الواسعة في قبة المعبد ، هاتفةً :

– عاد طيفُ الذئب الأبيض .

لم يرَ أحدٌ طيفاً . لكن المنجمين تتبَّعوا الصورةَ الوهم بوجوههم تستدير على أنحاء المعبد كأنها تقتفي الحيوانَ الطيف راكضاً من ركنٍ إلى ركن ، هابطاً صاعداً ، متمرِّغاً في الرمل . ثم أبدوا ذهولاً

،مغماتهم حين بلغت أبصارُهم هايكاهيكسين جاثيةً تمرِّر راحةَ
..ها اليمنى على الفراغ تمسيداً .

«إنها تداعب طيفَ الذئب» ، همهمت بونيا .

توجهت الأبصار ، جميعاً ، إلى الأنثى الآدمية ، التي كررت حركات يدها تلك ، قبل أن تتوجه إلى المحراب فتفكَّ فمَ الكيس من الفاكهة . قلّبَتها تستجلي أنواعها الخشنة والناعمة . ثم عمدت إلى القربة فحلّت وكاءَها . ملأت الحوضَ الحجر ماءً ، وغمست وجهها كله فيه . شربت بلعتين . تقطَّر ماءٌ من بعض ذؤاباتها التي تراخت إلى الحوض إذْ غمست وجهها . مسحت عينيها الصغيرتين ، الخجولتين ، بطرف الوشاح البني ، الطويل ، المتهرِّئ ، ملتفًا حول خصرها فوق الثوب الأزرق . مدَّت كفَّها بغتةً فأطبقتها على جرادة طويلة الجسم . نزعت أجنحتها بأطراف أناملها . نزعت رأس الجرادة فسْخاً ، فأسالت خيطاً من المخاط تطاول عالقاً بين الرأس والجذع قبل انقطاعه . التهمت هايكاهيكسين الحشرة بتأنٍّ في المضغ .

همهم الناظرون تعجُّباً . كرَّر كاشاجو حكمَه على نوعها :

- هايكاهيكسين حيوان يأكل الفاكهة ، وطائر يأكل الجراد .

غمغمت بونيا مسترسلة بعينيها في تعقب طيف الذئب الأبيض . أمسك بها كاشاجو من كتفها . وجَّه بصرَها بإشارة من يده إلى الأنثى الآدمية . مطَّ عنقه من موضعه يتأملها مطويةَ الرِّجلين قرفصاءً أمام الحوض الحجر : «مَنْ أنشأ هاتين الرجلين؟ ليستا من أرجُل الجن ، ولا من أرجل الحيوان» . التفت إلى الأسيرين مُطْلِقاً جوابَه المؤجلَ عن سؤال ماياكي في أمرهما . هتف :

اكسُرْ أسنانهما أولاً ، يارادبور . اجْعلْهما أعميين .
«أأبدأ بالأسنان ، أم بالعيون؟» ، تساءل رادبور ، فرد كاشاجو كالموبِّخ :
- كَسْرُ الأسنان يجعلهما أعميين ، ياراديور . جنيٌّ بلا أسنان جنيٌّ أعمى .
انهال رادبور ، من فوره ، بالعظم المعقوف على الأسيرين ضربةً على كل فم . ثم اردفهما ، قبل أن يتمالكا توازنهما المتخلخل ، بصفعتين تطايرت ، من شدَّتهما ، أسنان الأسيرين متدحرجة على الرمل ، أو غائصةً فيه .
نهضت هايكاهيكسين مُجفَلةً قليلاً مذ أبصرت ناباً سقط قرب قدميها . حملت النابَ الطويل بأناملها توازِنُه قياساً بأسنانها الصغار ، فهرع كاشاجو وثبتين فاختطف النابَ منها . قرَّب وجهه من وجه الأنثى الآدمية مستعرضاً شدَّته . وضع النابَ المخلوع في فمه وهشمه طحناً بأسنانه الكبار القوية . مضغه لحظةً مستلذاً ، ثم ازدرَدَه . التفت إلى ليكمورا ، أمين خزائن العظام في القصر ، أهابَ به :
- أجمع الأسنان تلك لعشائي .
زفرت هَايكاهيكسين زفرةً لم يسمعها كاشاجو ، الذي عاد إلى حلقةِ مُصاحبيه في وثبتين قصيرتين . نظر إلى الأسيرين مذلولَيْنِ بشفاه تشرَّمت من ضرْبَتيْ رادبور . زأرَ في وجهيهما المُنتهكين :
- إن حظيتُ بسلطانكم ماشفير لن أقتله . سأقتطع أعضاء من جسده لايُميتُه اقتطاعُها . سأجفِّفها ، ثم أجلس قُبالته فآكل عظام تلك الأعضاء واحداً واحداً .
«لن يراك ماشفير . لن يرى استلذاذك بالتهام عظامه حيًا

مُهاناً» ، قال واحد من أسياد فرق المحاربين ، فردَّ كاشاجو :

- سيسمع عجيجَ عظامِه مطحونةً بين أسناني . سأتأنّى في ذلك . سأطيل المضغَ أياماً ، جالساً قبالته . بماذا أبدأ ، يابونيا؟ .

«بأسنانه» ، ردَّت بونيا .

«بل سأبدأ بعينيه العمياوين . سأنتزعهما من محجريهما ، والتهمهما أولاً» ، قال كاشاجو . صمتَ لحظةً . تساءل :

- أيسمعان؟ .

«الأسيران يسمعان» ، ردَّ رادبور . «هل الأمر لي الآن؟» ، ساءل سلطانَ زينافيري سماحاً ببدء استنطاقه .

«الأمر لك الآن» ، ردَّ كاشاجو .

«أأستنشق ذاكرتيهما هنا ، أم آخذهما إلى الساحة قرب هيكل الإله كوياسي؟» ، ساءله الجلادُ ، فرد كاشاجو :

- هنا . أمام بصر هايكاهيكسين .

عمد رادبو ، في عجلة ، إلى دفع أحد الأسيرين بذراعه اليسرى القوية ، فأجلسه أرضاً . وضع جبينه على جبين الأسير ، وألصق عينيه بعينيه . زفرَ زفرةً كانصباب الريح من فتحة قبة المعبد .

امتطى كاشاجو ظهرَ الجنِّي الضخم شاكْد . أمسك باثنتين من جدائل شعره كرسن ، متهيأً بموكبه للانصراف . هو لن ينتظر أن يكمل رادبور استنطاقه . لن يواكب بخياله ذلك النقلَ المتواصل من الحوضِ الرمل في ذاكرتيٍّ الأسيرين ، بِمغْرفة اللامرئيِّ ، إلى حوض ذاكرة رادبور . إنه استنطاقٌ سيستحصل ، في الأرجح ، ما استحصله الجلادُ من بعض أتباع ماشفير الأعمى قبلاً ، فلم يتأوَّله المنجمون أبعدَ من خُدعةٍ كمينٍ مموَّهة على صورة نفق في ذاكرة كل

تابع ومريد من المتمردين .

«نفق» ، تمتم كاشاجو الكلمةَ في الوثبة الأولى لمطيته منصرفاً . «سيعود رادبور بصورة نفق من ذاكرتيهما» . رفع وجهه صوبَ الفتحة الوسيعة في قمة المعبد . هتف :

– ما النفقُ ، أيتها الريح؟ .

توقف شاكد ، مطية كاشاجو ، بغتةً . خمدت حركته . خمدت حركة موكب سلطان زينافيري بأجمع أجمعينه . سكونٌ حجريٌّ غمر بهَلَله المنجميْنَ ، والرسامات ، والمستشارين ، وأسيادَ فرق المحاربين الثمانيةَ ، وشاعرَيْ مجمَعْ الذباب ، وحاملي بعض متاع كاشاجو الدائم انتقالاً معه ـ أسلحته العظام منوَّعةً ، وأكياس تحوي عظاماً يجود بها على النساء في عبوره الأزقةَ إلى القصر ، أو من القصر إلى الساحات .

ثبت كلُّ أحدٍ من الجن في موضعه ساكناً لا حراكَ في عضو من أعضائه : لقد خمدت الريح ، فجاءةً ، في إقليم زينافيري . لُجِمت ، وكُبِحت ، وغُلَّت بطوق في عنقها عن يد ريح أخرى تتبعها . إنه نظامٌ يستعرض متاهاته : ريحٌ تتقفَّى رياحاً فتَمسك بها . تلجمها . تمرِّغها في سكونٍ صلبٍ ، أجوفَ ، مختنق . تقفل عليها خَزْنةَ أعمار الريح ، ثم تعصف هي ـ الريحُ الجديدةُ عصفَ الأعماقِ الأكثر جموحاً ـ أعماقِ مراتبِ نشأة الريح .

في الوقت السكون من تعطيل ريح لريح ، يتعطَّل زمن الجن . تتعطل الأجساد . تتعطل الحركة . موكبُ كاشاجو استحال تماثيلَ حيَّةً تنتظر الهبوبَ اللاحق لتسترجع وثباتها ، وأصواتها . لكنَّ المعبد لم يسقط بتمام هيكله في شِراك السكون : هايكاهيكسين تجولت بين الجن المتجمِّدي الهيئات . مرَّرت كفها على الفراغ مراراً .

رشقتِ الفراغَ بحفنات من الرمل كأنما ترشق كائناً مّا . دارت حول نفسها .

لو كان في مستطاع المنجمة بونيا ، تلكَ البرهةَ ، أن تستعيد صوتها ، بهبوبٍ للريح الجديدة ، لارتعشتْ حبوراً :

- هايكاهيكسين هي شقيقة طيف الذئب الأبيض .

الفصل الرابع
(تلخيص المُحاوَرات)

وثبةً وثبة صعد كاشاجو الأدراج إلى الطبقة العلوية من قصره ، ترافقه سُوك . أدراج من عظام متجانسة السطوح ، قوية ، زادها متانةً حبالٌ جلدٌ أحكمت رصَّها .

من بهو القصر الشاسع ، الشبيه بجوف المعبد ، ترتفع تلك الأدراج إلى الطبقة العلوية ، المقسمة جناحين ، تقطن أحدَهما الإناث اللواتي يؤجِّرن للاستنسال مقابل عظام لخزائن كاشاجو ، ويقطن الآخر شاعرا مَجْمَع الذباب ، وسط الأوعية والحُقَق الحجر الشفيفة حُفرت أجوافُها ، ومُلئتْ ذباباً من كل نوع . أوعية ، وحُقق كُثرٌ لا تُحصى ، بأغطية من جلد ، في كل مكان من الجناح ؛ على رفوف ، أو في محاجر جماجم الحيوانات ، أو معلَّقة من أعناقها إلى السقف بسُيور جِلْد ، استُودِعَتْ ذباباً صغير الحجم . لكن ذباباً آخر ، كبيراً ، رُبط ، عند كل ثنية في الجدران ، بخيوط من شعر طويلة ، متروكاً حراً يرفرف طوال عمره ، من دون أن يحط على أي شيء ، حتى اليوم الذي يطلب الطالبون بعضَه للاستنسال . أنواع عديدة من الذباب في المَجْمع لايأكل قط ، سواء منه المقيَّدُ بالشعر من خصره طليقاً ، والمُحتَجَزُ في الآنية الحجر الشفيفة . ولأنواع الذباب أثمانٌ يدفعها طالبو الاستنسال ، لاتجاوز عظمةً واحدة مقابل ذبابة : عظام الجن السلامياتُ ، والأرساغ ، والرضفات ، وفقارُ

البهو، والترقوات، مقابل ذباب أكثر رفعةً. وعظام حيوانات مقابل ذباب وسط الصنف، وعظام طيور مقابل ذباب متواضع المَحْتِد. ذباب المَجْمَع لايأكل. هو ذبابٌ للاستنسال يحفظه الجن الذكور، والإناث، كلٌّ أربعين يوماً في أكفهم على التناوب، قبل نقله الى الكُرةِ الحجرِ الحاضنة.

تكاثَفَ الطنينُ أكثر كلما ارتقى كاشاجو، وسوك، الأدراجَ إلى الطبقة العلوية. طنينٌ ينتشر في البهو، وفي تجاويف عظام الجدران، كأنما يزاحم عزيفَ الريح ذاتها، التي تنسكب من البوابة المفتوحة أبداً، ومن الفتحات في جنبات القصر، ثم يغور في الأعماق، أسفلَ الرمل تحت البناء. كاشاجو وسوك قَصَدا إمتاعَ بصريهما بالمعروضات من خلائق الذباب في المَجْمَع يستنسله الشاعران ذُرّيات من سِفاد الأنواع المتخالفة، بدَرْسٍ متأنٍّ لخصائصها استخلَصاه بنفسيهما أحياناً، أو استذْكَراهُ مما نقل إليهما سَلفٌ منشئون لعلوم المزاوجات بحسب طباع الذباب.

في البهو، أسفل الدرج، كانت شيكتان تجول على الأرض الرمل للقصر ممتطية جنيتها نينيسو. ليس من عادتها ركوب مطيتها داخل القصر، لكنها منذ سماع أخبار الحفل الفخم لنقل الذبابة من كف كاشاجو إلى كف سوك، لم تنزل عن ظهر مطيتها نينيسو. قلقٌ موحش صَفَقَ قلبها كثوب جلد في عصف الريح؛ بل أبعد من قلق كان ذلك الضرامُ الملتهمُ أحَفَّةَ قلبها بأسنان ذواتِ صرير. خَدَمُ القصر، وسمَّار السلطان وزوجته، تجنبوا النظر إليها جائلةً كالذباب العادي جائلاً في كل ركنٍ، لايزعجه الجنُّ طرْداً إن حطَّ على أي موضع من أجسادهم، لكنهم لايتناسلون بهذا الذباب قط.

غمغمت شيكتان مراراً بأنصافِ حروفٍ مائلة في النطق،

. اداتها مطيتُها نينيسو الغمغمات . خبطت مراراً بكفها على ...رها استهوالاً لوعةً مما جرى ، فجَارتْها نينسو خبطاً على صدرها .
.ان الحفل العُرام ، المترَف ، العميمُ البذخ ، الذي أقامه كاشاجو بمناسبة نقل الذبابة ، بعد أربعين يوماً حَضْناً في كفه ، إلى كفِّ سوك ، منتشراً على كلِّ خلاء من الأرض حول مدينة إقليم زينافيري ، وقراها ، بلوغاً أحفَّةَ الهضبة الحمراء .

تبلَّغَ الجنُّ ، بعيدُهم من قريبهم ، مراسمَ الابتهاج . تواتُرُ نَقَلَ ما جرى بأصواتٍ سكبت أخبارَها في جداولِ أصواتٍ عَبَرت بها إلى أبعد التخوم . وصفٌ عمَّمَتْه المبالغاتُ ، والتقديراتُ ، مبنيًّا على فخامة الموكب الجامع أسيادَ زينافيري كلهم ، وصارِعيْ زينافيري ، ومباهج الأطعمة عظاماً من عظام الجن ، والحيوان ، والطير .

شيكتان لم تحضُرْ مراسمَ نقل ذبابة كاشاجو إلى كف سواك . إبنها ريكما لم يحضُر المراسم ، التي سارت بها الألسنةُ مع الريحِ سائرةً بأقدامها الرمل وثباً كالجن . موكب كاشاجو تخيَّر العراء غربَ الأرض الوهْدَةِ المنخفضة قليلاً ، حيث اتخَّذ صنَّاعُ مانعات الرياح أركانَها لبناء البروج السدود من جذوع أشجار واحة كيما . أحاط أسياد زينافيري بسلطانهم برهةَ نَقْلِ الذبابة من كف إلى كف . نفخ كاشاجو آخر مرة على راحة يده المضمومة ، في مخاطبة صمت - نجوى منه إلى الذبابة أن لاتخذل كفَّ سوك . رويداً رويداً فتح كفَّه داخل كف الفتاة . رويداً رويداً تلقَّفت منه سوك الحشرةَ الوساطةَ إلى استنسال الجن من الجن في كُرةٍ حجر .

أطبقت السماءُ ، فوق زينافيري ، على الأرض هياجاً صَخَباً من ابتهاج الجن ، ومن الغناء همهمات سكبتْها حناجر النساء سَكْباً ليّناً ، ومن نفير البوق الأوحد ، المعلَّق إلى الشجرةِ العظام .

دبّ المصارعون بأقدامهم الرملَ في استعراضهم براعةَ القوة . فجرّوا الرملَ وثباً ، باشتباكهم ، عن غبار تنشّقه كاشاجو وأرهاطُه الأقربون في حبور . أُطلقت الذئابُ الصفر من أقفاصها فسابقَها ، في هروبها ، الجنُّ الصيادون الضخام ، والجن المطايا . سدُّوا الفرارَ على الذئاب حلقةً . حاصروها . أسروها بأيديهم . سلخوها جذْباً من جلودها وهي حية . مرّغوا أيديهم كثيراً في الرمل ، بين سلخ وآخر ، اتّقاءً من بلل الدم المكروه .

على بعد نصف قفزة ، وراء ظهر كاشاجو الواقف ، صدحت حنجرةُ المغني تارتوك بغناء أزيزِ خيطٍ من الصوت يموج خافقاً ، في خفوت موحش ، من ملعب مراسمِ الحفل ، حتى أسماع طيور لاكيلا العُمي مصغيةً ، فوق الهضبة ، إلى منشد أرواح موتاها وقد تخيَّر ، هذه المرة ، أن يُنشد للذبابة في كفِّ سوك .

كاشاجو ارتأى وقوفَ المغني ، وزوجته وابنتيه العاريات الرؤوس من الشعر ، خلفه . أراد تدريبَ لسانه على تذوُّق الأصوات من غير أن يرى الشفاه ناطقةً أمام بصره . منذ احتضانه ذبابة الاستنسال ، قبل أربعين يوماً ، سَلَك بطباع السّمع فيه - هو الأصمُّ - إلى دُرْبةٍ خذله شيخٌ عارفٌ في علوم الصَّمم على تحصيلها . كاشاجو يتلقَّف الكلمات بلسانه ، لكنْ بتوجيه بصره إلى مجرى الكلمات على الألسنة . وقد منَّنَ نفْسه بطريق آخر للسماع بلسانه من غير نظر إلى المتكلم . ساءل خيالَه ، أول يوم من احتضانه الذبابة في كفه ، لِمَ لايكون للكلمات المذاقُ نفسُه على لسانه حتى لو لم يرَ للصوت مجراه الأخرسَ من أفواه محدِّثيه؟ ما علاقة بصره بتمكينه من التقاف الكلمات واضحةَ المذاق على لسانه؟ عَصَب عينيه ، مراراً وتنصَّت بلسانه وحده إلى بزوغ الصوت في الظلامِ مَذاقاً . حَجْبُ

بصره حجبَ عن لسانه تحوُّل الأصوات إلى طعْم منطوق، وحَجْبُ لسانه، داخل فمه، حَجَب عن بصره تحوُّل الأصواتَ إلى ظَّاهرٍ يُرى.

كاشاجو يعرف، بالميزان العادي للصَّمم طويلاً، قراءةَ الشفاه إنْ كانت على مرأىً واضح من بصره. غير أنَّ قلبه حثَّ خيالَه على فصل ذلك التشارك بين لسانه وبصره في إنجاز القبض على كلمات مخاطبيه.

«مَنْ يجد لي مدرِّباً؟»، سأل كاشاجو مَجْمَع بطانة القصر. كان مطلبُه عسيراً، لاعلى الفهم، بل على تصوُّرِ الأصم يسمع بلسانه من غير نظر إلى الأفواه. بل كان في مطلب كاشاجو مدرِّباً يفصل بين لسانه وبصره في التقاط الكلمات، في حال كحال أصمَّ مثله، إلماحٌ إلى رغبته أن يسمع الأصواتَ بلسانه، لا أنْ يتذوق به الكلمات حين تُقال من شفاه واضحة في نطقها. أي أن يبرأ من صممه بمعجزة في التدريب.

نينيسو، مطية زوجته شيكتان، فاجأته، بلا تأكيدٍ جزْم، بخبر عن شيخ من الجن أصمَّ يسمع الريحَ بلسانه، ويسمع بهِ الرملَ زاحفاً، ويسمع قفز الجراد، ويعرف من طنين الذبابِ عددَه.

ابتهج قلبُ كاشاجو. ابتهج بصرُ لسانه. جِيءَ بالشيخ متوكِّئاً على عظام طويلة شُدَّ بعضُها إلى بعض بحبل. دخل عليه بهوَ قصره في رفقة نينيسو وثلاثة من أولاده. احتفى به سلطان زينافيري. أوقفَه حيث يقف عادةً قرب تجويف في الجدار الشمالي عُلِّقت إلى قرون حيوانات فيه أسلحتُه الكُثر. لكن الشيخ، ذا اليدين المتصاغرتين من نزف العمر، انكمش بعد قليل من حضوره:

«أتريد أن تسمع كلَّ هذا الذباب؟»، سأل سلطانَ زينافيري.

«كالآخرين»، ردَّ كاشاجو.

«الديك كُثُر من الأعوان ، ياكاشاجو . هُم سمعُك . ألا يكفيك ذلك؟» ، ساءله الشيخ .

نقل كاشاجو بصرَه بين الشيخ وبين نينيسو . حدَّثها بتساؤلٍ في النبر :

– ظننتُك جئت به ليدرِّبني على سماع الأصوات من حيث أنت ، وليس ليمتحنني .

استدار الشيخ يهمُّ بالانصراف . ألقى كلماتٍ لم يرَها كاشاجو :

– ما تعلَّمتُه من سماع الأصوات بلساني لن يوافق طباعَ جنيٍّ يحكم زينافيري .

استغرب كاشاجو استدبارَ الشيخ له منصرفاً : «ماذا قال؟» ، صرخ . ردَّ على نفسه : «قال شيئاً» ، وثب وثبةً عالية فاستقرَّ قبالة الشيخ :

– إلى أين؟ لم تعلِّمني شيئاً بعد .

«ذاهب لأسمع آخر سخريات الجن القُزُم ، ذوي الأذيال ، من جن زينافيري . إنهم ماكرون في السخرية» ، ردَّ الشيخ .

حدَّق كاشاجو إليه مليّاً . غمغم :

– أليس من يسمع بلسانه وحده ، يستطيع سماعَ الأصوات عن بُعد شاسع؟

«تماماً» ، ردَّ الشيخ . «وأنا لن أدرب حاكم زينافيري على عذابٍ كذاك» . وثب وثباً ضعيفاً في المغادرة يحيط به أولاده .

«لن تغادر» ، صرخ به كاشاجو .

أرخى الشيخ يده عن عصاه . زفرَ زفرةً تناثرَ منها غبارٌ برتقالي . خرَّ ميتاً .

أول مافعله كاشاجو ، في عودته من الحفل العُرام قبل مغيب

ذلك اليوم ، أنِ اصطحبَ حاضنةَ ذبابته سوك في تجوال على مَجْمع الذباب . نفخت الفتاةُ نَفَساً لطيفاً على كفها في صعودها الأدراج . نظرت إلى سلطان زينافيري نظرةً تفيضُ رضىً .

سوك نقلت متاعَها ـ متاعَ الجن القليل عادةً إلى القصر : سلاحها ، وثوبين ، وكيساً صغيراً من عظام جدتها . اتَّخذ لها كاشاجو مقاماً في طيَّةٍ ثَنْية من أحد الجدران . لاغرفَ في قصره . شساعةٌ مفتوحةُ الجهاتِ بعضها على بعض ، من مدخل القصر إلى أنحائه كلها . لكنَّ للجدران ثنايا غائرةً ، بتصميم كالمحراب في المعبد ، يسكنها قاطنو القصر محجوبين واحدهم قليلاً عن الآخر . بين الثنية الطيَّة والتي يجاورها مقدارُ قفزتين بُعْداً . ومن يكُنْ في وسط أرض القصر يستطعْ رؤية كل الجاثمين في الثنايا المطاوي ، على استدارة محيطه ، كأنما هُم ، وقوفاً ، في نواويس واسعةٍ واقفة ، غائرة في الجدران .

شيكتان تقيم في ثنية إلى يمين مجثم زوجها ، وريكما إلى يسار أبيه في ثنية من الجهة الشمال من محيط القصر ، فيما يقيم الخدَّام ، والجن المطايا ، والسُمَّار الدائمون ، والمستشارون ، في الجهة الجنوب ، يرون مقام كاشاجو قبالتهم ، ويراهم كاشاجو قبالته ، في البهو الشاسع ، الذي يصعد منه درجٌ إلى الطبقة العلوية ، حيث مجمع الذباب ، ومقامُ النساء المؤجَّرات .

أوجب كاشاجو على مصمِّمي قصره إضافةً ثنيةً ، طيَّةً ، لإقامة سوك بينه وبين ابنه . خصَّها بمطية أنثى من الجن هي أخت مطيته شاكد الضخم . علَّق على العظام ، في طية إقامتها ، جلدي ذئبين أصفرين ، وأهداها حفنة من أسنان الموتى تقايض بها ماتشاء في أسواق كاتراميل .

أحاديثُ كثرٌ جرت بين كاشاجو وسوك عن أصل ذرية الجن، التي أزمعا رفْدها بوريث، منذ احتضن سلطان زينافيري ذبابةَ الاستنسال. متكلمون كُثرٌ، من سُمَّار القصر، الموقوفو العقول اختصاصاً على القوانين العريقة للنشآت، تجادلوا في شأن الهيولى - أمّ الكينونة قبل ظهور الجن. هُم خلقوا أنفسَهم - يقولون، لكنْ باختلاف قليل في طريقة إيجادِ الأمِّ الأولى نفْسَها. أكثر المَخارج ثبوتاً في ذلك أنَّ الأمَّ الأولى كانت ذكاءً محضاً. ذكاءُ الجن سابقٌ لوجود الجن. ذكاءُ ذراتٌ من الكون ذي الزوايا الثلاث. تخاطرت الذرَّاتُ - الذكاء. تكاثفت، في تخاطُرها، على هيئة كرة متساوية الأبعاد عن سَمْت جِرْمها. تدحرجت الكُرة من اللازمن إلى برزخ بين اللازمن والزمن. تلاقحت ذراتُ السَّمْت فأنشأت نُطفةً هيَ قلبُ الجنية. نَبْضُ قلب الجنية أحدث الزمن الخاص بها منذئذ. ثم استطالت الكرةُ في خروج على هيئتها الدائرية. انبثق رأسُ الأمِّ الأولى في الهيئة الجديدة. انَّبثقت ذراعاها. مشت على ذراعيها إلى المكان الظاهر بأبعاده في الزمن الخاص بها. مرَّ بها سربُ جراد قفْزاً فألهمت نفْسَها ابتكارَ رجْلين كالجرادة، وباتت تمشي وثباً مثلها. مرَّ بها ذبابٌ منشدٌ فالتقطت ذبابةً أطبقتْ عليها كفَّها .آنسَها طنينُ الذبابة أربعين يوماً في كفها اليمنى تنفخ عليها كلما هدأت، ثم نقلتها إلى كفها اليسرى أربعين يوماً. أراحت يدها من حمل ذبابتها الأنيسة فأودعتْها ثقباً في صخرة كُرة. سَّدت الثقب ثمانين يوماً، فإذا الصخرةُ تنفلق عن جنيٍّ ذكر، دار من حولها وثباً، ناطقاً بلغات الذباب أولاً، فالجراد، ثم بلغات كل كائن صادفاه بعد ذلك، في المكان الموقوف على الزمن الوليد من النبضة الأولى في قلب الجنية الأم الأولى.

تبادلت الأم الأولى ووليدَها الأول الذبابَ حضْناً في أكفِّهما وساطةً لاستنسال من الكرة الحجر . كثُرَ الجنُّ على كثرة الذباب . لكنّ لم يستقِمْ لَهم ، قطُّ ، تأويل أن يرثوا أرجلَ الجراد ، لاأرجل الذباب الوسيط إلى نشوئهم .

دارت سوك ، وكاشاجو ، على مَجْمع الذباب هادراً بطنينه ، يصحبهما الشاعران داميكو ، وتوكا الصامت . عرضا عليهما أوعيةً من الحجر الشفيف بوصف في خصائص الذباب فيها . عرضا عليهما الذبابَ الطليقَ مربوطاً بخيوط شعرٍ من خصرِ كل ذبابة . لمس كاشاجو كتف توكا : «لماذا لاتتكلم؟ بي فضول إلى تذوُّق كلماتٍ منك بلساني» ، ساءله ، فردَّ داميكو على عجل :

- هو يتحدث بالهمهمات من غير كلام ، ياكاشاجو .

«ذلك ليس كلاماً» ، عقَّب كاشاجو . أمسك بعضد الفتاة :

- ماذا تفهمين من صوت بلا كلمات ، ياسوك؟ .

«نفهم الإشارات فيها» ، ردت سوك .

«هَمْهِمْ ، ياتوكا» ، أمرَ كاشاجو الشاعر الآخر في مجمع الذباب ، فانطلق توكا بهمهمة متَّصلة ، مختنقة ، من فمه المغلق .

«ماذا فهمت منه ، ياسوك؟» ، سأل سلطانُ زينافيري الفتاةَ .

«مُذْ لم أفهم شيئاً منه فهمتُ كل شيء» ، ردت سوك بتلاعبٍ في جوابها .

تعمَّد داميكو الوقوفَ ، سُراعاً ، قبالة كاشاجو ليمكِّنه من رؤية فمه متكلماً . فسَّر حالَ توكا بما هداه إليه خيالُه المُرتجل :

- توكا لايردُّ إلاَّ إنْ سُئِل . ومن يسأل توكا سؤالاً على التخصيص يحصل على همهمة على التخصيص . إنْ فهمَهُ السائل كان ذلك جوابَ سؤاله ، وإنْ لم يفهمه كان ذلك جوابَ سؤاله .

حدَّق كاشاجو إلى توكا . هزَّ رأسَه :

- علومُ الهمهمة عويصةٌ على أمثالي .

«هذا علمُ الطنين» ، عقَّب داميكو . أشار بيده إلى ذبابة ،لليقة ، محلِّقة في رباطها الشَّعْرة ، بيضاء الأجنحة سوداء الجسم :

- قرب هذه الذبابة أشرقتْ عليَّ رؤيا ، ياكاشاجو .

ما يتخيل الجنُّ إمكانَ حدوثه ، بصناعةٍ قصْدٍ من خيالهم ، إراديًا ، يُعْتَمَد رؤىً في التصنيف . الرؤيا عندهم هي كصناعة حلم إراديٍّ تماماً ، عن تصوُّر وتصميم ، في يقظتهم الدائمة مُذْ هم لاينامون . يؤالفون خواطرَهم المتناثرة ، ويرتِّبونها وفْقَ صنوف الرغبات ، والهواجس ، والتكهنات ، والتنبُّؤ . وإذ يتم تنسيقها تنسيقاً قائماً بذاته كفكرة معقولة ، يسمونها رؤيا . داميكو مكَّن خيالَه ، في يوم مضى من وقوفه قريباً من الذبابة البيضاء الجناحين ، من تأليف خواطره المتناثرة ، ورصِّها ، في نظام فكرةٍ لها مَسٌّ القلق بقلبه . وقد باح لسلطان زينافيري بحدوثها ، في اللحظة تلك ، فأثار فضول كاشاجو :

- توسَّعْ . مارؤياك؟ .

«كنتُ واقفاً ، مستنداً بظهري إلى ساق شجرة في واحة كيما» ، قال داميكو ذو الأذن اليسرى الممسوحة . «أحاط حبلٌ بعنقي فجاءةً . اعتصر الحبلُ رقبتي جذْباً شديداً إلى ساق الشجرة حتى انفصل رأسي عن جسدي» . توقف متلمِّساً استطراداً بدفاعٍ عن نفسه : «لم يخطر ببالي ، ياكاشاجو ، أنْ يفعل ذلك بي أحدٌ . لم أسِئْ إلى أحد لينتقم مني» .

«أكملْ رؤياك» ، قال كاشاجو ، فعاد الشاعر إلى سَرْدها :

- سقط رأسي متدحرجاً على المنحدر الرمل تحت الشجرة .

لـ.. ، عيناي ، في التدحرج ، نصفَ وجه الجني الذي قطع رقبتي ..ل ، ظاهراً من جانب ساق الشجرة ، فيما بقي النصف الآخر .. وجهه محتجباً . لقد عرفتُه ، ياكاشاجو . إنه كُوْتياك .

«مَنْ؟» ، سأله كاشاجو ، فردَّ داميكو :

– شريك أمي في الذبابة التي كانت وساطتَهما إلى مولدي من كرةٍ حجر .

داميكو ليس من مواليد الحجر الحاضن في إقليم زينافيري . هو من نسل قبيلة تُوْنْسُو ، التي أبادتها قرود براري هيهمو . سنونٌ عجافٌ أطلقت القرود هائمةً تغزو كلَّ أرض تتحصَّل فيها طعاماً ، فلا تفرِّق بين نبات ، وجن ، أو حيوان في تلك الأرض . مزقتِ الأجسادَ بأنيابها الذهبية . قوَّضت البيوتَ العظام قفزاً على سطوحها ، واجتياحاً لدواخلها بحشود هُوْج . داميكو يكره الحمرة إذْ تذكره بعيون قرود هيهمو ، ويكره الرماديَّ الغالب في الجن مُذ القرود رماديات ، ويكره الذهبيَّ إذْ أنيابها ذهبية ، ويكره الزرقة مُذْ أقدامها زرقٌ كثوب هايكاهيكسين ، الذي لم يُثِرْ فيه اضطرابَ الذاكرة من صور الخراب في إقليم قبيلة تونسو ، حيث سُوِّي عمرانُها بالرمل ، والتُهِمَتْ حيواناتُها القنائص يحفظونها حية للأعياد ، كما التُهم لحمُ جنٍّ تونسو ـ اللحمُ الأكثر جفافاً بليفه وعصبه بين لحوم الجن .

نجا داميكو . زعم أنه ، وأمه ، ومطيَّتها الأنثى شَاتيْكْ ، هم وحدهم الناجون من إقليم تونسو . مطيةُ أمه أردفتهما على ظهرها وهو طفل بعد ، وشقَّت الأرض وثباً هَرَباً ، ناجية بهما ، لكنْ بندوب طويلة في ذراعها اليمنى ، من مخالب واحد من قرود هيهمو تتبَّعهم حتى التخوم الأخيرات من أرض الإقليم .

كان داميكو معتصَراً بين ظهر المطية وصدر أمه ، بوجه إلى الوراء . رأى الحقدَ ـ بإقتداره على مقارنات الأحقاد وقد كَبِر ـ كأنه من عزمِ منتقم وقد واتته الفرصة . كان حقدُ القرد حقدَ طالبِ ثأرٍ منتقِم . ولما نجتْ مطيةُ أمه براكبيها منه ، تمرَّغ القرد لوعةً في الرمل . حثَا الرمل على رأسه غيظاً كغيظ الموتور . صرخ فاتحاً شدقيه حتى ظن داميكو أن فكَّي القرد قد انخلعا من اتساع فمه . وهو لم يزل ، بعد سنين التيه الإحدى عشرة في صحراء رَامُوْس ، يحمل من دويٍّ صرخة القرد أزيزاً في باطن أذنه اليسرى المفقودة ، منذ وُلِد من جوف الكرة الحجر .

بعد إحدى عشرة سنة من سنين الجن ، وصلت مطية أم داميكو بهما إلى تخوم إقليم زينافيري ، وقد كَبر داميكو . كوكبةٌ من صيادي فهود البوابات الرملية ، يسير بهم عميد المحاربين ماياكي ، عثرت عليهم منهوكين من قلَّة الزادِ العظام ، مُذْ لم يتمكنوا ، بسبب إرهاقهم ، إلاَّ من صيد بعض اليرابيع العُمي الليلية الظهور . لقد مروا بالبوابات الرملية ، التي هي صخورٌ رملٌ ، منتصبة أعمدةً كأنها مداخل إلى أقاليم الجن المحجوبة ، حيث موائل الفهود البيض المخططة الجسوم دوائرَ رماديةً على كل عضو فيها . لكنهم تجنبوا أن يصيدوا منها خوفاً ، مذْ ظلوا ، حتى يوم عثور الكوكبةِ الصيادين عليهم ، لاسلاحَ معهم إلاَّ عظمة محدَّبة في يد أمه ، زعمت أنها من كتف الحيوانة الزرافة ، التي لم يحظَ داميكو برؤيتها قط .

توكَّل ماياكي نقلهم إلى حديقة مسكنه الفاره ، المحاط بساتر من الرمل يصل ارتفاعه إلى خصر جنيٍّ طويل . ساترٌ تقوِّض منعتَه الريحُ فيُعاد ، كل صباح ، ترميمُ معصوفهِ . راتو ، مطيةُ ماياكي ، يتخذ ركناً من الحديقة ، التي تنتصب فيها تصاميمُ عظامٌ ، مسكنا

من بناء عظام عالي السقف المغطى بجلودِ أراوي واحة كيما وفروتها . في الحديقة خمسة أقفاص وسيعة الدوائر ، يحفظ فيها عميدُ محاربي زينافيري ذئابَه الصفر بهيَّةً ، مرفهةً في طعامها من لحوم الحيوانات القنائص ، حتى مواسم الأعياد ، أو مايطرأ من أعياد ليست في الحسبان . وقد أضاف البنَّاؤون إلى الركن ، قريباً من راتو ، مسكناً آخر قطنه الشاعر ، وأمه ، ومطيتها .

لم يخصَّ ماياكي الشاعرَ بعطفه ، إسكاناً له في حديقته ، لولا ذلك الحــذْقُ الذي بَدَر من دامــيكو ، في الطريق إلى أواسط زينافيري ، بعد العثور على ثلاثتهم ، وهو يصنِّف كل ذبابة عبرت بكوكبة الصيادين .

وصفَ داميكو لعميد المحاربين طبائعَ الذباب ، وحِيلَ الذباب ، وانجذاب الذباب بعضِه إلى بعض ، ونفور بعضه من بعض ، ودوائرَ تحليقه ، وسرعته ، ومقدار الطنين في أجنحته ، وعدد مرات تنظيفه لخرطومه بعد الأكل ، وقبل الأكل ، وأثناءَ الجوع . طوال أربعة أيام من أيام الجن ، في عودة الصيادين بفهدين حيين مغلولين ، لم يتوقف داميكو عن عرض عِلْمه على ماياكي . لقد تحصَّل للشاعر مِرانُ الملاحظة ، والتوثيق بخياله ، إحدى عشرةَ سنة من تيههم في صحراء راموس ، بملاعبته الذبابَ الكثيف ، ومتابعته ، تعويضاً عن عزلته طفلاً ويافعاً ، في صحبة امرأتين قلقتين ، لم تحتبسا نفسيهما في تكرار التخمين عن أحوال إقليم تونسو المنكوب ، وأبيه المفقود ، بل تولاَّهما هاجسٌ واحد هو النجاة بداميكو إلى أمانٍ من أقاليم الجن الأُخريات .

بالُ داميكو لم يكن كباليهما المرَّقين . مُنِحَ حظوةَ الطعام كاملاً من عظام اليرابيع العُمي على قلَّتها ، فنشأ منصرفَ النفْس

إلى مطابقات في أجناس الذباب، وأنواعه؛ وإلى توثيق طباع الريح، ومزاج الرمال بصوت طنين هو وحيُ الشّعر إلى خياله صوتاً. نظم الأشعارَ في صبر أمِّهِ وجَلَدها، وبأس مطيّتها شاتيك واحتمالها، وعزيمتها، وشدة عريكتها. نظَّم الأشعارَ ببصرِ جاوبَ الخلاءات، والأعراءَ، والقفارَ المتراميات موحشةً بعويل فراغها. قلَّد الذبابَ نظْماً. قلَّد الرمل، والريح متخاطبيْنِ أبداً بنزفٍ من جرح نشيدهما الواحد.

داميكو، في الطريق إلى أواسط زينافيري مع الكوكبة الصيادين، نظَمَ شيئاً من امتنانه لهم بالصوت المُوحى طنيناً على خياله، فأنجزت المصادفةُ تصديقَ خيال ماياكي على الحكم في أمر داميكو: «شاعرٌ، ومكلِّمُ ذبابٍ أنت. ستفوز بمجد في قصر زينافيري».

كان ثلاثة شعراء يديرون مَجْمَعَ الذباب، في جناح من قصر سلطان زينافيري. فرَّ أحدهم مُذْ تلقَّف من عقل ماشفير المنتشر منطقَ العَوْدِ بالجن إلى فَرْطِ جموعهم على المهجورات فرادى. ماتَ ثانٍ من تصاغُريديه حتى اضمحلَّتا من نزفه عمرَهُ. بقي واحد هو توكا الصامت، الجِهْبذ في تقدير المتوافق من طباع طالبي الاستنسال وطباعِ ذبابةِ الوساطة إلى الإستنسال، فورَ دخول الطالبيْنَ إلى المَجْمعَ. وها وفَّرت المصادفةُ الهاديةُ شريكاً لتوكا، مُذ توسط ماياكي إلى كاشاجو في أمر الشاعر: «له ذاكرةُ السِّجلّ الحافظ، ياكاشاجو»، قال عميد المحاربين لسلطان زينافيري. «اسْألْهُ عن أيِّ ذبابة وسيكون مُخبرُك عنها كأنه شقيق الذبابة. اسْألْهُ نظْماً من الشِّعر. هو مِنْ حِذْقِ الوحيِ الطنين».

بعد عام واحد من انضمام داميكو إلى مَجْمَع الذباب، فاضت

زوج أمه غباراً برتقالياً من منخريها وفمها ، وهي تردِّد في وهن اسم زوجها المفقود ، فوهب شاتيك ، مطيةَ أمه ، باتفاق معها ، هديةً إلى زوجة ماياكي الطويلة ، المفرطة طولاً ، تايْتُوْن الزرقاء الضفائر .

نظر كاشاجو طويلاً إلى داميكو يومَ سرد عليه الشاعرُ رؤياه عن أبيه ، قبل أن يحوِّل بصره إلى رفيقته في التجوال على مجمع الذباب سوك . ساءلها :

- أتصنعين رؤًى؟ .

«أحيانا» ، ردت سوك ذات الضفائرِ الأربع معقودةَ النهايات كلّ اثنتين معاً .

«أتصنعينها مفزعةً ، أم هانئة؟» ، ساءلها كاشاجو ، فردت سوك :

- أصنعها عن معركة . معركة واحدة كبيرة لاتنتهي . أظلّ استرجعها فأضيف إليها ، أو أُنقص منها . لكنها هي ذاتها ، كبيرة يتلاقى فيها محاربو أقاليم أرض الجن ، وأقاليم الأعالي السيَّارة المحتجبة .

«أتستعرضين المعركة بتمامها على هذه الشساعة اللانهائية؟» ، ساءلها كاشاجو بنبرِ فضول ، ومستلطف .

«أستعرضها هائجةً أحياناً . متراخية أحياناً . صاخبة ، وصامتة . إنها المعركة التي تتهيب النظرَ إليها كلُّ معارك الجن السابقات في أقاليم الأرض وأقاليم الأعالي» ، ردت سوك . أضافت تمتمةً كأنما تؤكد لنفسها مالاينبغي أن تغفل عنه : «إنها معركة كبيرة كما لم يحدث مثلها قبلاً ، ولن يحدث مثلها في آتي أعمار الجن» .

«كيف تتمكنين من حصر رؤياكِ المعركةِ هذه بصناعة من عقلٍ

«ا-ا. ، ياسوك؟» ، ساءلها كاشاجو ، فردَّت الجنية الفتاة :

أستطيع حصرها بالتحديد لأنها كبيرة .

غمغم كاشاجو يتأوَّل ردَّها المتقلِّب في منطقه . أدار وجهه على ؛ ا-ريْ مجمع الذباب . نضنض بلسانه : «أقلتما شيئاً؟» ، ..اءلهما .

«لا» ، ردَّ داميكو .

«عليكما أن تقولا شيئاً في أمرِ معركةٍ رؤيا تجري في مكان لا،نهائي» ، قال كاشاجو .

«لم أشهد معارك» ، قال داميكو . «شهدتُ غزوَ قرود هيهمو لإقليم تونسو ، لكنها لم تكن معركة . كان الجن لايجابهون ، ولايفرون أيضاً ، بل يجمِّدهم الفزعُ فيستسلمون للقرود تلتهمهم . وحدها المطيةُ شاتيك نجت بنا هَرَباً» .

ارتعشت قلادة كاشاجو على صدره من نبضتين تلاحقتا فراراً من قلبه على ذِكْر داميكو قرودَ هيهمو . عاد ببصره إلى الفتاة المحاربة ، حاضنةِ ذبابةِ الإستنسال في كفها . ساءلها :

– ماالمعركةُ الكبيرة ، ياسوك؟ .

«هي المعركة التي يتضاءل فيها الهلعُ» ، ردت سوك .

قلَّب كاشاجو عينيه الحجريتين على أرجاء مَجْمع الذباب برهةً يزن فيها جوابَ سوك . ارتجلَ سؤالاً لم يتوسَّلْه مُتْقَناً :

– أتنظرين إلى هيكل الإله كوياسي حين تستنزلين على قلبك هذه المعركةَ الرؤيا؟ .

غلبَ التساؤل على عينين سوك الصغيرتين ، وهي تنقر بأنامل يدها اليمنى الطويلات على سلاحها العظمِ الترقوةِ في حِزامها . ردت :

لا أنظر إلى أحد حين أصنع رؤيايَ . أيُلْهم الإلهُ كوياسي صناعة معركة رؤيا؟ .

«لا أعرفُ» ، ردَّ كاشاجو . استدار إلى داميكو :

- أيستلهم شعراءُ مَجْمع الذباب من الإله صناعةَ حُكْمهم في سلوك الذباب؟

«لا نستلهم ذلك من أحد» ، ردَّ داميكو . «عِلْمُنا ليس رؤيا نصنعها . عِلْمُنا بالذباب صُنْعُ نفْسه» .

«مَنْ كان إلهكم في إقليم تونسو ، ياداميكو؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ الشاعر :

- كان لنا إلهٌ تائه ، ياكاشاجو . لم يعثر شعبُ تونسو عليه حتى يوم فنائه مُلتَهَماً .

تأملت سوك ذبابة مربوطة بخيط شعرٍ ، محلقة في طنينٍ خافت ، فتأملها الثلاثةُ الآخرون . ساءلتهم مستديرة بوجهها إلى توكا تحديداً :

- ألغتُنا ، في زينافيري ، هي لغة الذباب حقًا؟

همهم توكا . أشار بسبابة يده اليسرى إلى أذنه .

«ما إشارة توكا هذه ، ياداميكو؟» ، سألت سوك الشاعرَ ، فردَّ داميكو بسؤال عليها :

- ماذا يخطر ببالكِ الآن؟

«لا شيء على التحديد . بل ربما وجودُنا جميعاً هنا» ، ردت سوك ، فعقَّب داميكو :

- هذا ، تحديداً ، ماتقوله الذبابةُ هذه .

نضنض كاشاجو بلسانه ، مبقياً بصره على داميكو . ساءله :

- أتَصْنَعُ رؤىً؟

«كالجن جميعاً» ، ردَّ داميكو .

عاجلت سوك سلطانَ زينافيري بالسؤال ذاته إذ مالت بوجهها عليه ليراها متكلمةً :

- أتَصْنَعُ أنتَ رؤىً ، ياكاشاجو؟

قرب سلطان زينافيري رأسه من سوك حتى كاد يلامس عينيها بعينيه . هامسها بصوته الحجر :

- إقليم زينافيري هو رؤياي .

كصعودهما الأدراجَ وثْباً هيِّناً إلى مجمع الذباب ، نزل كاشاجو وسوك الأدراجَ إلى بهو القصر الكبير ، بعد جولتهما على كمائن الطنين المسموع واللامسموع ، فعجَّل إلى لقائه مطيتُه شاكد .

توقف كاشاجوعند آخر درجة ، فتوقفت سوك من ورائه . استدار إليها : «ستكون لك مطيَّةٌ» ، قال . «سأهَبُك أختَ شاكد» . نزل الدرجة الأخيرة . «أينَ أختك نَاكُوْلي؟» ، سأل مطيته ، فردَّ شاكد :

- هي في صَيد .

«ستكون ناكولي مطيةَ سوك بعد اليوم» ، قال . وثب نصف وثبة منضنضاً بلسانه ، وهو ينظر بتحديق صارم إلى زوجته شيكتان على ظهر مطيتها ، تجوبُ ركناً بعيداً من أبهاء القصر المحيطة بالبهو الكبير . «منذ متى يركب الجن مطاياهم وهم في القصر؟» . غمغم في زئير مختنق : «مابها؟» . أدار عينيه عنها إلى أرهاط من سُمَّاره ، وخَدمه ، متناثرين فرادى ، أو مجتمعين أنفاراً قلَّةً بين نهود الرمال المغطاة بجلود الذئاب الصفر في أرض القصر . أثبتهما على ابنه ريكما في رهط من أبناء سادة الفِرق وبناتهم المحاربات . اتجه وثْباً إلى الطيَّة الغائرة ، الواسعة ، التي تخصه في الجدار الشمال[illegible]

بانملاع كبائرَ مقوَّسات ، تحتوي قاطنَها وتحجبه عمَّا يجاوره .

أبصرته شيكتان . حثَّت مطيتَها نينيسو على اعتراضه قبل دخوله الثَّنيَة المقوَّسة الغائرة . صارت قبالته . خاطبته وهي تنظر بلحظيها إلى سوك :

– هل صارحك داميكو برغبته أن تكون هايكاهيكسين شريكتَه في ذبابةٍ استنسال؟

«لم يصارحني بعد بشيء من هذا» ، ردَّ كاشاجو . أردفَ : «ما الحماقةُ التي تغويه بذبابتها الحمقاء؟» .

ظلت شيكتان متطلعة إلى سوك من لحظها . كلَّمت زوجها بنبرٍ فيه مذاقُ الكيد :

– لماذا لا تشارك هايكاهيكسين ذبابةَ استنسال ، ياكاشاجو؟ .

لمس كاشاجو بيده اليسرى العِصابةَ الجلدَ طوَّقَ رأسه محيطةً بالضفائر . ردَّ :

– إن فعلتُ أنا ذلك ، وليس داميكو ، لن يعود الأمرُ حماقةً ياشيكتان . سأفكِّر في مقترحك .

حدَّقت شيكتان مباشرةً ، وليس لحْظاً ، إلى سوك . ساءلتْها :

– ألا توافقينني؟

أدارت سوك بصرها نصفَ دورة على أبهاء القصر المتصلة . ردت على غير ماتوقعتْه زوجة سلطان زينافيري :

– سيكون بهيجاً أن تقيم هايكاهيكسين في حديقة القصر .

كان التوسُّع لإقامة الأنثى الآدمية في المعبد يجري بتدبير من المنجمة بونيا ، التي راكمت جلودَ حيوانات مهملةً بعضها فوق بعض كفراش داخل المحراب ، مُذْ ألْفَتْ نزيلةَ معبدهم تنام كل ليلة متكومةً على الأرض الرمل . وفي علم بونيا ، كسائر الجن ، أن

الطيور ترقد في أعشاش، وتتخذ البهائمُ مجاثمَ لها على العشب في الواحة حين رقودها. وقد تدبرت الأمرَ للأنثى الآدمية على تشابه بين فراشها ومجاثم الحيوان وأعشاش الطير. رتَّبت مشجباً من قرنَيْ ثور تعلَّق إليهما هايكاهيكسين قربتها، وكيس مؤنتها من الفاكهة. فصَّلت لها ثوباً من جلد أروى بلا كمين، قصيراً حتى ركبتيها، لأن بونيا لم تجد، بالطبع، جلدَ قريبٍ من أقرباء الأنثى الآدمية تفصِّله ثوباً لها، مُذْ هي وحيدةُ نوعها المحيِّر. وضعت حوضَ الماء الصغير الحجر على قاعدة من جلدٍ مليءٍ رملاً، وعلَّقت بالسيور الصورَ المُنجَزة وثَّقْتها أيدي ثلاثٍ رسامات بألوانٍ رمادية على الصفافيح الأحجار السود، إلى جوار صور الآباء المنجمين الأوائل. أما اللوح الرابع، الحاضنُ شكلَ هايكاهيكسين منجزاً عن يد رابعة الرسامات حَفْراً غائراً في حجره، فقد آثرهُ كاشاجو لنفسه، فعلَّقه إلى جوار أسلحته المعلَّقة في الطيَّة الغائرة من الجدار الشمال للقصر - الطيَّةِ المَجْثَمِ يأوي إليها في هَدْأته اليومية ساعةً، واقفاً فيها قبالةَ مجاثم ساكنِي القصر الآخرين في الجدار الجنوب، حيث البوابة الكبرى بلا حرس، مفتوحة أبداً على الحديقة المترامية تُسَوِّرها قرونُ حيوانات شتى، وجماجمها العظام.

هايكاهيكسين جعلت ثوبَها الأزرق البالي، بعد فَتْقٍ لبعض جوانبه، ستارةً واطئة على باب المحراب استغربها المنجمون، أول الأمر، ثم آلفوها، كما آلفوا ذلك النازع الغامض فيها إلى أكل الجراد، بين وقت وآخر منذ اليوم الأول إقامةً لها بينهم. بل صارت بونيا، نفسها، تتقصَّد صيدَ الجراد الكبير وثْباً عالياً إن طار. جرادٌ كثير في أرض زينافيري. جراد كثير يدخل المعبد من بوابته، ويخرج محلِّقاً من القبة المفتوحة في علياء سقفه، أو يدخل من

القبة ليخرج من البوابة ، بعد زحف على الأرض الرمل ، فيتقرّى المنجمون تعاريجَ أثره بأبصارهم ، ويتنشّقون في الأثر ، بمناخيرهم الثقوبِ ، مايخالونه تدويناً نقشاً لتواريخ أقاليم الجن السيَّارة وراء حجاب الأعالي .

بونيا باتت الأقرب إلى الأنثى الآدمية برعايتها ، والخروج بها من المعبد إلى أزقة مدينة زينافيري ، والقرى المحيطة بالمدينة كسور . وقد حاولت ، مراراً ، تلقينها المشيَ وثباً من دون جدوى . هايكاهيكسين جارتْ بونيا في وثبٍ قصير بضع مرات لاغير ، راجعة ، من ثم ، إلى مشيها العادي بنقل قدمٍ إثْرَ قدم ، أو ركضاً أحياناً وراء جرادة لاتقدر بونيا تقليدَها فيه .

دام الأمرُ للأنثى الآدمية وقتاً في إقامتها مع المنجمين ، حتى اليوم الذي جاءهم شاكد من غير راكبه ، ترافقه أخته ناكولي وقد امتطتها سوك .

«سنأخذ هايكاهيكسين إلى حديقة القصر . هذا طلبُ كاشاجو» ، قالت الفتاة المحاربة .

لم يكترث الثلاثة الذكور من المنجمين كثيراً لبقاء هايكاهيكسين أو رحيلها عن المعبد إلاَّ بونيا . زأرتْ مصدومةً : «لم يزُرْ جنٌّ زينافيري معبدنا قبل إقامة هايكاهيكسين معنا» . استلقت بصدرها على الأرض الرمل . زحفت كالجرادة . تنشّقت غباراً أثارته براحتي يديها ضرباً على الأرض . ألصقت عينيها بالرمل وتكلمت نفْخاً : «لماذا أنتم ساكتون؟» ، ساءلتِ المنجمين بنبْرِ توبيخ .

«إنها رغبة كاشاجو» ، ردَّ خاميدس تذكيراً لبونّيا بسلطة سلطان زينافيري .

«مارغباتنا نحن منجمي زينافيري ، إذاً؟» ، تساءلت بونيا بزفيرٍ

من منخريها الملامسين ـ أو يكادان ـ صفحةَ الأرض ، فنفر الرملُ من نفخها .

«رغباتنا متعلقة بالمعبد ، وإدارة الأحكام في وصف كون الجن ذي الزوايا الثلاث ، يابونيا . أمَّا ما يرغب فيه كاشاجو فهو الكاشاجو» ، ردَّ توهتو .

«لماذا نحن منجمون؟» ، تساءلت بونيا ناهضةً على ساقيها ـ ساقي الجرادة .

«لا وضوحَ قط . مامن وضوح في الوجود ، لذا نحن منجمون» ، ردّ خاميدس .

دارت سوك بمطيتها من حول المنجمين يجادلون في مالاتعرف ، ثم توجهت إلى المحراب . نزلت عن مطيتها . رفعت الستارةَ ـ الثوبَ الأزرق عن سلوك بصرها إلى الفراش الجلود جلست عليه هايكاهيكسين . حدَّقت طويلاً إلى الأنثى الآدمية ، التي بادلتها تحديقاً من عينيها البلورتين الخجولتين . نهضت سائرةً صوب سوك . لمست ضفائرَ الفتاة المحاربة الأربع ، المعقودة النهايات كلٍّ اثنتين معاً .

يدُ سوك لم تبارح الستارة ممسكةً بحواشيها بين أناملها . تحسَّست القماشَ متأوِّلةً ، بخيالها ، ذلك النسجَ الغامض الذي رأت الأنثى الآدمية ترتديه قبلاً . تمتمت كأنما تكلم نفسها : «مَنْ صنع لك هذا الثوب ، ياهايكاهيكسين؟» . تراجعت ربعَ وثبة . فكَّت أطراف الستارة المعلقة بسيور إلى عظام في مدخل المحراب ، ثم لفَّت كتفيها بالقماش الأزرق . ضمت أطرافَ ماكان ثوباً ، سابقاً ، بيد إلى صدرها ، وأمسكت بالأخرى بيد الأنثى الآدمية ، الوديعة . انقادت هايكاهيكسين مشياً وراء سوك ، التي أبطأت في الوثب كي لاتربك مشيها .

هرع شاكدْ إلى سوك. حمل هايكاهيكسين بين ذراعيه الطويلتين: «سأعود لأجمع متاعَها»، قال للمنجمين.

زأرت بونيا من جديد. حدّق إليها المنجمون لا يفهمون لوعتها. حدقت هي إليهم، بعد زئيرها، لا تفهم تساهلهم في التخلي عن هايكاهيكسين.

قبل بلوغ سوك ومن معها بوابة المعبد بنحو وثبتين، لا أكثر، دخل الشاعر داميكو بوثبة منشرحة المقدار. بهت إذ رأى الأنثى الآدمية بين ذراعي شاكد. توجس ريبةً فتلوَّت على جبهته الخطوطُ الثلاثةُ الوشمُ، المستقيمة أفقيًا.

«إلى أين تأخذون هايكاهيكسين؟»، ساءلهم بصوتٍ مبعثر الطنين.

«إلى حديقة القصر»، ردت سوك بصوت بارد، مبديةً امتعاضاً من اعتراضه خروجَهم.

رفع داميكو وعاءً حجرياً صغيراً، شفيفاً، أمام أبصار الثلاثة. نقرَ بإصبع على جداره: «أترون ذبابتي؟»، تساءل بنبْرٍ متوسِّل. «لقد جئتُ إلى هايكاهيكسين بذبابةٍ تخيَّرتُها، بعنايةٍ علومي، للاستنسال».

مطت سوك شفتها السفلى استغراباً. ساءلته:

- هل استشرتَ كاشاجو؟.

«جئتُ أعرض الذبابةَ على هايكاهيكسين أولاً. جئتُ كي أُقنعها»، ردَّ داميكو. جال ببصره المرتاب على وجوه الثلاثة: «كنتُ مزمعاً، بعد إقناع هايكاهيكسين، على مكاشفة كاشاجو بأمري».

«ماذا تعني من أنك ستكاشفه بأمرك؟»، ساءلته سوك، وقد لحظتْ أن سوء فهم يخالط محاورتهما.

«سأشارك هايكاهيكسين ذبابةَ الاستنسال هذه» ، قال داميكو وهو يشير إلى الوعاء الشفيف .

غمغم شاكد بنبرة استخفاف . سألَ الشاعرَ قبل أن تهمَّ سوك بوضع الشاعر في خبرٍ صاعق :

– بأية لغة ستُقنعُ هايكاهيكسين ، ياداميكو؟

«بالأشعار ، ياشاكد . لقد نظمتُ الكثير على تسعة عشر معنى . قد تفهم هايكاهيكسين أحدَها» ، ردَّ داميكو .

وضعت سوك يدها ، من فوق ظهر مطيتها ، على قُلَّة رأس الشاعر . خاطبته بصوتٍ لايخامره إلاَّ وضوحُه :

– لم تفهم بعدُ ، ياداميكو ، أن هايكاهيكسين باتت في تصرُّف كاشاجو بحديقته .

«لا يهم» ، ردَّ داميكو غير مستوعب توضيحها . «ستكون هايكاهيكسين أقربَ إلى مَجْمع الذباب» .

مدت سوك ذراعها الطويلة إلى يد داميكو المرفوعة بعدُ بالوعاء الصغير ، الحجر الشفيف ، تتخبط فيه ذبابة بجناحين ذهبيين ، ورأس متوقِّد كشرارة من نار : «هات الذبابة» ، قالت . «كاشاجو سيشارك بها هايكاهيكسين في الاستنسال» .

خارت ساقا داميكو ـ ساقا الجرادة . ارتعشتا . ارتعشت يده بالوعاء الشفيف وهي تتراخى كأنما تنوء بثقلِ كثيبٍ من رمل زينافيري . زأر بصوتٍ محتبس تساقط من حنجرته على قلبه . أرسلَ الكلمات رخوةً :

– أنا أردتُ هايكاهيكسين أولاً .

«ها كاشاجو يأخذها أولاً» ، ردت سوك وهي تختطف وعاء الذبابة من يد داميكو . حثَّت مطيتَها ناكولي لكْزاً ، فأزاحت ناكولي

بكتفها القوية الشاعرَ من طريقها . لكنَّ ثلَّة من النساء احتشدن داخلات إلى المعبد بشعور منتصبة الضفائر فوق رؤوسهن كأعراف بعض الطيور . تحلَّقن ، من فورهن ، حول شاكد ، متفرِّجات بأعينهن الكتيمة الحجر على الأنثى الآدمية . لمست إحداهن كتفها وهي تخاطب الجنيَّ الضخم :

- أنزِلْ هايكاهيكسين ، ياشاكد . معي صديقات لم يرينَها بعد .

غمغم شاكد متجهاً ببصره إلى سوك . سألها :

- هل نتريث قليلاً ريثما تتفرج هؤلاء على هايكاهيكسين؟

«لا» ، غمغمت سوك . حدَّقت إلى الجنية التي تكلمت أولاً . ساءلتْها :

- أين كان اللواتي لم يرين هايكاهيكسين كلَّ هذا الوقت؟

«هذه شاتار» ، قالت ناكولي لراكبتها سوك .

«شاتار؟ ، أأعرفها؟» ، تساءلت سوك ، فأجابت شاتار بنفسها :

- ستعرفينني حين يضع كاشاجو ذبابة استنسالٍ في كفي .

«تعالي معنا ، إذاً» ، عقَّبت سوك في سخرية . استدركت :

- ألستنَّ من النساء التِّرْيِكات؟

صدرت همهمة متصلة من حناجر الثلة المحيطة بشاكد . اقتربت شاتار من مطية سوك ، متطلعة إلى الوعاء الحجر الشفيف في يد راكبتها : «أرى ذبابة في الحُقِّ» ، قالت . نظرت إلى يد سوك الأخرى مطبقة بكفها على ذبابة الاستنسال : «وأسمع طنين واحدة أخرى . معك اثنتان» . التفتت إلى صويحباتها : «نساء القصر لا يكتفين بذبابة واحدة» ، قالت في سخرية . رفعت وجهها إلى وجه الفتاة المحاربة فوق ظهر مطيتها : «أعطيني هذه التي في الحُقِّ .

سأشاركها إحدى صديقاتي» .

زأرت سوك زئيراً خافتاً ، ملجوماً ، مما قالته شاتار ، التي لم تُعِرْ زئيرَها الشبيه بوعيد بالاً ، بل تطلعت إلى عمق المعبد حيث هرع الشاعر داميكو قادماً وثباً متعثراً ، بوجه عليه رمل . ولما حاذى جمع الجنيات التَّريكات ، المحيطات بسوك ، وبشاكد وأخته ، بدت الضراعةُ هادرةً في عينيه المتقلبتين في محجريهما قَلَقاً ، فتلقَّفت شاتار انضمامه إليهن بصوتٍ ذي مذاق هزء :

– أجئتَ تسترد ذبابةً من قاطنة القصر الجديدة؟ ما اسمها؟ سوك؟

كان داميكو ساهماً ، شارد السمع عن كلمات شاتار ، يستجمع قلبَه المبعثَر في هبوب الريح من بوابة المعبد على عمق المعبد .

تأوّلت شاتار حالَ داميكو ، وقد أدركت مبلغَ اللوعة في نظرته إلى الأنثى الآدمية . ارتجلت كلاماً لم تعرف مدى انطباقه على الوقائع السارية أمام بصرها :

– ما الذباب الصالح لمشاركة هايكاهيكسين في الاستنسال؟

على غير توقُّع صدمت ناكولي ، مطيةُ سوك ، كتف شاتار بكتفها العالية ، في تعنيفٍ لها على ظاهرِ جراءتها .

«لِمَ تصدمينني؟» ، ساءلتها شاتار ، وهي تتحسس بيدها سلاحَها العظمَ الشظيةَ المسنونة .

«ابتعدْن» ، غمغمت سوك متوجهة بصوتها إلى ثلة الجنيات التَّريكاتَ لم تَحْظَ لهنَّ المصادفةُ بذكور يشاركونهن ذباب الاستنسال .

«لم نكتفِ ، بعد ، برؤية هايكاهيكسين» ، قالت إحدى صاحبات شاتار بنبرٍ زئيرٍ .

شقّ شاكد الضخم سطورَ الجنيات المحيطات به . ألقى إليهن كلمات خفيضةَ اللَّسْع :

- أَسْأَلْنَ المنجمينَ أن يتدبروا لكُنَّ ذكوراً .

وثبت شاتار مرتفعةً في موضعها لتصير في علوِّ قامة شاكد . هتفت تماحكه :

- أعطِنا هايكاهيكسين ، ياشاكد ، وسنشاركها ، نحن التِّريكات ، ذباباتِ استنسال .

«لا ذكور . لا ذباب ، يا شاتار» ، غمغم شاكد وهو يجاوز بوابة المعبد خارجاً تتبعه سوك بمطيتها .

«سوك» ، نادت شاتار نزيلةَ القصر الجديدة ، حاملةَ ذبابة كاشاجو ، فالتفتت إليها الفتاةُ المحاربة .

«قَرِّبي كفَّك . سأنفخ على الذبابة التي فيها» ، قالت شاتار في استفزاز .

«لو كانت يداي طليقتين ، لنفختُ أنا على قلبك غباراً ، ياشاتار» ، ردت سوك وهي ترفع يديها المشغولتين بحمل الذبابتين ، واحدة في كفها ، والأخرى في الحُقِّ الحجر الشفيف . لكزت بساقيها جنبَيْ مطيتها فاندفعت ناكولي خارجة من المعبد في وثبة واحدة .

استدارت النساء التِّريكات إلى الشاعر متقوِّضاً في وقفته ، مخذولاً . اقتربت منه شاتار نصفَ قفزة . «تعال» ، هامسَتْهُ . «لديَّ ماأكلمك فيه» .

خرجت ثلة النساء معهن داميكو إلى الساحة المحيطة بالمعبد . اتجهن قوسياً من محيط الجدار الدائري للمعبد شمالاً ، مروراً بهيكل الإله كوياسي الذي تسلقه النحّاتُ آلما ، ليثبِّت عظاماً

ـديدة إلى الوجه الغريب ، اللامتناسق خليطاً من وجه طير لاكيلا ، ومن وجه جنيٍّ ، ووجه ذئب ، بفراغات لن يقود مَلْؤها إلى شكلٍ قط . نادته شاتار :

- آلما . أين ضفائر الإله كوياسي؟ .

نظر آلما ، ذو العينين الحجر الرماديتين على بياض ، إلى أسفل : «هيْهْ . شاتار . أقلت شيئاً؟» ، ساءلها ، فردت الأنثى الطويلة ، ذات الشفتين الممدودتين كأنما تهمّان بالتصفير :

- قلتُ أين ضفائره؟ .

«حين تعيرينني ضفائرك ستكون له ضفائر ، ياشاتار» ، ردَّ آلما متراخياً في ثوبه المفتوح من جانبي فخذيه ـ فخذَيٍّ الجرادة .

لمست شاتار ضفائرها المنتصبة عُرْفاً فوق رأسها . ردت :

- أنا أحتاجها الآن أكثر مما يحتاجها الإله كوياسي .

نزل آلما عن كتف هيكل التمثال العظام بتأنٍّ . قفز قفزتين قصيرتين ليصير قبالة شاتار ، وصاحباتها ، والشاعر . رفع بصره إلى يد الإله كوياسي الممدودة الذراع في اتجاه قُلَّة المعبد :

- لم أحسم بعد ما السلاح الذي سيحمله .

لكزت شاتار كتف داميكو التائه القلب بكتفها :

- أنا أعرف .

«ماذا تقترحين؟» ، ساءلها آلما .

«ذبابة» ردت شاتار . أضافت وهي تنظر إلى وجه داميكو : «إن منحني داميكو ذبابة ، وحفظتُها أربعين يوماً في كفي ، سأضعها في كف الإله كوياسي» . استدارت إلى النحات : «سترى النسل الذي سيكون ياآلما . نسل لن يُقهر . ذلك هو سلاح الإله كوياسي» .

تطلَّع آلما إلى وجه داميكو . كلَّمه مزاحاً : «لا خيار لك . أعط

شاتار التَّريكة ذبابة» . قرب عينيه من عيني الشاعر : «أين أنت؟» ، ساءله .

«أين أنا؟» ، ردَّ داميكو وقد اشتبه عليه سؤال النحات ، فأوضح ألما :

– أراك كأن أحداً سرق عظام أمك .

«هو هكذا» ، قال داميكو بتصريحٍ عن حاله المخذولة ، المنكَّسة . أضاف : «بل أرى قرود هيهمو» .

غمغم ألما مُجْفلاً من ذكر قرود هيهمو . جارَتْه ثُلة النساء بغمغماتهن .

«تعال» ، قالت شاتار . شدَّت الشاعرَ من كتف ثوبه ، فتلاطم العظم الطويل ، المتدلي من حزامه ، مُلْفِتاً بصرَ الأنثى التَّريكة :

– أهذا سلاحك؟ .

«نعم» ، ردَّ داميكو .

«من عظم أيِّ كائنٍ هو هذا؟» ، ساءلته شاتار ، فردَّ داميكو :

– عظْم زرافة . كانَ سلاح أمي قبلي .

«زرافة؟ ، أيُّ حيوانٍ هي؟» ، ساءلته شاتار ، فرد داميكو :

– لم أر الزرافة . لكنَّني أُخبِرتُ أن لها عنقاً يُمَكِّنُها النظرَ من سقف المعبد إلى المنجمين داخله .

«هكذا إذاً» ، غمغمت شاتار محدِّقة إلى داميكو في تفحُّصٍ : «تبدو قلِقاً ، مخذولاً . مابك؟» ، ساءلته .

زأر داميكو بصوتٍ محتبِس . غمغم :

– جئت هايكاهيكسين بذبابة تشاركني فيها ، فأخذ كاشاجو هايكاهيكسين .

«إلى القصر؟» ، ساءلته شاتار ، فرد داميكو :

– إلى حديقة القصر . سيشاركها ذبابةَ استنسال .

«أتَسْتَنْسِل هايكاهيكسين بالذباب؟» ، تساءلت إحدى صويحبات شاتار متوسِّلةً جواباً . أردفت بنبْرِ شكٍّ : «هي ليست من نوعنا» .

قرَّبت شاتار وجهها من وجه الشاعر . همست :

– لدى داميكو ذباب لكل نوع من الخلائق .

«إلاَّ لي» ، عقَّب داميكو بصوتٍ مهزوم .

«جسدُك ضيِّقٌ على قلبكَ اليوم ، وقلبك ضيِّق على جسدك ، ياداميكو» ، قالت شاتار . مسَّت جبينه بسبَّابتها :

– ماذا عنا نحن التَّريكات؟

«ماذا عنكن؟» ، تساءل الشاعر .

«تستطيع ، ياداميكو ، أن تجد أنثى . نحن لا حظَّ لنا في ذكور» ، قالت شاتار .

وثب داميكو مكملاً سيره ، فوثبت شاتار ماشية إلى جواره :

– أحقاً أردتَ هايكاهيكسين شريكةً ، ياداميكو؟ .

نظر إليها الشاعر مستهجناً سؤالها ، فأكملت شاتار :

– ما النسل الذي تتوقعه من ذبابة جنيٍّ في يد كائنة ليست من نوع الجن؟

«لا أعرف . لكنني أردت أن أكون الأول من نوع الجن يشارك نوعاً من غير الجن في الاستنسال» ، ردَّ داميكو .

«هه» ، عقَّبت شاتار همهمةً . تصنَّعت حسرةً في نبرة صوتها :

– سيكون كاشاجو هو الأول .

زأر داميكو في لوعةٍ بصوتٍ خفيض :

– بي رغبة في إفناء الذئاب .

أصدرت شاتار فحيحاً من حنجرتها فيه تنبيهٌ مًّا :

- أنت تقترب من الأعمى ماشفير .

توقف داميكو عن وثبه . حدَّق إلى شاتار متأمِّلاً لا فيها ، بل في فكرته الرغبةِ التي ارتجلها .

توقفت شاتار بدورها . حاصرته بلسانها :

- أعطِنا ذباباً ، ياداميكو .

«ماذا؟» ، تمتم الشاعر يستعيد نفْسه من شرودها . أردفَ :

- لا أرى معكنَّ ذكوراً .

رقَّقت شاتار صوتها بين نبْرِ مزاحٍ ونبْرِ اختبار :

- انظر إلينا ، ياداميكو . أليس بيننا واحدة تقبلُها شريكةً في ذبابتك؟ .

صمت داميكو ، معتذراً بصمته عن جوابٍ ، فاسترسلت شاتار :

ألا ترى؟ لا أحد يشاركنا استنسالاً ، ياداميكو . أعطِنا ذباباً .

«ماذا تصنعن بالذباب إنْ أعطيتكن ذباباً؟» ، ساءلها داميكو .

لم تردَّ شاتار من فورها . جالت ببصرها على صويحباتها كأنما تستفتيهنَّ .

«كل واحدة منا ستشارك الأخرى استنسالاً» ، قالت إحدى التَّريكات ، فغمغمت الأُخريات بنبرٍ موزَّعٍ على مزاحٍ وقبولٍ معاً .

أمسكت شاتار بكتف داميكو . فاجأَته :

- أعطِنا ذباباً . سنعطيك هايكاهيكسين .

تراخت شفة داميكو السفلى عجباً من المقايضة عرضتْها عليه شاتار . وثب مكملاً مسيره ، هارباً من رغبته ، فواكبته ثُلَّةُ النساء التَّريكات .

«أأنتن ذاهبات معي إلى القصر؟» ، ساءلهن داميكو مستغرباً مرافقتهن له في الاتجاه ذاته .

«سنواكبك حتى القصر» ، ردت شاتار .

«لا تحوجني مواكبةٌ إلى القصر» ، قال داميكو . ارتجل مزاحاً لايعرف منبعه في برهته الممزَّقة تلك :

– غادِرْنَ إقليم زينافيري إلى إقليمٍ آخر . قد تجدن ذكوراً .

«ليس قبل التهام آخر جنيٍّ ذكرٍ في زينافيري حيًا» ، ردت شاتار .

أصدر داميكو صوتاً كالنباح الخافت :

– أنتِ أكثر غضباً مني ، ياشاتار .

«قد نبدأ بالتهامك ، ياداميكو» ، قالت شاتار .

توقف داميكو عن وثبه . فتح ذراعيه مستسلماً :

– ابدأن بي . لن تقوِّضني أسنانكن طحْناً أكثر مما أنا عليه الآن .

أكملت شاتار وعيدَها بنبرٍ كأنما تعني ماتقوله ، على الرغم من ظاهره المتصنَّع :

– سنأخذ هايكاهيكسين معنا حين نغادر زينافيري ، ياداميكو ، في ثوبٍ من جلدك .

عادت الوثبات منتظمةً في المسالك الرمال بين المنازل . ثلةُ النساء التريكات كنَّ يسبقن الشاعر حيناً ، ويسبقهن الشاعر الشارد القلب حيناً . وكنَّ على فظاظة أحياناً ، لا يكترثن إن صادمْن عابرين في زحام الطرق الهائجة الرمال من الوثب ، أو ركلن أطفالاً جاوروهن واثبين ، متعمدات رشْقَ الرمل قويًا من خلفهن يُصِبن به من يُصِبْنَ ، بأقدامهن الأرساغ الحشَرية ـ أرساغ الجراد .

بعد مُجمَّعات كُثُر من المنازل ، كل أربعين منزلاً في طوق حلقة تتوسطها ساحةٌ صغيرة ، انفتح العراء على مصراعيٍّ الريح وسيعاً لابناء فيه حتى حدود حديقة قصر سلطان زينافيري ، المرتفعة السور القوسيٍّ من قرون الحيوان مركومةً بعضها فوق بعض ، بإتقانٍ من صُنع البنائين : القرون الكبارُ أسفلَ السور ، تعلوها الصغار ، فالأكثر صغراً ، مدى قامة جنيٍّ طويل ، أو أعلى .

قرب السور توقف وثبُ ثلة النساء ، والشاعر داميكو ، الذي استكثر مواكبتهن له إلى ذلك الموضع :

- الآن في وسعكن أن ترجعن .

دارت شاتار من حوله بقفز قصير ، متواصل ، كأنما تستعرضه من جهات جسده كله . هتفت :

- نلقاك مَغيباً في حانة يَامُوْز .

«سأكون هناك بجسدي الضيِّق عليَّ اليوم» ، ردَّ داميكو .

«وبقلبك الضيِّق على جسدك» ، أضافت شاتار عبارتها إلى عبارته المستعارة منها . عوت عواءً خفيضاً :

- لا تخذلنا ، ياداميكو .

«ماذا؟» ، تساءل الشاعر . استوضَحَ : «ماذا تعنين؟» .

لم تردَّ شاتار . هرعت مبتعدةً وثباً تواكبها صويحباتها .

سار داميكو قفْزاً في محاذاة سور حديقة القصر القوسيِّ ، متجهاً شرقاً ، لينعطف من ثم صوب البوابة المفتوحة كفم ضخم يهمُّ بالتهام الحديقة ذاتها ، أو كعين هائلة تحصر كلَّ ركن بالحيوانات التي فيه ، والتصاميم الهياكل من عظامٍ على أنساق يُريبُ منظورُها .

لدى سادة فرق المحاربين ، ومستشاري كاشاجو في علوم

الخزائن ، والمقايضات ، والحصون ؛ وغطاريف الصيادين ، حدائقُ حول منازلهم تكوَّم فيها الرمال حجوماً أشكالاً تتذرَّى فيُعاد جمعُها هكذا كحالها الأولى ، وتوزَّع على أركانها الأقفاصُ الكبار من العظام المرصوصة بالحبالِ الجلود ، مؤوية ذئاباً صُفراً ، وطيوراً من جنس سَاكُوْتِيْري الزاحفة على بطونها شبيهة بالسحالي ، لكل طير أربعة أجنحة . وفي أقفاص حدائقهم ، أيضاً ، مَنْ ينتظرون الإعدامَ انتقاماً منهم على جرائر تستوجب ذلك .

أمَّا حديقة كاشاجو فامتيازها على حدائق الأسياد ، والغطاريف ، أن فيها تصاميمَ هياكلَ من عظام لاتدلُّ على كائنات بأعيانها ، وأقفاصاً تحوي فهود البوابات الرملية البِيْض ، المخططة الجسوم دوائرَ رماديةً ، وطيورَ كَارْنَا الطِّوال الأعناق الملتوية كالثعابين ، وعديداً من الجن القُزُم ذوي الأذيال والريش .

فوجئ داميكو ، منذ عبوره بوابة القصر ، بسائرين وثْباً متَّزناً من قياس قصير خلف موكب كاشاجو غير المزدحم ، المتوجه إلى ركن من الحديقة قريبٍ من أقفاص فهود البوابات الرمل . كان مسكن جديد في تصميمه ، على هيئة المحراب في المعبد ، ينتصب لصق جدار السور القرون ، فيما انبرت الفتاة المحاربة سوك إلى تعليق ثوب الأنثى الآدمية الأزرق كستارة ، بيد واحدة ، من فوق ظهر مطيتها ، على مدخل المسكن ، وقد بدت هايكّاهيكسّين ظاهرة بشقٍّ من جذعها في الداخل ، ترقب المهتمين بشأن سُكناها الجديد بلا اكتراث واضح .

كان في موكب كاشاجو ابنُه ، ومستشاروه ، وبعض الأتباع لاغير . سوك ، منذ وصولها القصرَ بالأنثى الآدمية محمولةً بين ذراعي شاكد ، أرسلت من يخبر سلطان زينافيري بحضورها ، ثم اتجهت إلى الحديقة حيث أُقيم مسكن لهايكاهيكسين في أيام

قليلة ، باقتراح منها على شبهٍ بمحراب المعبد ، وأثاثه القليل : الفراش الجلود ، والحوض الحجر ، والمشاجب القرون لتعليق قربة الماء ، وأكياس الفاكهة .

لم تكن المماحكةُ السابقة بين شيكتان ، وسوك ، عن أن يشارك كاشاجو الأنثى الآدميةَ ذبابةَ استنسال هي التي ألحفت على عقل سوك بمقترَح نقْل هايكاهيكسين من المعبد إلى حديقة القصر . هي ، في الأيام الأُوَل من انتقال ذبابة كاشاجو إلى كفها ، صارحت سلطان زينافيري برغبتها أن يُضْفي على حديقته سحراً لا يُضاهى بقِناهُ من كائنات ليس في مُكْنةِ سواه اقتناؤها . وقد نزل كاشاجو عند رغبتها ، على الرغْم من اعتراض شيكتان المتسببة ، أصلاً ، في التحريض على ماجرى . لكنها باتت متخوفة حقًا من أن تراود كاشاجو فكرةُ مشاركة هايكاهيكسين ذبابة استنسال ، بعدما طُحن قلبُها ، وكبرياؤها ، بإنزال سوكْ مقاماً في القصر إلى جوار زوجها .

شيكتان لم تحضُر مشاهدةَ الأنثى الآدمية مجلوبةً إلى حديقة القصر . لقد أبصرت مراراً ، من قبل ، بنَّائين أربعة ينقلون أحمالاً من العظام على المحِفَّات يُزَحِّفونها ، ويقيمون بها الصَّرح الصغير ، ربْطاً وضَبْطاً بالحبال الجلود ، لهايكاهيكسين على قياس محراب المعبد ، لصقَ جدار من جدران الحديقة القرون .

أوعزت مرتين إلى ابنها ريكما بإتلاف أساس الصرح خُلسةً ، أو خلخلة بنائه ، فتأبّى الشاب المحارب من غير أن يكتم حقداً صَرَفه على الزئير ، والعواء ، بين حين وحين ، من غير سبب واضح ، وبالإكثار من تنشُّق الغبرةِ يثيرها على الأرض الرمل صفْعاً بيديه ، وعلى الوثب ركضاً من حول أقفاص حيوانات الحديقة ممتطياً زيديكا الجني الضخم ، الطويل الساقين بإفراط . أُمه أهدته

مطيته الجديدة بعد وقت من هرب مطيته روكتا ، المحذوف الذقن بضربة سدَّدها إليه ريكما بسلاح سوك نفسها : ترقوة الذئب . نينيسو ، مطية شيكتان ، تدبرت اختيار زيديكا لخدمة ابن سلطان زينافيري ، هديةً من أمه ، في ثالث يوم مِنْ وضع كاشاجو ذبابته في كف سوك . مطيةٌ صوتُ ، يصغي بانتباه إلى كل شاردٍ ووارد من النَّبر في ريح الأعراء ، وزحام المسالك ، وأركان البهو الأكبر في القصر محاطاً بأبهاء صغيرات ، على استدارة تصميمه فوق الأرض الرمل ، فيها منافذ إلى مخازن العظام . ذلك طبعٌ من المطية زيديكا تقصَّدت به شيكتان ، بعون مطيتها نينيسو ، أن يكون عينَ حَذَرِها على الخطط في رغائب سلطان زينافيري ، وعينَ يقينها تَسْتَرِق على أحاسيس ابنها ريكما مَصْدرَ حقدٍ لايصرِّح بمن يكِنَّهُ له .

شيكتان لم تحضر مشهدَ نزولَ هايكاهيكسين مقامَها المحرابَ . حضر ابنُها ريكما على ظهر مطيته زيديكا ، الذي وقف الشاعر داميكو إلى جواره ، تحديداً ، إثْرَ وصوله الحديقة بقلبٍ مُرٍّ .

نظر ريكما إلى الشاعر من عليائه فوق ظهر المطيةٍ . خاطبَه :

- أية رؤيا تستنزلها على عَيْنَيْ قلبك ، ياداميكو؟ .

رفع داميكو بصره إلى وجه ريكما ، ذي الرأس العاري من الشعر إلاَّ غرته المجدولة . ردَّ وهو يضع يده على صدره :

- لارؤيا ، ياريكما ، بل شرخٌ شمسيٌّ هنا .

«أعرف رغبتك في مشاركة هايكاهيكسين ذبابةَ استنسال . ماالذبابة التي ستختارها؟» ، ساءله ريكما ، فرد داميكو بلسان حسرةٍ :

- الذبابة التي يستطيب كاشاجو طنينَها .

«أتظن أن كاشاجو سيشارك هايكاهيكسين في الاستنسال؟» ،

تساءل ريكما ، فردَّ داميكو بسؤال :

- أسيفعلها؟

أدار ريكما وجهه صوب أبيه القريب من مقام الأنثى الإنسية ، قبل أن يحصر سوكْ ببصره . تنهَّد فانتفخ جلد وجهه من حول منخريه الثقبين . كلَّمَ الشاعر من غير نظر إليه :

- أما من طريقة لتناسل الجن بلا وساطة الذباب؟ .

«كان على الجنية الأولى ، التي أنشأت نفْسَها وجوداً ، أن تبتكر طريقة أخرى للاستنسال» ، ردَّ داميكو .

«الأكذوبة الأولى» ، غمغم ريكما حَنَقاً .

«ماالأكذوبة الأولى؟» ، ساءله داميكو .

«كل شيء» ، ردَّ ريكما .

لمس داميكو براحة يده فخذ ريكما راكباً مطيته . سارَره قَدْرَ مايستطيع من إيصال صوته إلى سمع الشاب ذي النُّقْرة في عينه اليسرى :

- لماذا لم تشارك سوك ذبابةَ استنسالٍ؟ كنتما خِلَّيْن ، صاحبيْنِ .

حدق ريكما إلى داميكو . زأرَ بصوتٍ كتمه في باطن فمه :

- لا ألوم إلاَّ نفسي . تأخرتُ .

«لن أتأخر أنا» ، غمغم داميكو كأنما أُلْهَمه ردُّ ابن سلطان زينافيري إنجازَ ما لا يؤجَّل . وثب ثلاثاً حطَّ بعدها إلى جوار كاشاجو الرَّاجل . استدار ليصير مواجهاً له بوجهه فيمكِّنه من رؤية شفتيه . تكلَّم بلا احتراس :

- سوك خطفت مني الذبابة التي اخترتُها للاستنسالِ شراكةً مع هايكاهيكسين .

نضنض كاشاجو بلسانه . ردَّ :

- أما زلتَ تردِّد الحماقة ذاتها ، يادواميكو؟ .

«ما وجه الحماقة في رغبتي ، ياكاشاجو؟» ، ساءله داميكو بصوت لفت بصرَ سوك .

«أنت جنيٌّ ، وهايكاهيكسين صنفٌ لانعرفه ، يادواميكو» ، ردَّ كاشاجو .

«ماذا عن رغبتك أنت .» ، ساءله داميكو .

تأمله كاشاجو . فتح راحة يده اليمنى المصبوغة السبابةِ خَضْرةً . تساءل :

- رغبتي؟!

«أن تشارك هايكاهيكسين في الاستنسال» ، أوضح داميكو .

عاد كاشاجو إلى تأمل وجه الشاعر برهةً . أوضحَ بدوره :

- إنْ أردتُ ذلك ، لن تكون رغبتي حماقةً ، يادواميكو .

«أبْقِ الحماقةَ لي ، ياكاشاجو» ، قال داميكو متضرِّعاً . نظر إلى سوك واضحَ القصد في نظرته .

فهمته سوك . خاطبتْه :

- أطلقتُ الذبابةَ حرةً ، يادواميكو .

«ذبابتي؟!!» ، تساءل داميكو بصوتٍ عواءٍ خافت .

«كانت تلك ذبابتك . عليك اختيارٌ واحدة تخصُّ كاشاجو» ، قالت سوك .

وثب داميكو عالياً في موضعه . انحنى حتى كاد يلامس الأرض بصدره . صفع الرمل فتنشّق الغبارَ . عاد منتصباً على مرمى بصر كاشاجو .

«أحقًا ستستنسلُ هايكاهيكسين؟» ، ساءلَ الشاعرُ سلطان

زينافيري يستجلي اليقينَ بلا لُبس .

«بم تُشير أنتَ عليَّ ، ياداميكو؟» ، غمغم كاشاجو بنبرٍ من صوته الحجرِ المُمتحِن .

«ماذا تتوقع مني ، ياكاشاجو؟» ، تساءل داميكو منهوباً بشكوكه .

«لاأعرف» ، ردَّ كاشاجو بالنَّبرِ الممتحِن ذاته في صوته .

«أريد هايكاهيكسين شريكة لي» ، قال داميكو .

زأر كاشاجو زئيراً خفيضاً بصوتٍ متبرِّم :

- عُدتَ إلى ترديد حماقتك .

تبلبل داميكو . نبشت الشكوكُ الأرضَ ببراثنها فاحتفرتْها . رمت الشاعر في الحفرة وردمتها عليه . تنفس يستعيد نفْسَه من اختناقها . زأرَ مجروحاً :

- لماذا تفعل هذا بي؟ أنت لست معي .

التفت كاشاجو إلى مستشاريه مستوضحاً ، منْ عيونهم ، معنى احتدام شاعرِ مَجْمَع الذباب . أعاد بصره إليه :

- لستُ ضدك ، ياداميكو .

«لستَ معي» ، كرر داميكو كلماته .

أرخى كاشاجو بصره إلى الأرض . خفض جذعه حتى كاد يلامسها . صفع الرملَ فأثار غباراً تنشَّقه ، ثم استقام على رجليه المطويتين من ركبتيهما إلى خلف كأرجل الجراد :

- قدماي على الأرض ذاتها التي عليها قدماك ، ياداميكو . أنا معك .

«هذا لايجعلك معي» ، قال داميكو على معنىً يحتمل اللَّبس ، فردَّ كاشاجو :

- إنْ لم أكن معك هنا ، على الأرض التي تلمسها قدماك وقدماي معاً ، فهذا يعني أن المكان الذي نقف عليه غيرُ موجود .

«ربما» ، قال داميكو بارتجال .

قرَّبت سوك نفْسَها من المتحاوريْن بوثبة قصيرة من مطيتها :

- أوضحْ ماتريد ، ياداميكو . أصغيتُ إليك كأنك تائهٌ في رؤيا .

أثبت داميكو بصره على كفٍّ سوك المطبقة على ذبابة كاشاجو . أرسل من فمه صوتَه متمرِّغاً في شكوكه :

- كاشاجو لا يوضح . أوضحي لي أنتِ : هل سيستنسلُ هايكاهيكسين مَنْ وضع ذبابتهُ في يدكِ؟ .

«ما تقديركِ؟» ، ساءلته سوك بنبرٍ يُشتمُّ منه استخفافٌ .

عوى داميكو غيْظاً . قرَّب وجهه من وجهها كأنما يتهيَّأ لعراك . تصادمت أنفاسهما قبل أن يتباعدا متفاجئيْنِ بأربعة من أتباع سلطان زينافيري اقتحموا المكانَ وثباً قوياً ، بشهيقٍ كثيف ذي شفرات كالريح .

«كُسِرتْ أيد . أُطلقَ الذباب» ، قال أحدهم بعدما ثبت متمايلاً أمام سلطان زينافيري من شدة اندفاعه فوقوفه .

«ماذا؟» ، تساءلت سوك ، وكاشاجو ، بتوافُتٍ في صوتيهما .

«كُسرت أيدي ثلاثة ذكور يحملون ذباباتِ استنسال في راحاتهم ، وكذلك يدا اثنين» ، قال حامل الخبر المُذعِر .

«كيف كُسرت؟» ، ساءلت سوك حامل الخبر ، فردَّ :

- كُسرت عَمْداً ، في زحام المسالك ، بأسلحة .

«أهذا يحدثُ في زينافيري؟» ، تساءل كاشاجو بصوت لا يريد تصديق الخبر الذي تلقَّفه بلسانه . تذكَّر : «حدث هذا قبلاً» . أدار

عينيه على وجوه الأتباع الأربعة ، حاملي الخبرِ الرعشةِ :
- مَنِ الجُناة؟ .

«لم يستطع المنكوبون تحديد أيٍّ من الفاعلين» ، ردَّ أحدهم . «فعَلها الجُناةُ برؤوس مغطاة لاتُرى وجوهها» .

«هل الجُناة أشباحٌ كطيف ذئب المعبد؟» ، دمدم كاشاجو بحروف يتخالط فيها زئيرٌ وعواء معاً . «أين قيَّاف البروق ويلابو؟» . دار من حول نفسه مهتاجاً . صرخ : «ويلابو . أستأتينا قابضاً عل بروق ، وتفشل في القبض على جان؟» . ركل الرمل بقدمه اليمنى فرشق به الريح من خلفه . «من رأى ويلابو؟ ألم نكلِّفه تقصِّي فاعلٍ قبلاً؟» .

«لم أرَ ويلابو منذ أمد» ، قال ابنه ريكما .

«سأستنفر أسياد زينافيري . على أحد أن يأتيني بالجناة» ، قال كاشاجو . ألقى بصره إلى مطيته شاكد واقفاً قريباً من محراب الأنثى الإنسية :
- أحْضِر ماياكي .

سها حاضرو مشهد انتقال الأنثى الإنسية إلى مقامها عنها في تتابع الزئير ، والهرير ، من حنجرة سلطان زينافيري ، الذي ، حين أتته أنثى منكوبة قبلاً بفقد ذبابتها ، لم يأخذ الأمر على ضرورة الاحتراس والفحص . لقد كلَّف ويلابو ، قيَّاف البروق ، بالتحري في مايشبه المزاح على الأرجح . وبَّخ نفْسَه امتعاضاً بعواءٍ طويل . وهاهي الأخبارُ ثقيلةً عن منكوبين ، في يوم واحد ، تسفع قلبَه برملٍ حرَّاق . وثب ممتطياً ظهر شاكد كأنما يهبُّ إلى معركة داهمة . أَرْكَضَ مطيتَه نصفَ دورة من حول الحاضرين على غير تدبير في القصد . نزل عن ظهر مطيته . توجه إلى المحراب وثباً سريعاً . خلع

الستارةَ الزرقاء ـ ثوبَ الأنثى الآدمية القماش قبل استبداله بثوبٍ جلد . حدَّق إلى عينيها البلورتين بين أجفان تنطبق وتنفرج . تفرَّس في أهدابها الطوال على أشفار أجفانها .

«تكلَّمي ، أيتها الخدعة» ، همس بصوتٍ هرير . نضنض بلسانه يتوخَّى أن تنطق فيتذوَّق الكلمات على أية لغةٍ أتت . «لماذا لاتتكلمين؟» ، ساءلها بالنَّبر الهامس ذاته . انحنى قليلاً عليها بطوله ـ هي الواقفة إلى جوارٍ من مدخل المحراب . اكتنف بيديه الضخمتين يدَها اليمنى الصغيرة . بسطها مفتوحةً أمام بصره : «لا أثر لذباب . لا أثر لجراد . لا أثر لنمل أزرق . لا أثر لنمر أو فهد . لا أثر لجنيٍّ قزم . لا أثر لطير . يدكِ ليست للاستنسال ؛ ليست للقتل ؛ ليست للصيد» . أفلتَ يدها . غمغم : «مَنْ يُجهض ذبابَ الاستنسال في زينافيري ، ياهايكاهيكسين؟» . استدار إلى سوك الراكبة ظهرَ مطيتها على بُعد وثبة من خلفه . رمى بالستارة الزرقاء ، البالية ، إليها . فاجأها بسؤالٍ أعمى :

– لماذا نزعتُ هذه الستارةَ عن مدخل المحراب؟ .

تحيَّرت سوك وهي تستجمع الستارة القماش بيد واحدة بين بطنها وظهر مطيتها . نفشت خيالها بحثاً عن جواب يليق بالسؤال المحير .

«لا تعرفين لماذا فعلتُ ذلك» ، ردَّ كاشاجو ينتشلها من تردُّدها . نضنض بلسانه يترقب تعقيباً فلم تنطق الفتاة المحاربة . بادرها :

– أعيدي هذه الستارة إلى موضعها .

سارعت سوك إلى تعليق الستارة على باب المحراب ، بالنحو ذاته الذي علَّقتها قبلاً ، وعادت بمطيتها واقفةً خلف سلطان زينافيري ، الذي استرسل بصوته الهياجِ الهرير : «إنه بيننا . ماشفير

بيننا» ، قال . أدار وجهه على الواقفين في موكبه . ساءلهم بتعميمٍ : أذهبَ مَنْ يأتيني بمايكي؟ .

«أرسلتَ شاكدْ» ، ردَّ أمين الحصون الرمال آماروك ، فاقترب منه كاشاجو :

- أيستطيع ماشفير اجتياز الحصونِ الرمال ، ياآماروك؟ .

«إنها رمال ، ياكاشاجو ، تتقوَّض في الريح فنعيد بناءَها» ، ردَّ آماروك . أضاف : «لكنْ لاتقلق . لايستطيع ماشفير اجتيازَ حصوننا» .

«ماالذي يحدث في زينافيري إذاً؟» ، ساءله كاشاجو . نضنض بلسانه يتذوَّق ردَّ أمين الحصون الرمال .

«ربما الجناةُ مريدون لماشفير . لا أجزم» ، ردَّ آماروك ، فتولى دايجيك ، أمينُ تجارة القصر مع القبائل ، إضافةً في الكلام إلى ردِّ آماروك :

- ماجرى لا يخيف ، ياكاشاجو .

«لم يحدث هذا قبلاً ، وهاهو يحدث الآن . ذلك مايخيف ، يادايجيك» ، قال كاشاجو بنبْرِ عواء . «إجهاضُ ذبابة الاستنسال خاطرٌ كنباح قرود هيهمو . إنني أرتعد» ، قال محدِّقاً إلى يديه بسَطهما أمام بصره . «من خطر له هذا هو من نسلٍ شاركتْ ذباباتِ آبائه قرودُ هيهمو» .

«تمالكْ نفْسَك . أنت تخيفنا» ، قال ابنه ريكما .

«أُحس ماءً تُدلق عليَّ الآن» ، قال كاشاجو نافضاً جسده في اشمئزاز يخالطه الخوف . «على لحومنا أن تقشعرَّ هلعاً ، ياريكما . أمْ أرى بعينيَّ قلقي ما لا ترون؟» .

«ماذا ترى؟» ، ساءلته سوك .

«أرى ماشفير محدِّقاً إليَّ كأنه يراني» ، ردَّ كاشاجو . زأرَ :

- أين ماياكي؟ .

في موضع مَّا من أركان بهو القصر ، أمسكت شيكتان بعضُد مطيتها نينيسو الواقفة إلى جوارها . ساءلتها :

- مابه كاشاجو يزأر كثيراً اليوم؟ أن نسمعه من هنا ، وهو في الحديقة ، فذلك يعني انهيار إقليم زينافيري .

نظرت إليها نينيسو بوجهٍ خالٍ من أيِّ تكهُّن .

«ربَّما عضَّتهُ هايكاهيكسين» ، قالت شيكتان ساخرة . «أمْ هو هائج لأنها أكلت ذبابةَ الاستنسال؟» .

«أتظنين ، حقًّا ، أن كاشاجو سيشارك هايكاهيكسين استنسالاً ، ياشيكتان؟» ، تساءلت نينيسو ذات الأسنان المفرطة ضخامةً .

أصدرت شيكتان نبراً يشبه المواءَ من حنجرتها . حدَّقت إلى مطيتها نينيسو بنظرة فيها دغدغةُ الكيد :

- ماذا لو وضعَ ريكما ذبابةَ استنسالٍ في كف هايكاهيكسين؟ .

رمقتها نينيسو بنظرة فارغة برهةً ، قبل أن تستحضر ابن شيكتان إلى مزاح لسانها :

- ماذا لو وضع ريكما ذبابة استنسال في كفي؟ .

لطمت شيكتان كتف مطيتها لطماً خفيفاً براحة يدها . سألتها عن ابنها :

- أهو مع كاشاجو في الحديقة؟ .

«أظنني لمحته في موكب كاشاجو الصغير» ، ردت نينيسو .

أصغت ، مثل شيكتان ، إلى زئيرٍ موحش ، عميق ، منذر متوتّاً .

«ماالذي يجري ، يانينيسو؟» ، سألت شيكتان مطيتها . «هذا زئيرٌ ليس من حنجرة كاشاجو ، بل من أحشائه» .

«سأستخبر» ، قالت نينيسو . لم تنتظر موافقة شيكتان . وثبت وثباً زفر الرملُ غباراً من خلفها في بهو القصر .

ماكادت شيكتان أن تُتمَّ استعراض بعض متاعها المعلق إلى جدران الطيّة الغائرة في الجدار ، التي تقطنها إلى يسار مقام زوجها ، حتى عادت نينيسو وثباً زفر الرملُ منه الغبارَ ثانيةً . أدارت وجهها على رهط من النساء توجهن من الأبهاء الصغار صوب مطيتها مستشعرات فضولاً من ذلك الوثب المندفع ، المُحتملِ خبراً لا يؤجَّل .

«ثلاثةٌ ذكور ، وأمرأتان ، أُجهِضت ذباباتُ الاستنسال في أيديهم ضرْباً» ، قالت نينيسو من فورها .

شهقت شيكتان مصدومةً . تمالكت نفسَها ، مستعيدةً من ذاكرتها حادثاً شبيهاً :

- ألم يحدث هذا قبلاً؟ .

«مرة واحدة ، منذ وقت ليس بقريب» ، ردت نينيسو .

«مَنِ الجناةُ؟» ، ساءلتها شيكتان .

«ليس واضحاً مَنْ هُم» ، ردت نينيسو .

«أهذا من صُنْع ماشفير الأعمى؟» ، تساءلت شيكتان .

ظلت نينيسو صامتة لاتتأوَّل الأمرَ على أيِّ نحوٍ من التخمين .

قربت شيكتان وجهها من وجه مطيتها ، وهي ترفع إحدى يديها علامةً لرهط القادمات صوبها ، من جهات الأبهاء الصغار ، أن يتوقفن ، فتوقفن عن بُعد . نزل عقلُها دَرَجَ الخبر المحيِّر إلى خلوة المعاني متنصِّتاً إلى كيدها . بدا ذلك واضحاً في عينيها لا تخطئُه عينا نينيسو .

«أحـدثَ الإجـهـاض بالضـرب قـريبـاً من القـصـر؟» ، سـألت شيكتان مطيتَها .

«لم أستخبر عن ذلك» ، ردت نينيسو .

«مـاذا لو حـدث هذا في القـصـر؟» ، تسـاءلـت شـيـكتـان في خبث .

«أتعنين إجـهـاضَ ذباب الاسـتنسـال؟» ، غـمـغـمت نينيـسـو متـفـهِّـمـةً ، على التحـديد ، مجرى القصـد من عقـل شيكتـان إلى لسانها . أردفت :

- ليس في القـصـر إلاَّ ذبابة واحـدة قـيـدَ الاسـتنسـال ، ياشيكتان .

ظلت شيكتان على تحديق صامت إلى عيني مطيتها ؛ تحديقٍ يتقطَّر سرداً مختزَلاً تساررُ به خيالَ الأنثى الواقفة أمامها .

أغضت نينيسو من ثقل التخمين اليقين في المخاطَبة الصامتة بين عيونهما .

«أنظري إليَّ» ، قالت شيكتان لمطيتها . «أثقُ أنك قادرة على التقاط أثرٍ . عيناكِ ريحُ أيضاً في زينافيري» .

«أتعنين أثرَ الجناة؟» ، ساءلتها نينيسو ، فردت شيكتان :

- أريد معرفة فاعل واحد ، لاأكثر .

«كاشاجو طلب أسياد المحاربين . سيملأ بهم أرض زينافيري تحرِّياً عن الجناة . كان كاشاجو هائجاً» ، قالت نينيسو .

«لن نزاحم كاشاجو» ، غمغمت شيكتان . «تحرَّيْ لي عن فاعل واحد» .

«ثم ماذا إن كشفتُ فاعلاً؟» ، ساءلتها نينيسو .

«نبتزُّه» ، ردت شيكتان بصوتٍ تقطَّر همْساً كيداً ، محدِّقةً إلى

البُعد ماوراء عيني مطيتها .

«ألن نخبر كاشاجو في هذه الحال؟» ، تساءلت نينيسو .

«لا» ، ردت شيكتان . «سيكون لي ولك سلوك مع جانٍ إن عثرتِ عليه ، وليكن لكاشاجو سلوك مع الجناة إن عثر عليهم» ، ردت شيكتان .

«في ذاكرتي أن كاشاجو بعث قيافَ البروق ويلابو يتحرَّى الجاني في الحادثة الأولى» ، قالت نينيسو ، فعقَّبت شيكتان :

- أعاد ويلابو بفاعلٍ ، أو بخبر عن فاعل؟ .

«ليس بعد» ، ردت نينيسو .

«أنت ستعودين إليَّ بشيء . استنفري ذئابَ سمعك ونمورَها» ، قالت شيكتان .

«ماالذي تريدينه إنْ كشفتُ جانياً؟» ، سألتها نينيسو .

«ستطلبين منه الذي نريده» ، ردت شيكتان .

«أطلب ماذا؟» ، ساءلتها نينيسو ، فأتاها الجواب الذي توقَّعتْه حرفاً بحرفٍ :

- أن يكسر يدَ سوك .

وصل زئير كاشاجو إلى أعماق القصر من جديد ، حين حضر بين يديه عميد المحاربين ماياكي على ظهر مطيته راتو . ترجَّل إلى جوار سلطان زينافيري ، الذي أمطر سحابُ قلقه رملاً في ريحِ القلق :

- ماشفير هنا . ماشفير بيننا .

«هل أعترفَ أحدٌ ما من أتباع ماشفير للجلاد رادبور؟ مَنْ أنبأَك؟» ، ساءله ماياكي .

«أنبأَني دهاءُ الجناة ، ياماياكي . لم يخطر ببال أكثر العُصاة ،

• في زمن الجن ، إجهاضُ ذباب الاستنسال . لماشفير الأعمى عينا المكر الأشدِّ حدَّة» ، ردَّ كاشاجو .

«ولنا عيون الرمل» ، عقَّب ماياكي باعتداد . «سأقلب أعالي ينافيري أسافلَ ، وأسَلُّ ماشفير من وكره كالضَّبِّ» .

دار الرمل على نفسه زوبعاتٍ صغائرَ ، في حديقة القصر ، من لفِّ الريح للرمل على مغزلها .

«الرؤيا ريح» ، قال دايجيك وهو يلتقط بكفه ، من إحدى الزوابع النحيلات ، حفنةً رملاً . «الرمل نبوءة الريح» ، أضاف متّكئاً باتزانٍ على ساقه اليسرى الوحيدة ، وعظم عَصًا .

«لَم أظنَّكَ ، يادايجيك ، من مريديَّ خاميدس المنجم» ، قال ماياكي لأمين تجارة القصر مع القبائل .

«من يفكر مثلي في حساب المقايضات ، والمبادلات بالجلود والعظام ، ياماياكي ، يكُنْ منجِّم المنجمين» ، قال دايجيك . «حسابٌ كنقلِ الريح للكثبان ، ورفع الريح للكثبان ، وخفضها ، وتسويتها بَسْطاً . حسابٌ هو الرياحُ الرَّحَّالة ، والرمال الرحَّالة ، والنقوشُ التعاريج الرحالة . حسابٌ هو المساررات بين الأعالِي والأسافل» .

هَزَّ كاشاجو وقد استقرَّ بصره على شَفتَيْ دايجيك . خاطبَه :

– أليس في علوم الحساب عندك أرقامُ مَكْر ، يادايجيك؟ .

«أرقامُ مَكْرٍ؟» ، تساءل دايجيك . «المكْرُ باطنٌ ، وليس للأرقام باطنٌ ، ياكاشاجو . هي تدلُّ على ماتدلُّ عليه ، لاأكثر» .

«أَما مِنْ رقم عندك يدلُّ على ماشفير؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ ذو الساق الواحدة :

– أرقام المكر التي تريدها هي أرقام من حسابٍ آخر يعرفه أهل خطط الحروب ، ومتتبِّعو الدسائس إلى مَصَادِ نمورها .

«أتعني الذباب، والجراد؟»، ساءله كاشاجو ببعض السخرية، فردّ دايجيك:

- للذباب ذاكرة الريح، وللجراد ذاكرة الرمل.

زأر كاشاجو زئيره الموحش، العميق:

- ألنا مدخلٌ، في كلامك النفقِ هذا، إلى ماشفير؟.

قرَّبت سوك مطيتها من حلقة المتحادثين. وقفت قبالة كاشاجو ليتذوّق بلسانه ماتقول:

- سعةُ إقليم زينافيري، وامتداده، وشساعته، كلها تجعل مما حصلَ من إجهاض بضع ذبابات كأنه لاشيء.

«اللاشيء هو شيء لايشبه شيئاً آخر»، عقَّب ماياكي.

«ربما لا معنى لكل ماحصل، ياكاشاجو»، قال آماروك المؤتمن في إقليم زينافيري على الحصون الرمال. وإذْ رأى بعضَ امتعاض من تقديره هذا في عيني كاشاجو، أضاف تصوُّراً من منطقه إلى ماقال: «إن كان ماجرى هو من مكر ماشفير، فما الذي سيتبدل في زينافيري؟». أبقى وجهه في مرمى بصر كاشاجو يراه، فيما توجه بكلماته إلى الشاعر: «في مَجْمَع الذباب مايكفي أُمماً تستنسل نسلَها من الجن. أليس كذلك، ياداميكو؟»، فانبرى داميكو إدلاءً بالتخمين المرتجَل:

- قد يكون إجهاض الذباب خدعة لصرف أنظارنا عن خطط يتدبَّرها ماشفير.

«خدعة؟!»، تساءل كاشاجو. «ألم تكن تردِّد، في يقين وجزم، أن هايكاهيكسين خدعة، وها تصرِّح برغبتك في اتخاذها شريكة للاستنسال؟ تقديرُك للخداع، ياداميكو، خداعٌ». التفت إلى الأنثى الإنسية صائرةً خارج محرابها. قفز نصف قفزة فاستقرَّ قبالتها:

- أأنت خدعة؟ أما يجري خدعة ، ياهايكاهيكسين؟ .

«خفِّفْ صراخك» ، قالت سوك مخافة أن يُجفل الأنثى الإنسية ، أو يُذْعِرها .

لم يرَ كاشاجو شفتي سوك ليتذوق بلسانه مانطقتْهُ . لكنه استدار إليها تحديداً . ساءلها :

- أقلتِ شيئاً ، ياسوك؟ .

«عظام هايكاهيكسين رقيقة ، قد تنكسر إن صرختَ بها ، ياكاشاجو» ، قالت سوك .

«عظامُها؟» ، تمتم كاشاجو . «كأنني أنتبه ، للمرة الأولى ، إلى أنَّ لهايكاهيكسين عظاماً» . فحَّ من حنجرته فحيحَ الاستدراك :

- أعظامها بِيْضٌ كعظام الجن ، والحيوان؟ .

«أسنانها بيضٌ» ، ردت سوك .

«أسنانها . نعم . ماذا عن بقية عظامها؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ ماياكي متدخِّلاً :

- بِمَ تفكر الآن ، ياكاشاجو؟ .

«بعظام هايكاهيكسين . أتؤكل عظامُها؟» ، تساءل كاشاجو .

«قد تكون مسمومة كعظام أطفال الجن قبل اليفاعة» ، قال ليكمورا ، أمين خزائن العظام في القصر .

«كيف لنا أن نعرف؟» ، تساءل كاشاجو .

«فلنأكلْ عظامها» ، قال ماياكي متبرِّماً من بحثهم في نوع عظام الأنثى الآدمية .

«هي تأكل ثماراً ، وتشرب الماء . إنها حيوان ، ياماياكي . ونحن نأكل عظام الحيوان» ، قال كاشاجو .

هبَّ ماياكي وثباً حتى حاذى الأنثى الإنسية . رفع سلاحه -

عظام فخذ الثور عالياً فوق رأسها :

فلأهشمْ جمجمتها ، ياكاشاجو ، كيْ نختبر طعمَ عظامها .

أصدر داميكو عواءً في نبر صوته المذعور . صرخ :

- لاتقتلها .

ارتدت الأنثى الإنسية خطوتين إلى الوراء خائفة ، فيما أبقى ماياكي بصره على وجه كاشاجو يتحرَّى ردَّه :

- أأقتلها؟ ربما هي خدعة حقًّا . لكنها ليست من مكْر ماشفير .

فحَّتْ سوك فحيحاً معترضاً على تهديد ماياكي . ساءلتْه بلسان محذِّر :

- ماالذي أثارك إلى هذا الحد؟ .

«لستُ أكلمك أنت أنا أكلم كاشاجو ، ياسوك» ، قال ماياكي بازدراءٍ لفحيحها المحذِّر . أَنزل يده بالسلاح الذي في قبضتها . سأل سلطانٌ زينافيري :

- والآن ماذا ، ياكاشاجو؟ .

استدرك كاشاجو نزوحَ عقولهم إلى عَرَضٍ من الثرثرات . هيَّأَ حنجرته ، من جديد ، لزئيرها :

- اقلبْ زينافيري أعاليها أسافلَ . سُلَّ ماشفير من جحْره ، ياماياكي .

تبدَّد موكب كاشاجو ، من فوره ، بعد كلماته تلك . انسحب صوب القصر ، وتفرَّق ، إلاَّ الشاعر داميكو ، الواقف على بُعد ثلاث وثبات من الأنثى الإنسية اقتعدتِ الأرضَ الرمل على باب مقامها المحراب ، متأملةً فهودَ البوابات الرملية البيضَ مخططةَ الجسوم دوائرَ رمادية ، كل فهد منفرد في قفص يستطلع المكانَ الموصدَ على خياله بعينيه الزرقاوين .

اقترب داميكو من هايكاهيكسين بأنصاف وثبات قصار. انحنى في هدوء ممسكاً بيدها اليمنى. بسط كفَّها الجلدَ الرقيقَ لا يشبه الجلدَ الجاسئ في جسوم الجن. تقصَّى بعينَيْ خياله طيفَ ذبابة مستوهَمَة، رابضة في بلورتها الغمام اللامرئية: «هذه ذبابتي، ياهايكاهيكسينَ»، هامَسَها وهو يمرِّر إصبعَه السبابة على هيئة الحشرة الخفية. «إنها ذبابة من الشاعرات الذباب، ياهايكاهيكسين. طنينُها سيرةُ الأقاليم المفقودة، والأقاليم السيَّارة النجوم في الأعالي. سنستنسل، أنتِ وأنا، الذريَّة الأصل الذي لم تتفكر فيه جنيَّةُ الأصل الأول إذْ أنشأتْ نفسَها. سنستنسل ذريةَ الأصل النسيان»، قال داميكو بصوته الحسرةِ، ثم أبدى إجفالةً إذْ تهيَّأ له أن الذبابة الطيفَ، التي استحضرها خيالُه وهْماً في كف الأنثى الآدمية، تخفق بجناحيها طائرةً. تأوَّه لوعةً. تتبَّع طيفَها بعينيه في الفراغ سلكتْه متبدِّدةً. غمغم: «طيفُ ذبابتي نفسها تمرَّد على رؤياي، ياهايكاهيكسينَ». أفلت يدَها. وثب وثبة قوية أوصلته إلى قفص كبير من العظام ضِخاماً، متقوِّسة، تحيط بفهد من فهود البوابات الرمال. صفع براحة يده على عظم فشدخه من غير أن ينفصم: «سأقوِّض مَجْمع الذباب ذات يوم»، قال بصوتٍ كسير، فتراجع الفهد حَذَراً في قفصه.

شيكتان، حين عودة زوجها وبعض مستشاريه إلى داخل القصر، من زيارتهم الحديقةَ، هبَّت وثباً، تتبعها مطيتها نينيسو، إلى لقاء ابنها المتوجه، منفصلاً عن رهط أبيه، إلى ثلة صغيرة من أولاد الأسياد، في أقاصي البهو الكبير، واقفين على تخوم حلقته التي تفصله عن الأبهاء الصغار محيطةً به. أدركت شيكتان ابنها ريكما قبل عبوره المدخلَ في الحلقة الرمل الخفيضة للبهو الكبير.

أمسكت به من ذراعه اليسرى .

ثار غبار خفيف من وثبها صوب ابنها ، فاستدارتها عليه وعلى مطيته . تنشقتِ الغبارَ بمنخريها الثقبين قبل أن تكلمه :

- تعال معي .

خلت شيكتان بابنها على مسافةٍ من مطيتيهما . التفتت بوجهها إلى حيث تقف سوك إلى جوارٍ كاشاجو ، بعيدين في الركن الأقرب إلى مقام السلطان الطِّيَّةِ المقعَّرة في جدار القصر شمالاً . ساءلته :

- ماذا ترى؟ .

تطلع ريكما ، العاري الرأس من الشعر إلاَّ غرَّته الضفيرة ، إلى حيث وجهت أمه بصرَها :

- أرى ماترين .

«ليس تماماً» ، قالت شيكتان .

«إن كنتِ تعنين سوكْ فلا أرى غير أنثى باتت تقطن طيَّةً من الجدار إلى جانب كاشاجو» ، قال ابنها . أضاف : «إن كنتِ تعنين كاشاجو فلا أرى غيرَ خمول القصر» .

هرَّت شيكتان هريراً خفيضاً . قرَّبَت وجهها من وجه ابنها حتى كادت تلامسه . ساءلته همهمةً :

- ماذا لو كنتَ ، ياريكما ، سيد القصر؟ .

حدَّق ريكما مليًّا إلى عيني أمه الحجر الكتيمتين يتقرّى مالم يرَه قبلاً فيهما . ردَّ همهمةً بدوره :

- كنتُ عيَّنتُ عميداً لجباية العظام من أقاليم الجن كلها .

تنهَّدت شيكتان بصوتٍ مرتاح النبر . انتفخ الجلد من حول منخريها الثقبين . همست وهي تعيد بصرها إلى سوك :

- ربما يحقق الوليدُ القادم ما تفكر أنت به .

أدار ريكما بصره إلى حيث تقف سوك . دقّق النظر إلى كفِّها الموسومة على ذبابة أبيه . هزَّ هريراً خفيضاً .

ريكما ، منذ احتضن أبوه ذبابةً ليشارك سوكْ في الاستنسال ، لم يكلم الفتاةَ المحاربة إلاَّ عَرَضاً إذا تلاقيا عابريْنِ . اختزل الأحاديث معها إلى غمغمات قِصار ، وهمهمات لاتعني شيئاً في الأرجح إلاَّ التذكير بأنهما متعارفان . كان في عينيها ، أوّلَ اختيار أبيه لها شريكةً في ذبابة ، شيء مًّا يشبه اعتذاراً لاتبوح به ، كلما تراءيا متقابليْنِ بوجهيهما . ريكما لم يحسَّ بكراهية لسوك ، أو بنفور منها . لقد خضعتْ لمشيئة أبيه التي لاتُرَدُّ . وهو لن يلومها على ماليس في مُكْنتها أن ترفضه . لكنه لم يستطِبْ من سوك ذلك الإنخراط في تفاصيل القصر ، كأنها كانت مُنجزَةَ الرغبة ، قبلاً ، في مقام يجعل القصرَ محيطاً بها ، ويجعلها محيطةً بالقصر .

سريعاً اقتَحمت سوك شؤونَ أبيه ، وأحاديثَ أبيه . وشاركت زائري أبيه ، وسمّاره ، ومستشاريه ، أحكاماً وآراءً لم يكن يُؤبه لها لولا تكلُّف كاشاجو الإصغاءَ بلسانه إلى شريكته الجديدة . أمَّا تجاهل سوك لأمه شيكتان في لقاءاتهما ، فهو - تحديداً - ماأثار فيه حفيظةَ المستكثرِ على سوك تماديها . وهو ، في برهة الحديث الهامس بينه وبين أمه ، لمَّا أرخى بصرَه تدقيقاً إلى يد سوك الواقفة بعيداً عنهما ، جَذَبهُ الرنينُ المنذر في كلمات أمه عن الوليد القادم ، كناية عمَّا سيستنسله سلطانُ زينافيري والفتاة المحاربة .

لقد أحسَّ ريكما نَقْزَةً مُجفِلة إنْ تداعت صورُها لاستنزفته خيالَه . قال بصوتِ هرير :

- ستعَضُّ الريحُ يدكِّ ، ياسوك .

تهديدٌ يشبه ذلك ، على التقريب ، عَبرَ خاطرَ داميكو الخائب في خروجه من حديقة القصر إلى العراء الرمل ، المحيط بسورها المتراكم علواً من قرون الحيوان : «فلْتعضَّ الريحُ كلَّ ذبابة في مَجْمع الذباب» ، خاطبَ نفسه . هو لم يتحقّق من شيء في مدارات لسان كاشاجو : هل سيشارك الأنثى الإنسيةَ استنسالاً ، أم لا؟ . مهما يكن ، فقد باتَ حظُّ الشاعر عَدَمَاً في العودة بهايكاهيكسين إلى خياله سعيداً بالرغبة في استنسالها . تقوَّض أملٌ لن يرمِّمه خيالٌ رؤيا ، أو رغبةٌ رؤيا . باتت الأنثى الإنسية من الكائنات القِنَى في أقفاص حديقة القصر ـ مُلْكِ كاشاجو .

زأر داميكو . مرَّغ قلبَه في كل رمل استحضرهُ خيالُهُ صوراً من أرض التيه ، التي عبرها مع أمه إلى زينافيري في سنين . عضَّ الريحَ طاحناً بعضَ الرمل المحمول فيها بأسنانه . أدار ظهره إلى السور فركله بقدمه ـ قدمِ الجرادة . أعاد الركْلَ مراراً حتى تكسَّر بعضُ القرون . انفتحت ثغرة هبت منها أربعة أصوات معاً مستنكرةً :

– ماذا أنت فاعلُهُ ، ياداميكو؟ .

انحنى داميكو . لمح ، من الثغرة في السور القرون ، وجوه متعهِّدِيْ الحديقة الأربعة منحنيْنَ يتفحَّصونه . رَابَهم القرعُ بالركل فانبروا وثباً إلى موضع الصخب . بلغوه لما استكمل داميكو الثغرةَ . عرفوه ، فهَالَهُم ذلك . وجموا بعد سؤالهم متحيِّريْنَ ـ هُمُ الموكلون بإطعام الحيوانات في حديقة القصر لحوماً ، وسقايتها ، وكذلك بإطعام الأنثى الإنسية فاكهةً ، ومَلْءِ حوضها الحجر ماءً .

تحيَّر داميكو نفسُه مما فعل . وجم مثلهم لايحار جواباً . وإذْ تمالكَ خيالَه المبعثرَ ، عمد إلى جمع بعض الهشيم من العظام القرون فأدخلَها الثغرةَ يريد ترميماً بلا تمكُّنٍ .

«دعْ عنك ، ياداميكو» ، قال أحد المكلَّفين بحيوانات الحديقة . أضاف : «سنرمم الثغرة» .

«لِمَ فعلت هذا؟» ، سأله واحد آخر من الأربعة .

«لا أعرف» ، ردَّ داميكو . «ربما أردتُ العودة إلى الحديقة ، على عجل ، من فتحة سورها» ، أضاف منحنياً بعدُ يخاطبهم من الثغرة .

هزَّ الأربعة معاً غير متفهمين . هزَّ داميكو . وثب مبتعداً إلى الجهة الجنوب ، في العراء الفسيح الممتد من نواحي قصر كاشاجو إلى مداخل أعماق مدينة زينافيري . عَبرَ الأزقة بين المساكن المُجمَّعات الدائرية . لم يتوقف في مروره بهيكل الإله كوياسي اجتمع عنده المنجمون الأربعة إلى النحات آلما . لم يعِرْ انتباهاً إلى زئير بوكلو ، نائبِ كبير المهندسين ليوفا ، وهو يهيب بعماله زاحفين على بطونهم يجرُّون محفَّاتٍ حمَّلوها جذوعَ شجر لبناء مانعات الرياح ، مُذْ هم لايستطيعونَ جرَّها واثبيْنَ وقوفاً . لم يُثْقِلْ على خاطره التفكير بغيابه ، معظم النهار ، عن مَجْمع الذباب ، ومن سيحضرون طالبين ذباباً للاستنسال . لم يصْغِ ، كعادته ، إلى طنين الذباب العادي ، الكثيف حضوراً في مساكبِ الجفاف على امتداد الأوقيانوسِ الرمال . هو يصغي إلى الذبابِ العادي ؛ إلى تدفاق الطنين يجتذب من دفين الشعور فيه أشعاراً طنيناً ادَّخر منه الكثير للأنثى الإنسية في خزْنة بوحه .

كان داميكو ، في وثبه الوسيع ، المتواصل ، يُسْقِط من حوله ، في أيدي الريح المنمَّشة ، جراداً من شِعرِ الغضب ، ونملاً من شعر الوداع الفاتك : كان يودع هايكاهيكسين بترديد اسمها ممزَّقاً ؛ يودع فكرة لم تخطر ببال أحد قبله ، أيْ اتخاذ الأنثى الإنسية شريكة في الاستنسال بين نوعين لن يعرفَ الخيالُ تخميناً لنوعٍ مَا قد يُنجبان .

لقد تفكَّرَ طويلاً ، في أيام اعتقاده أنَّهُ سيحظى بالأنثى تلك شريكةً ، في شكل وليدهما المأمول . أعادَ بناءَ صورته هيكلاً جسماً كإعادة النحات آلما بناءَ جسد كوياسي الإله . تخيَّله مَزْجاً من الذباب ، والجراد ، والجن ، والطير . تخيله جنيّا ، أو جنيةً ، بذيل ريشٍ ، وشَعرٍ ضفائرَ كورق العشب في واحة كيما . تخيله بأجنحة ، وبقرونٍ ، وبعنق كعنق الزرافة وَصَفَتْها أمُّه له ، وأورثته عظماً من عظامها سلاحاً . تخيل نسلَهُ من الأنثى الإنسية برأس كرأس الضَّبِّ ، وقدمين حافريْنِ ، وعينين من حجر أصفر ذهبي . تخيله جسداً كجسده لكنْ من رمل تحركه الريحُ في موضعه من أعضائه بلا بعثرةٍ . زأرَ لا يأبه لمن تفحَّصوه من العابرين . وثبَ كأقوى ماوهبتْه ساقاه من إمكانٍ في أن يعلو عن الأرض مقدارَ قامتَيْ جنينين متراكبيْنِ أحدهما على كتفيِّ الآخر . صار داميكو ريحاً .

قبل المغيب عبر داميكو آخر مساكن القرية الصغيرة ، الملاصقة تخومَ مدينة زينافيري غرباً ، في الوقت الذي يتخيَّره الجنُّ وقوفاً في مواضعهم على أبواب المساكن ، هادئين ، لا يبارحونها حتى الفجر ، إلاَّ لطارئٍ من خوف ، أو خبرٍ يُذهِل . سلكَ العراءَ الفسيح خلف القرية ، بين صفَّين من حجرٍ رمليٍّ وسيع المعبر ، غير عاليين ، يمضيان بالتواءٍ حتى تخوم واحة كيما ، حيث يتلاشى الصفَّان مستَوِيَيْنِ بالأرض نهباً لنقوش الريح تبدِّدُها ، وتصوغُها ، على تصرُّفٍ من خيال المصادفات الحاكمة ومشيئاتها .

سبع علامات تدلُّ ، في العراء المتماوج الرمل ، على حانة يَامُوزْ . بين كل علامة ورديفتها أربعون وثبةً على عدد الأيام يحتضن الجن ذباباً في أكفهم للاستنسال . وبين الأخيرة منها وهيكل الحانة ثمانون وثبة ، على عدد أيام احتضان الكُرات الحجر

الـ..اب قبل انفلاقها عن وِلْدَان الجن .

سبع صخور متراكبة عمودياً ، متوَّجة بإكليل من أضلاع حيوان مـ..م لايذكره المتأخرون من الجن ، هي العلامة الأولى في الطريق إلى حانة ياموز .

ست صخور ، كل اثنتين تعلوهما ثالثةٌ ، متوَّجة بإكليل من أضلاع جنيٍّ من الجن المطايا ، هي العلامة الثانية .

خمس صخور ، أربع كقاعدة تعلوها خامسة ، متوَّجة بإكليل من اضلاع ذئب أصفر ، هي العلامة الثالثة .

أربع صخور ، ثلاثٌ قاعدة تعلوها رابعة ، متوَّجة بإكليل من أضلاع البقر الوحش ، هي العلامة الرابعة .

ثلاث صخور ، اثنتان قاعدة تعلوها ثالثة ، متوَّجة بإكليل من أضلاع قرد ـ هكذا الزعم ، هي العلامة الخامسة .

صخرتان مترادفتان ، على قُلَّتَيْ كلتيهما حفناتٌ من أضلاع طيور لاكيلا ، هي العلامة السادسة .

صخرة واحدة ، على قُلَّتَها أضلاع طفل من الجن ، هي العلامة السابعة .

صخور سود بعروق من فلز أزرق ، يتعهَّدها سيد حانة ياموز تنظيفاً من الرمل هي والعظام التي عليها ، ويرتب العظام إن قَدِرت الريحُ على العبث بها إزاحةً ، أو بعثرةً .

منقذفاً بوثبه العالي ، الشديد سرعةً ، جاوزَ داميكو العلامات السبع ، ثم اجتاز العراء المستوي ممتدًا لساناً إلى ساحة لاتحوي بناء غير الحانة ، ذات الهندسة مختلفةً عن أنساق المساكن القباب في إقليم زينافيري كله .

بناءٌ مستطيل بناءُ حانة ياموز ، من صنوف العظام مترا..

جدراناً ، بمنافذ صغار لهبوب الريح إلى أعماقها ، وسطح مستو من جلود الحيوان ، وحبال اللِّيف . في جوفها يتقابل صفَّان بالغا، مبلغَهما طولاً من نهود رملٍ ، مرتفعات ذراعين عن الأرض . يطوق كلَّ نهد ، من قاعدته ، حبلٌ ضفيرةٌ من شعر الجن .

مئاتٌ عددُ النهود الرمل ، مترادفة ، يقف على كلٍّ منها جني أو جنية من رواد الحانة . في آخر الجدار الخلفي المواجه لبوابتها صخرةٌ ضخمة ، مثلثة ، ينتصب على هرمها سيدُ الحانة لِيْكَانوس ، ذو العين الثالثة الحجر السوداء ، الصغيرة ، في جبهته فوق عينيه الحجر الرماديتين .

مطلعَ المغيب يعلن ليكانوس الانتهاء من استقبال رواد أكثر بضربة من راحة يده على صدره العاري يتدحرج صداها ، من كل منفذ في الحانة ، إلى العراء وَرَثَ نفْسَه من أمهاتٍ أعراءٍ في المحيط الأبعد ، حتى واحة كيما .

يَخْلدُ روَّاد الحانة ، في وقوف كل واحد على نهد رملٍ ، إلى سكونٍ بليغ تقليداً للسكون الذي يخضع له الجن إنْ خمدت الريح . لكنهم يتداولون تخاطُراً من تصوراتهم في « النسيانِ الأعظم» - مصطلحهم لايسمَّون الموتَ إلاَّ به . كل إثنين من المتقابليْنِ مصادفةً ، بلا اتفاق مسبق ، على الصفين المديدين للنهود الرمال ، يتبادلان تسارُرَهما الصامت حتى الفجر موعد الضربة الثانية من سيد الحانة على صدره العاري ، فوق هرم صخرته المثلثة ، ذات النقش النافر لصورة لاكيلا الطائر المقدس ، الأعمى ، متهيِّئ الجناحين المنشورين للطيران .

حين وصل داميكو إلى حانة ياموز ، عمد من فوره إلى استقصاء وجود شاتار . لم يمكِّنه الزحام ، والوقت الضيق على موعد

ضربة ليكانوس على صدره ، من العثور عليها وعلى صاحباتها الساء التَّريكات . صعد نهداً من الرمل ليقف قبالة مطية لاَلاَكْ - أحد الأسياد السبعة عشر على فِرق المحاربين . مطية أنثى ، ضخمة تصنف العاملين والعاملات في مهنتها مطايا . جهد أن يتذكر اسمها بلا جدوى . انخرط في التخاطر معها بِنَرْدٍ من حظوظ التصورات في مغاليق «النسيان الأعظم» ، التي يخرج منها استذكارُ الصور المتخيَّلة دائماً بتيه مدخلُه فردوس المخاطبات الدائرية بألسنة من لهب ، ومَخرجُه الرِّيحُ الأكثر ضراوة في أرض ممالك الجن الخفية ، وممالك الأعالي السيَّارة كالنجوم .

بادلَ داميكو شريكته في التخاطر الأخرس صوراً من مَجْمع الذباب مهدَّماً ؛ من جنٍّ مذعورين ، شاخصين بأبصارهم إلى السماء يتلقَّفون رملاً أبيضَ ؛ مِنْ هضبة طيور لاكيلا متصدِّعة الجنبات ، متهدمة في بعض أجزائها ؛ مِنَ الذئاب الصفر ، وفهود البوابات الرملية ، رابضة فوق قباب مساكن أهل زينافيري ؛ مِنَ الإله كوياسي ملتهماً جدارَ المعبد الغربيَّ في جوع ؛ من المنجمين الأربعة متجمدين صخوراً ؛ من قصر كاشاجو يتدَّلى من سقفه أطفال ، وأبقار ، وطيور ، معلَّقة جميعاً بحبال من أقدامها .

بادلت مطيةُ السيد لالاك الشاعرَ داميكو صوراً من فرقةٍ محاربين يتطاحنون قِراعاً بالأسلحة العظام ؛ من مطايا الجن الضخام يغلقون الأزقة على هاربين من شيء غير واضح ؛ من الحصون الرمال مرتفعةً حتى السُّحبِ الرمالِ في سماء زينافيري ؛ من طيور لاكيلا بعيون كعيون الجن الحجرية ؛ من الرياح متفرِّعةً في الموضع الواحد برؤوسٍ كالثيران ، وجسوم كالعقارب ؛ مِنْ ذباب لهبٍ مشتعل ؛ مِن جِّنيات يحفرن ثقوباً في الرمل وينفخن فيها فتتفتح

الأرض ؛ مِن قَصرٍ خماسيٍّ الهيكل ، على سَطحه المستوي شمسان ، تتوافد الإناث الجنيات لدخول لهبهما ؛ مِن أقفاص في حديقة ذلك القصر يُحْتَبَس فيها الأسيادُ السبعة عشر لِفرق المحاربين ، ونساؤهم ، وأولادهم ؛ مِنِ البوق الأوحد ، المعلق إلى الشجرة العظام ، في يدها ـ هي التي تبادل الشاعرَ تخاطراً بمثله .

داميكو ، ومطية السيد لالاك ، تبادلا صوراً من المُتخيَّلات متشابهات أيضاً ، متطابقات البناء في عناصرها ، حتى الفجر . لكنهما ، كغيرهما من رواد الحانة المنتصبين على النهود الرملية صامتين ، أصغيا مراراً ، بين سطور تخاطُرهما ، إلى أصوات طيور الليل ، ومخلوقات الليل البهائم ، تجتلبها الريحُ متقطعةً من صوب واحة كيما . أصغيا إلى مالاتسلّمه الريح من نبْرِ عزيفها إلاًّ للأرض العراء من حول الحانة في الليل . أصغيا إلى نبض قلب سيد الحانة مسموعاً في أعماق الحانة ، بنقْرٍ حجريٍّ كسَجْع الكلمات يروي للصمت المطبق سيرةَ نشأته صمتاً .

في الفجر أعلن ليكانوس ، بضربة ثانية مدوية على صدره من يده ، موعدَ انصراف رواد الحانة ، فنزلوا عن النهود الرملية ، كلٌّ بزئيرٍ خفيض ، أو هرير خفيض ، أو زمجرة خفيضة ، تذكيراً للوجود بهم ، ثم وضعوا على آثار أقدامهم ، فوق النهود الرمال ، كلٌّ ضِرساً ، أو سناً من أسنان الجن الموتى ، لقاءَ ارتياد الحانة . خرجوا من بوابَتها صامتين .

خارج الحانة استعرض داميكو المنصرفيْنَ بحثاً عن شاتار . عثر عليها عابرةً مع زمرة من الإناث التَّريكات يواكبنها منفصلاتٍ عن الأرهاط الآخرين . زاحم بضع جماعات صغيرة وثباً حتى جاورها . ناداها باسمها في زفيرٍ .

«جئت إذاً ، ياداميكو» ، قالت شاتار متوقفة عن وثبها المتأني . أنزلت بصرها إلى يديه الفارغتين :

- لم تجئني بشيء .

«لا» ، رد داميكو . هز رأسه يؤكد النفيَ .

زفرت شاتار زفرةً أتبعتْها بزمجرة ملجومة :

- وفِّرْ ذبابَ المَجْمع لهايكاهيكسين أخرى قد تظهر في زينافيري .

أبدى داميكو انكساراً بحركة من يديه . لكن شاتار اختزلت النظر إلى عجزه خائبةً . وثبت مبتعدة ، فلحق بها داميكو يسائلها بصوت متضرِّعِ النَّبْر :

- لماذا أنا هنا ، ياشاتار؟ .

نظرت إليه شاتار جانبيًا بعينين مستفسرتين معنى سؤاله :

- حقًا ، لماذا أنت هنا؟ الحْقْ بعميد المحاربين ماياكي .

لفتت إشارةٌ من رأس شاتار عيني داميكو إلى جهةٍ رأى فيها ماياكي على ظهر مطيته راتو . غمغم متسائلاً :

- أيزور ماياكي الحانة؟ .

«رأيته مرتين قبلاً» ، ردت شاتار .

«كنتُ هنا مراراً» ، قال داميكو ، «لكنني لم أرَ ماياكي» . ضاعف وثبَهُ ليظل محاذياً الأنثى المتَّرَكَةَ لم يعثر لها حظٌّ على ذَكَرٍ .

«كان شريكي في التخاطر» ، قالت شاتار .

«ماياكي؟» ، تساءل داميكو ، فردت شاتار :

- نعم . ماياكي . وكان راتو شريك إحدى صاحباتي .

تأمل داميكو وجهها جانبيًا لاتنظر إليه . ودَّ لو سألها ماالذي

تبادلاه من صور الممكنات في تخاطرهما ، لكنْ مامن جنٍّ يبوحون ، قط ، بما تخاطروه . سرُّ ليلهم في الحانة يبقى في الحانة . كل الرؤى ، التي يستنزلونها من رغباتهم الدفينة ، وكل الصور التي يدَّخرونها في خزائن خوفهم ، وقلقهم ، ورجائهم ، ولذائذهم ، يبوحونَها تخاطراً في السياق إلى استشراف «النسيان الأعظم» ـ الموتِ كمعقولٍ وصْفاً ، حتى لو لم تناسب صورةٌ واحدة مما تخاطروه مفهومَ خيالهم في أمر الموت . يشتطُّون أحياناً . يقاربون أحياناً . ماهَمَّ . لن يعاقبَ أحدٌ أحداً ، من المتشاركين مصادفةً في التخاطر ، على ضعفٍ في الصور بادلَها بما بادلَهُ ، ولن يكافئه على اقتدار الصور اقتراناً قوياً بتأويل الموت في خيال الجن .

ودَّ داميكو ، بإلحاح من فضوله ، لو سأل شاتارْ عن صورٍ يدَّخرها عميد المحاربين . غيَّر أنه نَحَّى فضوله ذاك إلى سؤالٍ ملتوٍ لن يحظى بجواب عليه :

- أبادلك ماياكي صوراً من تصاميم مانعات الرياح أنجزها المهندس ليوفا؟ .

هزَّت شاتار . أدرجت سخريةً خفيفةً في الجواب :

- بادلني صوراً من المخاطبات بينه وبين هايكاهيكسين . سيتشاركان في الاستنسال .

هزَّ داميكو بدوره ملدوغاً . ارتجل سؤالاً هارباً من سياق السخرية وعضِّها :

- إنْ قَبِلَ ذكورٌ مشاركتك ذبابةَ استنسالٍ ، فمن تختارين؟ .

«أختارُ ماياكي» ، ردت شاتار .

«هناك ، إذاً ، من تفضلينه على الآخرين في زينافيري» ، عقَّب داميكو .

«متى كنتُ لا أفضل أحداً ، يادامیكو؟ متى كنا نحن ، هؤلاء اللواتي بلا حظوظ ، لانفضّل أحداًً؟» ، ردت شاتار .

«ظننتك تكرهين كل أحـد في زينافيـري» ، قـال دامـيكو . أضاف» أتفهَّمُ ذلك» .

«أحبُّ البعضَ إنْ ناسبني أن أحبهم . وأكرههم ، هم أنفسهم ، أنْ ناسبني كُرهُهم» ، عقَّبت شاتار .

مدَّ داميكو يده إلى ذراع شاتار السائرة وثباً . أوقفها ، فتوقفت صاحباتها أيضاً . ساءلها :

- مـاذا عنيتِ ، حـقّـا ، بقـولك : أعطِنا ذباباً ، وسنعطيك هايكاهيكسين؟ .

«عنيتُ ماعنيتُ . لكنك خذلتني» ، ردت شاتار . زمجرت : «إقليم زينافيري إقليمُ الخذلان» . عادت سائرةً وثباً فعاد داميكو لاحقاً بها :

- إلى أين آخذ هايكاهيكسين إنْ أعطيتِنيها ، ياشاتار؟ .

أدارت شاتار وجهها على وجوه صاحباتها القريبات منها وثباً . تساءلت بصوتٍ عالٍ :

- إلى أين يأخـذ دامـيكو هايكاهيكسين إن أعطيناه هايكاهيكسين؟ .

ردت إحداهن في مايشبه السخرية :

- فليأخذها إلى إقليم آبائها .

تطلعت شاتار إلى داميكو صامتة ، تتوقع منه ردًا على جواب صاحبتها الساخر .

«لا ذاكرة لهايكاهيكسين» ، قال داميكو مغلوباً على أمره .

«لهـا ذاكـرة ، قطْعاً ، يادامـيكو . ابحثْ عن ذاكـرتها» ، عقَّبت

شاتار . لبثتْ ثانيةً تدير عينيها على صاحباتها الواثبات . ساءلتهن :

- أين ذاكرة الجن؟ .

«ذاكرةُ الجنيِّ قلبُه» ، ردت إحداهن .

«ذاكرة الجني يداه» ، ردت واحدة أخرى .

«بل ذاكرة الجني هي وثْبُه» ، قالت ثالثةٌ منهنَّ .

مالت شاتار قليلاً صوب داميكو . كلمتْه بالنَّبر الساخر ذاته :

- ابحث عن ذاكرة هايكاهيكسين في قلبها . إن لم تجدها هناك ابحثْ عنها في يديها . إن لم تجد ذاكرتها في يديها ابحثْ عنها في وثبها .

«هي لا تثِبُ ، ياشاتار . هي تمشي مشياً لا نعرفه» ، قال داميكو .

«ابحثْ ، إذاً ، عن ذاكرتها في مشيها» ، قالت شاتار . «تعلَّمِ المشيَ مثلها ، واتبعْ ذاكرتها إلى إقليم آبائها» . توقفت مجفلةً حينَ كاد يصدمها جني ضخم ، قادماً من جانبهم في وثبٍ واسعٍ تتبعه جنيةٌ لا تستطيع مجاراته ، فتتعثر في وثبتها .

هتف داميكو بالجني الراكض :

- ويلابو .

دار قيَّاف البروق في الهواء بدلَ الأرض ، متفحِّصاً مناديه . عرفه :

- هِهْ . داميكو .

«أعثرتَ على الجاني على هذه المنكوبة؟» ، ساءله داميكو مشيراً بيده إلى الجنية ، التي كانت أولى ضحايا الضرب على الأيدي المحتضنة ذبابَ الاستنسال .

«أشمُّ قلبه . أشمُّ قلبه الخائف» ، ردَّ ويلابو . «سأعثر عليه» .

«هناك منكوبون جُدد ، ياويلابو» ، قال داميكو . «أسمعتَ بهم؟» ، ساءلَ قيَّافَ البروق .

«هاسمعتُ بهم منك . سأعثر على الجناة ، ياداميكو . سأعثر على قلوبهم» ، ردَّ ويلابو .

تقدمت شاتار من ويلابو . ساءلتْه :

- هلِ التقطتَ برقاً بعْدُ؟ .

حدَّق ويلابو إلى شاتار :

- أستشاركينني برقاً للاستنسال بدلَ ذباب هذا الشاعر؟ .

«سأشاركَكَ ماتشاء» ، ردت إحدى صاحبات شاتار بنبرٍ فيه ملاطَفةٌ .

«اتبعيني إذاً» ، قال ويلابو . «حين أنتهي من العثور على الجُناة ، سأضع برقاً في كفِّكَ» . وثب مبتعداً في مهمته غير المحسومة تخطيطاً .

«سأتبعُك حين تلتقط برقاً» ، قالت صاحبة شاتار للجني المفرط في طوله ، ذي ضفائر الشعر أربعاً على الجهة اليسرى من راسه .

«إلى أين يتجه ويلابو؟» ، تساءلت شاتار ، فرد داميكو :

- ربما إلى واحة كيما .

«إنه يقترب من الجناة» ، عقَّبت شاتار ساخرةً . أدارت وجهها إلى داميكو :

- هناك منكوبون جددُ أضاعوا ذبابهم .

«لم يضيِّعوها . أُقْسِروا على إفلاتها بالضرب على أيديهم . أعرفتِ بالأمر؟» ، ساءلها داميكو ، فردت شاتار مواربةً :

لم يعد الذبابُ مقتنعاً بمهمته كوسيط .

انطلقت شاتار وصاحباتها في وثبهن بعد توقفهن القصير ، فوثب داميكو يجاور شاتارْ . اقترب حتى مسَّ كتفها بكتفه . كلَّمها بصوت فضول :

– تلمِّحينَ إلى إعطائي هايكاهيكسين كأنكِ تملكينها .

هزّت شاتار . حدقت إليه في صمت .

«ماذا؟» ، ساءلها داميكو . «لم تردِّي» ، أضافَ .

«أتريد جواباً حقّاً؟» ، ساءلته شاتار .

«ماجوابكِ؟ أنتِ لا تملكين هايكاهيكسين» ، ردَّ داميكو .

«تعرف جوابي ، إذاً» ، عقَّبت شاتار .

«أهذا ماكنتِ ستردين به عليّ؟» ، تساءل داميكو .

فحَّتْ شاتار من حنجرتها بفم مفتوح على آخره : «لا» ، قالت بنبْرٍ يمازجه زئيرٌ خافت .

«ما جوابكِ؟ كيف ستهبينني هايكاهيكسين؟» ، ساءلها داميكو .

«أعطنا ذباباً» ، قالت شاتار .

«إن أعطيتُك ذباباً وعرف أحدٌ بالأمر فأنا ميت ، ياشاتار . ثم ماذا إن أعطيتكن ذباباً؟ كيف تعطينني ، أنتِ ، هايكاهيكسين؟» ، ساءلها داميكو .

لم تلتفت شاتار إليه . تكلمت مسرِّحةً عينيها على الفراغ البعيد متدلياً من السماء فوق الهيئة الشبحية لواحة كيما ، متماوجةً في سرابٍ :

– إنْ أعطيناك هايكاهيكسين ، إلى أين ستأخذها؟ .

«لا أعرف» ، ردّ داميكو . «ربما خرجتُ بها من زينافيري هارباً» .

«نعم . اهربْ بها حتى إقليم آبائها» ، قالت شاتار .

«أعُدتِ إلى السخرية؟» ، ساءلها داميكو . استطردَ : «لماذا أطلبُ هايكاهيكسين منكِ؟ أستطيع أن أختلسها من حديقة القصر هارباً بها» .

«هكذا إذاً!» ، غمغمت شاتار غمغمةً لم يفهم داميكو مقصَدها . نقلت لسانها إلى مسار آخر للأحاديث :

– لماذا لا يأكل الجن لحومَ الجن كعظامهم يأكلونها؟ .

«سمعت من آخرين سؤالاً كهذا» ، قال داميكو . أردفَ : «لحمنا جافٌّ . لِيْفٌ» . حدَّق إليها جانبيًا في وثبه المتواصل . ساءلها :

– ما الذي أثار خاطرَكِ في أمر لحم الجن؟ .

«العاصفة الزرقاء» ، ردت شاتار .

مامن رابط ، قطٌّ ، بين مارأت شاتار من مطالع الزرقة البعيدة وبين أكل لحم الجن . ارتجلت ، ربما ، كلامها من نزيف الإلهام العارض في ظهور النمل الأزرق قادماً إلى زينافيري سُحُباً زُرقاً تداخلت حواشيها أولاً ، ثم تشكلت زوابعَ ، ثم تلاحمت نسيجاً مرصوصاً .

«لقد أبكرَ عيدُ العاصفة الزرقاء» ، قالت شاتار .

«ما المُبْكر؟» ، ساءلها داميكو . «سنونٌ مضت من سنين الجن على آخر عيد» .

«سنونُ الجن؟» ، غمغمت شاتار تُسائل نفسَها في الأرجح . «ماسنونُ الجن ، ياداميكو؟ سنواتٌ تنشدُّ حيناً ، وتتراخى حيناً كعضل الجن . سنوات تطول كظلال الجن ، وتقصُر كظلال الجن ، وتضمحلُّ أيضاً كظلالهم» ، قالت . «سنةُ الجنيِّ مقدارُ تعب الجنيّ» .

«وماذا إن لم يتعب الجني؟» ، تساءل داميكو .

«لا يكون له وقتٌ» ، ردَّت شاتار .

«ماوقتُ أنثى مثلك ، ياشاتار؟» ، ساءلها داميكو ، فردت الأنثى التَّريكة ، المنبوذة من حظها في ذَكَر :

– وقتي هو ماستنجزه هايكاهيكسين في تعلُّم الغناء .

كلُّ أمٍّ في زينافيري عندها طفلة تغطي طفلتَها بالنمل الأزرق الأجنحة ، من قدميها حتى قُلَّة رأسها ، يوماً ونصف اليوم ، وقوفاً أمام أبواب مساكنهن . ذعر الصغيرات من النمل يُنضِج اصواتهنَّ همهماتٍ تعلو ، أو تنخفض ، بحسب ارتداد الهلع من قلوبهن إلى ألسنتهن . وهن لن يتوقفن عن همهماتهن الغناءَ تلك حتى آخر زفراتٍ برتقالية من الرمل يزفرْنَها في انخطاف أرواحهن ببزوغ «النسيان الأعظم» ـ الموتِ عليهن .

شاتار ، وصاحباتها التَّرِيكات ، لم يوفِّر لهنَّ حظُّ النسلِ المقطوع إناثاً صغيراتٍ يغطينهن بالنمل الأزرق الأجنحة ، كي يَصِرْن منشِداتِ زينافيري . ربما كان ذلك الإحساس بالإفتقاد هو سبب تلميحها الملتبس في الإشارة إلى تعليم هايكاهيكسين الغناءَ .

«يلزمها صوتٌ أولاً» ، قال داميكو تعقيباً على سخريتها . «لا صوت لهايكاهيكسين» .

«ماذا تريد من هايكاهيكسين حقّا؟» ، ساءلتْه شاتار بصوتٍ أجَّجَ نبرَه الشَّكُّ . «لا صوت لها . لاتقفز كقفزك . لاتأكل طعامك . لاتستنشق الغبار مثلك إن عطشت ، بل تشرب الماء ، ياداميكو . لقد وصلتَ مع أمك إلى زينافيري تائهاً ، وقد تخرج من زينافيري تائهاً» . زأرتْ محتدمةً : «سأعلِّم هايكاهيكسين الغناءَ . سأعلِّم نسلي الإناث الغناءَ ، والذكور أيضاً» . رفعت يديها مفتوحتين إلى

السماء كأنما ستلتقط بكفيها شيئاً من السحاب الأزرق ينحدر أقربَ إلى الأرض : «سنستعين بالنمل الأزرق الأجنحة ، لا بذبابك ، ياداميكو» .

رفعت صاحباتها أذرعهنَّ عالياً مثلها . زأرْنَ بصوتٍ واحد زئيرَ الوعيد لا يَخْفى جرحُ الإهانة فيه .

الفصل الخامس
(قُبلة في إقليم زينافيري)

عَلَت ذراعٌ بغـتـةً في الزحـام ، ثم هوت بعظم طويل على يد جنيٍّ واقف على بابِ مسكنه . تفجرت حنجرتُه أنيناً ، لامن ألم الكسر سُمعَ واضحاً ، بل من ارتخاء كفِّه عن ذبابة فيها ، بيضاء الرأس ، برتقالية الجسم ، سوداء الجناحين . همَّ ، من لوعته ، أن يعيد التقاطها بيده الأخرى قبل فرارها طليقةً ، لكنَّ الذبابة كانت أسرع ، تماماً كالشخص المغطى الرأس بخمارٍ جلد بعد ضربهِ الضحية فرَّ وثْباً طيراناً .

تعالت أصوات مذهولة مما رأت . لكنَّ الزحام ، في الزقاق من حول أحد مجامع المساكن الدائريِّ ، الأقرب إلى شرق المعبد ، أخفى أثرَ الجاني ، وذوَّب الأصواتَ المذهولة في أقداح الرمال الملأى لغطاً ، وصخباً ، من مخاطبات الجنِّ العالية في عبور بعضهم ببعض . والحالُ ذاتها كانت في زقاقٍ موازٍ من مجمع المساكن إلى غرب المعبد : شخص مغطى الرأس بكيسٍ جلد ، فيه ثقبان على موضع العينين ، انهال بضربة من حجر مستطيل على يد أنثى هشَّمت أصابعها . طارت الذبابة التي فيها محوِّمةً تسع دورات في زوبعة صغيرة من الريح منفصلةٍ عن أُمِّها .

من مساءلات الجن في تقدير أصول النشآت ، عادةً ، أنهم يقيسون كل شيء ، في وجوده ، بردِّ أصله إلى ماقبل ظهور الجن أو

ما بعد ظهور الجن . يلحُّون على ذلك في المناظرات ، والمخاطبات ، وتقويم الأحكام . هُمْ يسلِّمون بالأنثى الأصلِ ، الأُم ، أنشأت نفسَها من ذاكرة سبقتْها وجوداً في المُطْلَق ، الذي لم يكن زمناً ، بل رصْداً من العطالة اللانهائية على لامعقوله المُطْلق . ولَمَّا أنشأت الأمُّ الأصل نفسَها ، أنشأتْ زمنَها معها مزيجاً من يقظة كيانها المُحْدَث كنَفْس في جسم ، ومن المُطلَق التعطيل الذي هو بعضُ سؤالِ ذاكرتها . ثم تخيَّرت ذبابةً فاتخذَتْها وسيطاً إلى نشأة النسل .

على نحو كالتسليم بلا حدود ، أو قيد ، لمْ يسأل الجنُّ لِمَ اختارت الأمُّ الأصل الذبابَ وسيطاً . وتجاهلوا ، خارج كل تساؤلاتهم في مَنْشَأ الأصول ، هل سبقَ الذبابُ وجودَ الأم ، أمْ سبقَ وجودُها وجودَ الذباب ، أم نشأ الذبابُ فُضْلةً من إنشائها نفْسَها هيئةً جسماً؟ هُمْ يكرهون التداول في أعمار الجن ، ويستكرهون حتى الذعر ذِكْرَ قرود هيهمو ، لكنها أمور لايندر زجُّها في أحاديثهم ، إلاَّ السؤالَ في من سبق ظهورُه ظهورَ الآخر : الذباب أَم الجنية الأولى؟ ولماذا الذباب تحديداً؟ كان في مستطاعها اختيار الرمل وسيطاً حاضناً ، كأن تحفر ثقباً فيه ، وتنفخ في الثقب ثم تردمه حيناً من الوقت يخرج الوليدُ بعده على هيئة أُمه ، التي استعارت من صورة الجرادة رِجْلَيْنِ شغفاً بالجرادة قفزت معها ، من الوجود القديم بلا شكل ، إلى الوجود المُحْدَث فوق الأرضِ الرمل .

كان حريّاً بالأم الأصل إكرامُ الرمل مُذ حلَّت ، في إنشائها كيانَها ، على أرض رملٍ . لربما عرفت ـ منذ بزوغ رغبتها عليها بتكوين كيانها ـ أن الرملَ نفسَه كان ذاكرةً سبقت وجود الصخرة ، كالذاكرة التي سبقت نشوءها هي الأم الأولى . لربما تماست الذاكرتان في المطلق الذي أنشأ نفسَه مطلقاً من ذاكرة الأصل

الشكّ في الحدوث : ذرة من الرمل تدحرجت إلى برهة بدء الأم بإنشاء نفْسها ، فاستنبتت في شمول عقلها نزوعاً من الحنين إلى الرمل ، فاستقرت بكيانها على الأرضِ الرمل .

في انتشار الرمل على الأرض ، مرافقاً نزولَ الأم الأولى بكيانها المُحْدَث ، نزع بعضُه إلى بعض شوقاً فتآلف صخوراً . لكنَّ نزوع الرمل إلى بَسْطِ نفْسه كذاكرة أنجز عقدَه مع الريح تتولى تفتيت الصخرة ، دهراً بعد دهر ، ليكون في مُكْنة تلك الذاكرة الإحاطةُ بالخلائق وبجهاتها ، ما دامت الصخرة عاجزة بنفسها عن نقل كيانها الثقيل من موضعها .

ظهور الأم الأولى ، منقذفَةً إلى الخلاءِ المكانِ في المُطلق الأجوف ، خلخلَ الفراغَ المتراصَّ فاستُحْدثَت الريحُ . حين تَخمدُ الريحُ يرجع الفراغ مرصوصاً جسماً في أبعاد لامرئيِّهِ المرصوص . لذا يخمد الجنُّ ، أيضاً ، إن خمدتِ الريح .

كل المتحدثين من الجن في أمور الأحكام ، والقياس ، والأصول ، يحذرون بأسئلتهم من تقدير أصول السوابق وأصول اللواحق : الأم الجنية هي الأصل . سبقت بنشوئها كلَّ نشأةٍ ، وانبثقت من نشوئها أعراضٌ موازية هي الرمل ، والريح ، والجراد ، والذباب . تتراجع الأسئلة مذْ يكتفي الجن بحصر خيال الاستنسال فيهم على الذباب وسيطاً في الصخرة الحاضنة . لكنْ : ماهي الذبابة؟

حين لم يستطع منجمو زينافيري ، خلفاً عن سلف ، إحكامَ الوصف في جوهر الذبابة ، وما هي طباعها ، والخصائصِ التي تنيط بها هي الوساطةَ إلى استنسال الجن في الصخرة الحاضنة ، تخلّوا عن المجاهدة في تحصيل عِلمٍ كامل بها للشعراء ، منذ المجادلات

الأُوَل بينهم في السحيق الغابر من زمن الجن .

لم يذهب الشعراء إلى محاولات الوصف ، والقياس ، ودرس الخصائص كما فعل المنجمون الشُّرَّاح ، والمنجمون المتأوِّلون ، والمنجمون المجتهدون على تصانيف الرؤى حول الحشرة ، بل أَنطقوا خيالَهم أشعاراً في شأن الذباب ، وطباع الذباب ، وحِيَل الذباب ، وصنائع الذباب ، وأنساب الذباب ، وطبقات الذباب ، وشرف الذباب في طرائق تناسله المدهشة ، ومنازل الذباب ، في الفصول المتغايرة ، قبل انقلاب الجفاف على الفصول جميعاً بإخضاعها لنظام واحد : ريح ، ورمل ، وبقايا واحات هي النَّزْفُ الأخير من ذاكرة أرض كانت لها تلاوينُها قبلاً .

عمد الشعراء ، أولاً ، إلى الإحاطة المطلقة بكُنه الذباب في تقليد طنين الحشرة ذاتها ، مستحوذيْنَ بذلك على لطافة الجوهر الأول فيها صوتاً ، ثم قسَّموا الصوتَ طبقاتٍ في النَّبرِ على ترتيبٍ متصل بطيرانها ، وحطِّها ، ودورانها على نفسها في المركز من التصاق قلبها بالأرض تحتها ، ولم ينسوا تلك الحركةَ ـ أمَّ هندسة الحركات وهي تمسِّد بيديها على صفحتَيْ وجهها ، فوق العينين النافرتين ، كأنما تشحُذُ بصرَها المعدنَ بمبرد مسَنٍّ ، وتَسُنُّ خرطومَها .

لم يكن مفهوماً طنينُ الأشعار مُنْشَدَةً في أفواه الشعراء ، على تقليد لطنين الذباب ، كحال المعاني مفهومةً في الكلام الصوت واضحاً يتخاطب الجنُّ به . وقد عُدَّ اللامفهوم من أغراض الأشعار ، المصوَّتة بلا كلمات ، إحاطةً كُليةً بما لايُفْهَم ، مُذ الذبابةُ نفسُها كُنْهٌ دحضٌ لأي جواب في شأنها جوهراً ، أو عَرَضاً من أعراض نشوء الحشرات .

عَهَدَ المنجمون مَجْمَعَ الذباب ، في معبدهم ، إلى الشعراء ،

عبر أحقاب من زمن زينافيري . لكنَّ لِيْكو الثاني ، جدَّ كاشاجو ، منحهم جناحاً في القصر ينصرفون فيه ، بلا تدخُّل من المنجمين ، إلى استنباط أجناس من الذباب ، وتهذيب أجناس ، وترويض أجناس ، واستثارة أجناس حتى تكاد تجن من السُّعار ، وهي مايفضله المحاربون . كما حضهم ليكو الثاني على وضع تقديرٍ بأثمانها من العظام للطالبين استنسالاً ، فيما كان الذباب يُمنح للطالبين قبلاً لقاءَ عمل يوم واحد في إعادة جمع الرمل على أسوار الحصون ، كلما ذرَّاها الريحُ ، أو أنْقَص ارتفاعاتها .

أربعة شعراء ، لاأكثر ، كانوا عمادَ مجمع الذباب ، منذ نشوء المجمع في إقليم زينافيري . لايعرف أحد لماذا استقرَّ الرقمُ المطلوب لإدارة المجمع على أربعة . وفي الزمن الذي انضم فيه داميكو إلى الشعراء كانوا ثلاثة ، فغدوا أربعة . ولم يلبث أن مات أحدهم الأكبر سناً ، بعدما تصاغرت يداه حتى كادتا تختفيان ، وهرب ثانٍ مفتوناً بتعاليم ماشفير المتمرد الأعمى ، فبقي داميكو ورفيقه الأخرس ، أو المتخارس ، توكا . ولقد بات على الاثنين الباقيين أن يتفكَّرا ، بلا تلكؤ ، في طلب الاستنسال ، كي يورثا نسلَهما سجلَّ ذاكرتيهما الحافظتين أشعارَهما الطنينَ استلهماه ثريًا بمذاهب الصوت من ذباب المَجْمَع ـ الذباب الذي لايأكل .

أصابع تكسَّرت كما لاعهدَ لإقليم زينافيري بحدوث مثله . أصابع تكسرت في أوقات متقاربة . أكفٌّ حاضنةٌ صُعقت ضرباً فأُفْلتَ الذباب متخلِّياً عن وساطته إلى إنضاج الأجنة في الصخور الحواضن . تكرر النزفُ الطاحن في شرق المدينة مرة ، وفي غربها مرة ، وفي القرى المحيطة بها . جنٌّ بأغطية على الرؤوس تولَّوا الغدرَ مُحْكَماً ، مدروساً ، بمن يحضنون ذباباً في أيديهم ، متخيِّرين

الأمكنةَ الزحام دائماً ، ليذوبوا اختفاءً بعد تسديد ضرباتهم . ولن ينتبه العابرون الحشودُ ، في مسالك زينافيري ، إلى نساء تولَّيْنَ إرباكَ من حاولوا اللحاق بالجُناة إعاقةً بأجسادهن ، أو إحداثاً لشجار يُغطين به على الفاعلين لينجوا من رصد أعين المطاردين ، ويشتِّتن انتباهَ المنتبهين بصخبٍ منهن يعلو على تفجُّع الضحايا المنكوبين إناثاً وذُكْراناً .

جرى هديرٌ سيلاً من الذهول اجتاح قصر سلطان زينافيري . تحيَّر كاشاجو من هول التسارع . تحيَّر عميد محاربيه ماياكي ، القائم بمهمة اقتفاء الجناة بالعديد العديد من الجُند ، من غير جدوى . ربما لم تكن نجاة الفاعلين من اقتدار الفاعلين على التخطيط الصارم ، ومن قوة تدبيرهم ، بل من الفوضى كانت تعمُّ الأمكنة بعد كل حادثة ، فتختلط الرمال بالغبار ، والهياطُ بالعياط .

«فلْنعلن جائزة لكل من يُدلي بشيء يقود إلى الجناة» ، اقترح أمين الحصون الرمال آماروك الأعور ، الفارغُ محجر العين اليمنى .

«جوائز؟» ، همست سوك أمام لسان كاشاجو المتسمِّع مستنكرةً . «لماذا يدفع كاشاجو أجوراً للمحاربين إذاً؟» . وجهت بصرها إلى ماياكي كأنما تقصده بسؤالها اللاذع .

تلمَّس عميد المحاربين مَخرجاً من حَرَجه . خاطبَ سوكْ :

- هل أكلِّف محارباً بحراسة كل جنية ، أو جني ، من الحاضنين الذبابَ في أكفهم؟ .

«كلِّفْ من يستطيع أن يرى» ، قالت سوك ، فاستُفزَّ ماياكي ، ورد بنبرٍ غضبٍ في صوته :

- إن كان محاربو زينافيري عمياناً ، ياسوك ، فأنت محاربة عمياء أيضاً .

هزّت سوك مستاءةً ، لكنها لم تتمادَ في مناكفة عميد المحاربين ، وقد لمحت في عينيه وعيداً .

«أأنتم معتقدون ، بعد ، أن الفاعلين هم مريدو ماشفير؟» ، تساءل ريكما من جوار الحافة الرمل الفاصلة بين البهو الأكبر والأبهاء الصغار المحيطة به .

«إنهم مريدو ماشفير قطْعاً» ، ردَّ أماروك ذو الذراع اليسرى الأطول من اليمنى . حرك يديه كأنما يتكلم بهما لا بلسانه .

«عُدنا إلى النفق» ، غمغم كاشاجو بعد نضنضة بلسانه . « افعلْ شيئاً ، يامايكي» ، قال مضيفاً . دار حول نفسه متصنِّعاً تأملاً استغرقَه بغتةً . صوَّب بصره إلى زوجته شيكتان في ركن بعيد من أرجاء القصر الوسيعة ، تكلِّمُ زمرةً من نساء الأسياد : «منذ متى لم نخرج إلى صيد؟» ، تساءل بصوته الحجر ، من غير أن يلتفت إلى ماقد يردُّ به الواقفون معه . وهُمْ إن ردُّوا فلن يسمع بالطبع مادام لايراهم متكلمين فيتذوق الكلمات بلسانه . لكن سوك ردت ، وهي تنقل بصرها بين أمناء أسرار كاشاجو الثلاثة ، وبعض الأسياد ، وعميد المحاربين :

– لم أخرج إلى صيد منذ احتضن كاشاجو ذبابةَ الاستنسال في كفه .

«ها أنتِ تحضنين الذبابة الآن» ، ردَّ مِيلْدَان ، أحد أسياد فرق المحاربين السبع عشرة . أضاف : «غير مستحبٌّ أن يخرج للصيد من يحتضن في كفه ذبابة» .

«يدي الأخرى حرةٌ» ، قالت سوك .

«يد واحدة لاتكفي في الصيد» ، قال ميلدان .

دارت سوك نصف دورة ، بقفزتين رشيقتين ، هادئتين ، لتصير قبالة كاشاجو فيراها متكلمةً :

- لم أخرج إلى صيد معك بعدُ . خذني إلى الصيد .

التفت كاشاجو إلى أمين تجارة القصر مع القبائل دايجيك ، ذي الساق اليمنى المفقودة . أنبأَهُ بعزمه :

- سنخرج للصيد قبل المغيب . أذع الخبرَ ، وليلحق بموكبي من يريد . سنجتمع أمام بوابة القصر .

تتبعت سوك سلطانَ زينافيري منصرفاً وحده ، بعد إعلان رغبته ، متجهاً إلى رُكنه الثَّنْية في الجدار الشمالي للقصر . جاورتْه . لمست كتفه تنبيهاً أنها ستخاطبه ، فأدار كاشاجو وجهه إليها . نضنض بلسانه يتذوق الكلمات .

«أي سلاح آخذ معي للصيد؟» ، ساءلتْه سوك ، فرد كاشاجو :

- خذي الحِيلة .

غمغمت سوك متأوِّلةً توريتَه . ساءلته :

- وماذا غير الحيلة؟ .

أنزل كاشاجو بصره إلى يدها المضمومة على ذبابتها :

- انتبهي إلى يدك ، ياسوك . لاتلحقي بالطرائد .

توقفت سوك عن وثبها القصير ، فتوقف كاشاجو . لمع في عينيها رغبةً تريد الإفضاء بها : «ماذا؟» ، ساءلها كاشاجو . نضنض بلسانه متنصِّتاً .

«أريد الذهاب معك إلى الصيد مرتديةً قناعاً» ، قالت سوك .

«قناع؟!!» ، تساءل كاشاجو مستغرباً . أضاف مستوضِحاً :

- أتعنين دِهاناً تغطين به وجهك؟ .

«لا» ، ردت سوك . «أريد غطاءً على وجهي من جلد» .

«لا أفهمك ، ياسوك . أتريدين التشبُّه بالجناة الذين يهشمون الأيدي؟» ، ساءلها بنبرٍ فيه تنبيه إلى أنه لم يلحق بالمعنى

رغبتها الغامضة تلك . استطرد مستبقاً ردَّها :

الجنُّ مكشوفو الوجوه أبداً ، ياسوك . لايغطي الجن وجوههم . لايتنكرون . أتباع ماشفير ابتدعوا هذا ، مهينين عُرْفاً عريقاً .مَنْ يتنكرْ في غطاء على وجهه يكنْ مذعوراً .

هرَّت سوك مستثقلةً ذهاب كاشاجو في تحفُّظه إلى ذلك الحد . حاولت توضيحاً :

- أردتُ قناعاً عليه رسمٌ من وجه هايكاهيكسين أتنكَّرُ به للصيد ، ياكاشاجو .

«أخطر لك هذا ، أم استلهمته من حكايات ، ياسوك؟» ، ساءلها سلطان زينافيري . «يروي آباء الجن حكاياتٍ عن جراد له رؤوس النمور . لكنها رؤوس وليست أقنعة» .

«ماذا لو كان لي رأس هايكاهيكسين ، وليس رأسي هذا؟» ، تساءلت سوك .

حدَّق كاشاجو إليها مليًّا . تحسَّس بيدَيْ قلبه الريشَ الخشن في خيال سوك . ردَّ غمغمةً :

- لَمَا كنتِ ، إذْذاكَ ، جنيةً .

«ماذا لو كنت جنية لها رأس هايكاهيكسين؟» ، تساءلت سوك .

أدار كاشاجو وجهه صوب مقامه الذي يقصده في الجدار الشرقي . وثب منصرفاً عنها وهو يلقي الكلمات خلفه :

- هذا ليس خيالَ صياد ، ياسوك . تهيَّأي للصيد بخيالٍ آخر .

وثبت سوك عالياً حتى اعترضتْه :

- فلتصنع لي إحدى الرسامات وجه هايكاهيكسين على جلدٍ أتَّخِذه قناعاً على وجهي . سيكون الأمر طريفاً .

تفكر كاشاجو برهةً يستعرض على خياله رغبةَ سوك الغريبةَ . هز رأسه لا يؤكد ولا ينفي قبولَه ما تريد الفتاة المحاربة ، قاطنةُ القصر الجديدة . استحضَرَ مزاحاً : «قد تطلبين من الرسامة آردو حَفْرَ صورتي ، ذات يوم ، على حجر إحدى عينيكِ» ، قال . وثبَ منفكّاً عنها . دخل مقرَّه الثَّنْيةَ المقعرة في الجدار . انتصب على مدخل الثنية بوجهه إلى الجدار الجنوب . رفع يده ، فتفهَّم شاكد إشارة سيده وهو على مبعدة . لبَّاهُ وثباً طويلاً ، فيما انصرفت سوك إلى مقرها ، في الثنية المجاورة ، لتتخيَّر أسلحةً للصيد ـ حراباً عظاماً ، وترقوات وقروناً لقذف الطرائد بها .

وقف شاكد قبالة سلطان زينافيري . مال كاشاجو عليه متكلماً بصوتٍ خافت ، شارحاً بيديه شرحاً وافياً تخلَّلته استفسارات متلاحقة من مطيته الواضح الحيرة من طلب سيده . استدار بعد تفهُّم منصرفاً وثباً ، وهو يؤكد لنفسه ، بحركات من يديه الضخمتين ، مقاساتٍ مَّا لاينبغي الخطأ فيها .

شيكتان ، التي انفصلتْ عن زمرة من نساء الأسياد وبناتهن ، جاورتها مطيتُها نينيسو صامتة ، تَثبانِ وثباً هيِّناً صوب بوابة القصر الواسعة . وقفتا على العتبة لاتُجاوِزانها .

سرَّحت شيكتان بصرها من مدخل القصر على المعْبَر إلى حديقته : «ماذا كانت سوك تطلب من كاشاجو؟» ، تساءلت . نقلت بصرها ، جانبيًا ، إلى وجه مطيتها : «كنتُ أستطيع ، من ذلك البعد عنهما ، أن ألمح في حركات يديها وهي تكلم كاشاجو عَرْضا لرغبة ، يانينيسو . وقفته ، وإصغاؤه إليها بلسانه المتسارع نضنضة ، دلَّتا على تردُّد في فهمها . وثبُهُ القصير مبتعداً عنها كان وثْب المتفكر في أمر لم يحسم قبولَه ، أو رفضه» . هزَّتْ هريراً خافتا :

«كانت سوك تعرض على كاشاجو رغبةً غامضة . لقد فاجأتْهُ» .

«أفـهـمتِ كلَّ هذا من بعض حـركـاتهـمـا ، ياشـيكتـان؟» ، تساءلت نينيسو .

«أعرف حـركات كاشـاجو الأصـم» ، ردت شيكتـان . «»أرأيتِ كيف استدعى مطيتَه شاكذْ؟» .

«لم انتبه» ، ردت نينيسو .

«ما الذي يثير انتباهك ، إذاً ، يانينيسو؟» ، سـاءلتها شيكتـان في نبر كالتوبيخ على غفلتها .

«أنتبه إلى مايثير انتباهي عادةً ، ياشيكتان . أنتبه إلى رغباتك قبل أن تصارحيني بها أحياناً . أمَّا مايدور بين كاشاجو وسوك فلن أترصَّدهُ إلاَّ إن إردتِ مني رصدَه» ردت نينيسو بنبرٍ من الصوت فيه اعتراض على تهمة الغفلة .

هرَّت شيكتان هريرَ اعتذارٍ خافت ، قبل أن ترمي بثقل قلبها على لسانها :

- ماذا نفعل بسوك؟ .

«أنا قريبة من شيء» ، ردت نينيسو . فسَّرتْ : «إنْ لم أعثر على واحد من الجناة مُكسِّري الأيدي ، فسأستأجر واحداً» .

هرَّت شيكتان بصوتٍ أعلى ، مستسيغةً ردَّ مطيتها .لكنها استدركت :

- ماذا لو كُشِف أمرُ من ستستأجرينه؟ .

«سأبقى قريبة منه ، فإن استكمل جنايتَه قتلتُه» ، ردت نينيسو .

«في أي مكان سينفذ الجاني فِعْلتَه؟» ، تساءلت شيكتان بعينين دارتا في محجريهما .

«هنا . في القصر» ، ردت نينيسو .

«هنا؟!!» ، تساءلت شيكتان مرتبكةَ الصوت .

«المكان الأنسب لكسر يد سوك هو هنا . سأكون حاضرة في ركنٍ ، وأسارع إلى نجدتها ، فأقتل الجاني متصنعةً غضباً» ، ردت نينيسو .

«من الذي سيدخل القصر لتنفيذ جريمة كهذه؟» ، تساءلت شيكتان .

«سيأتي من يدَّعي طلباً من مجمع الذباب للاستنسال . دخول طالبي الذباب سهلٌ» ، ردت نينيسو .

«يأتي اثنان عادةً ، لا واحد» ، عقَّبت شيكتان .

«سيأتي ذكر وأنثى . بعد الحصول على ذبابة ستمضي الأنثى خارجة ، ويتجه الذكر إلى سوك» ، قالت نينيسو .

«بات الأمر معقَّداً ، يانينيسو» ، قالت شيكتان بنبرٍ متردد . أضافت : «كيف سيصل الجاني إلى سوك؟ هي محاربة ، ومطيتُها ناكولي ، أخت شاكد ، قوية متنبِّهة» .

«سنفكر بالتفاصيل لاحقاً» ، ردت نينيسو مستشعرةً ثغراتٍ في التخطيط .

هرَّت شيكتان هريراً خافتاً ، متواصلاً . باحت بقلقها من الخطة ، وتردُّدها في تبنِّيها :

- لا أعرف ، يانينيسو .

«وأنا أيضاً» ، قالت نينيسو بوحاً بتردُّدها أيضاً ، وبالارتباك في خطتها المثلومة .

وثبت شيكتان وثباً متأنياً على المعبر إلى حديقة القصر . تماوجت ضفائرها كضفائر مطيتها من موجةِ ريحٍ تمرَّغت دائرةً على الأرض

الرمل . هرَّ فهد من فهود البوابات الرمال الزرق العيون . وقفت شيكتان إلى جوار قفصه . تأملت بياضه مخطَّطاً دوائرَ رمادية .

«أعطيني سلاحك» ، قالت شيكتان لمطيتها ، فاستلَّت نينيسو من حزام جلد على خصرها عظْماً طويلاً له رأسٌ كُعْبُرَة .

مرَّرتْ شيكتان مؤخَّر السلاح العظم من خلل ثغرة في أقواس القفص ، فمسَّت به خاصرةَ الفهد مسّاً رقيقاً . تأملها الفهد صامتاً ، ساكناً ، ثم ربضَ جاثماً على الأرض . لكزتْه شيكتان ثانيةً بمؤخَّر السلاح ، فمد الفهد يده يداعب السلاح قبل أن يعض عليه ، ويجذبه جذباً قوياً كاد ينتزعه من يد شيكتان .

هرَّت شيكتان موبِّخةً . هرَّ الفهد مستعرضاً إرادته . نقرت نينيسو بأناملها الطويلة ، القوية ، على عظام هيكل القفص تبثُّ الفهدَ وعيداً غير صارم . التفتتا كما الفهد إلى قادم نادى شيكتان باسمها : «كاشاجو يتهيأ للخروج إلى الصيد . أترغبين في مواكبته؟» ، ساءلها رسول زوجها .

«الآن؟» ، غمغمت شيكتان متسائلة .

«قبل المغيب» ، رد رسول زوجها .

«قبل المغيب؟» ، تساءلت شيكتان ثانيةً مستغربةً ذلك الموعد .

«سنلبث الليلة في واحة كيما . في الفجر نبدأ القنص حين تَرِدُ الحيواناتُ الماءَ» ، شرح رسول كاشاجو لشيكتان .

«من سيواكب كاشاجو؟» ، ساءلته شيكتان ، فردَّ الرسول الأعجف ، الطويل الوجه ، القصير العنق :

- لا أعرف بعد .

وثبت شيكتان إلى ظهر مطيتها ، فوثبت مطيتُها عائدة بها إلى جوف القصر .

كان كاشاجو لايزال واقفاً على مدخل مقامه الثَّنية في الجدار ، مختلياً بنفسه صامتاً ، ساكناً . مرت به شيكتان ، بعد عبورها سوكْ ومطيتها ، من غير نظر إليهما ، على ظهر مطيتها . بلغت مقامها على يسار مقام زوجها . نزلت عن مطيتها مُذ لم يكن واضحاً لماذا امتطتها في دخولها القصر .

«ماذا أختار للصيد من سلاح ، يانينيسو؟» ، سألت شيكتان مطيتَها .

«دعي الأمر لي» ، ردت نينيسو وهي تتوجه ببصرها إلى سوك خارجةً من مسكنها الطَّيَّةِ المقعَّرة في الجدار ، بجعبةٍ تلوحُ فيها عظامُ ظاهرةٌ طولاً .

وضعت سوك الجعبة بين يدي مطيتها ناكولي . التفتت إلى نينيسو .ساءلتها من مَبْعدةِ بضع قفزاتٍ :

– أذاهبة شيكتان إلى الصيد؟ .

«أذاهبة أنتِ؟» ، ردت نينسو بسؤال على سؤالها . أضافت : «أراكِ تحملين اسلحةً كُثراً» .

«قد نصادف غزاةً» ، قالت سوك في سخرية . هامست مطيتها لحظةً قصيرة ، قبل أن تسترسل في مخاطبة نينيسو من جديد :

– هل ستتصيَّد شيكتان بنفْسها ، أم ستتصيدين لها؟ .

هرَّت نينيسو . نقرت الأرضَ الرمل بقدمها ـ قدم الجرادة . ساءلتْها :

– بأية يد ستتصيَّدين ، أنتِ ، ياسوك؟ أمْ ستتصيَّد ناكولي عنك؟ .

«سنرى» ، ردت سوك .

هرَّت نينيسو من جديد هريراً أعلى ، في تحديق متصل ، من

مبعدتها تلك، إلى سوك ومطيتها. رفعت صوتها منادية:

– ناكولي. شدّي جلْداً على قبضة سوك. قد تتراخى إن فاجأها ثور، أو نمر، أو جنيٌّ قزم.

قطع حديثَهما المتناكف مجيءُ شاكد في وثب متّزن، تتبعه الرسامات الأربع، اللواتي دَأَبْنَ، أبداً، على مرافقة كاشاجو في كل رحلة صيد بالواحهن الصفافيح، يتوزعن على الموكب، عادةً، اثنتين قريباً من سلطان زينافيري ترسمانه في مسيره، وفي مطاردته الطرائدَ؛ واثنتين على قُرب من الأسياد ترسمانهم في مسيرهم، أو في قنصهم الطرائدَ.

عَمَد شاكد، فورَ وصوله، إلى الوقوف ساكناً قبالة كاشاجو، ريثما ينهي سلطانُ زينافيري خلوتَه القصيرة بنفْسه. بعد برهة مدَّ ذراعه صوب شاكد، فأودعَ شاكد يدَ سيده لفافةً جلداً صغيرة، تتدلى من هوامشها سيورٌ.

«ماذا سلَّم شاكد إلى كاشاجو؟»، تساءلت شيكتان. نظرت إلى مطيتها تستنطقها ما لا تعرف، فالتزمت نينيسو الصمتَ تفضيلاً على التخمينات، والتكهنات.

شيكتان تتفهم صمتَ مطيتها إن سألتها أحياناً ولم تُجِب. قد لايعجبها ذلك، لكنها لاتُبدي ضِيْقاً. كل صمت هو إمَّا تواطؤٌ، أو رضىً، أو خوف، أو اعتراض، أو كتمان، أوْلاأدريَّةٌ، أو تردُّد، أو اعتراف، أو إنكار، أو بلاهة أيضاً. قد يكون صمت نينيسو واحداً من تصانيف الصمت هذه، إلاَّ البلاهة. وشيكتان، حين تلتزم مطيتُها الصمتَ، تُدرك أنها تَزِنُ الممكنات، وتُقَايِسُها بعضَها ببعض، أو تعتبر سؤال شيكتان لها زائداً عن لزومه، وربما مجرد استعلامٍ لا تتوقع رداً عليه.

قطْعاً لاتعرف نينيسو ماذا وضع شاكد في يد كاشاجو . هزَّت بصوت خافت كهرير شيكتان نفسها . التفتت إليها : «سأختار لك أسلحة للصيد» ، قالت ، ثم دخلت الثَّنيَة المقعَّرة الواسعة ، في الجدار ، مقامَ شيكتان ، ومضت إلى منتهى الثنية حيث عُلِّقت على أربعة أعمدة قصار من جذوع الشجر أسلحةٌ عظامُ شتَّى : ترقوات ، وفُكوكُ بقرٍ ضِخامُ ، وكَعَابرُ ، وشظايا مسنونة . تخيَّرت مارأته مناسباً لها ، فأودعتْها جعبةً علقتها إلى كتفها ، ثم خرجت من الثنية العميقة ، الواسعة . مشت خلف شيكتان إلى خارج القصر .

وقتاً بعد وقت احتشد جمع الموكب في الساحة المتصلة بالمعبر إلى حديقة القصر : سبعة من أسياد فرق المحاربين السبع عشرة حضروا بنسائهم ، وأولادهم . حضر ماياكي وزوجته تايتون الزرقاء الضفائر . حضر أولاد أمناء أسرار كاشاجو . حضرت الرسامات الأربع ، والجلاد رادبور ، وتارتوك المغني ، وزوجته وابنتاه الحليقات الرؤوس . حضر سبعون محارباً للمواكبة ، فيما غاب المنجمون ، والشاعران ، وأمناء أسرار كاشاجو ، الذين يواكبونه ، في أغلب الأحيان ، إلى صيده .

لم يلبث أن انضم كاشاجو ، وسوك ، راكبين مطيتيهما إلى الموكب ، وكذلك بعض حاملي أمتعته الأسلحة ، وأكياس عظام الولائم . لكنهم فوجئوا بحضور العلماء الرحَّالة الخمسة ، على غير المعهود ؛ جوَّابي أرض القبائل في إقليم زينافيري ، وإقليم ساينون ، وإقليم يتراك ، وإقليم دزْداه . هم لا ينتمون إلى أرضٍ تحديداً ، أو يدخلون في طاعة سلطان . كما لم يقسِرهم أحد على الدخول في طاعة سلطان ، أو سيد مكين . يعرضون ، حيث حلُّوا ، منافع علومهم لقاءَ زادٍ من العظام ، وجلود . زَاجْرَانو كبيرهم ، عالمٌ في

اجتماع مواضع السيول ينذر القبائل . مَاسْتُو عالِمٌ في الرمل ، وأصول الكثبان . بُوْهِيْدارْ عالِمٌ في شؤون الرياح . جِيْرَاجِيْكْ عالم في مواضع الأرض المرغوبة لإقامة المساكن وفقَ عبور الأرواح . شَايْمَاتْ عالم في أصول الأصوات . وقد صادف وجودهم في زينافيري فانضموا ، مُذ سمعوا خبرَ الرحلة ، إلى موكب الصيد ترويحاً عن أنفسهم من رحلات دارت بهم الأقاصي ، والأداني . وقد ودَّ كاشاجو أن يستخبرهم شؤونَ الأرضَ وراء الحصون الرمال على تخوم زينافيري ، لا ما يتصل منها بالأقاليم الأُخَرِ والقبائل ، بل بما يُريب من جماعات وتحركاتها . لكنه استنكف عن ذلك لأمرين : الأول أن لايظهر كالعاجز ـ وهو القوي بمحاربيه ، وعسسه ، ومخبريه ـ عن استقصاء مواضع ماشفير ومريديه ، والثاني أن مامنْ سلطان استخبرَ العلماءَ الخمسة في شؤون الأقاليم الأُخر ، ومجرى تنقُّل الجماعات الصغار في الأرجاء المهجورة .

رحَّب كاشاجو بحضورهم بلا أسلحة : «ستكون لكم حصة في صيدنا» ، قال ، قبل أن يُلْفِتَه توجُّه المجتمعين معه بوجوههم إلى ناحية من الموكب ، فأدارَ وجهه إليها . نضنض بلسانه متنصِّتاً : كان ريكما ينتهر ، بصوت عال ، مايشا المنضم إلى الموكب ترافقه أمه ، والأنثى الأخرى إلتي لَم يُعْلَن نَسَبُها قط ، مطليَّتيِّ الوجهين سواداً .

«دعْكَ من مايشا ، ياريكما» ، هتف كاشاجو بابنه .

«أيُّ صيد سيكون بحضور جنٍّ كهؤلاء؟» ، تساءل ريكما مستهجناً . «لم يصادف أبداً أنَّ مايشا رافقنا في صيد» .

«لتكن هذه المرة الأولى ، ياريكما» ، قال كاشاجو . وجَّه بصره إلى مايشا ذي العصابة الجلد على محيط رأسه . خاطبه متقصِّداً إخافته :

- ستتولى المرأتان اللتان معك سلخ القنائص ، يامايشا .

«إن أراد أبي ذلك أجبْتُه» ، رد مايشا ، ثم أدار المحاورة في اتجاه اخر :

- أنا ذاهب لأعيد ترتيب الكون ذي الزوايا الثلاث .

«ما هذيانك هذا؟» تساءل كورتا ، أحد أسياد فرق المحاربين .

«هذا كلامُ أبي أَنْطَقَنْيه» ، رد مايشا . التفت إلى أمه فصفعها .

«نعم . اصفعْها» ، قال كورتا شامتاً . «اصفعْها على خطئها أنها لم تأكلك حيث خرجت من الصخرة وليداً» . التفت إلى كاشاجو :

- أستدعُه يأتي معنا؟ .

حكَّ كاشاجو خاطرَه بأظفر خياله . خاطب مايشا :

- لماذا لم تُحضر أباك الميت أيضا؟ .

«أنا أبي» ، ردَّ مايشا .

«أنت أنت ، وأنت أبوك ، يامايشا . متى تصير أمَّك أيضاً؟» ، ساءله ريكما بنبرةٍ فيها خَدْشٌ .

«حين أنتهي من أمي سأصير أُمَّ نفْسي أيضاً» ، ردَّ مايشا . أمسك بضفائر الأنثى الأخرى التي معه : «حين أنتهي من هذه سأصير المشيئةَ أيضاً» .

«لا تدعْه يأتي معنا ، ياكاشاجو» ، قال كورتا بنبرٍ فيه توسُّل . «حضوره شؤمٌ على الصيد» .

وثب مايشا نصف وثبة ليصير قبالة كاشاجو ، بعينين اثبتهما على كورتا . غمغم :

- كل صيد هو إرادتي . كل صيد يعود إليَّ .

«إليك؟» ، تساءل ريكما في هرير .

«إلى أبي» ، ردَّ مايشا .

«إتبع نهايةَ الموكب ، يامايشا . ابتعدْ» ، قال كاشاجو مختصراً المجادلة السقيمة . أردفَ : «أنجِزْ ، في صمت ، ترتيب الكون ذي الزوايا الثلاث» . انعطف بمطيته صوب سوك الواقفة على قُربٍ منه . خاطبَ مطيتّها ناكولي :

- أديري ظهرك إليَّ .

أدارت ناكولي ظهرها إلى كاشاجو ، فاستدار ظهر راكبتها إليه ايضاً . لوت سوك عنقها ، فاستوقفها سلطان زينافيري :

- لا تنظري إلي .

اقترب شاكد ، مطيةُ كاشاجو ، من وراء ظهر سوك حتى لامسها . أخرج سلطان زينافيري لفافةً جلداً من ثنية في ثوبه - جلدِ جدته . بسطها بين يديه ينظر إلى شيء فيها . مد ذراعيه من خلف رأس سوك ، على جهتيه . وضع الرقعة على وجهها ، وشدَّ السيورَ الخيوط على محيط جمجمتها ربْطاً فأحكم تثبيت الرقعة .

همهم الواقفون قبالة وجه سوك همهماتٍ دَهَشاً .

«استديري إلى الآخرين ، ياناكولي» ، قالَ كاشاجو ، راغباً في تمكين كلِّ مَنْ في الموكب من رؤية القناع على وجه سوك .

تقاطعت الهمهمات من كل صوب . سكبت الأصواتُ في آنيةِ الأصوات نبراً متزاحمَ الطنين والرنين .

صَدَحت حنجرة المغني تارتوك إنشاداً أزيزاً ، مُحْكماً في تدوير النَّبْر ، وتربيع النبر ، وخفضه ورفعه ، على قَرْع بالأيدي إيقاعاً على رؤوسهن العارية من ابنتيه وزوجته ، اللواتي حلّقن شعورهن تشبُّهاً بطيور لاكيلا .

بُهتت سوك من ذلك التحديق المندهش إليها ، ومن الحناجر هبَّت متلاحقة بالغمغمات العميقة من مطاوي الصدور . شيكتان

بُهتت أيضاً على نحو لايشبه حالَ سوك . اغتمَّت واضطربت على ظهر مطيتها قهراً . هرَّت منحنيةً تنثر صوتها على أذني نينيسو :

– أهذا ما وضعه شاكد في يد كاشاجو؟ .

«قناعٌ مُتقَنُ الرسم» ، عقَّبت نينيسو . «كأنَّ وجه سوك هو وجه هايكاهيكسين» .

فحَّت شيكتان فحيحاً اجتذبتْه لامن حنجرتها ، بل من عظامها ، وهي تلقي بصرها على الرسامات وقفن على مبعدة من الموكب ، كأنما يتهيأن للقبض على الأشكال قبل تدوينها رسوماً على صفافيحهن السود الحجر : «فلتدفنكن الريحُ أحياءً في الرمال» ، قالت بصوت منسحق .

قفزت سوك عن ظهر مطيتها أرضاً . وثبت دائرةً على نفسها لاتعرف أين تتجه . توقفت . لمست القناعَ بيدها الحرة . رفعت يدها الأخرى فنفخت من ثقب صغير في موضع الفم على الذبابة المحتجبة في كفها . هرعت على ارتباكٍ صوب الرسامات . اجتذبت لوحاً من يَدَيْ إحداهن تتأمل وجهها في سواده . لم تظفر بصورة القناع منعكساً عليه . أعادت اللوح إلى صاحبته . زأرت :

– أريد أن أرى وجهي .

ليس لدى الجن مرايا في مساكنهم ، بل حجارةٌ صفائح على ألوان نقيةٍ قليلاً ، من مكسوراتٍ مصادفةً ، أو شظايا مصقولة بلا إتقانٍ ، تحوي تقعُّراتٍ ، وتحدُّباتٍ ، قد يرون صورهم فيها ، إنْ نظروا ، متخالطةَ الخطوط ، ممعوسةَ الهيئات ، غائمةً . وهم يكتفون منها بذلك مُذْ لايلجأون إلى تزويق بالألوان على وجوههم إلاَّ نادرا .

بعض زائري حديقة قصر كاشاجو يلمحون صورهم ، أحياناً ، في عيون الحيوانات الحبيسة إن تقرَّبوا عن كثب إليها ، وهنالك

بعض مَنْ يزورون حدائق الأسياد والغطاريف . غير أنهم لايحدِّقون إليها متأملين صورهم . لايحبذون النظر إلى صورهم منعكسة على عيون الحيوان ، كما لايستحبون النظر إلى ظلالهم . يودون ، جميعاً ، لو أنهم رأوا وجوههم مرة في عيني طير من طيور لاكيلا . لكنها طيورٌ عميانٌ ، فارغاتُ المحاجر إلاَّ من الهواء في رؤوسهن الجماجم ، العارية من الجلد واللحم .

«أريد أن أرى» ، قالت سوك في هدير . وثبت وثباً طويلاً على المعبر الرمل إلى حديقة القصر . عبرت المسالك الواسعة بين أقفاص فهود البوابات الرمال ، والذئاب الصفر ، وطيور كازْنا الطويلات الأعناق كالثعابين خرجت رؤوسها من فتحات بين العظام ، وكذلك أقفاص الجن القُزم ، المتقاربة العظام في صناعة هياكلها كي لاتهرب تلك المخلوقات المفرطة في الصغر ، الشبيهة في كل شيء بالجن ، غير أن لها أذيالاً ، وريشاً كالزغب أو أكبر على جسومها الضئيلة الجُروم .

«أريد أن أرى» ، كررت سوك عبارتها بصوت محموم . كانت حركتها في الوثب حركةَ العارف اهتدى ، أخيراً ، إلى ما يريد ، بعد بلبلة . اتجهت إلى محراب الأنثى الإنسية .

كانت الأنثى الإنسية تبني من الرمل ، لصق جدار مسكنها ، هيئةً نصفية لكائن شبيه بها ، لكنَّ الرمل الجاف ينزلق بعضه عن بعض ، وتنتثر سطوح تلك الهيئة من نفخ الريح .

توقفت سوك متأملةً ماتفعله الأنثى الآدمية بإصرارٍ في إعادة الرمل المنزلق إلى مواضعه في تلك الهيئة النصفية ، وتعويض مايتناثر منه برمل آخر .

بوغتت الأنثى الإنسية . كانت تنظر إلى كل الجن ، قَبْلاً ، بلا

فضول في عينيها البلوريتين الصغيرتين . وها هي ، كما لم تعهدها سوك ، تحدق إليها مفتوحةَ الفم دَهَشاً ، فيما تشير إلى القناع بيدها اليسرى كأنها عثرت على مفقود .

«أخبريني : من أشبه ، ياهايكاهيكسين؟» ، ساءلتها سوك ، متلمسةً براحة يدها القناعَ على وجهها . هرعت وثباً ، بعد توقفها القصير ، إلى مدخل محراب الأنثى الإنسية . بحثت بعينيها من ثقبي القناع عن شيء تقصَّدته بعينه . رأت حوضَ الماءِ الحجرَ الصغير إلى جانب من مدخل المحراب المتراكب عظاماً . استلقت ، من فورها ، باتكاءٍ على يديها ، فوق الحوض تستطلع وجهها .

هرَّت سوك هريراً طويلاً ، مصحوباً بزفير موَّجَ سطحَ الماء الراكد في الحوض فتماوجت صورةُ قناعها . قربت وجهها من الماء وأبعدته مراراً . لوت عنقها صوب الأنثى الإنسية واقفة على مدخل المحراب بالإشارة ذاتها ، من يدها ، إلى القناع على وجه سوك .

«من أنا ، ياهايكاهيكسين؟» ، ساءلتها الفتاة المحاربة ، المموَّهة الوجه .

أرخت الأنثى الإنسية يدها . استدارت إلى الهيئة النصفية للكائن الذي صنعتْه من الرمل بلا تمكُّن من تثبيت الرمل . اقتربت من سوك وهي مستلقية ، بعدُ ، باتكاء على راحة إحدى يديها ، وقبضة الأخرى المضمومة على ذبابتها من غير عصر . سحبت الحوضَ الحجر . مضت به إلى الهيئة النصفية للكائن الرمل . دلقت ماءَ الحوض عليه . تفلَّعت الهيئة مائعةً . ركعت قرب الكتلة المتحولةِ طيناً رملاً . جمعت الرملَ البليلَ فتجمَّع متراصاً . عجّلت في إنشاء الهيئة النصفية كأنما هي في سباق . أنجزت ماتريد : رأسا كرأسها ، على عنق كعنقها ، بين كتفين ككتفيها ، وصدرا ذا

ثديين . نهضت أمام بصر سوك المحدِّقة إلى ما تفعل الأنثى الإنسية صامتةً . أشارت بيدها إلى تلك الهيئة الرمل في سكونٍ رفرف بشعرها البني ، المتماوج طليقاً فوضىً في الريح .

«ماذا تريدين أن تقولي ، ياهايكاهيكسين؟» ، تساءلت سوك .

عوى ذئب من الذئاب الصُّفر في قفصه ، فجاوبَتْه الذئابُ في الأقفاص الأُخَر .

تقدمت الأنثى الإنسية من سوك . لمست القناعَ على وجهها مبتسمةً . مدت ذراعيها إلى الجنية . جذبتها جذباً رقيقاً ، وديعاً . سلَّمت سوك نفسها ليدي الأنثى الإنسية ، مقتربة منها زحفاً بقدميها ـ قدميِّ الجرادة على الرمل .

ضمت الأنثى الإنسيةُ الجنيةَ سوكْ إلى صدرها . قبَّلتها قُبلةً على موضع فمها في القناع .

تراجعت سوك مجفلةً . غمغمت بصوت مرتبك :

– ماهذا؟ ماذا تفعلين؟ .

عوت الذئاب جميعاً ، دفعة واحدة . سدت الأنثى الإنسية أذنيها بيديها ، مبقيةً ابتسامتَها التي رافقتها منذ مجيء سوك إلى مسكنها في الحديقة ، على شفتيها ، بالمقدار ذاته قياساً بميزان قلبها الذي عثر ، بغتةً ، على شيءٍ مَّا لن يبوح به لسانُها .

أدارت سوك وجهها القناعَ على أقفاص الذئاب مسترسلةً في عواءٍ رقيق لم يلجمه مجيء الأربعة المكلفين إطعامَ حيوانات الحديقة ، ورعايتَها . وبَّخوا الذئابَ بأصواتٍ نقْرٍ من الألسنة على بواطن أفواههم ، فلم ترتدع . اقتربت الأنثى الآدمية من قفص . مدت ذراعها اليسرى من خلال العظام الأقواس فلامست يدُها رأسَ ذئب بلا خوف . سكن الذئب إلى لمستها .

هرَّت سوك ذهولاً . وثبت إلى جوار الأنثى الإنسية . أعادت طرح سؤالها الذي لن تتلقى جواباً عليه :

– ماذا فعلت ، ياهيكاهيكسين؟ .

لم يكن سؤالها متعلقاً بلمسة الأنثى الآدمية لرأس الذئب ، بل بتلك القُبلة من فمها على فم سوك . لا تاريخ للقُبل في زينافيري . لا أثر في خيال الجن للقبل من مشارق أقاليمهم كلها إلى مغارب أقاليمهم . ما من شيء كالقُبلة ، أو ما يشبهها ، نُسِبَ في الحكايات إلى أقاليم الجن السيارة في الأعالي كالنجوم ، أو إلى الأقاليم المحتجبة في مسالك الرمال السفلية . سوك أحسَّت شفتي الأنثى الإنسية على شفتيها في فتحة القناع فوق الفم . زأرت مستوضحةً بصوت أثاره فضولٌ طاحن :

– ماذا كان ذاك ، ياهايكاهيكسين؟ .

تراجعت الأنثى الإنسية عن القفص إذْ هدأ الذئب . عادت محدقة إلى قناع سوك الرسمِ على رقعةِ جلد مشابهاً وجهها . شدَّتها من ذراعها ماشيةً صوبَ مسكنها ، فاضطرَّت سوك إلى وثب مختزل جداً كي تجاري مشي هايكاهيكسين ، التي أدخلتها مسكنها الحرابَ . فتحت كيساً عن فاكهة قدمتها إلى سوك . تأبَّتْ سوك في هدوء ، متراجعةً . أدارت بصرها على كومة من قشور الفاكهة وبزورها ، فعجَّلت الأنثى الإنسية إلى جمع القشور ، والبزور ، بيديها . رمت بها خارجاً يتبعها ذباب كثير ، ثم حَثَت الرمل على تلك القمامة فطمرتها .

«أين أنت ، ياسوك؟» ـ كان ذلك صوت ريكما قادماً على ظهر مطيته زيديكا . أردف في استياء : «سيتحرك الموكب» .

وثبت سوك تتبع ريكما مغادرةً . تبعتها الأنثى الإنسية حتى

مشارف المعْبر الرمل من الحديقة إلى بوابة القصر . وقفت هناك لا تٌجاوز المعبرَ ، مرسِلةً بصرها بستين جناحاً كأجنحة الجراد وراء سوك ، التي ما برحت تلتفت إليها بين وثبة وأخرى ، حتى انضمت إلى موكب كاشاجو . اعْتَلت ظهرَ مطيتها ناكولي .

تحرك الموكب وثباً أضاف رملاً مقذوفاً إلى الرمل في الريح ، التي خالطَ عزيفَها عزيفٌ من حنجرة تارتوك - مغني أرواح طيور لاكيلا الميِّتات . ابنتاه ، وزوجته ، تقدَّمنَ الموكبَ ، سابقاتٍ مطية كاشاجو نفسه ، بقرعٍ متلاحق من قبضاتهن على رؤوسهن العواري ، في الوقت ملامِّساً بريشة من جناحه أول المغيب .

اتجه الموكب غرباً ، يثب السائرون فيه وثباً متمهلاً ، قصيراً ، كأنهم يرقصون في مواضعهم ، تعلو جسومُهم وتُسْفِلُ إيقاعاً مع النور انسلَّ بشعاعاته إلى الزاوية السفلى من زوايا الكون الثلاث .

«متى سينتهي النحَّات آلْما من إنجاز هيكل الإله كوياسي؟» ، تساءل سَافْتَار ، أحدُ أسياد فرق المحاربين .

«منذ متى على نحَّاتي زينافيري إنجاز هيكل الإله كوياسي؟» ، ردَّ فِيْدْرُوْكا ، السيدُ الآخر من أسياد الفِرق .

السبعة الأسياد المحاربون ، الذين واكبوا كاشاجو ، كانوا في مقدم الموكب ، عن جنبيه ، فوق ظهور مطاياهم ، تتبعه سوك وشيكتان ، وابنه ريكما ، وعميد المحاربين ماياكي وزوجته . خمسٌ من بنات الأسياد ، واثنتان من بنات أُمناء أسرار سلطان زينافيري ، هَمَـزْن مطاياهن ، سابقاتٍ الموكبَ ، في لعب سباق ، فغطين بالصخب الأنيس على نشيد المغني تارتوك المتصل ، المنسكب أزيزاً رقيقاً .

ألوى كاشاجو عنقه إلى نَانْسْ ، السيد الذي عن يساره .

نضنض بلسانه متذوِّقاً ، بلا اقتدار ، مَسْكَبَ الصخب يراه بعينيه خلف الفتيات المتسابقات . ساءله :

– هل من أناث بين مريدي ماشفير الأعمى ، يانانس؟ .

«نعم . نعرف ذكوراً صحبوا إناثهم في اللحاق بماشفير» ، ردَّ نانس .

فحَّ كاشاجو متأمِّلاً بعقل لسانه مذاقَ الردِّ :

– قلْ لي ، يانانس ، كيف يهتدي المنضمون الجدد إلى الأعمى ماشفير ، ولانهتدي إليه؟ .

«هُم لايهتدون إليه ، بل يخرجون هائمين في القفار ، فيجتذبهم مريدو ماشفير» ، ردَّ نانس .

«لماذا لانكلف بعضاً من الخُلصاء لنا بالتظاهر أنهم خرجوا من زينافيري إيماناً بماشفير؟ سيعودون إلينا بأخبار عن موضع الأعمى» ، قال كاشاجو .

«ما من أحد عاد إلى زينافيري ، بعد خروجه مؤمناً بأحكام ماشفير ، باقياً على الحال قبل خروجه» ، ردَّ نانس . استطرد شارحاً : «يعيد ماشفير ترتيب ذاكرة الملتحقين به» .

«كيف تعرف هذا؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ نانس :

– معنا الجلاد رادبور . اسْألْ رادبور .

«سألتُه مراراً ، يانانس . أين هو؟» ، تساءل كاشاجو ، فارتفع صوت نانس هاتفاً :

– أين رادبور؟ .

تواترت الأصوات مرددةً اسم جلاد زينافيري . لبَّى الجلادُ النداءَ من طرف بعيد في الموكب . وثب سليلُ ثلاثمائة عام من أعوام الجن اختصاصاً في استنشاق ذاكرة المحكومين بالإعدام . أثار

رملاً خلفه في مثوله بين يدي سلطان زينافيري . تعمَّد مجاوزتَه قليلاً ليمكِّنه من رؤية شفتيه إنْ نطق .

«رادبور» ، قال كاشاجو . «واضح أننا لن نتمكن من استنطاق ذاكرة مريد واحد من مريدي ماشفير . ما الذي يفعله الأعمى بهم تحديداً؟ تشرح لي مراراً شرحاً يُنسى» .

«يعيد خلط ذاكرة المريد» ، ردَّ رادبور .

نضنض كاشاجو بلسانه . غمغم :

- اسمعْتَ لساني كثيراً من هذا . ألديك تقديرٌ آخر؟ .

«ذاكرة المريد هو التمويه الذي يُحدثْه ماشفير فيها» ، رد رادبور .

«أهو التمويه من ماشفير ، أمْ إخلاصُ المريد له؟» ، تساءل كاشاجو .

«ربما هُما معاً . ذاكرة موَّهة ، وإخلاص قادر بزئيرٍ صاخب أن يبددها ، حين يحس المريد بالخطر» ، ردَّ رادبور .

«ماذا لو منعتَ الأسرى من الزئير؟» ، تساءل كاشاجو ، فرد رادبور :

- كيف لي ذلك؟ هم يزأرون زئير الإنذار حيث يظفر المحاربون بهم .

«أتعرف كل هذا يارادبور ، أم هو تقديرٌ وتخمين ، وتكهن؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ رادبور :

- أنا أبني أحكامي على قياسات قد تحتمل الخطأ ، لكنها ليست خطأً في جملتها .

«ماذا لو خلطتَ ، يارادبور ، ذاكرة جني مخلص لنا ، وأطلقتَه في القفار؟ إن ضمَّه مريدو ماشفير إليه ، وخلط الأعمى على المخلص لنا ذاكرتَه ، عادت ذاكرته إلى صوابها الأول . لربما تسلل من

ملجأ ماشفير عائداً إلينا ، فدلّنا على الطريق إليه» ، قال كاشاجو بصوت حجرٍ متصلِ الجَلْجَلة الجافة فيه .

لمس نانس السيد كتف كاشاجو يلفته إليه . نضنض السلطان بلسانه ـ لسان الأفعى يترقب كلامَ محدِّثه .

«ماذا في إمكان ماشفير أن يفعل بنا ، وبإقليم زينافيري ، ياكاشاجو؟» ، ساءله نانس .

«لانعرف مقدار قوَّته بعد» ، ردَّ كاشاجو .

«ربما توزّع أتباعه فرادى على القفار الفيافي ، ياكاشاجو . ربما تاه الأعمى كفكرته» ، عقَّب نانس .

«من هؤلاء الذين نعتقلهم ، إذاً ، وقتاً بعد وقت ، ويتنشَّق رادبور ذاكرتهم؟» ، ساءله كاشاجو .

حدق نانس إلى رادبور الجلاد بنظرةٍ رؤيا استنزلتْها البرهةُ على خياله :

– ألا تعتقد ، يارادبور ، أن هؤلاء الذين نظنهم من أتباع ماشفير ، وتستنطقهم أنت ، هم جنٌّ فقدوا ذاكرتهم أصلاً؟

تلقف رادبور تساؤلَ نانس كنفحٍ قوي على رمل خياله . غمغم :

– ماالأنفاق إذاً؟ .

«أتعني ما تستنشق من صور في بقايا ذاكرتهم؟» ، تساءل نانس . ردَّ بنفسه : «ذاكرتهم المفقودة أنفاقٌ مُذْ لاشيءَ واضحا فيها» . هرَّ : «ربما لاترى أنفاقاً ، يارادبور ، بل تتوَّهم ذلك . الأنفاقُ رؤىً تتنزَّل عليك» .

وثب ماياكي ، عميد المحاربين ، من الصفِّ الذي يليهم ، فجاوزهم كي يراه كاشاجو متكلماً . ساءلهم :

- ماالذي يبطئكم؟ .

«ماشفير» ، ردَّ نانس .

«ماشفير؟!!» ، تساءل مايا كي مستخفًا . «أأنتم في حديث على ماشفير ، وعلى الأنفاق في ذاكرات أتباعه؟» . زئر زئيرا خشناً : «ربما تقاسَم أتباعُه عظامَه هائمين في قفارهم» .

«ماذا عن هؤلاء الذين يكسرون الأيدي الحاضنةِ ذباباً؟» ، تساءل مَاكَالُوني ، سيد إحدى الفرق .

«ربما من أتباع ملك اللصوص ميسودا الأعمى» ، ردَّ نانس ببعض السخرية .

«ماالسبب؟» ، تساءل ماكالوني ، فردَّ نانس :

- يكسرون الأيدي . يختطفون الذباب فيبيعونه .

«أنت ظريف ، يانانس» عقب ماكالوني في تهكم خفيف . فاستطرد نانس :

- ربما الفاعلون جماعةٌ يكرهون كثرة النسل في إقليم زينافيري فيحاولون إنقاصه . أوْ هم ممن لايحبون الزحام في الأزقة .

«سآخذ في الأعتبار ظرافتَك ، يانانس» ، قال ماكالوني . «لكنَّ فعلاً خطيراً كهذا لايقترفه كارهٌ لكثرة النسل في زينافيري ، أو محبٌّ للأزقة بلا زحام . إنه من عمل ماشفير» . مطَّ عنقه باستدارة من رأسه إلى كاشاجو : «ماشفير لا يريد إنقاص نسلٍ ، أو تخفيف زحام في الأزقة ، بل تشريد كلِّ نسلٍ في القفار المهجورات» .

«أجزم أن حيوانات واحة كيماً بدأت تتململ حَذَراً ، ليس منكم ، بل من ماشفير على ألسنتكم» ، قال مايا كي ببعض السخرية . «وقد أجزم أنكم لن تجدوا قنائص في وصولنا إلى هناك . أشباح مريدي ماشفير ستسبقكم» . رفع صوته عالياً :

– أطلِقْ إنشادَكَ زئيراً ، ياتارتوك . غَطٍّ به على الأسماع .

ضربت ابنتا تارتوك ، وأمهما ، صدورهن براحات الأيدي ضرباً أثْرْنَ صدىً كالطبل من بين أضلاعهن . عوى تارتوك غناءً .

طوَّق الظلامُ الموكبَ الطويل بقرونه المتشعبة ، فانحسر النظر في عيون الجن بعضِهم إلى بعض ، لكنَّ صفوفهم لم تتخالط فوضى ، بل تناسَقَ وثبُهم بالتدبير القوي لأسماعهم .

كانوا ، بَعْدُ ، كلٌّ في حديثٍ إلى من يجاوره ، إلاَّ كاشاجو : لقد حجبَ الظلامُ الشفاهَ عنه . غمغم مرتين على نحوٍ كالمحدِّث نفسَه :

– أكلَّمني أحد؟ .

مامن أحد توجه بكلامه ، في الظلام ، إلى كاشاجو . غير أن سلطان زينافيري أرسل ، مراراً ، في مسير الموكب ، أحاديثَ يخص بها هذا ، أو ذاك ، من مواكبيه القريبين منه ، فبدا محدِّثاً نفسَه ، لاسواه . حتى أن من خاطبهم ، تحديداً ، لزموا الصمت لايردُّون ، مذ يعرفون أنه لن يتلقَّف نبراً من الكلمات ، أو يتذوَّق بلسانه صوتاً .

«أممالكُ الجن السيَّارة كالنجوم ، في الأعالي ، على ترتيب كأقاليم الجن على الأرض ، يافِيْدْرُوكا؟» ، سأل كاشاجو أحد أسياد الفِرق .

« . . . .» .

«ماأحجام قصور سلاطينهم؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . .» .

«ربما ليس عندهم منجمون . ما حاجة الممالك ، في الأعالي إلى منجمين؟» ، تساءل كاشاجو .

«. . . .».

«هم يعرفون كائنات مثل هايكاهيكسين. هم كانوا قبلنا في وجودهم. أم سبقتهم الأنثى الأصل لسلالاتنا إلى خلق نفْسِها قبلهم، يادَارْدِيْك؟»، سأل كاشاجو أحدَ أسياد الفرق.

«. . . .».

«ما الذي تصغين إليه، ياشيكتان؟ أنتِ لا تصغين إليَّ»، قال كاشاجو.

«. . . .».

«أأعجبك القناع على وجه سوك، ياشيكتان؟ لا تقولي شيئاً. لن تقولي ما تفكرين به»، قال كاشاجو. استطردَ هاتفاً: «سوك. أتسمعينني، ياسوك؟ أأنتِ أنتِ بعدُ، أمْ أنت هايكاهيكسين؟».

«. . . .».

«أنصتي إلى الذبابة في كفك، ياسوك»، قال كاشاجو. «إنها تعرف لماذا اخترتُك شريكةً للاستنسال».

«. . . .».

«بِكَم ذئبٍ أصفر سنعود إلى القصر، ياماياكي؟»، سأل كاشاجو عميدَ محاربيه.

«. . . .».

«أقلتَ: تسعة؟ أنا أتذوق بلسان خيالي الصورَ في خيالك»، قال كاشاجو. عقَّب تعليقاً على لسانه: «صرتُ أزاحم رادبورْ على مهنته».

«. . . .».

«تسعة؟ لماذا تسعة ذئاب، لا غير؟ ماذا عن الذئب الذي ستتصيده سوك، ياماياكي؟»، تساءل كاشاجو.

«. . . .» .

«لاتغضبي ، ياشيكتان . ربما أنت من ستتصيد الذئبَ الحادي عشر» ، قال كاشاجو . أضاف : «تأكَّدي أنه ذئب أصفر ، وليس أبيض كالذئبِ الطيفِ ـ ذئب المعبد» .

«. . . .» .

«لماذا طيفُ ذئب المعبد أبيضُ؟ لِمَ اختار المنجمون وحيَهم أبيضَ ، ياتارتوك؟ . أنت منشغل بنشيدك . أمْ توقفتَ؟ ألمحُ أطيافَ إناثك يلطمن رؤوسهن بعْدُ . أنت تغنّي ، يا مُنشدَ أرواح طيور لاكيلا» ، قال كاشاجو .

«. . . .» .

«لِمَ طيورنا المقدسة عُمْيٌ؟» ، تساءل كاشاجو . ردَّ على سؤاله : «هي تَرى أكثر هكذا . العميان يرون أكثر . ماشفير يَرى أكثر . ملك اللصوص ميسودا يرى أكثر . الظلامُ يرى أكثر من النور . أمْ لاتوافقني ، يانانس؟» ، سأل كاشاجو ذلك السيدَ من أسياد الفِرق .

«. . . .» .

استدار كاشاجو إلى الخلف ، على ظهر مطيته شاكد . حدَّث ابنَه من غير أن يتبيَّنه تحديداً :

– لم تكلمني منذ مدة ، ياريكما .

«. . . .» .

«تُكلم شيكتان أكثر مني» ، قال كاشاجو . «ستكون سوك لك حين تنتهي من حَضْنِ ذبابتنا . شاركها استنسالاً ، أنت أيضاً» .

«. . . .» .

«لا تغضبْ ، ياريكما . لم أقُلْ ما يهين . لاتغضبي ، ياشيكتان» ، قال كاشاجو . غمغم : «لا تغضبي ، ياسوك . لا

تغضبوا ، يا أسياد المحاربين . لا تغضب ، يا إقليم زينافيري» .

« . . . . » .

هزَّ كاشاجو هريراً خافتاً : «أنتم لا تسمعونني . ذلك أفضَل . لكنني أسمع نفْسي» ، قال . «كيف أسمع نفسي ولا أسمعكم؟ أنا رؤيا الذئب الأبيض . أنا محنةُ الصوت» .

« . . . . » .

«ماذا لو نقلنا قصرنا إلى واحة كيما؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . . » .

هزَّ رأسه ، استخفافاً بالفكرة :

- أن يتشمم الجنيُّ رائحة الماء ، كل يوم ، أمرٌ يسبب الرعشة في الأرجل ، أليس كذلك ، يا أتلو؟ أم يسبب الرعشة في الأيدي؟ .

« . . . . » .

«لماذا لانتذكر الصورَ الأكثر قسوةً إلاَّ ونحن في محنة ، ياماياكي؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . . » .

«المحنة هي البرهة المقدسة لابتكار إلهٍ في حجمها . كلُّ محنة تبتكر إلهاً ، ياسَافْتَار . أمْ هذا الكلام نَزعة منِّي إلى محاكاة المنجمين؟» ، سأل كاشاجو أحدَ أسياد الفرق .

« . . . . » .

«في المحنة يبتكر الجنُّ مخلِّصاً رؤيا» ، قال كاشاجو .

« . . . . » .

«أين العلماء الخمسة؟» ، ساءل نفسه .

« . . . . » .

«بِمَ أجبتُ؟ لا أسمعُني» ، قال ساخراً . أضاف : «هم في

موضع مَّا من الموكب . علماءُ رحَّالةٌ . لا ينتسبون إلى أرض ، ولايخضَعون لسلطان . كيف استجمعتِ المصادفةُ لهم هذا ، ياكاشاجو؟» ، ساءل سلطانُ زينافيري نفْسَه .

« . . . . » .

همَّ بصوت خافت :

– ماذا لو أخضعتُهم لي ، وأبقيتُهم في زينافيري؟ .

« . . . . » .

«أإنْ أخضعتُهم غضبوا؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . . » .

«وماذا إن غضبوا؟ ماذا في وسعهم أن يصنعوا؟ يحجبون علومهم؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . . » .

«سيتولى رادبور استنشاق ذاكرتهم . سيختزن علومَهم في ذاكرته» ، قال كاشاجو .

« . . . . » .

«من كان آخر من قتلتُ ، يامايايكي؟» ، ساءل كاشاجو عميدَ المحاربين .

« . . . . » .

«أتذكَّرُ أبي لأنساه . مَنْ كانت تشبه أمي؟» ، ساءل نفسه .

« . . . . » .

«من كان يشبه أبي ، ياسوك؟ لم تكنِ الصخرةُ أخبتَّ[illegible] حين اختفى أبي . هل اختفى؟ مات من صاعقة على ال[illegible] الحمراء . أمْ ذاكرتي تتمرغ في نفسها مختلطةً؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . . » .

«أيُّ أفق سيسدُّ ليوفا بمانعات الرياح ، يافيدروكا؟ كم من شجرة في واحات إقليم الجن يكفي لإنجاز مانعات الرياح؟ بأيِّ إقليم نبدأ حصارَنا على الريح؟» ، تساءل كاشاجو .

«. . . .» .

«أين أمير المهندسين ليوفا؟» ، تساءل كاشاجو . صرخ : «ليووووفا» .

«. . . .» .

«ليوفا ليس في الموكب . يداه تتصاغران . عمرُه في انهيار . مهندس يتدرب على دِيْنٍ أبعدَ من دِين الريح» . قال كاشاجو . غمغم : «ليوفا . ماذا تفعل الآنَ؟» .

«. . . .» .

«ما الرياح؟ كيف أنشأت نفْسَها رياحاً؟» ، تساءل كاشاجو .

«. . . .» .

«لماذا يسمع الجن في إقليم زينافيري ، ولا أسمع أنا؟ ما الصوت ، أيها الإله كوياسي؟» ، تساءل كاشاجو .

«. . . .» .

«أتسمع أنت ، ياكوياسي؟ لم يهتدِ النحات آلما إلى صناعة أذنين تليقان بك . كلُّنا نُملي على آلما صورةَ أذنين تليقان بك ، ثم نتردد في حسم الصورة . ربما لا تحتاج إلى أذنين . سأقول ذلك لآلما . أتوافقني ، يادَارْدِيْكْ؟» ، سأل كاشاجو سيداً من أسياد المحاربين .

«. . . .» .

«ربما لا تحتاج ، ياكوياسي ، إلى أعضائك . ربما لاتحتاج إلى نفْسك . الفراغُ المحيط بهيكلك ، في الساحة قرب المعبد ، هو هيكلُك النهائيُّ ، وأَبعادُ أبعادك . لايحيط بشكلك عِلْماً إلاَّ الفراغ

ذاته . أمْ ماذا ، ياتارتوك؟» ، سأل كاشاجو المغني السائرَ وثباً بنشيده في مقدَّم الموكب .

« . . . .» .

«ما الفراغ؟» ، تساءل كاشاجو .

« . . . .» .

«كلُّ أحدٍ يملأ فراغاً بعملٍ مّا ؛ بصناعة مّا . المهندس ليوفا يملأ الفراغ بمانعات الرياح . المنجمون يملأون الفراغ بطيف الذئب الأبيض . الحروب تملأ الفراغ بانتصاراتٍ وبهزائم . الفراغ يحفظ بعضَ أركانه شاغراً ليملأه بما يشاء . للفراغ حكمةُ فراغه . للفراغ ثقتُه بكل شيء : بالذباب ، بالرمل ، بالريح ، بالأنفاق التي لم يحسم جلادُنا رادبور أهي ذاكرةُ أتباع ماشفير ، أمْ ذاكرتُه هو . أجبْني ، يارادبور» ، قال كاشاجو .

« . . . .» .

نادى كاشاجو ابنه : «ريكما» .

« . . . .» .

«من سيشبه سليلي من شريكتي سوك؟ هل سيشبهك إن كان ذكراً؟ من تشبه أنتَ ، ياريكما؟» ، سأل كاشاجو ابنه .

« . . . .» .

«أنت تشبه سوك . فإن تشاركتما في ذبابة استنسال استولدتُما كائناً شبيهاً بهايكاهيكسين . أتسمعني؟» ، سأل كاشاجو ابنَه .

« . . . .» .

هرَّ كاشاجو هريراً خافتاً . زفر بقوة من منخريه الثقبين :

– رسامات إقليم زينافيري لا يرسمن في الليل . ماذا لو

رسمنني الآن؟ ماذا سيرَيْنَ مني؟ .

« . . . . » .

«لاأحد منكم ، في موكبي ، يعرف ماذا سترى الرسامات مني في الليل إنْ رسمنني» ، قال كاشاجو . أردفَ : «سيريْنَ صوتي» . زأرَ ملءَ الكهف المحتجب في صدره . أتْبَعَ الزئيرَ بصوتٍ صرخةٍ :

– لماذا لاأسمع؟ .

مع المسيل الخافت لأصوات طيور الليل وصل الموكب إلى نواحي واحة كيما . قلَّبت الريحُ الجهاتِ وأدارتْها مختلطةً من حفيف الغصون في الشجر ، ومن حفيف سيقان القصب الطويلات .

نزل من يمتطون ظهور مطاياهم عنها . وقفوا ساكنين ينتظرون انشقاق الفجر عن ثمرته ، فانشق الفجر ، وانفلقت ثمرتُه التي اعتصرتْها أيدي الأشكال فسالت العُصارةُ صوراً أُولى ، دخانيةً . تماوج الوجودُ قبل أن يستقرَّ موزَّعاً أقساطاً عادلةً على زوايا الكون الثلاث ـ كونِ الجن ، الذين لايشعلون ناراً قط .

غيَّر تاتورك نبرَ صوته الأزيز . حاكى طيورَ الفجر اللواتي غيرن نبرَ أصواتهن على سُلَّم النزول بخيالهن من اللسل المنسحب إلى الفجر المقتحم . بدَّلت إناث تارتوك ـ ابنتاه وزوجُه ـ القرعَ على رؤوسهن بتصفيق من راحات الأيدي على أفخاذهن ، توقيعاً خافتاً يقلِّدن اختراقَ الشّعاعات الأولى لحصون الكثبان في الشرق .

تفرَّق الموكب زمراً ، كل زمرة على ناحية من الأرض قبالة مطالع الشجر البواسق ، الخشن الغصون والأوراق . استخرجوا العظام من الجوالق الجلدِ ، والأكياس ، والجِعَب ، طعاماً للفجر .

غطت أصوات القضم ، والهرْسِ ، والكسر ، والمضغ للعظام

الرميم بين الأضراس ، على بوح الواحة العالي على ألسنة مخلوقات النهار محتجبةً وراء موج القصب ، وفي الظلال الممسكةِ ، بعْدُ ، بأرسان ظنونها المعتمة .

عواءٌ شاحب أعلن انحدار الذئاب الصُّفر من مجاثمها بين الصخور ، في الغرب ، إلى الغدير المنتشر الماء بركةً شاسعة الأرجاء ، يحدها القصب من جهات ثلاث ، ورملٌ ممرٌّ واسع من جهة رابعة . شجرٌ لفيفٌ ، كثيف ، مترامياً ببساتينه الفوضى ، يطوق الجهات الأربع من وراء القصبِ الطوقِ والرمل المنفذ ، فيما الرياحُ الرِّخخةُ تحتوي الجهات وراء الجهات كبَيضٍ في أعشاشها .

من المنفذ الرمل تتسلل الذئاب إلى الغدير ـ ذاكرةِ النهر الدَّفين في الأسافل . تشرب وتمضي . تأتي بعدها أبقار الوحش آمنةً . تختلط الأراوي بطيور كارنا الطويلات الأعناق كالأفاعي ، حتى أنها تبلغ ثمار الشجر برؤوسها على الغصون العوالي .

الذئاب تكمن لقنائصها خارج الواحة ، متوزِّعة السِّرب ، بدراية الخطط في المحاصَرة ، على المخارج الجنوبية من الدغل . لا تتصيد القنائص بين القصب ، أو بين الجذوع المتواشجة ، المتقاربة . هي ترغبُ العراءَ سباقاً إلى طرائدها . قلوبها أكثر إيماناً بنجاح خطط التطويق في العراء . ويزيدها ثقةً ، واطمئناناً ، أن يرى بعضُها بعضاً في المطاردات ، مكشوفةً مشوفةً واحدها أمام بصر الآخر في استعراض التفاتاته على الضحية المختارة من بقر الوحش ، والنعام السريع الركض والأرانب المحدَّبة الظهور ، وطيور كارنا الخرقاء أحيانا في الركض بلا توازن ، بسبب أعناقها الطوال .

«سنبدأ من مخارج الدغل» ، قال ماياكي .

نضنض كاشاجو بلسانه . تذوَّق الريح : «إنها تهب من

الشـرق» ، غـمـغـم . «سنلتف على الدغل من الجنوب . لن تحـمل الريح روائحنا إلى الطرائد» . التـفت إلى مطيـتـه شـاكـد : «أعطني حـبالاً» ، قال ، فأعطاه شـاكـد حبلين قصيـرين قليـلاً ، كل واحـد منهما معقود الطرفين على حجرين .

الجن المطايا لايستـخدمـون رمـاحـاً عظاماً ، أو ترقوات تُقـذف ، للصـيـد ، بعـامـة ، بل يعـتـمـدون الوثب العـاصف مطاردةً للذئاب ، فيقنصونَها بعد إنهاك . يكمّمون أفواهها بالسيور ، ويقيدون أرجلها بالحبال ، ثم ينقلونها حمْلاً على أكتافهم القوية ، فيما يعمد الجن الآخرون ، الأقل سرعة ، إلى القذف بالأسلحة ، أو القذف بالحبال المعقودة الأطراف على حجارة .

القنص بالحبل ، ذي الحجر في طرفيه ، براعةٌ من تقدير البصر لِركض الطريدة سرعتِها ، ومناوراتها الملتوية للنجاة من المطارِد ؛ براعةٌ من تقدير الريح التي تعصف بالحبل المقذوف فتميل به عن هدفه ، إنْ لم يكن حسابُ الميل مضبوطاً في القذف . هم يقذفون بالحبل ، في ركضهم الوثب ، بعد إمساك به من أحد الحجرين ، والتدوير به كالمروحة من فوق الرأس طويلاً ، ليضمن الصياد اندفاع الحبل بثقل الحجرين المنقذفين قوياً . وإذ يحرر الحجر من يده ينقذف الحبل دائراً حول نفسه في الهواء ، فإن أصاب سيقان الطريدة التفَّ دائريًا عليها بفعل التفاف الحجرين . يقيد الحبلُ الطريدةَ فيسقطها مغلولةً تتخبط . يحتوي الصياد عنق الذئب فيكمّمه ، أو يكسره فيأخذه ميتاً . أما القنائص الأخريات ، اللواتي لاتعض ، فتُغَلُّ بالحبال من أعناقها ، وتُجرُّ إلى مدينة زينافيري .

توزَّع موكب كاشاجو أرهاطاً ، وثِللاً ، وشراذمَ ، وأنفاراً ، موغلين بين الشجر ، وبين القصب على ضفاف البركة المترامية مياهاً نقية ،

معتمة قليلاً بالظلال الذائبة فيها . عمد البعض إلى التفاف من وراء المعبر الرمل ، الواسع ، الذي تتخذه الحيوانات ، بعامَّة ، طريقاً إلى الماء . آثار كُثُر في المعبر الرمل من أقدام الأسراب بأظلافٍ للبقر والأراوي ، أو أخفاف للنعام وطيور كارنا ، أو مخالبَ للذئاب والفَنَك ، أو خطوطٍ متعرجات أيضاً للزواحف تأتي ، لالشرب الماء بل لقنص فراخ الطيور وبَيضها .

يعرف القنَّاص الجنُّ قديمَ الأثر من جديده . يعرف الأثرَ الوارد إلى الماء أولاً ، والأثر الوارد لاحقاً . اللواحم تأتي أولاً . تشرب وتمضي على عجل إلى صيدها . يخلو المكان بعدها للحيوانات العاشبة الحذرة والطيور ، التي تكمن الذئاب لجميعها على مخارج الدغل .

كان الجن في يومهم ذاك ، على مخارج الدغل أيضاً ، بحبالهم ، ومقاذيفهم . لم يكونوا مهتمين بالطرائد الأُخريات إلاَّ الذئاب لصيدهم . هكذا عزم سلطانُ زينافيري في رحلته إلى واحة كيما ، وعزم على عزمهِ أسيادُ الفِرق ، والمواكبون . عميد المحاربين ماياكي وزع الصيادين على جبهات القنص المُحتَملة ، قبل أن يلتفت إلى المغني وإناثه :

- أوقفْ غناءَك الآن ، ياتارتوك .

استلقى تارتوك على الأرض الرمل بصدره ، مرتفع الركبتين إلى الوراء في رجليه - رجليِّ الجرادة ، المنثنيتين إلى الخلف أبداً من مفصليِّ الركبتين . جارَتْهُ زوجته وابنتاه منبطحاتٍ أرضاً ، ثم زحفن بطاءً كالضِّباب .

«ماالغناء ، ياماكالوني؟» ، تساءل ماياكي بصوت خفيض ، وهو يقبض على حربة مسنونة بيد ، وهراوةٍ عَظْمٍ لها كُعْبرة كبيرة

بيد أخرى . نظر إلى سيد من أسياد الفرق يجاوره ، فردَّ ماكالوني بصوت حَذِر ، بلا تقدير لصواب ردِّه :

- ثمَّت لحظات لا نعرف ماذا نفعل فيها ، فنغني .

«أتغنِّي أحياناً؟» ، ساءله ماياكي بنبر خافت ، متهيئاً للوثبة الإيذان بالمطاردات .

«نعم . أحياناً أغني ، حين أعجز عن تصديق ما أقوله لنفسي بطريقة ليست غناءً» ، ردَّ ماكالوني .

هزَّ ماياكي ، ليس تقليباً لردِّ ماكالوني على عقل التدقيق والفحص ، بل استتباعاً لبصره سرَّحه على العراء يقدِّر الجهة الأنسب لتوجيه الذئاب إليها ليُبطئها . زأر منطلقاً وثباً عاصفاً فوثب الجن الصيادون من مخارج الدغل كلها ، في اتجاهات شتى .

بوغتت الذئاب الصُّفر بكمائن الجن وهي في كمائنها قريباً من شِعاب المعبر الرمل ، المتصل بجوف الدغل ، حيث البركة الشاسعة . فرَّت جماعاتٍ صغيرةٍ ، ثم تفرقت كلُّ ذئبٍ يروم النجاة بنفسه . لوحقتْ بالمقاذيفِ العظامِ ، وبالحبال مصفِّرةً بالحجارة في أطرافها .

إناث الجن ، ومطاياهن ، وبعضُ حاملي أمتعة الأسياد الصيادين ، ظلوا على تخوم القصب محيطاً بالماء ، بينهم ريكما نفسُه وقد آثر أن يكمن قرب جذوع الشجر للجن القُزْم ذوي الأذيال والريش ، متتبعاً إشارات مطيَّته زيديكا إلى الجحور الضيقة ، المموَّهة .

«هذه جحور الجن القُزم» ، قال زيديكا لراكبه . نَكَتَ بقدمه في الأوراق على مدخل أحد الجحور . غمغم : «هذا جحرٌ مهجور» . أدار وجهه على الجهات اللفيفة جذوعُ الشجر فيها : «فلنوغلْ أعمقَ

في الدغل زحفاً ، ولنصعد شجرةً نكمن عليها» .

نزل ريكما عن ظهر مطيته . همَّا بالانخفاض ليكون عبورهما زحفاً بين القصب ، فنادته سوك على ظهر مطيتها ناكولي :

- لماذا تختبئ ، ياريكما؟ .

استقام ريكما بعد انحناء . ردَّ :

- ذاهبٌ أتصيد الجنَّ القُزَّم .

«سأرافقك . بي رغبةٌ في صيدٍ أيًّا يكُن» ، قالت سوك .

«تصيَّدي جراد القصب ، أو ضفادع البِركة» ، ردَّ ريكما بنبرٍ ساخر .

«بل سأتصيد مثلك» قالت سوك في حزم .

«لا» ، غمغم ريكما في حزم أيضاً . «سيمزق كاشاجو جلدَ مطيتك ناكولي إنْ طاوعتكِ» .

نزلت سوك عن ظهر مطيتها . لمست بيدها القناعَ على وجهها راضيةً في حجابه عن صورتها ـ صورة هايكاهيكسين :

- لن أمنح كاشاجو عذراً ليمزق جلدَ ناكولي . أنا ذاهبة أتصيَّد وحدي .

«سيمزق كاشاجو جلدَ ناكولي إن لم تمنعك من الصيد» ، قال ريكما . أردفَ : «في كفك ذبابة سلطان زينافيري ، ياسوك . هذه الذبابة هي صيدُ وجودك كله» .

من بُعْد كانت شيكتان ، ومطيتها نينيسو ، تلقيان بصريهما ، برهة بعد أخرى ، إلى سوك وريكما ، ومطيتيهما ، محتجبيْنَ حتى الخواصر بين القصب ، قبل أن ينخفض ريكما ومطيته مختفيين ، فيهتزَ القصبُ من حولهما في الزحف مبتعديْنِ .

وثبت سوك ، بعد برهة ، إلى ظهر مطيتها . قادتها بهدوء في

الغمر الأخضر، المرتعش تحت لسان الريح .

«أين ذهب ريكما؟» ، تساءلت نينيسو .

غمغمت شيكتان بنبر فيه إيماءٌ من الخطط :

- إلى أين تتجه سوك؟ .

رويداً رويداً انفصلت شيكتان ومطيتها عن زُمر نساء الأسياد وأولادهم المتفرِّقين . وثبتا إحداهما إلى جوار الأخرى ، وثباً هيناً ، رقيقاً ، لايثير القصب أكثر مما تثيره الريحُ في القصب . تتبَّعتا سوك .

«هل ستحاول سوك أن تتصيَّد بيد واحدة؟» ، سألت نينيسو سيدتَها شيكتان في همس .

«ستَنْحَرُ ذبابتَها إن فعلتْ» ، قالت شيكتان . أضافت متمنِّية : «فلْيلهمها وحيُ الرؤيا أن تطارد فريسةً» .

«لافرائس بين القصب» ، عقبت نينيسو .

«فلْيلهمها وحيُ الجن أن تخرج من القصب إلى شجر الدغل . قد تجد حيواناً يغويها» ، غمغمت شيكتان .

تمطت نينيسو متعاليةً تترصد سوكْ على ظهر مطيتها . همست همساً خفيضاً :

- إنها تتجه إلى عمق القصب . الصيدُ ليس باعثها ، ياشيكتان .

«أتُري سوك الجرادَ ، والضفادع ، قناعَها؟» ، تساءلت شيكتان ساخرة . «لماذا هذا القناع؟ مامرادُها ، يانينيسو؟» .

توقفت شيكتان بغتة من خاطرٍ راودَها . تساءلت بنبرٍ فيه حيرة :

- أهذا القناعُ رؤيا؟ .

«رؤيا؟!» ، همست نينيسو مستغربةً تقدير سيدتها . تطاولت

أكثر . وثبت في خفة إلى أعلى ليحيط بصرُها بسوك ومطيتها . تمتمت :

- سوك نزلت عن ظهر ناكولي .

«أرى ذلك» ، قالت شيكتان . مطَّت عنقها : «لقد انخفضتا . إنهما تختفيان» .

«أرأت سوك فريسةً من غيرِ توقُّع؟» ، تساءلت نينيسو .

لم تردَّ شيكتان . سرَّعت وثبَها المتأني ، الحذر ، فسرَّعت نينيسو وثبها . أوغلتا في موج القصب حتى صارتا على قربٍ من المكان الذي توارت فيه سوك ومطيتها . توقفتا متفحِّصتين أثرَهما فوق سيقان القصب المكسورة .

«هما مضتا زاحفتين من هنا» ، قالت نينيسو . «فلْنزحفْ أيضاً» .

زحفت شيكتان ، ونينيسو ، بين القصب في حذر مفرط تتفاديان كسر سيقانه . سلكتا الأثرَ الملحوظ لعبور سوك ومطيتها . أبعدتا جراداً كبار الجسوم عن أيديهما ، وضفائرهما . تفادتا ضفادعَ خضراً أقلقها اقتحامُ جنيتين أُخريين مجاثمَها الآمنة . انكشفَ لهما مخرجُ زحفِ سوك ومطيتها من بين القصب . انكشفت البركةُ الشاسعة .

كانت سوك منبطحة على صدرها ، تنظر في الماء إلى صورة القناع ، وقد انحنت مطيتها ناكولي إلى جوارها انحناءً جِداً تحدّق ، بدورها ، إلى مرآة سيدتها المائية .

ارتعشت شيكتان مما راودها في تلك البرهة . ساررت مطيتها في همس متكسر من خَفْقِ قلبها .

تطاولت نينيسو ترصد الجهات من حولها تدقيقاً فحّصا .

خفضت نفسها من جديد . زحفت كشيكتان زحفاً تكادان لاتلمسان القصبَ حذراً من أن تُسمعا . بلغتا ضفةَ البركة حيث انبطحت سوكْ مسترسلة في استعراض نفسها صورةً من كائن آخر لم يخمن أحدٌ حلقة نوعه بين الأنواع . هرَّت مراراً بصوت كالمناجاة .

نهضت نينيسو نهوضاً خاطفاً . ضربت بالهراوة العظم الضخمة في يدها على ساق ناكولي اليمنى ، المنحنية على الماء ، غائصةَ الخيال سباحةً في البعد المائيِّ لقناع سيدتها . تهاوت ناكولي على جنبها متفلِّعةَ الساق ، بشظيةِ عظم نافرة الرأس من الجلد في موضع الكسر . عاجلتها مطيةُ شيكتَّان بضربة ثانية على رأسها . هشَّمته . سقطت ناكولي متمددة على الضفة بقدمين لامستا الماء .

في لحظة الضربة الأولى تحديداً ، من هراوة نينيسو على ساق ناكولي ، كانت شيكتان قد بادرت إلى الإمساك بقدمي سوكْ ، من الخلف ، إمساكاً محكماً ، تتفادى رَكْلَها ـ رَكْلَ الجراد .

رفعت شيكتان قدمي سوكْ عالياً فَعَلا نصفُ جذعها السفلي . غاص رأسها وعنقها في الماء .

تخبطت الجنية المحاربة ، نزيلةُ قصر كاشاجو الجديدة ، هلعاً هو هلعُ الجن من لمس الماء أصلاً . وازدادَ لَبْطُها من إشرافها على الغرق مسدودةَ الرئتين ؛ مسدودةَ الخيال مِمَّا داهمها في برهات قنصها المنعش لصورتها في صورة هايكاهيكسين . تراخت قبضتها عن ذبابتها مذ تشبثت بيديها معاً بطين الضفة وعشبها ، عاجزة عن سحب رأسها من الماء .

قوياً كان إطباقُ يدي شيكتان على قدمي سوكْ . وقد ازداد الإطباقُ إحكاماً حين أنجزت نينيسو قتل ناكولي ، وهبَّت إلى

سيدتها فأعانتها أكثر على رفع رجلي سوك من الخلف متدليةَ النصف الأعلى من جذعها في المرآة المائية ، القابضة على رأس سوك بأسنان فخّها .

في الجهة المقابلة من ضفاف البركة الشاسعة هرَّ زيديكا ، مطية ريكما ، هريرَ المبهوت ، فبوغت ابن سلطان زينافيري . كانا قد صعدا شجرةً فكَمَنا بين غصونها الملتفة ، بعد أن تحقَّقا من وجود جحور للجن القُزم ممتدَّةَ السراديب إلى أسافل الجذور .

«مابك؟» ، ساءل ريكما مطيته في همس .

«انظرْ هناك» ، قال زيديكا مشيراً ، بيده الممسكة شبكةً صغيرةً من شعر الجن ، إلى الضفة الأخرى ، على بُعْدٍ منهما .

كانت شيكتان ونينيسو مسترسلتين ، بَعْدُ ، في إغراق سوك ، إلى جوار ناكولي القتيلة . ارتعدت يد ريكما مذهولاً .

«ماذا نفعل؟» ، تساءل زيديكا بصوتٍ مبهوت .

أمسك ريكما بمعصم مطيته الجاثم على غصن يجاوره . غمغم :

- فات الوقت .

«أنا نازل لأفعل شيئاً» ، تمتم زيديكا وهو يردُّ الشبكة إلى جِراب معلَّق إلى كتفه .

«ماذا ستفعل؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زيديكا :

- لاأعرف .

«ليس في إمكانك فعل شيء ، يازيديكا» ، قال ريكما . كرر تأكيده : «فات الوقت» ، ثم نزل عن الشجرة فنزل زيديكا .

قطعاً لم يكن في مستطاع ريكما ، وزيديكا ، فعل شيء . فات الوقت حقّا . تراخت يدا سوك عن اللَّبْط ، والخبْط ، والتشبث

بسيقان الهواء وثياب الهواء . عنْفٌ تخبُّطها ، أملاً في النجاة ، حل سيورَ القناع عن طوق رأسها فطفا القناعُ . تحلَّلت الأصباغُ عليه . ماع اللونُ وتداخلَ متهدِّم النظام الذي أوجدَ اللونَ شكلاً من صور الأنثى الإنسية بأقلام رسامات زينافيري الحجرية . حامت ذبابة فضية الهيئة كلها حول القناع الطافي مذهولاً من انقلاب الخطوط فيه على حقيقتها . حطت على القناع .

دحرجت شيكتان ، ونينيسو ، الجثتين إلى الماء . تراجعتا إلى حقل القصب . اندسَّتا في البعد الأخضر منخفضتين لترجعا زحفا كما جاءتا . لكن نينيسو استدركت فتوقفت . لقد خال لها أنها لمحت هيئةً مَّا على الضفة المقابلة ، نازلة من إحدى الأشجار . أوقفت سيدتها أيضاً . غمغمت بصوت متفتت :

– أظنني لمحتُ أحداً على الضفة الأخرى .

تبلبلت شيكتان :

– أأنت متأكدة؟

رفعت نينيسو نفسَها في حذر بين القصب . أرسلت بصرها من بين الأوراق السيوف إلى حيث لمحت الهيئتين . تأملتهما ملياً . هرَّت بصوتٍ خائر :

– إنهما ريكما ، وزيديكا .

«أرأيانا؟» ، تساءلت شيكتان منبطحةً بعدُ بصوتٍ متقشِّر النبرِ ارتباكاً .

«هما ينظران إلى هنا تحديداً» ، ردت نينيسو .

على مهل ثقيل وقفت شيكتان على قدميها بين القصب . صوبت بصرها إلى حيث تنظر نينيسو . هرَّت هريراً مكتوماً نزل من حنجرتها إلى جميع عظامها . استقامت مُذْ لم تعد حذرة من أن

نُرن . وثبت وثباً قصيراً ، متمهلاً ، عائدة إلى الضفة تسجَّت في مانها جثتان . تبعتها نينيسو . وقفتا محدِّقتين ، من بُعدهما ذاك ، إلى ريكما ومطيته الساكنين جامدَيْنِ .

«ماذا الآن؟» ، تساءلت نينسو .

«لا شيء» ، ردت شيكتان بصوتٍ بارد .

«ماذا سيجري؟» ، عادت نينيسو متساءلةً ، فردت شيكتان :

- سيصمت ريكما . سيصمت زيديكا .

على الضفة الأخرى كانت المحاورة ذاتها بين ريكما ومطيته .

«ماذا علينا أن نفعل؟» ، ساءل زيديكا سيدَه .

«لن نفعل شيئاً» ، رد ريكما .

«أتعني لن نفعل شيئاً؟» ، تساءل زيديكا ثانيةً على حيرةٍ ، فردَّ ريكما :

- لا شيء . لم نرَ شيئاً .

طويلاً تبادل الأربعة النظرَ ساكنين ، واجمين ، كلُّ اثنين على ضفة . ضفدع أخضر ، صغير ، وثب من الماء صاعداً قناعَ سوكِ الطافيَ مختلطَ الألوان على شكلٍ ليس هو وجه هايكاهيكسين ، الذي كان قبل سقوطه في الماء قناعاً غريقَ الصورة كصاحبته . رشق الضفدع الذبابةَ الفضية بلسانه الدَّبِق فألصقها به . ابتلعها .

جرادٌ متفاوت الهيئات حجوماً تفحَّص ، من فوق أسنة القصب العالي ، الأربعةَ يتبادلون سكونَهم الصلب ، الثقيل . لم يتزحزح من مجاثمه فوق الأوراق إذْ أمالتِ القصبَ موجتان من الريح تجهد إحداهما أن تقتنص الأخرى بِشباكٍ من عزيف الصوت ، ثم انحدرتا عن القصب فطوتا صفحةً من ماء البركة الشاسعة ونشرتا صفحةً . تحركت الجثتان . خمد نقيق الضفادع .

«تعالي» قالت شيكتان لمطيتها غمغمةً .

«تعال» ، قال ريكما لمطيته غمغمةً . غادرَ الموضعَ في اتجاه الدرب الرمل ، الممتد من ضفة البركة إلى أعماق الدغل ، فالعراء مابعد الدغل .

سلكت شيكتان المعبر الضيق ، الذي استحدثهُ زحفُ سواء ومطيتها ، وزحفها هي ونينيسو ، بين القصب ، عائدة إلى حيث تلل نساء الأسياد وأولادهم اللاهيْنَ يسحل أحدُهم الآخرَ جراً من ضفائره ، أو يستعرضون قواهم في النزال ركْلاً مستدبريْنَ ظهوراً إلى ظهور ، كما يفعل الجراد في الركل بأرجلهم المطوية من الرِّكاب إلى الوراء ، عكسَ رِجلي الأنثى الإنسية تنطويان من الركبتين إلى أمام .

خرجت نينيسو وسيدتها من حقل القصب إلى الشجر اللفيف تتخلله فسحاتٌ شَغَلَها المنتظرون عودة الصيادين بقنائصهم . تارتوك المغني كان مسترسلاً ، بصوته الأزيز ، في مناجاة أرواح الطير ، على وقْع اللطم بقبضات الأيدي من إناثه على رؤوسهن وقْعاً موزوناً ، وقدَ تحلَّق حولهُ العلماء الخمسة ، ومايشا ، وأمه ، وصاحبته التي بلا نَسَب .

«أريد موضعاً رملاً منعزلاً أتمرَّغ فيه» ، قالت شيكتان لمطيتها .

«ليس هنا» ، ردت نينيسو .

«أين إذاً؟» ، تساءلت شيكتان .

«في رُكنكِ ، داخل القصر . افعلي ذلك ليلاً» ، ردت نينيسو .

الصيادون ، إن ظفروا بفرائسَ ، يتمرغون في الرمل . كل من يعود بطريدة يفعل ذلك ابتهاجاً . شيكتان بثَّت رغبتَها ، بلسان التلميح ، إلى مطيتها نينيسو ، التي فهمت توريتها : لقد اقتنصت

سيدتُها روحَ سوكِ المتخبطة في شبكة الانتقام منها ومن كاشاجو معاً .

انضمت الجنيتان إلى الثُّلل أخرج بعضُ أنفارها عظاماً من أجْربتهم يلتهمونها قضْماً طحْناً . فتيات الجن الصغيرات تبارين في غمغماتهن الغناء خافتاً يحاكيْنَ تارتوك . إناث الجن لايتوقفن ، عادةً ، عنْ غنائهن ، قد يخفضْنه حتى يغدو نبضاً كنبض قلوبهن في الصدور العجاف لاثُديَّ فيها ، ولاحلمات .

شيكتان ، ونينيسو ، كانتا تغنيان أيضاً بنبر زفير لايُسمع ، فإن علا غدا محاورات ضيقةَ الأبعاد على الجُمَلِ ، أوْ واسعةً على قلقهما المتراجع حينَ انضمَّ ريكما ومطيته إلى العلماء الخمسة من حول تارتوك ، متجاهلْينِ النظرَ إليهما ، كأنهما في جهلٍ مما جرى .

تقدمت شيكتان من زيديكا مطية ابنها . ساءلته :

- لِمَ لم تأخذ ريكما إلى الصيد؟ .

«كنا في صيد» ، ردَّ زيديكا ببصرٍ على إحدى فتيات الأسياد . أردفَ : «قَصَدْنا أوكارَ الجن القُزُم» .

«لا أراكما تصيَّدتما جنًا قُزماً» ، عقَّبت شيكتان محدِّقةً تحديقاً ينفذ من عيني زيديكا الحجريتين إلى خياله .

«لم نكن محظوظين اليوم» ، ردَّ زيديكا .

جرَّ ريكما قدميه على رمل الفسحة ، بين الشجر ، جراً لايريد أن يثِب . جاورَ مطيتَه :

- فيمَ تتحادثان؟ .

«عنك» ردت نينيسو مقتحمةً مجرى سؤاله . «متى ستتخذ شريكة للاستنسال ، ياريكما؟» .

«متى ستتخذين شريكاً ، يانينيسو؟» ، رد ريكما . أدار وجهه

إلى مطيته : «زيديكا من النوع المطايا . قوي ، كتوم» .

غمغمت نينسو متأملة وجه زيديكا الرمادي الداكن الجلد .

تعالى زئيرٌ من وراء الشجر اللفيف ـ زئير عودة الصيادين بالفرائس . هرعت الثِّلل ، والأرهاط ، والأنفار ، إلى مخارج الدغل .

أربعة ذئاب ، لاغير ، كانت قِسْمةُ الظفر على الجمع الفائض بعدده من الصيادين عن القبول بأربعة ذئابٍ قسمةً . كان واضحاً أن بهجةَ الفوز ضيقة ، وغدرَ الخيبة واسعٌ : ثلاثة أسياد عادوا بثلاثة ذئاب صُفر مقيدة ، مغلولة ، مكممة الأفواه ، على أكتاف مطاياهم . ماياكي عاد بواحد محمول على كتف راتو . أمَّا الأسياد الأربعة الآخرون ، ورهطُ الأعوان والغطاريف ، فلمْ يزِدْ حظُّهم في الخيبة عن حظ كاشاجو الكاظم احتقانه ، يهرُّ هريرَ النقمة على مطيته شاكد المتجهم ، العائد بعرج خفيف في قدمه اليسرى .

التحم الجمع المتناثر ثانيةً في موكب من حول كاشاجو ، بلا تحديق إليه في خيبته التي أفلتت لسانَه من غير نضنضة :

– هل من جنيٍّ يجهل مواضع الرمل الرخو؟ .

غمغم شاكد غمغمة المتقبِّل توبيخَ سيده على خطأ لا يليق بمطيةٍ مثله ، عارفٍ بأمكنة الرمل المتخلخل من الرمل الثابت .

«كان شاكد ممسكاً بساق ذئب قبل سقوطه في حفرة الرمل الرخو» ، قال كاشاجو ، وأتبع كلماته بزئير خفيض . «أفلتَ شاكد الذئبَ» . دمدم : «أهانَ حظي اليوم» .

«خذْ صيدي ، ياكاشاجو» ، قال ماياكي ، عارضاً على سلطان زينافيري م اقد يهدِّئ توبيخه لشاكد الأمين ، الطيع ، الوفي .

نضنض كاشاجو بلسانه : «أقلتَ شيئاً ، ياماياكي؟» ، قرَّب وجهه من وجه عميد محاربيه : «لم ألتقط ما قلتَ . لكنك تعرض

علي رشـــوة» . هزَّ رأســـه : «لا أريد ذئبك الذي هو حظٌّ يومك ، ياماياكي . عندي ذئاب كثر في حديقة القصر» ، قال بنبرٍ انخفضت فيه حدَّةُ الخيبة .

أشار ماياكي بيده إلى مايشا والمرأتين معه ، في افتعالٍ منه لبعض المرح يبدِّد به البرهةَ المنقبضة في الموكب الواقف :

- خُذْ مايشا معك إلى الصيد في المرة القادمة . لأبيه المقدرة على مخاطبة الذئاب .

«أبي لا يخاطب الذئاب . هي التي تخاطبه» ، ردَّ مايشا .

«ماذا تقول الذئاب لأبيك؟» ، ساءله ماياكي .

«ما أريد قوله لهذه الأنثى التي معي ولا أقوله» ، ردَّ مايشا مشيراً بعينيه إلى المرأة الأخرى إلى جوار أمه ، بوجهها المطلي سواداً .

«لم أرك قط تحادث هذه الأنثى ، التي تسميها المشيئةَ ، يامايشا . من هي حقّاً؟» ، ساءله ماياكي .

«مَنْ قادرٌ أن يكلم المشيئةَ ، ياماياكي؟ هي معي ، وذلك يكفي» ، ردَّ مايشا ذو العينين الحجر الضيقتين .

اكتفى ماياكي بغمغمةٍ تعقيباً على مايشا . صرف نظره عنه إلى العلماء الخمسة . كلمهم متعمداً أن يراه كاشاجو . نضنض سلطان زينافيري بلسانه .

«هل تصيدتم قط ، ياعلماء الأقاليم كلها؟» ، ساءلهم ماياكي .

«لا نحسن الصيد» ، ردَّ ماستو ، عالِم الرمل وأصول الكثبان .

«لماذا انضممتم إلى الموكب؟» ، ساءلهم ماياكي .

«نحن في استجمام . سنعفي أنفسنا بعض الوقت من أسئلة جن الأقاليم» ، رد ماستو .

«ألديكم أجوبة على كل شيء؟» ، ساءله ماياكي .

«كل منا يجيب بما في اختصاصه» ، ردَّ شايمات ، العالِم في أصول الأصوات .

«أحدكم عالِم في اختيار الحيز المناسب لبناء المساكن» ، قال مايكي ، فردَّ جيراجيك :

– أنا العالِم في الأبعاد المطلوبة لبناء المساكن وفق عبور الأرواح .

«أتعني عبورها بين المساكن؟» ، تساءل مايكي . أضاف : «لايحوج الأرواح عبورٌ بين المساكن . هي تجري في الأنفاق» .

«أنفاق؟!» ، تمتم جيراجيك كمن يستعيد على خياله خاطرا يخصُّ الأنفاق .

«أسمعتَ بأنفاق في تجوابكم أقاليمَ الجن؟» ، ساءله مايكي .

تلفَّت العلماء الخمسة واحدهم إلى الآخر . لكن كاشاجو اقتحم أسماعهم بزئير مفاجئ فيه نبرُ القلق . رفع صوته الحجر :

– أين سوك؟ .

أدار الكثيرون في الموكب الواقف وجوههم على الأنحاء بحثاً عن سوك .

هرَّ كاشاجو . حدق إلى مطيته شاكد :

– لاتقلْ لي إن ناكولي طاوعت سوكْ فأخذتها إلى الصيد .

أحسَّ شاكد بزفير التوبيخ يستعيده كاشاجو من رئتيه بعد لجْمٍ لم يطُلْ ، لكن ليس عليه مباشرةً ، بل على أخته . ردَّ :

– ناكولي لاتقترف خطأ كهذا . لن تركض وراء الفرائس بأنثى على ظهرها تحضن ذبابتك ، ياكاشاجو .

نضنض سلطان زينافيري بلسانه :

– أين هما؟ .

نقّلت شيكتان بصرها ، من بُعدٍ قليل ، بين وجهي ريكما وسطيته ، فإذا هما يتظاهران ، كالآخرين ، باستقصاء الجهات بعيونهما بحثاً عن سوك . استدارت إلى نينيسو . ساءلتها بنبْرٍ مسموع :

- أرأيت سوك؟ .

تعمدت نينيسو أن يُسمع ردُّها أيضاً :

- ألم تمضِ بمطيتها إلى حيث ذهب الصيادون؟ .

وثب ماياكي نصف وثبة ليصير قبالة نينيسو . ساءلها :

ـ أتعنين جهةَ العَراء؟ .

«أظن ذلك . لست متأكدة» ، ردت نينيسو .

«بل أظن مطية سوك اتجهت بها إلى نواحي القصب» ، قالت إحدى بنات الأسياد .

«قد تعود سوك بذئب» ، قال داريك السيد على فرقة من المحاربين . «هي أنثى محاربة» .

هرَّ كاشاجو ممتعضاً :

- في يدها ذبابتي .

«ربما تولت مطيتها ناكولي مطاردة فريسة ، وظلت سوك في مكان تنتظرها» ، تكهنت امرأة أحد الأسياد .

«مابكم وهذه التخمينات؟ أين سوك؟» ، تساءل ماياكي .

تبعثر جمعُ المواكب تلقاءً ، كلٌّ بضعة أفراد إلى ناحية ، بنداءات مكرورة على اسم سوك . تارتوك المغني لم يغفل عن دوره في ذلك . رفع صوته الأزيز بالغناء عالياً على غير عادته ، وجارتْه امرأتُه وابنتاه خبطاً بالراحات على صدورهن الطبول .

زأر كاشاجو .

هزّت شيكتان .

رهطُ ماياكي من الصيادين انكبُّوا بأبصارهم تصنيفاً للآثار في الرمل على مخارج الدغل ، متجهين إلى عمق العراء حيث تتبَّعوا ، قبلاً ، فرائسهم من الذئاب . كان عليهم تمييز عمقها . آثار الجن العادين عميقة في الرمل مذ تغوص أرساغهم ـ أرساغُ الجراد الدقيقة فيه ، وأعمقُ منها آثار أقدام المطايا الضخام . سوك كانت على ظهر مطيتها ، لذا تخيَّروا اقتفاء الآثار الأكثر عمقاً وحدها ، بالرغم من أن الريح بدأت تقشير نقوش الأرض بشفراتها سلخاً للنافر منها ، وتسويةً ردْماً للغائر .

على عجل تولى ماياكي فحصَ الآثار ومَحْصَها قبل أن تتلاشى . لكنه انتهى برهطه ، حيث اتجه ، إلى نهايات هي مواضع القبض على الذئاب واضحةَ الأرض بعْدُ برملٍ فوضى من الخطوط المتعرجة ، العريضة ، هي آثار حصار الصيادين للفرائس ، وتمرُّغ الفرائس على الرمل فكاكاً لنفسها من الأيدي تُطبقُ عليها بالقيودَ الحبال .

لاشيء مُلفتاً كان هناك ، في العراء الذي يلي مخارج الدغل عميقاً . عاد ماياكي ورهطه خائبين . دخلوا الدغل انضماماً إلى كاشاجو وأتباعه موغليْنَ في مسالك الشجر الضيقة ، وفسحات الرمل القليلة بينها . بلغوا حقل القصب الواسع ، المحيطِ عريضَ العمق بالبركة الواسعة . أوغلوا فلولاً ، وأنفاراً متجاورين ، ومتباعدين ، في الموج الأخضر لسيقان النبات السامقة بأوراقها . شقوا فيه ممراتٍ فوق الكثير من القصب الصريع . طار جراد بأجنحة ألوانٍ كالذعر المنثور ألواناً هسيساً من هرب الضفادع المذعورة . سُمع قفزُ بعضها إلى الماء واضحَ الصوت مُذ نثرته الريحُ واضحاً بمذاري

عُمَّالها الخفيِّين لا يهدأون .

كادت مواضعُ من حقل القصب ، ذي الخيالِ النباتِ أخضرَ جريحاً ، أن تُسوَّى بالأرض من تداخل عبور الباحثين عن سوك ، ومن تقاطعات ذهابهم وإيابهم وثباً جامحاً . لَهْوٌ من أولاد الأسياد ، وأولاد الغطاريف ، مازجَ البحث المحموم . سحقوا عديداً من الجراد بأسلحتهم العظام القِصار . معسوا ضفادعَ خُضراً صغاراً ، ورمادية منتفخة البطون . تقاذفوا بسيقان القصب كالرماح ، وتصافعوا بورقه العريض المسنون .

صرخةٌ من ضفاف الماء أخمدتِ الزئيرَ والهرير في الحناجر مُنْكبَّةً على نَحْت الصوت نحتاً قلِقَ النبر حائراً . هرع ماياكي ، والعلماء الخمسة ، وبعض الأعوان المحاربين ، في اتجاه الصوت . أشرفوا ، بعد حقل القصب ، على البركة الشاسعة نقيةَ الماء ، معتمةً من ذوْب الظلال ، متماوجةً من لعق الريح ونَطِّ الضفادع نجاةً بأنفسها .

كان ريكما الهاتف بصوته المكتشف ماسينكشف ثقيلاً ، صادماً ، وقد انحنى هو ومطيته زيديكا على الضفة ، يستعرضان الجثتين .

توافد المترقبون من صوت ريكما أمراً لايُسعِد تباعاً . تزاحموا بالمناكب ، وبالرؤوس فُرْجةً على المشهد القاسي للجنيتين سوك ومطيتها ناكولي ، طافيتين على الماء . وصل شاكد يفتح ممراً بين المحتشدين لسيده كاشاجو .

لم يزأر سلطان زينافيري قبلاً كمثل زئيره في تلك البرهة المِطْرَقةِ سحقت قلبه . شيكتان سدَّتْ أذنيها لحظة بيديها ، قبل أن تهامس مطيتَها نينيسو وهما على بُعد وثبة من المحتشدين :

- لماذا تعمَّد ريكما أن يكون أول العاثرين على سوك؟ .

حدقت نينيسو إلى شيكتان متردِّدة في الردِّ ، ثم باحت :

- اقتليه .

«مَن؟» ، تساءلت شيكتان مبغوتةً .

«اقتلي ريكما ، ومطيته أيضاً» ، قالت نينيسو بنبرٍ حجرٍ ، بارد .

«أخَفْتِني . أتعنين ماقلتِ؟» ، تساءلت شيكتان .

أبعدت نينيسو بصرها عن وجه سيدتها . تأملت كاشاجو ظاهر الرأس بين المنحنين قليلاً على ماء البركة :

- سيكون ريكما ، ومطيته زيديكا ، رؤيا القلق ثقيلاً على خيالك حتى الموت . لا أعرف إن كان أحدهما سيخبر كاشاجو بما جرى ، لكنك سترتبكين كلما التقت عيناك بعيونهما . افعلي شيئاً .

ارتبك خيال شيكتان من مقترح مطيتها بين رفضٍ وبين تفحُّص متردد . غمغمت :

- لّا . لن يتكلما ، وذلك يكفيني .

«كيف تجزمين؟» ، تساءلت نينيسو .

«لم يقولا شيئاً لكاشاجو قبلاً حين رجعا إلى الموكب . لستُ قلقة الآن» ، ردت شيكتان . سدَّت أذنيها ثانيةً من زئير سلطان زينافيري الموحش ، الذي وثب مراراً في موضعه كأنه يضرب السماء برأسه المتراقص الضفائر تحت الطوقِ العِصابةِ على محيطها .

«أخرِجوا سوكْ من الماء» ، هتف كاشاجو . دار نصف دورة على نفسه ظاهرَ العجز عن فعلٍ .

لم يجرؤ أحد ، في المٌوكب ، على النزول إلى البركة . الجن لا يلمسون الماء . يرتعدون إنْ تخيَّلوا أنفسهم مبتلِّيْنَ .

«يلزمنا طَوْف ، وقفازات طِوال» ، قال مايا كي ، من غير أن يبصره كاشاجو متكلماً . أردف : «من معه قفازات؟» .

ساد صمتٌ إلا هرير كاشاجو المتلاحق مبهوتاً .

«ماذا لو غطينا جسد واحد منا بالجلود مُحْكَمةَ الإحاطة بأعضائه؟» ، تساءلت تايتون ، زوجة مايا كي الزرقاء الضفائر . أردفت : «قد يتمكن ، إن غطيناه جيداً ، من جذب سوك ، وناكولي» .

ضُمَّت أكياسُ العظام الجلدُ ، وجِعب السلاح ، وقطعٌ من الثياب تبرَّع البعض بها ، حتى غدت غطاء يُلفُّ به جسدُ جنيٍّ ثلاث مرات . استُدعي تابع من أتباع السلطان فَأُلْبِس ، مرتعشاً ، من عنقه حتى قدميه لفّاً أثبتته الحبالُ الجلدُ فوق الرِقاع الجلود . أُهيب به النزول إلى البركة ، فنزل بصوتٍ غريقٍ في حنجرته .

كان هبوب الريح قد دفع الجثتين ذراعينِ ربما ، لا أكثر ، عن الضفة بُعداً . غمرَ الماءُ جنيَّ النجدة حتى الخاصرة إذْ توغل فيه زحفاً بقدميه الملفوفتين جلداً على وحل الأعماق . طاولت ذراعه قدمَ سوك اليسرى فجذبها عائداً بها إلى الضفة ، حيث تولى البعض ربط ذراعيها بحبال ، من غير لمس ، وجروها إلى برزخ القصب . سُحبت ناكولي أيضاً . جرَّها أخوها شاكد ، في هريرٍ كسَنِّ صُفَّاح حجرٍ بصُفاح حجرٍ لوعةً .

«أين القِّناع؟» ، زفر كاشاجو .

أدار الواقفون معه أبصارهم على صفحات الماء تقلِّبها الريحُ متتابعةً أثلاماً كآثار الضَّبِّ على الرمل .

«تلك هي الرقعة الجلد» ، قالت إحدى الرسامات ، اللواتي انكببن أربعتهن ، بالأقلام اللون ، على صفافيحهن السود تخطيطا

لجسديّ الغريقتين سوك ، وناكولي ، والحقل القصب أيضاً .

عاد جنيُّ النجدة ، المغطى كلٌّ جارحة فيه برقعة جلد ، إلى الماء . خاض زحفاً بقدميه في وحل القاع على نبض قلّبه المتعثر وثباً بين أضلاعه . رجع بالرقعة الجلد ممعوسةً . رمى بها إلى برزخ القصب ، وخرج من الماء كالهارب .

«أبسطِ القناعَ قُرب سوك» ، قال كاشاجو لجنيّ النجدة .

بسط الجني ، في حذر ، رقعةَ الجلد القناعِ رماديةً ، ببقايا أثر من زفير اللون المختنق في رسمٍ لم يعد رسماً ، بل ضبابَ شكل وسرابَه .

فتح كاشاجو فمه عن زئير لم يطاوعه . ظلَّ مفتوح الفم ، أخرسَ . انبطح أرضاً في برزخ القصب ، متكئاً على يديه ، يكاد يلمس بوجهه وجه سوك . انبطح مَنْ حوله كمثله تأسّياً له ، فيما ظلَّ البعض واقفاً بين القصب على أقدامهم .

صمتٌ مديد عمَّ الضفة . صمتٌ سُكب في تجاويف النقوش القوية ، اللامرئية ، من نحت الريح بعزيفها في الجهات . أفرغ كاشاجو قلبه ، أو كاد ، من البوح أخرسَ بلا نبْر ، أو رنّة . تارتوك المغني نفْسُه ، وإناثه الثلاث ، طووا أصواتهم ؛ تجرّعوها حتى فرغت ، ريثما تمتلئ حناجرهم ، من جديد ، بدفْقٍ آخر من الصوت طافياً من الأعماق .

نهض كاشاجو أذْ تأكد من تجفيف الريح لجسديّ الغريقتين . لمس وجه سوك بيده . لمس القناع مبسوطاً قربها ، ثم جمعه لِفافةً مضغوطة دسَّها في شقٍّ ثوبه ، الذي من جلد جدته ، فوق الصدر . رفع جثة سوك بين ذراعيه القويتين . حدق ، تحديداً ، إلى نينيسو الواقفة إلى جوار شيكتان . أومأ لها برأسه . وثبَتْ ملبيةً مُذْ أدركت

ما يريد . أحنت ظهرها قبالته ، فوضع سلطان زينافيري جسد الأنثى الغريقة على كتف مطية زوجته . وثب في مسالك القصب قاصداً الخروج من الواحة .

خارج واحة كيما ، في العراء المكشوف طليقاً بحرية الرمل فيه ، اجتمع موكب كاشاجو للعودة إلى مدينة زينافيري . تجاورت الأرهاطُ ، والأنفار ، والثُّلل ، والفلول ، بلا احتساب للمراتب . أسياد تقدموا الموكب راجلين كالسلطان راجلاً ، وتخلف أسياد ، وغطاريف ، في مؤخَّره . شيكتان وابنها ، وماياكي وزوجته ، ومطيته راتو ، والعلماء الخمسة ، ومايشا وأمه وصاحبته ، ظلوا في صف متأخر عن المقدمة . نينيسو حاذت كاشاجو بالجثة على كتفها ، وحاذاهما شاكد بجثة أخته ناكولي على كتفه .

وثب سلطان زينافيري إيذاناً بانطلاق الموكب ، فتحرك الموكب برمته وثْباً متأنِّياً ، رزيناً .

بعد وقت قصير من مسيرهم ، طفا البوحُ ثانيةً ، مالئاً قلب كاشاجو الذي أُفرِغَ قبلاً أو كاد . هرَّ هريرَ المشروخ ركْلاً من الأسى بحوافره ، ثم عاوده الزئيرُ صاعقةً حريقاً .

انفصل سلطان زينافيري عن الموكب بوثبٍ جامح . دار مراراً من حول الجمع كله ، بلا توقف ، عاصفاً ، تخفق ثيابه الخشنة على جسده ، وتترنح قلادتُه هاذيةً على صدره خبْطاً .

كان بادي العزم على فعلٍ مَّا لم يخمنه هو لنفسه في دورانه حول الموكب ، ولم يخمِّنه مواكبوه . المحاربون السبعون ، خفراء السلطان وبطانته ، تحسَّسوا أسلحتهم العظام كأنهم ينتظرون علامةَ الإغارة على دُخلاء ، او المدافعة عن مُلْكِ زينافيري . هرُّوا معاً هرير الجاهزيَّة .

«هذه رؤيا» ، قال ماياكي لشيكتان التي جاورته .

«ربما رأى روح سوك» ، عقَّبت تايتون ، زوجة ماياكي .

غمغم ريكما . ألقى نظرة جانبية إلى أمه من وراء رأس أحد العلماء الخمسة . تساءل بصوت مسموع منها ومن ماياكي الراجل مُذْ كان راتو ، المطية ، يحمل الذئب القنيصَ على كتفيه :

- هل حسم المنجمون ، بَعْدُ ، أن الأرواح تمكث بيننا ، أو تنخرط ، فورَ الموت ، في المخاطبات الدائرية بألسنةٍ لهبٍ ، في الصميم النار؟ .

«الأرواح ليست على عجل» ، ردَّ زاجرانو ، عالِم السيول والطوفان . «نحن نستعجلها لتحسم أين تمضي» .

«أتصغي إلينا الأرواح إن استعجلناها ، أو استمهلناها؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زاجرانو :

- إن حَسَمنا أين تمضي الأرواح ، يكُنْ ذلك هو حسْمُها أيضاً .

«كيف تعرف؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ عالِم السيول والطوفان :

- إن قررتُ أن أعرف ، فأنا أعرف .

«أهكذا هي علومكم؟» ، ساءله مايشا الذي يلي ماياكي ، تجاوره أمه وصاحبته .

«ماذا تعني؟» ، ساءله زاجرانو .

«أعني تقرِّرون أنتم أن تعرفوا فتعرفون . وتحسمون أنتم أين تمضي الأرواح فتمضي الأرواح إلى حيث حسمتم مَضيَّها» ، قال مايشا .

«كل أمر في كون الجن ذي الزوايا الثلاث هو على هذا النحو» ، ردَّ زاجرانو .

«هذا ليس ردّاً» ، عقَّب مايشا .

أدار زاجرانو وجهه صوب أم مايشا النائحة بصوت خفيض :

- هذه التي معك تقول كلَّ شيء .

ارتدَّ مايشا على أمه . هتف بها :

- قولي لأبي إن هؤلاء العلماء هم أوائل من سيتبعونني .

«نتبعك إلى أين؟» ، ساءله عالِم الريح بوهيدار .

«إلى أبي» ، ردَّ مايشا .

«أين أبوك؟» ، ساءله بوهيدار ، فردَّ مايشا :

- هو في سؤالك .

اكتفى بوهيدار من المحاورة بذلك القدْر المختزَل ، مُذْ جزم أنه يخاطب فراغاً له صوتُ جني . هزَّ هريراً رزيناً وهو ينظر إلى كاشاجو في وثبه الجامح من حول الموكب . «هذا عِلْمٌ» ، تمتم ، فتلقَّف التمتمة صحبُه العلماء الثلاثة الآخرون . هزوا رؤوسهم تأكيداً .

قلَّب كاشاجو زغْمَ بوهيدار ، في حاله من الوثب من حول الموكب ، إلى عِلْم من علومِ التنكيل في وحي الرؤيا الخيبة نزلت عليه . توقف بغتةً مهتزاً من هبوب الحنق على حقل الصور في خياله . صرخ :

- فلْيأتِ حاملو الذئاب .

لبَّاه المطايا الجنيون الضخامُ الأربعة ، حاملو قنائص الأسياد الثلاثة ، وقنيصة عميد المحاربين ماياكي . مَثَلوا بين يدي سلطان زينافيري بقلوب مترقبة مغزى طلبه حضورَهم .

«أنزِلوا الذئابَ أرضاً» ، هتف بهم كاشاجو .

أنزلَ الجنُّ المطايا قنائصَهم أرضاً عن أكتافهم ، مقيدةَ الأ[illegible] بالحبال ، مكمَّمةَ الأفواه كي لاتعض . ذئاب صُفر ، ذهبية الـ[illegible] يكاد فراؤها أن يكون ريشاً من تشعُّبٍ زغبٍ في الشعرة الوا[illegible] ، أو

أقرب إلى ريش من الذي على جسوم الجن القُزم .

«فُكّوا عنها كِماماتها» ، قال كاشاجو ، فحلَّ الجنُّ المطايا الحبالَ الجلد الرفيعة ، القوية ، عن فكوكها وأخطامها .

زفرت الذئاب الأربعة معاً مُذ تحرَّرت أشداقها . هرَّت هريرَ الوعيد وهي مقيدة ، مستلقية على جنوبها ، ترفع رؤوسها مُقَضْقِضةً بالأسنان غضباً .

طوى كاشاجو جذعه منحنياً على واحد منها . أمسك به من جلد قَذاله بيد واحدة ، ورفعه قائماً . غمغم :

- حرِّروا قوائمَه .

فكَّ أحد الجن المطايا الحبال عن قوائم الذئب المعلق في الهواء إلى يد كاشاجو القوية مرفوعةَ الذراع . لبط الذئب بمخالبه في الاتجاهات كلها لَبْطاً عنيفاً يروم تحريرَ قذاله من يد سلطان زينافيري الطويل الجسد . عضَّ بأنيابه الفراغَ متصادمةً بعضُها ببعض حجريَّةَ الطَّرْق ، ولوى عنقه متوسِّلاً حظَّ الحيوان الغاضبِ ، المُنتهَك فيه أن يلتهم ذراعي كاشاجو ، أو يديه القيدين .

دار كاشاجو بالذئب المرفوع عالياً على وجوه الجمع في موكبه ، مستعرضاً حريقَ الحسرة في برهة قلبه المشدوخة . هوى به على الأرض الرمل خبْطاً مرتين من غير إفلات .

لانَتْ قوائم الذئب من الرَّضِّ والهضِّ أصاباها ؛ لانَ شدقاه ، وتراخيا من خَدَر الخبطتين روَّضتا قُوى العضل فيه ، وأوْهنتا نداءَ النجاة .

أفلت كاشاجو قذالَ الذئب ، محدقاً إليه من علياء قامته . زحف الذئب على بطنه زحفاً ضعيفاً . نهض مترنحاً ، مرتعشاً في دوخته ، ثم خار جاثياً على الأرض الرمل .

طلب كاشاجو من الجن المطايا الآخرين تحريرَ الذئاب ، واحداً واحداً ، على النحو ذاته من سياق الفعْلة بالذئب الأول . كوَّم الأربعةَ ، دائخةً خائرة ، بين رجليه ـ رِجليٌّ الجرادة منفرجتين قدْر مايستطيع . انحنى فرفع واحداً منها ممسكاً بجلده من جهتيِّ الرقبة . مطَّ الجلدَ مطلقاً زئيرَ الحزم في التنفيذ ، فشقَّ الجلدَ سلْخاً حتى بانَ اللحمُ أحمرَ معافىً .

قطرات من الدم الرذاذ ، في تمزُّق الجلد ، أصابت يدي كاشاجو . هبَّ فمرَّغهما في الرمل استكراهاً ، ثم عاد إلى ذئب ثان ، فثالث ، فرابع ، يُذيقها شرارةَ الوجع في عظامه مِنْ فَقْدِ سوك . مزَّقَ الجلود من حول رقابها . طرحها واحداً فوق جسم الآخر حيَّةً بعْدُ ، تتقاسم من حناجرها ، في وهن ، أنينَ الخائر .

«اتركوها هنا» ، قال سلطان زينافيري للجن المطايا . «لانريد جلودها . لانريد عظامها . لانريد لحومها طعاماً لطيور لاكيلا» . وثب راجعاً إلى مقدَّم الركب بين نينيسو ، الحاملة جثة سوك على كتفها ، وشاكد الحامل جثة أخته ناكولي . أشار بيده صوب الأفق حيث يتجهون . فتحرك الموكب وثْباً موزوناً ، رزيناً .

توقف ريكما على ظهر مطيته زيديكا قرب جسوم الذئاب الخائرة ، الفاترةِ العضل حركةً ، ممزَّقةَ الجلود حول الأعناق . هرَّ هريراً خافتاً يجاوبها أنينَها الخافت .

شيكتان المنطلقة وثباً إلى جوار ماياكي ، وزوجته ، التفتت إلى الوراء حيث وقف ابنها . دارت على عقبيها ـ عقبيٌّ الجرادة [illegible] إليه . وقفت بدورها قرب كومة الذئاب . هرَّت محدقة [illegible] وأخرى إلى زيديكا بلا نطق ، فبادلاها هريراً بلا نطق [illegible] لاحقةً بالموكب ، فتبعها ابنُها على مطيته .

«هذه رؤيا» ، قال ماياكي لأحد العلماء الخمسة حين صارت شيكتان إلى جوار زوجته ، الزرقاء الضفائر .

«أتعني الأفقَ؟» ، ساءله شايمات ، العالِم في أصول الأصوات .

«عنيت الذئاب الصفر ، ومصائرها» ، ردَّ ماياكي .

«هي رؤيا ماذا؟» ، ساءله شايمات ذو الأذنين الطويلتين .

«لاأعـــرف . لكنني أخـــمن أن طيف الذئب الأبيض تجلَّى لكاشاجو» ، رد ماياكي .

«أهو الطيف الذي يلاعب منجِّـمي زينافـيـري؟» ، سـاءله شايمات .

«هو ذاته» ، رد ماياكي .

«أتؤمن ، حقاً ، بطيفِ الذئب الأبيض؟» ، ساءله شايمات .

«لا أعرف» ، رد ماياكي .

«الذئاب ليست رؤيا» ، قال شايمات .

«ما الرؤيا؟ أهي الطوفان ومواضع اجتماع السيول؟ أمْ أصول الأصوات؟ أمْ أصول الكثبان؟ أم علوم الرياح؟ أم المواضع الأنسب لبناء المساكن وفق عـبـور الأرواح؟» ، سـاءله مـاياكي مـعـدِّداً اختصاصات العلماء الخمسة ، غير المفهومة في منطق عميد المحاربين .

«لا الذئاب ، لا الأشياء التي عدَّدتها ، هي رؤيا ، ياماياكي» ، قال شايمات بنبْرٍ متأنٍّ . «حين لاخوفَ لارؤيا» .

«هل الخوفُ هو الرؤيا؟» ، تساءل ماياكي .

«الخوف ، كعلومنا ، أصل كل رؤيا» ، رد شايمات .

«إذن لا رؤيا تتـجلى على مـحـارب من زينافـيـري . هم لا يخافون» ، قال ماياكي بصوتٍ واثق .

«كلُّ قلبٍ يخاف . للمحاربين قلوب . هم يخافون إذاً» ، قال شايمات . أردف : «لكنهم يحجبون الخوف بعقولهم» .

غمغم ماياكي متردِّد النبر في صوته لايعرف أيخالف شايمات ، أم يوافقه .

وثب بوهيدار ، عالِم الريح وثبة زائدة ليصير إلى قربٍ أكثر من ماياكي . أقحم محاورةً من سياق آخر ، متَّصل ومنفصل في منطقه ، في ماحدَّث به شايمات عميدً المحاربين . قال بوهيدار :

– ستنتهي أقاليم الجن .

«لم أفهم» ، عقَّب ماياكي المشروخ الشفة السفلى من ضربةٍ . حدَّق إلى محدِّثه مستفهِماً .

«نحن نجوب أقاليم الجن كلها . نراها متهدِّلة . كونُ الجن ذو الزوايا الثلاث يضيق» ، قال بوهيدار .

هزَّ ماياكي بنبرٍ مستخفٍّ قليلاً :

– أهذه رؤيا؟ .

«كائنات أُخَر سترث أقاليمَ الجن ، وكونَ الجن . كائنات أنشأت نفوسها من ألم . كائناتٌ حُذَّاقٌ في النشوء من الألم بأعضاء ألم ، وعقول ألم ، وقلوب ألم ، وعلوم ألم ، واستنسال ألم ، ومجدِ ألمٍ ، وأعياد ألم ، ومباهجَ ألم . مالاً ألمَ فيه هو سمٌّ لهم كطحينِ عظام أطفال الجن سمٌّ للجن» ، قال بوهيدار .

هزَّ ماياكي ثانيةً بنبرٍ فضول ، واستغراب :

– من هم هؤلاء؟ .

«ليسوا من الجن» ، ردَّ بوهيدار .

«كيف تعرف هذا؟ منجِّمونا لم يتأوَّلوا في طيران ا[illegible]

كائناتك هذه» ، قال ماياكي . أردفَ : «أهُمْ محتجـ[illegible]

جنٍّ ذاتَ وقتٍ من زمن الجن؟» .

«رَصْدي منابعَ الريح ، وأصولَها الآثارَ الدفينة في الزمن المتعاكس حول زوايا كون الجن ، أجازَ زعْماً كهذا» ، قال بوهيدار .

«أنا في الدَّرجة الأولى من تمحيص آثار الريح في كون الكائنات ، التي سترث أقاليم الجن . الصور ناقصة بعْدُ . خيالي يلحق بطيئاً بالآثار ، لكنني أراها» .

«من يشبه كائنُ النشوء من الألم؟ أيشبه الجن؟» ، تساءل ماياكي ، فردَّ بوهيدار :

– هيئةٌ خليطٌ من أشكال شتى ، ومن طباع شتى . أنا لم أستحصل له صورةً بعد . لايهمني ذلك كثيراً . هو أثرٌ كعزيف الريح ؛ بل رؤيا كنقوش الريح في الرمل .

«أين كائناتُك هؤلاء ، الآن؟» ، ساءله ماياكي . أردف سريعاً : «أهُم في أنفاق؟» .

«سألتَنا قبلاً عن الأنفاق ، ياماياكي . أبات النفق رؤيا من رؤى الجن في زينافيري؟» ، ساءله ماستو ، عالِم الرمل وأصول الكثبان .

«ليس بعد» ، ردَّ ماياكي بصوت ملتبس المعنى . «النفقُ رؤيا أتباع ماشفير الأعمى» .

«ماشفير؟» ، ردَّد زاجرانو الإسم بنبْرٍ متسائل .

«أسمعتم بماشفير الأعمى؟» ، ساءلهم ماياكي .

«سمعنا القليل عنه» ، ردَّ بوهيدار .

«أأُخبِرتُم أنه يشبه كائناتكم التي أنشأت نفوسها من ألم؟» ، ساءلهم ماياكي .

«ماشفير من الجن . كائناتُ النشأةِ الألمِ لا تشبه الجن» ، ردَّ بوهيدار .

فحَّ ماياكي فحيحاً خافتاً من حنجرته . ساءلهم :

- أرأيتم هايكاهيكسين؟ .

«سمعنا بها في مجيئنا إلى زينافيري . أهي مَرْتَبَةٌ بين الجن والحيوان؟ أم هي حيوان محض؟» ، تساءل شايمات .

«ربما» ، رد مــاياكي . «أنثى غــريبــة النوع ، تأكل الفــاكــهــة ، والجراد ، وتشرب الماء» .

«ماهيئتها؟» ، ساءله جيراجيك ، فرد ماياكي :

- تستطيعون رؤيتها في حديقة قصر كاشاجو .

كرر جيراجيك سؤاله :

- كيف هيئتها؟ .

«عينان ليستا حجريتين ، ملتمعتان ، ينسكب منهما ماءٌ أحياناً» ، قال ماياكي . «رِجلان تنطويان إلى أمام من الركبتين لاإلى الخلف . في صدرها كتلتان نافرتان» . غمغم قليلاً ، في صمت ، يستعرض على نفْسه جِماعَ هيئة الأنثى الإنسية ، ثم استرسل في وصف كل جارحة فيها للعلماء الخمسة ، من جلدها حتى قدميها المنتهيتين بأصابع .

«كيف لم يخطر لنا أن نراها أولاً؟» ، تساءل بوهيدار .

«أمامكم وقت . ستروها في العودة إلى مدينة زينافيري» ، ردَّ ماياكي .

رنَّ في أرجاء الأعالي برقٌ حجريٌّ ، غاضبُ السَّوطِ في جلْده السماءَ الرمادية ـ سماءَ الرمل معصوفاً . جاوبتْهُ بروقٌ تسعةٌ أخر ، ناهضة بشباك النار إلى قنص العقل الكليِّ في الفراغ الكليّ . توقف العلماء الخمسة عن وثبهم . تأملوا الأعالي بعيون تتحرى مواثيق الجفاف الهائل مسكوكةً بروقاً لامطر قبلها ، أو بعدها ، قط . عادوا

إلى وثبهم ، بعد توقف ، أسرعَ من قبل . بلغوا مقدمة الموكب . اقتربوا من كاشاجو ملتفتين إليه بوجوههم ليقرأ الشفاه إنْ تكلموا .

نضنض كاشاجو بلسانه ، عارفاً أنهم يعرضون محادثةً عليه في اقترابهم منه . تكلم بوهيدار :

- سننصرف ، ياكاشاجو . اعذرْنا . سنتجه جنوباً ، إلى ماوراء واحة كيما . للجهات نداءٌ حين تستدعينا .

«أنتم معذورون» ، قال سلطان زينافيري .

غمغم الأربعة الآخرون اعتذاراً عن عدم مواكبته في العودة إلى القصر . استداروا منطلقين جنوباً .

هرع ماياكي وثباً قوياً بدوره ، حين انصرف العلماء الخمسة ، فجاور كاشاجو . لمس كتفه يلفت بصرَه إليه :

- ماذا سألك هؤلاء؟ .

«سألوني المعذرة على انصرافهم» ، رد كاشاجو . أطلق لسانَه مسترسلاً بنبرٍ محتدم قليلاً : «على أحد أن يُخضِعهم لسلطانه» ، قال . «كيف جرى التواطؤ بين ملوك الأقاليم وسلاطينها على تَرْك هؤلاء الخمسة أحراراً لاينتسبون إلى أُمة ، ولايخضعون لمشيئة حاكم؟ أهذه لعبة ، يامايكي؟» .

«تشبه شيئاً مَّا من لعبة لاأعرف قواعدها» ، ردَّ مايكي .

هزَّ كاشاجو ملتفتاً بوجهه إلى الجنوب ، حيث كادت أطياف العلماء الخمسة المسرعين أن تذوب في عباءاتِها النَّسْجِ من ريحٍ ورمل معصوف :

- ماذا لو أرسلتُ الخفراءَ لجلبهم مقيَّدين كالذئاب القنائص؟ .

«لا أعرف ماذا تربح من ذلك ، ياكاشاجو» ، ردَّ مايكي .

«أربحُ خضوعَهم» ، قال كاشاجو .

«ماذا لو رفضوا خدمةَ إقليم زينافيري بعلومهم بعد ذلك؟» ، ساءله ماياكي ، فرد كاشاجو :

- أسلخهم أحياء .

«كتلك الذئاب؟» ، تساءل ماياكي .

«كتلك الذئاب» ، رد كاشاجو .

«لن يُبديك ذلك قوياً . حريتهم ، وحدها ، قوَّتُك . أن تعفيهم من الخضوع لك تلك قوتك» ، قال ماياكي .

«قوَّتي؟» ، تمتم كاشاجو بنبرِ حسرةٍ . هرَّ مستشعراً لوعتَه وقد واصلت قَرْصَها على خياله : «كيفَ لم أَحتجز سوكْ حتى الانتهاء من حضانة الذبابة؟» . زأر ندماً .

بروق الجفاف الأعظم ، المحتدمة بين أثلام السماء الحجرية ، نشرت بزورها ، من جديد ، فأنبتت بساتينَ لهباً تظهر لُمحاً ثم تحتجب . رياحٌ لاحقت رياحاً في القبض على أشباح لها جسومُ رملٍ ، دافعةً أسراباً من الجراد محلِّقةً شرقاً . بعضُ الجراد آثرَ استراحةً من نزوحه الطويل ، فحطَّ على ثياب أهل الموكب ، وضفائرهم ، فلم يزجروه ، أو ينتهروه ، إلاَّ شاكد ، مطية كاشاجو ، ازاح الحشرات المتشاركة مع الجن في أشكال أرجلها ، عن ضفائر أخته ناكولي ، المنطوية ميتةً على كتفه اليسرى .

ألقى كاشاجو نظرة على شاكد جانبياً . استرْعتْه تلك الحركة الهادئة من يد مطيته في إزاحة الجراد عن ضفائر أخته ، بالرغم من وثبه . حوَّل بصره إلى جانبه الآخر ، حيث تحمل نينيسو على كتفيها جثة سوك . اقترب منها . أزاح جراداً عن رأس الجثة وبعض ثيابها . زمجر لوعةً .

انفصل ماياكي ، بغتةً ، عن مقدَّم الموكب . أرابتْه حركةٌ لطيفـ

بعيد ، في الجهة الغرب ، قادماً صوبهم .

«أأرى ذئباً ، أمْ ماذا؟» ، تساءل بصوت عال تنبيهاً كي يتفحّصوا الطيف المهرول على قوائم أربع . استلّ من جَعبته عظماً طويلاً هراوةً لها كعبرة . وثب متأنياً يستطلع الحيوان القادم .

كلما اقترب ماياكي من الحيوان لم يحذره الحيوان ذاك ، الضئيل الجسم ، الأبيض مرقّشاً بنقاطٍ سود ، بذيل يتراقص من خلفه . توقف عميد المحاربين . ألقى نظرةً خلفه إلى الموكب الواقف فضولاً ، فألفى الجلاد رادبور قادماً وثباً طويلاً يختصر الأرضَ الرمل . جاوره ممسكاً بحبل . تكلم هامساً :

– هذا ليس ذئباً .

«لا . ليس ذئباً . ليس ثعلباً . ليس من الحيوان الفَنَك . ليس فهداً من فهود البوابات الرمال» ، قال ماياكي تعقيباً على تقديرهما لنوع الحيوان . عَرَتْهما حيرةٌ في أمره متقدماً صوبهما لايهرُّ ، ولا يزأر ، ولا يزمجر ، ولا يفح ، ولا يعوي ، مفتوح الشدقين عن لسانه المتدلي لاهثاً .

«سألتقطه» ، قال رادبور الضخم كالجن المطايا ، متهيئاً بانحناءٍ ليثب وثبةَ القنص .

«انتظرْ» ، تمتم ماياكي يستمهله . «مامن حيوان لايَحْذرنا . مامن حيوان يتقدم من الجني بلا خوف» .

تتبَّع ماياكي ، ورادبور ، ببصريهما اقتراب الحيوان متمهّلاً في مشيه . صار على بعد قفزتين من قفزات الجن لاأكثر . هرَّ جلاّد زينافيري بصوت خافت . تمتم متهيئاً :

– هذا حيوانٌ أبله .

«دعْهُ يقترب» ، قال ماياكي . «يبدو وديعاً» .

«قد يباغتنا» ، همس رادبور .

«ليس في حركته مايدل أنه قد يباغت» ، قال ماياكي ببعض الثقة في التقدير .

وقف الحيوان قبالتهما ، على بُعد ذراع . أطلق أنيناً رقيقاً ، متقطعاً ، خافتاً ، في استهلاله لقاءَهما ، ثم أكمل مشيه ، فأقعى قرب قدمي رادبور المنحني عليه من عليائه متفحِّصاً باندهاش . تمتم :

– ماذا أفعل الآن ، ياماياكي؟ أألتقطه فأقيِّده؟ .

«لا» ، ردَّ ماياكي مندهشاً بدوره . قرَّب رأس هراوته العظم من خطم الحيوان ، فالقى الحيوان نظرة وديعة ، منكسرة ، على الهراوة . رفع وجهه إليهما . أنَّ مستكيناً .

تراجع الجنيان قليلاً . أعادا فَحْصَ الهيئة الحيوانية ببصريهما ، وفَحْص الطباع المحتجبة في سلوك الحيوان الوديع ، المستكين . دارا على أعقابهما ، بوجهين ملتفتين إلى الوراء ، ثم وثبا وثباً هيناً مبتعدين في اتجاه الموكب ، فهرول الحيوان لاحقاً بهما . توقفا ، فلم يتوقف إلاَّ قرب قدمي ماياكي ، ثم أقعى .

«هذا حيوانٌ حيلة» ، قال رادبور .

«لا أرى حيلة فيه» ، عقَّب ماياكي . «هو غريب السلوك» .

«أبله» ، كرر رادبور تقديره لسلوك الحيوان وطبعه الظاهر .

تراصف الموكب كله بوجوه شَطْرَ ماياكي والجلاد راجعيْن يتبعهما حيوان ذو ذيل متراقص ، وشدقين مفتوحين عن لسانه المتدلي خارجهما .

لا كلاب في إقليم زينافيري . لا كلاب في أقاليم الجن . لم يسمعوا بها في أساطيرهم عن ممالك جن الأعالي السيارة كالنجوم ، أو الممالك المحتجبة في الدفين تحت الرمال . كلباً دلْماسيًا كان ذاك

الذي يتبع الجنيين ، صغيراً ، أبيضَ بنقاط سود . نبح مرة واحدة نباحَ المستأنس بجمع الجن إذا صار على قُرب من الموكب ، فهرَّ جمْعُ الجن من النباح لاعهدَ لهم به هريرَ الحذر بلا غلواء . قلَّبوا فضولهم وتخمينهم في نوعه على وجوهٍ كُثر : إلى مَنْ ينتمي ذلك المقعي لاهثاً ، واضح الخضوع في عينيه المنكسرتي التحديق ، مستكيناً ، ودوداً ، ومستأنساً أيضاً؟

انبرت الرسامات الأربع مستخرجاتٍ ألواحاً رقاقاً من أجربتهن المثقلات بالصفافيح السود ـ سجلِّ الأشكال مقيدةً بالخيوط اللون .

وقف ماياكي ورادبور الجلاد ، كلٌّ إلى ناحية من الكلب المقعي : لقد أرادا تأريخاً آخر لوجودهما موثَّقاً بجلال الغريب ، الغامض ، من شكل النوع الكلب ؛ أرادا التصديقَ ، بشكل الحيوان الجديد ، على توثيق شكليهما في سجلِّ الرسامات الحجر . هما تصيَّدا برهةَ الحظوةِ الكشْفِ ، وهي برهة ستُروى في إقليم زينافيري ، وأبعد من إقليم زينافيري على الأرجح .

اقترب تارتوك من الكلب بهمهمة غناء ، تتبعه ابنتاهُ وزوجته قرعاً خافتاً بالأيدي على رؤوسهن العاريةً . انحنى المغني على الحيوان . لمس رأسه ، فمدَّ الكلب لسانه لاعقاً . أبعد تارتوك يده مُجْفَلاً ، من غير أن يوقف الغناء . لمست إبنتاه الكلب على ظهره فأنَّ استكانةً ، ورضىً أيضاً .

«هذا الحيوان روح من أرواح لاكيلا» ، قال سافتار ، أحد أسياد المحاربين .

«بل أظنُّه حيلةً» ، عقَّب ماكالوني ، السيد الآخر من أسياد المحاربين ، متقصداً ، باستدارة منه على كاشاجو ، أن يرى سلطانُ زينافيري شفتيه ، فيفهم تقديرَه .

لم يبدُ على كاشاجو الكثير من الفضول الغالب على الموكب. لمس ثوبَه، قرب خاصرته، حيث دسَّ قناع سوك مطويًا. هزَّ. نظر إلى الأفق المنحسر قليلاً عن تخوم مدينة زينافيري. وثب متابعاً سيرَ الموكب.

كثيرون تقصدوا، في سيرهم، أن يقتربوا من الحيوان لاحقاً بهم ركضاً. تأملوه. خاطبوه بألسنة عقولهم الصامتة في معنى نوعه؛ في حقيقته أهو حيوان أمْ رؤيا؟ فيما كان واضحاً أن الكلب غير معني بتقدير ذلك النوع ذوي الأرجل المحاكية في أشكالها أرجلَ الجراد. لقد وجدَ مَنْ يصحبهم فصاحبهم. وهو على ثقة، بالوحي الصامت من حضوره حيواناً، أنهم يقصدون مكاناً ليس إلاَّ مكاناً ذا أبعاد، وعمق، ومخاطبات، وفضائل ورذائل ككل معمورٍ من الأرض بالأحياء، أو مهجورٍ عُمَّارُه الأرواحُ، والطيوف، أو الآلهة المعتزلة.

قرَّب ماياكي نفسه من مايشا تجاوره أمه، والأنثى الأخرى، مغمغمتين مايشبه نواحاً من فميهما المغلقين.

«مايشا»، ناداه ماياكي، فاستدار إليه مايشا.

«هل ستتبعك الحيوانات أيضاً إلى أبيك؟»، ساءله عميد المحاربين.

«لم أتلقَّ إلهامَه في هذا الشأن بعد»، رد مايشا.

«متى يخاطبك طيف أبيك عادةً؟»، ساءله ماياكي، فردَّ مايشا مستهجناً:

- يخاطبني حين أريد.

«اسألْه، إذاً، أن يكون هذا الحيوان الغريب أول اللاحقين بك من المخلوقات الأُخَر غير الجن»، قال ماياكي.

«لا حدائق لأبي يُسْكِنُها حيوانات في الأقفاص» ، عقَّب مايشا .

تمادى ماياكي مستلطفاً محاوراتِه المماحكاتِ مع مايشا ، وطرائفَ ردوده . ساءله :

- أي طريق ستسلك في الذهاب بقبائل الجن إلى أبيك؟ .

«طريق الليل» ، ردَّ مايشا ، فاستوضحَه ماياكي :

- كل طريق هو ، في الليل ، طريق الليل .

«عنيتُ الليلَ ذاته» ، أوضحَ مايشا .

«الليل ليس طريقاً» ، عقَّب ماياكي .

«هو الطريق إلى أبي ، ياماياكي» ، أكَّد مايشا .

انضم إليهما كاشاجو من غير توقُّع ، قادماً من مطلع الموكب . نضنض بلسانه . سأل عميدَ المحاربين حالَ أن جاوره :

- ما تقديرك لما جرى؟ .

تأمله ماياكي لحظةً لم يخمِّن مقصدَ سلطان زينافيري ، الذي استدركَ فأوضحَ :

- ماذا جرى لسوك؟ .

«غرقت» ، ردَّ ماياكي باختزال .

«كيف غرقت؟» ، تساءل كاشاجو .

«ربما انزلقت بها قدما مطيتها ناكولي» ، ردَّ ماياكي .

«منذ متى تنزلق أقدام الجن على ضفاف البركة فيسقطون في مائها؟» ، تساءل كاشاجو .

«حدث قبلاً مرتين ، ياكاشاجو» ، ردَّ ماياكي .

«أتذكَّر شيئاً من هذا . حصل في مطاردة صيَّادَيْنِ لجنٍّ قُزم ألقوا بأنفسهم إلى الماء فانزلق الصيادان وراءهم» ، هكذا سرد

كاشاجو الواقعة التي لم تمهِّد لخياله تشابهاً في حصولها مع الذي جرى لسوك. أستطرد: «إنْ كان سقوط سوك في الماء من مطاردة جنٍّ قُزم، فلا أُحمِّل إلاً ناكولي هذه النكبة».

«أناً متحيِّر، ياكاشاجو»، قال ماياكي. «لا أُحمِّل ناكولي التَّبعةَ. قد تكون سوك أوعزت إليها مطاردة فريسة فلبَّتِ المطيةُ. لكنني لا أحمِّل سوكْ أيضاً تَبِعَةً. جرى ما جرى».

زمجر كاشاجو:

– أنت توازن الأمرَ بلا لوعة، ياماياكي. خُذْ جانبي ـ جانبَ اللوعة.

«أفهم لوعتك. لكنْ ماالجانبُ الذي تقف عليه لوعتُك، ياكاشاجو؟»، ساءله ماياكي.

«جانب التَّبِعة التي على ناكولي أن تتحمَّلها»، ردَّ كاشاجو.

غمغم ماياكي متفهِّماً، بتحفُّظ، حنقَ سلطان زينافيري. أشار بيده إلى مقدمة الموكب يمشي فيها شاكد حاملاً أخته على كتفه اليسرى:

– حمِّلْ ناكولي ماتشاء، ياكاشاجو. هي ميتة.

«سأحمِّلها ذلك وهي ميتة»»، قال كاشاجو في حقد نَفَثَهُ مع الزمجرة الوعيد. وثب متجهاً إلى مطيته شاكد، فلحق به ماياكي متوجِّساً من سلطان زينافيري ما يُريب.

استوقف كاشاجو مطيتَه شاكدْ الحامل جثة أخته. خاطبه بصوته الحجر عالياً:

– ارْمِ هذه الفاشلة عن كتفك.

هرَّ شاكد. استثقل من كاشاجو ذلك التوبيخ المهين لأخته. سكن بلا حركة.

«قلتُ ارْمِها أرضاً» ، كرَّر كاشاجو طلبَه المحتدم من مطيته .

في هدوء أنزلَ شاكد جثة أخته عن كتفه . مدَّدها أرضاً . التفت إلى سلطان زينافيري :

- لم تخذل ناكولي أحداً في حياتها ، ياكاشاجو . علَّمتُها الوفاء لك قبل دخولها القصر مطيةً لسوك بزمن طويل .

«خذلتْني» ، عقَّب كاشاجو . «خذلتْ سوك . خذلتْ نفسَها» ، فحَّ فحيحَ التأكيد : «أنت جئتنا بها . لقد خذلتْكَ أيضاً» .

«لم تخذلني ناكولي» ، ردَّ شاكد . «لم تخذلك . لم تخذل نفسها» . استدار إلى نينيسو الحاملة جثة سوك على كتفها . أردفَ بنبرٍ مُماحِكٍ : «ربما خذلتْك سوك . قل لنينيسو أن ترمي بها أرضاً» .

«لاتتمادَ ياشاكد» ، قال كاشاجو بنبْرِ إنذار . «ودِّعْ ناكولي ، واتبعني لتحملني» . ابتعد بضع وثباتٍ تاركاً لشاكد خلوةً مع أخته ، فتبعه الموكب وثباً .

بقي شاكد إلى جوار جثة ناكولي منكسراً . دار من حولها متردِّداً أيحملها من جديد ، أم يتركها في الفلاة الموحشة؟ الجن يجففون عظام موتاهم قُوْتاً ، وجلودهم ثياباً ، ويطعمون لحومهم طيورَ لاكيلا تكريماً لأرواح الموتى . استعاد ، في لمح ، سيرةَ أخته على بصر قلبه . جَمَعَ الزمنَ وبَسَط الزمن كرقاع جلْدٍ . تتبعَ طيفها لاهيةً وثباً في أزقة زينافيري . تنصَّت إلى غمغمًاتها الغناء من ذعر حين غطتها أمها بالنمل الأزرق وهي طفلة . استعاد وثبها القويَّ صيادةً للذئاب الصفر بيديها وحبالها . زأر مُذْ أحس أنه يهينها إن تركها مرمية في الفلاة . انحنى فحملها ، من جديد ، على كتفه اليسرى ، وأسرع وثباً ينضم إلى الموكب .

هرَّ كاشاجو مستنكراً مجيء شاكد بالجثة على كتفه . أتبعَ الهريرَ بزئير :

– ما الَّذي تفعله؟ إلى أين تأخذ ناكولي؟ .

«إلى ما يليق بروح الجن ، ياكاشاجو» ، ردَّ شاكد .

«ماالذي يليق بروح مطية خذلتْ راكبها؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ شاكد بنبْرٍ متمرد :

– إن تركتَ سوكْ في الفلاة هنا ، تركتُ ناكولي .

«أنا لا أسمعك ، ياشاكد ، بل أتذوق كلماتك بلساني» ، قال كاشاجو . «أمَّا أنت فتسمعني . اتركْ جثة ناكولي هنا أو اتَّهمتُك بالعصيان» .

ظلَّ شاكد ساكناً ، منقسم القلب والعقل بين الطاعة والعصيان ، لأول مرة منذ انضم إلى قصر سلطان زينافيري . رازَ بيَدِ البرهة المفرطة ثقلاً تاريخَ علاقته بكاشاجو قبل حسم قراره . قرَّب وجهه من وجه سيده . باغته بسؤالٍ مرتجلٍ لاذعٍ في ارتجاله :

– لماذا احتقرتْ سوك وجهها فاستبدلتْه بقناعٍ له صورة وجه هايكاهيكسين؟ .

زمجرَ كاشاجو غيرَ واثق من العثور على ردٍّ يريح خيالَه . أطالَ الزمجرة محدِّقاً إلى شاكد ، الذي نازله بسؤال آخر :

– أأغرقتْ سوكْ نفسَها ، أم أغرقها القناعُ؟ .

«ناكولي أغرقت سوكْ» ، ردَّ كاشاجو بصراخ في وجه شاكد .

«سوك أغرقت نفسَها بالقناع ، وأغرقت ناكولي» ، عقَّب [illegible] بصوتٍ فيه نبرُ الزئير .

دارَ سلطان زينافيري من حول نفسه مهتاجاً . [illegible] الأرض الرمل فأثارَ غباراً تنشَّقه . نثرَ غضبَه تهمةً [illegible]

- هذا عِصيان .

وثبَ عميد المحاربين ماياكي ، والأسياد السبعة ، وبعض الغطاريف مجتمعين حول كاشاجو ومطيته . التهمةُ بالعصيان لاتَردُ على لسان كاشاجو إلاَّ إنْ تذكَّر ماشفير الأعمى ومريديه . كان ثقيلاً ، مُربكاً ، صادماً أن يتهم سلطان زينافيري مطيتَه شاكد الوفي . وقد حاول المجتمعون من أقوياء الإقليم تدبيرَ تخفيف بين كاشاجو وشاكد فما وجدوا لِيْناً في نظراتهما المتهارشة .

«هذا عصيان . ستؤكل حيّاً ، ياشاكد» ، صرخ كاشاجو ، مستديراً بوجهه إلى الخفراء المحاربين متهيئين بالأيدي على أسلحتهم العظام .

وضع شاكد جثة أخته أرضاً . فتح ذراعيه الطويلتين أمام أبصار المحيطين بهما . «لا سلاح في يدي . لا عصيان في ثيابي» ، قال بنبر هادئ . التفت بوجهه إلى مرمى بصر كاشاجو ليتذوق بلسانه طعمً الكلمات : «كنتُ أميناً لكَ ياكاشاجو ، أنا العارف أكثر مما يعرفه غيري عنك . قوي أنت ، حكيم ، فَطِنٌ ، وكريم» .

ضبطَ كاشاجو استنشاقه الهواءَ متمالكاً نقمته . نضنض بلسانه مُذْ تكلم شاكد من جديد :

- قلبُك إنْ قسَّمتَه يكن قلوبَ أربعين فهداً من فهود البوابات الرمال .

تراخى الوتر المشدود في قوس غضب كاشاجو . استرسل شاكد :

- لا يَدَ كيَدِك في الضربة . لا يخذل سلاحُ نفسَه إن كان في يدك .

أدار كاشاجو وجهه على الموكب بنظرة فخر .

هزَّ شاكد مستحضراً من خيال المدح فيه قَبَسات أُخَر :

- ظلُّكَ فوقَ كلِّ ظلٍّ في المعركة ، والغبار الذي تثيره إنْ ارتُشِف لا يُرْتشَف غبارٌ بعده .

اهتز كاشاجو في وقفته يحثه قلبُه أن يعتذر إلى شاكد عن توبيخه أختَه الغريقة .

تحرك شاكد وثباً قصيراً ، موزوناً ، أمام جمْع الموكب يرومُهم سماعَ كل نبرٍ من صوته المادح ، ويفاجئهم باقتدار مطية مثله في صناعة الكلامٍ الذَّلق . أطلق لسانَه :

- فهود البوابات الرملِ لا تتجاسر على إطالة التحديق إليك ، وتكتم الذئاب الصفر عواءَها إن تنسَّمت زئيرَك عن بُعدٍ كالذي بين إقليم زينافيري وإقليم يَتْراك .

هزَّ كاشاجو استحساناً لا يرفع بصره عن فم شاكد المستطرد :

- الفلاة التي تمشي فيها تمشي معك آمنةً .

وثب كاشاجو وثباً رزيناً أمام بصر الموكب نصفَ قوس ، يستعرض نفْسَه في كلمات شاكد على العيون ، وعلى القلوبِ الولاءِ لسيد زينافيري . هَمَّ ، بحقٍّ ، أن يستظهر عفوهُ كاملاً ، ويمحو بلسان القادر تهمة العصيان عن مطيته ، لكنه آثرَ إعلانَ ذلك مواربةً في الصَّفح : «أنت تؤخرنا ، ياشاكد» ، قال يحثه على الالتحاق بالموكب استعداداً لإكمال المسير ، كأنه أسقط ماجرى بينهما من حسابه .

«عَمَّ أؤخرك؟» ، ساءله شاكد .

«عمَّا أريد» ، ردَّ كاشاجو بصوت فيه نبرُ الصفح .

«ماذا تريد؟» ، ساءله شاكد ، فردَّ سلطان زينافيري :

- أن تحملني .

زفر شاكد . استدار إلى جثة أخته مطروحةً على الأرض الرملِ . لذعته الحرقةُ . أعاد بصره إلى وجه كاشاجو كأنما ينتظر منه إيعازاً بحمل ناكولي إلى زينافيري .

ظلَّ كاشاجو صامتاً قدْرَ صمت شاكد ، ثم هرَّ :

- أنت تؤخرنا ، ياشاكد .

«يطيب للساني ، اليوم ، أن أستكمل فيك إطراءً قد لايحققه لساني في يوم آخر» ، قال شاكد تمهيداً لاستطراد جديد في مدح سلطان زينافيري .

غمغم بعض جنِّ الموكب مستلطفين نبرَ الصوت في فم شاكد ، الذي تكلم وهو يطوف في حلقة أمامهم وثباً رقيقاً ، من غير أن يحيد فمه عن بصر كاشاجو :

- حديقتك نصفها هنا ، ياكاشاجو ، ونصفها في الأعالي سيدةً على حدائق الممالك السيارة كالنجوم . قصرك هذا ، في زينافيري ، ليس قصرَك كلَّه : بعضُه الأعظم هناك ، في الأعالي ، بسمَّارٍ من ملوك الممالك السيارة كالنجوم جوَّالين فيه ببطاناتهم . إقليم زينافيري الآخر هو لك أيضاً ـ زينافيري الدفين تحت منابع الرمال .

زمجر كاشاجو فخراً . مدَّ ذراعيه صوب مطيته شاكد يحثه على الاقتراب منه ترحيباً .

وقف شاكد عن وثبه . حدَّق ملياً إلى كاشاجو . هرَّ هريراً طويلاً قبل النطق من جديد ، بصوت عالٍ وزَّعه على الأسماع كلها :

- كاشاجو . إن كنتَ القويَّ لا تُجارى ، فهلاَّ نازلتَني بأيِّ شيء أردتَ ، بالسلاح ، أو بالركل ، أو بهما معاً؟ .

ظنَّ السامعون ، وظنَّ كاشاجو نفسه ، أن شاكد يتصنَّع ظرافةً بعد مديحه ، بالرغم من الثقل بعْدُ جاثماً على صدر سلطان زينافيري ، وصدر مطيته ، بوجود جثتين على مرمى الأبصار ، تخصان عزيزين عليهما .

اقترب شاكد من كاشاجو بزفيرٍ انتفخ منه الجلد حول ثقبي منخريه . كرَّر تحديه :

– نازلْني . إن غلبتني أفعل بي ماشئتَ .

تأمله كاشاجو بعينين أدركتا مبلغَ صِدْق شاكد في رغبته المجنونة . همس :

– أتعني ماتقول؟ .

«أعني ذلك» ، رد شاكد .

واجه كاشاجو جمعَ الموكب . كلمهم هادئاً :

– أسمعتم ماسمعتُ بلساني؟ .

بقي الجمع صامتاً ، تأكيداً من كلهم أنهم سمعوا من شاكد ماسمعه كاشاجو منه بلسانه ، وأنه عنى ماعناه .

زأر كاشاجو مستديراً إلى شاكد . صرخ :

– إنْ غلبتُك فعلتُ بك ماشئتُ ، ياشاكد؟ .

«نعم» ، رد شاكد .

انحنى كاشاجو على الأرض الرمل . صفعها واستنشق الغبارَ أثارته الصفعةُ . زمجر :

– أنت مطيتي ، ياشاكد . أنا الغالب مُذْ أنت مطيتي ، وأفعل بك مأأشاء بلا نزالٍ .

«أغدت يداك ليِّنتين ، رخوتين كبطن الجرادة ، مُذ لمست يداي سوك ، ياكاشاجو؟» ، ساءله شاكد بنبرٍ صادم .

انشقت حنجرة سلطان زينافيري هياجاً ، فتدافع الخفراء المحاربون محيطين بهما ، بأيد على رماحهم العظام ، وأيدٍ على شباك الصيد .

عضَّ كاشاجو على سبابة يده اليمنى ، المدَّهَنةِ خُضرةً ، من حَنَق رعد . أطلق لسانه هديراً :

- سأُطعم ذئاب حديقتي لحمك ، ولحم ناكولي .

«يلزمك أن تقتلني أولاً» ، قال شاكد بصوت هادئ لا حذر فيه ، ولا توجُّس من وعيد سلطان زينافيري .

«أعطوني حربةً» ، صرخ كاشاجو بخفراء الموكب المحاربين .

سلَّ شاكد من جرابه عظماً من عظام فخذ ثور .

دبَّت نقْزةٌ في الخفراء محيطين بالإثنين . بادروا ، فورَ رؤيتهم السلاح في يد شاكد ، استباقاً لهجومه المحتمل ، إلى الهجوم عليه . رموا شباكاً على جذعه فمزق الجنيُّ المطيةُ الضخم حبالها . كسر ساقي أحد الأقربين إليه منخفضاً بجسده في الضربة ، ثم علاهم وثباً فهشم جمجمتين قبل رسوِّ قدميه ، بعد الوثبة ، على الأرض . زأر زئير المتوعِّد القادر . غطت شبكةٌ رُميتْ في الهواء رأسه . جرَّ الممسك بحبل الشبكة رأسَ شاكد ، فعاجله آخرون بالرماح ، والشظايا العظم المسنونة ، طعناً ، ووخزاً . سقط شاكد أرضاً ، ثم انتفض واقفاً . شدَّ صاحبَ الشبكة صوبه . دقَّ رأسَ المحارب برأسه فشدَخَ جبينه . ركل أحد المقتربين . أطاح به مقذوفاً . صدمت عنقَه ترقوةٌ كبيرة رُميت رمياً لايخطئ . ترنح ، فتحاملوا عليه طعناً ونخزاً بالشظايا المسنونة حتى انهار .

سبعون محارباً تناوبوا الطعنَ على مطية كاشاجو ، في لمحٍ ، بلا استئذان سلطانهم .

فوجئ كاشاجو، منذ البرهة الأولى للمنازلة الخاطفة، بانهمار الرماح المسنونة على جسد شاكد. مدَّ ذراعيه صوبهم يصدُّهم عنه بعد فوات الأوان. احتدامُ الشدِّ من المحاربين على شاكد، وفرُّهم منه اتقاءَ ضرباته الفاتكة، أبقيا كاشاجو عاجزاً عن إيقاف صَوْلة النِّزال. غطى هياجهم، وزمجراتهم، وزفيرهم، وهريرهم، وفحيحهم، وغبارُ أقدامهم الراقصة رقصة القتل، على صوته منادياً بفكِّ التحامهم من دون جدوى.

انكشف المحاربون عن مطية سلطان زينافيري وقد تفلَّع اللحمُ الليفُ عن كل موضع في ظهره وصدره، وانسلخ الجلد عن رقبته وفكَّيه السفليين، وانشدخت عيناه الحجريتان.

زمجر كاشاجو زمجرة الندم على تسرُّع خفراء الموكب في انقضاضهم على شاكد. دار من حول جثته دورتين. انحنى عليه فهزَّه من كتفه هزّاً خفيفاً يرتجي حركةَ الحياة فيه. لكنه رأى الزفرةَ أطلقها غباراً برتقالياً من منخريه الثقبين: لقد سلم شاكد خيالَ جسده إلى «النسيان الأعظم»، وأجراهُ ذَوْباً من النار في الصميم النار، حيث المخاطبات الدائرية بالسنةٍ لهبٍ.

تأمل كاشاجو أربع جثث من جثثٍ الخفراء المحاربين أرداهم شاكد. وزع بصره، من ثم، على ثلاثة مرتضّين، دائخين، وعلى اثنين مكسوريِّ اليدين، وواحد مكسور الساقين يزحف على بطنه عسى أن يحمله أحدٌ مّا. وقف صامتاً في الريح تُجَرِّعُ الأنحاءَ عزيفَها من كؤوس الرمل. بدا متمرِّغ الخيال في خذلان مّا، أو خَزْية. سَها حتى عن مايا كي يجرُّ قدميه زحفاً بهما على الأرض الرملً بلا وثْب، فيجاوره، ملقياً نظرة انكسار على شاكد.

«توجَّستُ حدوثَ هذا»، قال مايا كي من غير أن يلحظ

كاشاجو نطقَه بالكلمات . لكنَّ سلطان زينافيري استدار بوجهه إلى عميد المحاربين . نضنض بلسانه .

«أقلتَ شيئاً ، ياماياكي؟» ، تساءل كاشاجو .

لم يُجبْه ماياكي . هرَّ هريراً خافتاً .

بادره كاشاجو بسؤال آخر :

- ما الفطنةُ الأقوى لمعرفة بِمَ يفكِّر جنيٌّ ، ياماياكي؟ .

«أنْ لا تفكر بماذا يفكر جنيٌّ» ، رد ماياكي .

«بِمَ فكرتَ وأنت ترى شاكدْ يطلبني للمنازلة؟» ، ساءل كاشاجو عميدَ محاربيه .

«أظنني توجَّست النهايةَ هذه منذ العثور على سوك غريقةً . سمعتُك تتهم مطيتها» ، ردَّ ماياكي .

«أكنتَ في رؤيا منذئذ؟» ، ساءله كاشاجو ، فردَّ ماياكي :

- كنتُ في رؤيا .

«هي الرؤيا ، إذاً ، قتلت شاكد ، وقد خصَّتْك بمعرفة نهايته» ، قال كاشاجو .

حدَّق ماياكي صامتاً إلى كاشاجو . زفر . أعاد بصره إلى الخفراء المتراخي الأذرع بعد المناجزة القاتلة : «احفروا حفرةً مستطيلةً في الرمل قفزتين طولاً ، وقَفزةً عرضاً ، وذراعين عمقاً» ، قال بنبرٍ آمر .

عمد بعض المحاربين إلى نَكْت الرمل بأقدامهم يقذفونه إلى الوراء كفعل الفَنَك في حَفْر وِجَاره .

«ماذا يفعلون؟» ، سأل كاشاجو عميدَ المحاربين .

«يحفرون» ، ردَّ ماياكي باقتضاب .

«أرى ذلك» ، قال كاشاجو بنبرِ المستاء من الرد المقتضب .

أردف : «لِمَ يحفرون؟» .

«سأدفن شاكدْ وناكولي» ، ردَّ ماياكي .

«أتدفنهما في الرمل؟» ، تساءل كاشاجو مستغرباً ، مُذ لم يعهد الجنُّ في إرثهم دفناً للموتى قط .

«أردتَ ناكولي مرميةً في الفلاة ، ياكاشاجو ، وقتلتَ شاكدْ قتلةً لا تُحتَسَبُ شرَفاً . أعطِهما حظْوةَ مَا يُذْكَرَانِ به» ، قال مياكي .

«ماالحِظْوةُ التي سيُذْكَران بها؟» ، تساءل كاشاجو .

«الدفن في الرمل . لم يعهد الجنُّ موتىً دُفِنوا . فلْيُذكَر شاكد وناكولي كأوَّلَيْ جنِّيين دُفنا» ، ردَّ مياكي .

«أيقبَلُ «النسيانُ الأعظم» جنًا موتى لم يرتَدِ أحدٌ جلودهم ، ولم يأكل أحدٌ عظامَهم ، ولم توهب لحومهم إلى طيور لاكيلا المقدسة؟» ، تساءل كاشاجو بنبْرِ حيرةٍ . نضنض بلسانه سريعاً يتذوق الكلمات قبل أن ينطقها عميدُ محاربيه .

«النسيانُ الأعظمُ صَفْحٌ» ، ردَّ ماياكي مرتجلاً توصيفَ الموت .

صمت كاشاجو برهةً طويلة ، محدِّقاً إلى عيني ماياكي . زفرَ :

- لقد تسرَّعوا في قتل شاكد .

زفر ماياكي أيضاً زفرة اللامقتنع بعذر سلطان زينافيري ، الذي أهاب بالمحاربين أن يُتِمُّوا النصفَ الآخر من التدبير بعد إنجاز الحفرة الواسعة ، المستطيلة :

- مدِّدوا شاكدْ وناكولي في الحفرة متجاورَيْنِ .

بادر بعض المحاربين إلى نقل الجثمانين إلى الحفرة . مدَّدوهما متجاورين .

«غطوهما بالرمل» ، قال كاشاجو .

غمغم جمْعُ الموكب ، وهرُّوا إذْ رأوا المحاربين يجرفون الرمل

بأقدامهم إهالةً على الجثمانين . تبادلوا نظراتٍ حائرةً في مغزى أن يُدفن جنيٌّ ميت .

غطى الرمل الجثتين متقلِّباً أحياناً من عصف الريح ، أو متذرِّيا حين يُهال قبل أن يرقد متململاً ذرات فوق ذرات . هرَّ المحاربون لمَّا أنجزوا رغبة سلطانهم وعميد محاربيه . وثبوا مبتعدين ، تاركين آثار أقدامهم متخالطةً فوضىً نقوشاً لن تدوم . توزَّعوا على أجنحة الموكب مُذْ تقدم كاشاجو الجمْعَ من جديد ، منطلقاً بهم وثباً رزيناً إلى معقله في زينافيري .

نبح الكلب نَبْحةً مقتضبة يحثُّ قوائمه على مواكبة المغادرين . ظلَّ راكضاً يسابق وثبَهم الرزين أحياناً ، ويتخلف عنهم أحياناً ، لاهثاً في حبورٍ من نَشْر خياله المستأنسِ ، المطيع ، ومن قبول الموكب به سائراً معهم .

دخل الموكب حدودَ مدينة زينافيري من تُخْمها الجنوب . عبروها يحفُّ بهم الجنُّ في المسالك مندهشين من عودة موكب الصيد بقنيص واحد ، غريبِ الهيئة الحيوانية ، طليقٍ بلا قيد أو وثاق ، يسير ركْضاً ، وهرولةً ، إلى جوارهم ، مَرِح الذيلِ يهزه كأنما يهشُّ على ذبابٍ . مروا بالمعبد لم يَبِنْ من منجميه إلاَّ بونيا محدقةً إليهم ، من البوابة ، بعينيها الحجر البنيتين . فَحَّتْ إذْ أبصرت الكلب الصغير الجسم ، الأبيض بالنقاط السود عليه : «هذا ليس ذئباً» ، كلمت نفْسَها . زفرت : «هذا طيفٌ» .

كاشاجو سبق الموكب لَّما اقتربوا من القصر ، في وثبٍ عجول لم يوقفه إلاَّ بدخوله المقام الثَّنْيةَ الغائرة في الجدار الشمال ، ملتجئاً إلى عمقه كمن يختبئ . لحقت به نينيسو ، الحاملة جثة سوك ، حتى منتصف البهو الأعظم . انزلتها عن كتفها . مدَّدتها أرضاً في هدوء ،

ووقفت منتصبة إلى جوارها . أمَّا في الفِناء الوسيع ، الفاصل بين بوابة القصر والحديقة ، فقد تبادل بعضُ جن الموكب ، قبل تفرُّقهم ، صوراً من مقترحاتٍ في أمر الكلب .

«ماذا نفعل بهذا الحيوان؟» ، تساءل ريكما .

«ضُمَّه إلى أقفاص الحيوانات في حديقة القصر» ، ردَّ أحد أسياد المحاربين .

«بل أرى أن يُترك طليقاً يجوب الأزقة فيبتهج به جنُّ زينافيري» ، اقترح ويلابو قيَّاف البروق .

«سيقتله الأولاد في الأزقة» ، عقَّب ماياكي . «إن لم يمت جوعاً» .

«ماذا يأكل هذا الحيوان؟» ، تساءل محارب من خفراء الموكب .

«العشب» ، ردَّ محارب آخر .

«هو ، قطْعاً ، من النوع الذي يأكل اللحم» ، خمَّن جنيٌّ من أهل الموكب . أردفَ : «ها هو يتجه إلى حديقة القصر . لقد اشتمَّ رائحة اللحم هناك» .

لم يتابع الكلبُ سياقَ المخاطبات بين أهل الموكب في اقتراح أقدارٍ له . هرول متجهاً إلى المعْبر إلى الحديقة ، فتبعته شيكتان : «لقد اختار هذا الكائن مقامَه» ، قالت . واكبتْه من بُعْدٍ قليل وثباً متمهِّلاً ، متقصيَّةً سلوكه .

تململت فهودٌ في أقفاصها من رؤية الكلب سائراً حراً . هرَّت ذئابٌ في الأقفاص . مدَّت طيورُ كارنا الطويلات الأعناق رؤوسها من خلل أقفاصها العظام فضولاً . تلاصق جنٌّ قُزم في أقفاصهم الصغار المتراكبة طبقات . أمَّا الكلب فبدا واثقاً من اختياره الركن الذاهب إليه . مضى ، بتعرُّجات بين التصاميم الهياكل اللامفهومة

في الحديقة ، إلى محراب الأنثى الآدمية .

شهقت شيكتان إذْ رأت هايكاهيكسين منقذفةً حبوراً ، من جوار مقامها ، إلى لقاء الحيوان . احتضنتْه . أسلمت وجهها ويديها للسانه المتهافت لعقاً . نبح بهجةً ، فجاوبتْه الحيواناتُ في الأقفاص بمخاطباتٍ من لغة الزَّجْر .

الفصل السادس
(الأقنعة)

خفقت الرِّقاعُ الجلود معلَّقةً إلى حبلِ جلد أمام بوابة قصر كاشاجو . تصاكَّتِ العظامُ معلقةً إلى الحبل ذاته ، وتقارعت من نفخ الريح عليها .

صوتُ خَفْقِ الرقاع الجلود ، وتقارُع العظام ، تسرَّب في الجداول الخفية للريح متفرِّعةً في أنحاء البهوِ الأعظم ، حتى بلوغه مُقامَ سلطان زينافيري في الثَّنية الغائرة عميقاً في الجدار الشمالي .

زأر كاشاجو من عمق مقرِّه الغائر كأنه تذوَّق بسمع لسانه ذلك الصوتَ . اهتزَّ في وقفته الساكنة الصارمة معتزِلاً منذ العودة من رحلة الصيد المفجعة ، المشؤومة .

قِطعٌ منزوعة من جلد سوكْ ، وعظامٌ هي عظامها ، كانت تلك المعلقة أمام بوابة القصر لتجفَّ ، فيستحصل كاشاجو لنفسه من العظام زاداً خاصًّا . أما جلدها فلم يكن حرياً به ـ هو الذي لاقرابةَ آباء بينه وبينها ـ أن يرتديه ثوباً ، لذا أزمع أن يخصَّ مقامه به ، فيعلِّقه إلى جوار بعض جلود الذئاب الصفر ، بين أجربة أسلحته المسجَّاة ، والظاهرة متدليةً .

لم يكلم كاشاجو أحداً منذ العودة إلى القصر بعد غرق سوكْ . لبث في مُعْتَزَلِه واقفاً ، في عمق الثَّنية ، ساكناً ، صامتاً ، إلاّ من هريرٍ ، أو زئير ، أو زفير ، في آناء متقطعة ، حسرةً ، كأنما ينكشف

عليه طيفُ سوك ، نافخةً من فمها نَفَساً على كفها الحاضنة ذبابتها ؛ أو كأنه يرى ، ببصر الخسارة في كيانه ، كرةً حجراً تنفلق عن وليدهما محيطاً رأسَه بعصابة كعصابة أبيه ، وعنقَه بقلادة كقلادة أبيه ، حاملاً في يده سلاحاً هو ترقوة الذئب ـ سلاح أمه سوك . ولربَّما أنَّ سلطان زينافيري ، أحياناً ، أنينَ الندم ، متخيلاً ، في ثنية غائرة من الثنايا في الجدار الجنوب ، المواجه له ، شبحَ مطيته شاكد معتزلاً بدوره ، صامتاً ، ساكناً ، محدِّقاً إلى أعماق البهو الأعظم بعينيه المشدوختيٍّ الحجر ، المشروختين .

كان كاشاجو يرقب تجوال قاطني قصره وروادَه ، في المدى المتاح رؤيته من البهو الأعظم عبر باب مقامه الثنية ، والمتاح رؤيته من بوابة القصر يدخل الداخلون منها ويخرجون . ما من أحد ، في عبوره أمام المقام الغائر في الجدار ، ألقى بصره إلى عمقه ـ عمقِ العزلة المختارة احتراماً لخيار سلطان زينافيري في الانتقال بجسده إلى حَجْبٍ مفترض حتى لو رؤيَ . لقد أضفى الجائبون في القصر حجاباً عليه ، حقاً ، بصرف أنظارهم عنه كلما عبروا مدخل المقام .

شيكتان تولت تصاريفَ القصر يؤمُّه القائمون بمصالح إقليم زينافيري ، ومستشارو القصر المعهودون ، وبناؤو المساكن بتصاميم تُعرض على المختصين لتقدير مايتوجب على من سيشغَلُها من الضرائب العظام ، والصيادون لدفع الإتاوة عظاماً على ما يتصيدونه من واحة كيما ، ورسُل الحصون الرمال ، والمراصد ، للقاء عميد المحاربين ، وسادتهم ، بحضور شيكتان ، في مُقامِها الثنيةِ الغائرةِ إلى يسار مُقام كاشاجو .

ريكما ظلَّ حائماً من حول أمه ، في لقاءاتها بالأعيان ، والزائرين ، من غير انضمام إليها ، لكنْ بأسئلة كُثُر من عينيه إلى

تحركات نينيسو المتكاثرة منذ اعتزال أبيه ، وانكباب أمه على تسيير الشؤون .

«أين تمضي نينيسو على عجل ، وترجع على عجل مراراً في اليوم الواحد ، يازيديكا؟» ، سأل ريكما مطيته الهدية من أمه له ، والجسَّاس بسمعه وبصره على ابنها ، الذي طالما حَذِرت ذلك الحقد الدائم في نبر صوته بلا تصريح لمن يكنُّ له حقدَه ، ويبطن عليه حنقَه . وقد زادت رقابتها على حركاته ، وسكناته ، منذ شهوده مقتل سوك ، بالرغم من إحساسها أنه سيظل كاتماً الأمرَ عن أبيه ، طالما لم يخبره شيئاً من قبل . لكنه كان اطمئناناً متفاوت المثاقيل بين ميزان قلبها وميزان عقلها .

«سأتحرَّى لك» ، ردَّ زيديكا على ريكما . وقد جاء سيدَه ، بعد تتابُعات من خروجه في أثر نينيسو ، بما لايثير أو يُريب من مطية أمه : «إنها تتفقَّد بعض الأمكنة التي اعتاد كاشاجو أن يتفقَّدها ، بإيعاز من شيكتان» .

«لم يعتزل أعيان زينافيري ، وسادتها ، وغطاريفها بعد . هم يتولون مهامهم ، فما مهمة نينيسو هذه بتكليف من شيكتان؟» ، تساءل ريكما ، غير مقتنع بالخبر الباهت عاد به مطيته إليه .

مرت بضعة أيام هادئة على اعتزال كاشاجو في ركنه ، لكنَّ الأسئلة الدفينة في صدور الأعيان ، والأعوان ، صعدت إلى محاجر عيونهم في جدوى ذلك الاعتزال ، ومعناه ، لوعةً أو ندماً ، أو متخالطيْنِ معاً لوعةً وندماً .

بات البعض يسارُ البعض في أنحاء البهو الأعظم ، والأبهاء الصغار المحيطة به . ماياكي ، في اجتماعاته المتلاحقة بأسياد فرق المحاربين ، والأشراف ، وعُمداء خزائن مؤن المحاربين ، لفتته تلك

المساررات، والإشارات بالأعين، وبالأيدي، إلى ركن كاشاجو. ولَفَتَه أكثر أنَّ شيكتان كانت في دأبٍ من تصريف الشؤون بنفسها كأنما سيطول احتجاب السلطان. لذا عمد، مراراً، إلى التوقف منفرداً أمام مدخل ركن كاشاجو، من غير نظر إلى عمقه الذي تزفر فيه الريح، من عبورها الثغرات بين العظام في الجدار، زفيرَ النداء. كما عمد، مراراً، أن يهزَّ في وقفاته، مستديراً بوجهه إلى أعماق الركن المُقام، ليستدرج كاشاجو إلى ملاقاته بهريرٍ منه، أو سؤال عن أحوال القصر، وماوراء القصر في أيام اعتزاله.

بدرت من كاشاجو، أخيراً، علامةُ العودة بسلوك عقله إلى المحيط الذي يلي ركنَه الثنيةَ في الجدار الشمال. نادى: «ماياكي»، فانبرى عميد محاربيه داخلاً جوفَ الركن، مهتزَّ الضفائر كلٍّ سبعٍ على جهة من رأسه، بينها واحدةٌ بصبغ أصفر.

«هذه رؤيا»، قال ماياكي فورَ مثوله قبالة سلطان زينافيري بشفتين تأنّتا في النطق. «هذه عزلةُ رؤيا».

«لم أُحْكِم ضبط الرؤيا بعد، ياماياكي»، قال كاشاجو.

«كم من الأيام أنت هنا، ياكاشاجو؟ هذه أطول رؤيا لم يُحْكَمْ ضبطُها»، تساءل ماياكي، محدِّقاً إلى النضنضة الكسولة قليلاً للسان سيد زينافيري. أردفَ: «أأنت تنقل هضبةَ طيور لاكيلا من موضعها؟».

«لقد نقلتُ الهضبة»، ردَّ كاشاجو على تلميح عميد محاربيه إلى إطالته العزلةَ. أضافَ: «نقلت واحة كيما إلى قُلَّة الهضبة، ودربتُ طيور لاكيلا العُمي على الإبصار بألسنتها، ياماياكي. هي رؤيا شاقة، مضنية، مكلفة»، قال. لم ينتظر تعقيباً من كاشاجو على مبالغاته. استرسل متكلماً: «ربما نقلتُ، بعد وقت، إقليم

زينافيري برمَّته إلى موضع في الأعالي ذي ساحاتٍ سبع ، على كل مدخل إليه نُصبٌ للإله كوياسي أكبر حجماً من المعبد ، وملأتُ الحدائق السود بين النجوم بفهود البوابات الرمال» .

أصغى ماياكي إلى الثقل البارد في نبر صوت كاشاجو ، وفي نضنضة كاشاجو بلسانه بعد إلقائه الكلمات . ساءله :

– هل حُسمَ شكلُ الإله كوياسي؟ .

«الأعالي حسمت أبعادَ هيئته وشكلَها ، ياماياكي . هو نَسَقٌ لن يدركه خيالُ النحات آلما ، ومن يُملون عليه إضافات» ، ردَّ كاشاجو . «كوياسي ذرَّاتٌ تتبادل مواضعها» .

«كم يلزمُها رؤياك لتُحْكِمها ضبطاً ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ماياكي . «أبْقِها في هذا الحدِ» ، أضاف ، «قبل أن تعزم على نقل الأعالي أيضاً من مواضعها» . هرَّ بنبرٍ مستظرِفٍ مَرِحَ سؤاله : «إلى أين ستنقل الأعالي إن نقلتَها؟» .

هرَّ كاشاجو بدوره ، ناكتاً في عقله بعودِ الخيال كي يثير غباراً يروِّيْه تنشُّقُه . استدرك مختزلاً بحثَه :

– رؤياي ستطول قليلاً .

«اختصِرْها ، ياكاشاجو . وسِّعْ إقليمَ زينافيري في رؤياك ، واختصِرِ الرؤيا» ، قال ماياكي .

«سأفعل» ، رد كاشاجو . «سأبدأ الضبطَ منذ الآن» .

استدار ماياكي متأهباً للإنصراف على رضىً من ردِّ كاشاجو ، فناداه سلطان زينافيري :

– إلى أين؟ .

التفت ماياكي إلى كاشاجو . ردَّ بلسان المُفترِض انتهاء المحادثة عند ذلك الحد :

– إلى البهو الأعظم . سأنتظرك هناك .

«ليس بعد ، ياماياكي . أبلغتُك اقترابي من ضبط الرؤيا في حدود ممكنة ، لكن ليس الآن» ، قال كاشاجو . أردفَ بنبرٍ متأنٍّ : «يلزمني قناع» .

«ماذا؟» ، تساءل ماياكي متحيِّراً في رغبة سلطان زينافيري .

«قناع» ، كرر كاشاجو ذكر مطلبه . لوى عنقه صوب جدار في ركنه المُقام علَّق عليه رقعةً جلداً بهتت الألوانُ عليها وحالَتْ : «كقناع سوك» .

«أهذه الرغبة تفصيلٌ من رؤيا اعتزالك ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ماياكي .

«هي كلُّ الرؤيا» ، ردَّ كاشاجو بنبْرٍ منكسر .

غمغم ماياكي في استسلام لرغبة سلطان زينافيري الخاملةِ المعنى :

– سأتيك بقناع .

«لم أوضح هيئةَ القناع الذي أريد» ، عقَّب كاشاجو على امتثال ماياكي لرغبته .

«كقناع سوك . أليسَ هذا ماتريد؟» ، تساءل ماياكي .

«نعم . كقناعها» ، ردَّ كاشاجو .

«سأطلب من الرسامات صورة وجه هايكاهيكسين على جلد» ، قال ماياكي .

«بل صورة كوجه سوك» ، أوضح كاشاجو . «عند الرسامات صور لوجه سوك على ألواحهن ، ياماياكي» .

«حسناً» ، ردَّ ماياكي . «وجه سوك إذاً» ، قال كمن يذكِّر نفسَه . حدق إلى سلطان زينافيري . ساءله :

- ماالذي ستفعله بالقناع؟ .

نضنض كاشاجو بلسانه . أجَّل الردَّ ، مضيفاً رغبةً أخرى إلى مطلوبه :

- آتِني ، ياماياكي ، بستارة من الجلد تكفي لسدِّ باب رُكني هذا .

«ستارة؟!!» ، غمغم ماياكي غير مستسيغ من سلطان زينافيري رغباته اللامفهومة ، الباهتة ، فردَّ كاشاجو :

- ليكُنْ عليها صِبْغٌ أزرق ، كالستارة على باب رُكْن هايكاهيكسين في الحديقة .

هارباً من اسئلة نفْسِه ، لامن خيال كاشاجو المترنِّح بألغازه ، خرج ماياكي من الرُّكن الثنية في الجدار وثباً وسيعاً ، مندفعاً ، يتبعه راتو . هبت ، من سرعة عبوره ، على ضفائر شيكتان ، ومطيتها نينيسو ، موجةٌ هواءٌ أكثر عصفاً من جداول الريح في أنحاء البهو الأعظم ، حيث تتلاقى المساربُ القادمة من البوابة بالأخريات القادمات من الثغرات المحسوبة بقياس البناء في جدران القصر : الريحُ حرة ، أبداً ، في كل بناء ، حتى لاتخمد الحركة في أجساد الجنيين ، فإنَّ الريح إذا ماسُدَّت خمدوا .

غمغمت نينيسو تعقيباً على سرعة عبور عميد المحاربين :

- كان خارجاً من رُكن كاشاجو .

«من رُكن كاشاجو؟» ، تساءلت شيكتان . «أأنهى عزلتَه؟» .

«ليس واضحاً» ، ردت نينيسو .

«أرسله كاشاجو في أمر طارئ ، إذاً ، يانينيسو» ، خمَّنت شيكتان . أهابت بمطيتها همساً : «اتبعيه» .

أسرعت نينيسو وثباً في أعقاب ماياكي . لمحها ريكما من أحد

الأبهاء الصغار ، بين أقران له من أبناء الأعيان . شدَّ ذراع مطيته زيديكا الواقف إلى جواره . هامسَهُ :

- هاهي نينيسو مستعجلةً . تحرَّ أمرَها ، وعُدْ إليَّ بما لم تعُدْ به قبلاً ، أو لاتَعُدْ .

هبَّ زيديكا لاحقاً بنينيسو .

تنبَّهت شيكتان ، من موضعها البعيد ، إلى لحاق مطية ابنها بمطيتها . لم تَقْلَق .

لكن القلق عارماً هبَّ ، لامن الأنباء أطلقت زوابعها الصغار عن جنٍّ يفْتِكُون بأيدٍ حاضنة ذباباً ضرباً عليها ، وهم في أقنعة تشبه وجه هايكاهيكسين ، بل مِمَّا تلاحَقَ ، قبل يوم ، على الألسنة في أزقة زينافيري بهرير ذهول ، وزئير استهوال : أطفال كُثر ، في أنحاء المدينة ، وضواحيها القرى القريبة ، خرجوا عن أطوار ألعابهم المعهودة إلى مهاجمة جنٍّ ذكورٍ وإناثٍ ، يحضنون في أكفهم ذباباً .

طباع خشنة كالريح الخشنة والرمل هي طباع أطفال الجن الصغار في لعبهم : سَحلٌ في كل مكان ، حيث يقدر قويٌّ منهم على سحل غيره . رَكْلٌ في كل مكان لمَّا يقترب أحدهم من أحدهم . خَمْش بالأظافر على الجلود اللِّيف الجاسئة ، وتراشُقٌ بالرمل على العيون الحجر ، اللواتي بلا أجفان .

أطفال يكبرون هكذا . يتخلَّون ، بعد اليفاعة ، عن المضيِّ في ألعابهم كعهدهم خشنيْنَ فيها ، بل يتراجعون بعنفها إلى دواخلهم مُحتَبَساً حتى انفلاته في مجابهات المصارعة ، وفي ضراوة القنص ، وفي الإنتقام ، وفي زجر أولادهم صفعاً إذا استنسلوا .

رُسلٌ جاءوا شيكتانْ بالأنباء . أنفار من المنكوبين بثوا بعضَ الأعيان ، ونساءَ الأسياد ، شكوى فواجعهم من فَقْدِ ذبابٍ احتضنوه

طويلاً ، بسـبب ضـرب مـفـاجئ على أيديهم بحـجـارة في أيدي أطفـال ، لافي أيدي الجناة المقنَّعين . تحيَّـر حـاملو الشكاوى ، ومن تلقَّوا شكاواهم ، في تدبير حُكْم يُجازُ إحقاقه على أطفال رأوا ، أو سـمعوا بالجناة المقنعين ، فاتخذوا تقليدَهم لهواً . ثم اتَّسعت موجة اللهو الطاحن فـتسلَّمـتـهـا أزقةٌ من أزقـة ، وسـاحـات من سـاحـات ، وقرى من قرى ، في انتقال كالريح بالرمل المعصوف .

قبض البعضُ على أطًفال متلبِّسين بأفعالهم الهُوْج ، لكنْ لم يعرفوا أيجيزون لأنفسهم انتقاماً من الأطفال من فورهم ، بكسر أيديهم مثلاً ، أو تعويرهم بشـدْخ العيون ، أو تجريعهم رمـلاً يسدُّ الحلوق ؛ أمْ ينتظرون القـضـاءَ من قصـر زينافيـري لإحـقـاق نوع من العقاب؟

يوم أرسلت شـيكتان مطيتها نينيسو في أثر عـميد المحاربين ، اجتمع جنٌّ كثيرون أمام بوابة القصر . عمَّ الهريرُ ، والزفير ، والزئير ، والزمـجرة ، والفـحـيح ، والعـواءُ ، الخلاءَ الوسيع الواصل بين القصـر وحديقته : كان اسم كاشاجو ، وحده ، يتردَّد على ألسنة المشتكين .

شـيكتـان ركنت ، حين توسَّـعت الأنبـاء عن ظهـور جُناة مقنَّعين ، إلى ماياكي ، والأسياد ، في إيلاء الأمر مايقتضيه حرْصُ الإقليم على حَضْنٍ آمن للذباب في أكفِّ الجن المستنسليْنَ . بعد وقت على اعتزال كًاشاجو توسَّع الإضطراب من شغب المتقنِّعين بجلود عليها صور وجه هايكاهيكسين بلا اتقان في الرسم ، مُذْ لم يُقبض على جانٍ واحـد ، كأنهم يذوبون في الريح رمـلاً ، وتذوب أقنعتهم . لكنَّ اجتماع منكوبين ، ومتضامنين معهم ، بالشكاية من تقليـد أطفال في زينافيـري للجناة المقنَّعين ، هاتفين باسم سلطان

زينافيري استنجاداً ، ضيّق على شيكتان إلقاء تبعة التقصير على أحد بعينه من المتحرِّين الأسياد ، والأعيان . زوجها ، على التحديد ، كان المقصود بالهتاف لوضع حدٍّ لما يجري . وكان على كاشاجو أن يمزق حجابَ عزلته بلا تأجيل .

حين عادت نينيسو ، مطية شيكتان ، إلى سيدتها بعد تقصٍّ لأثر ماياكي في مهمته ، لم تبادر إلى إبلاغها بما رأته من أمر عميد المحاربين ، بل عاجلتْها بسؤال :

- الجموع تكثر أمام القصر . ما الذي ستفعلين ، ياشيكتان؟ .

«على ماياكي أن يفعل شيئاً حين يعود» ، ردت شيكتان . تفرّست في نينيسو مستنطِقةً :

- أين مضى ماياكي؟ .

«إلى دار الرسامات» ، ردّت نينيسو .

«دار الرسامات؟» ، غمغمت شيكتان متسائلة . «ماالذي يريده من الرسامات؟ أن يرسمن كاشاجو في عزلته؟» .

«لقد أطال مكوثه عندهن فعدتُ» ، ردت نينيسو .

في ركن آخر من أحد الأبهاء الصغار ، انضم زيديكا إلى ريكما بخبرٍ لم يجد ابن سلطان زينافيري حُكْماً في تقدير التفاهة فيه ، أو تقدير ما يُحْذر منه . أبلغه زيديكا أن نينيسو كانت تتبع ماياكي ، الذي دخل دار الرسامات ، وأنها وقفت ترقب الدار وقتاً ، ثم رجعتْ .

«أهذا كل شيء ، يازيديكا؟» ، تساءل ريكما مرتاباً .

«هذا كل شيء» ، ردّ زيديكا مؤكّداً .

«أتخفي شيئاً عني؟» ، ساءله ريكما بنبرٍ فيه شكٌّ ، فأبدى زيديكا دَهَشاً :

- ماذا أخفي عنك؟ .

«سأمتحنك . انتبهْ» ، قال ريكما . أدار وجهه إلى حيث تقف أمه ومطيتها يقلّب التخمينَ في مايتداوله لساناهما ، قبل أن يجذب زيديكا انتباهه بسؤال :

- ماالشكوى هذه من أطفال زينافيري؟ . المشتكون يتكاثرون .

«لم يستطع ماياكي ، والأسياد المحاربون ، العثور على الجناة المقنَّعين ، فاحتقر الأطفالُ السلطةَ في إقليم زينافيري» ، ردَّ ريكما . أمسك بذراع مطيته مبتعداً عن حلقة أولاد الأعيان : «هؤلاء الأولاد يتحدثون في الأمر ، منذ ساعات ، كأنَّ آباءهم غير معنيين» .

«ينبغي أن يخرج كاشاجو من عزلته» ، قال زيديكا .

هزَّ ريكما . تمتم :

- أرى ماياكي راجعاً .

ترجل ماياكي عن ظهر مطيته راتو في البهو الأعظم ، حيث لايدخله على ظهر مطيته عادةً . وثب متجهاً ، من فوره ، إلى ركن كاشاجو .

عجلت شيكتان بوثب وسيع إلى اعتراضه . أدركته على بُعْدٍ من ركن زوجها . بادرتْهُ :

- ماحكاية الأطفال هذه التي تتفاقم؟ .

«سُئِلْتُ من الجموع خارج بوابة القصر عما ينبغي فعله» ، ردّ ماياكي . «أطفال ظنوا إجهاضَ الذباب في الأيدي لهواً ، وقتّلوا الفاعلين» .

«ألأننا عَجزْنا عن القبض على جُناة ، تفشّى الأمر [illegible] لعباً ، ياماياكي؟» ، سألته شيكتان بنبرِ اتِّهامٍ . أردفت : «[illegible]

يتجولون في أقنعة لها صورة وجه سوك» .

«صورة وجه هايكاهيكسين» ، عقَّب مساياكي على تلميحٍ شامتٍ في كلمات شيكتان .

«سوك ألهمت هؤلاء المشاغبين . جراءتهم باتت مهينة» ، قالت شيكتان . زفرتْ : «هذا القصرُ مُهان» .

هزَّ ماياكي هريرَ المعترف الصامت بتقصيرٍ ، فعادت شيكتان إلى سؤالها الأول :

- لهو أطفال يتفاقم جنوناً . ماذا ستفعلون بهم ـ أنتم أسياد زينافيري؟ .

«سأعود بردٍّ من كاشاجو ، الآن» ، قال ماياكي .

«سأدخل عليه معك» ، غمغمت شيكتان .

تسربت نَقْزَةٌ إلى قلب ماياكي . هزَّ رأسه متحفِّظاً عن فكرتها :

- لاأظن أن كاشاجو يريد دخول أحد عليه في عزلته .

«لماذا أنت؟» ، ساءلته شيكتان .

«هو الذي نادى عليَّ» ، ردَّ ماياكي .

أنزلت شيكتان بصرها عن عيني عميد المحاربين إلى لفافة الجلد الكبيرة تحت إبطه . هرَّتْ :

- ماذا تحمل إلى كاشاجو؟ .

«ستارة» ، ردَّ ماياكي .

«ستارة؟!» ، تساءلت شيكتان بنبرٍ ريبة . «ماذا سيفعل بها؟» .

هبَّ هياج من خارج بوابة القصر ، منسـاباً مع الريح إلى الأبهاء كلها . اجتاز أنفارٌ ، من الجمع المتفجِّع ممَّا أصابهم من أطفال زينافيري ، عتبةَ البوابة إلى داخل القصر ، مرددين اسم السلطان في استغاثة به .

زأر مـاياكـي . أومـأ إلى مطيـتـه راتو ، الواقف على مـبـعـدة منه ، إيماءةَ الأمر بضبط أولئك الأنفار ، وإلزامهم بالوقوف حيث هم .

زأر راتو بدوره ، فلبَّاه أربعـة من الجن المطايا أيضـاً ، مندفـعين . ثبتوا قبالة أولئك الأنفار المتفجِّعين سدّاً صغيراً .

تفـهَّم الأنـفـار المفـجـوعـون أن يلتـزمـوا مـوضـعـهـم ، فـتـوقـفـوا لا يتقدمون .

وثب مـاياكـي مكمـلاً طريقـه إلى ركن كـاشـاجـو ، غـيـر آبه لنظرات شيكتان المُثقلة بحمْلٍ من الأسئلة في شأن الستارة . دخل الركنَ الثنيةَ في الجدار الشمالً . كلَّم سلطان زينافيري واللفافة تحت إبطه بعدُ :

- المحنةُ تتسع .

«أتعني إجهاض الذباب؟» ، تساءل كاشاجو .

«نعم» ، رد ماياكي . أضاف ماطرأ على أفعال المشاغبين :

- كـان الجناة يغطون رؤوسـهم بالجلود . لكنهم باتوا يرتدون أقنعة .

هرَّ كاشاجو هريرَ النَّقْزَة من النبأ . تساءل بنبْرٍ مصدوم :

- أقنعة؟! .

«نعم . أقنعة لها صورة وجه هايكاهيكسين» ، ردَّ ماياكي .

زمجر كـاشـاجـو فـتـقطعت الزمجـرة في حنجـرته من الذهول : «صورة هايكاهيكسين؟» ، تمتم بصوتٍ منخذل . «أهُم يصنعون رؤيا ، ياماياكي؟» .

«ليس واضحاً أنهم يصنعون رؤيا . إجهاض الذباب في الأكف شغبٌ ، وليس رؤيا ، ياكاشاجو» . ردَّ ماياكي .

دار كاشاجو حول نفسه غيظاً من العجز . صرخ :

- كيف لم يحدث أن قبضتم على جانٍ واحد؟ .

«هم بارعون ، ياكاشاجو ، في التدبير . مَهَرة في تغطية بعضهم لبعض بإحداث شغب ، أو عِراك ، أو بلبلة ، حيثما ارتُكِبتْ جناية ، فينجون» ، رد ماياكي .

«إن كنتم تعرفون حيلتهم ، فماذا يُعْجِزُكم عن إفشالها؟» ، تساءل كاشاجو .

«أزقة زينافيري مزدحمة ، ياكاشاجو . المساكن تتزاحم ، وتتلاصق . العابرون يتصادمون أحياناً» ، ردَّ ماياكي في تبرير للعجز . «لانستطيع نشر المتحرِّيْن المحاربين واحداً على كل مفرق ، أو منعطف» .

«التقِطوا كلَّ الجن في موضع الشغب بعد حدوث جناية . سيكون بينهم ، قَطْعاً ، من سينتزع الجلاد رادبور من ذاكرته أسماء المدبِّرين» ، قال كاشاجو . استدرك : «أجئتني بالقناع؟» ، سأل عميدَ المحاربين . مدَّ ذراعه إلى اللفافة الكبيرة تحت إبطه : «هذه هي الستارة» .

أعطى ماياكي الستارة لسلطان زينافيري .

بسط كاشاجو الستارة المصبوغة زرقةً داكنة من وجه : «إنها تكفي لسدِّ باب مُقامي» ، قال ، غمغم بنبرٍ لاتبين حروفه : «أعطني القناع» .

أخرج ماياكي الرقعة الجلد الصغيرة ، تتدلى من أطرافها خيوط للتثبيت ، من باطن ثوبه عند الخاصرة . مدَّ ذراعه بها إلى سلطان زينافيري .

أعاد كاشاجو الستارة بيدٍ إلى ماياكي : «علِّقْها» ، قال ، ومدَّ يدهُ الأخرى فتناول منه الرقعةَ الجلد الملونة . غطى بها وجهه ،

وربطها خلف رأسه وقَذَاله بالخيوط الموصولة بها . قرَّب وجهه من ماياكي . نضنض بلسانه من ثقب فوق الشفتين :

– كيف أبدو؟ .

زفر مایاکي . لم يُجب .

كرر كاشاجو سؤاله :

– كيف أبدو؟ .

«تبدو مثل سوك حين ارتدت القناع» ، ردَّ مایاکي .

لم يفهم سلطان زينافيري الوصف . تساءل :

– أأبدو مثل سوك؟ .

«تبدو كقناع على وجه سوك» ، رد مایاکي .

هرَّ كاشاجو بنبرٍ يُغالبه طلبُ التوضيح ، مذ لم يفهم ، بحقٍّ ، تورية عميد محاربيه ، الذي هرَّ ملتفتاً إلى البهو الأعظم من داخل الركن ، ثم أعاد بصره إلى كاشاجو :

– إنهم يهتفون باسمك في صخب .

ثبَّت كاشاجو عينيه ، من ثقبي القناع ، على عيني مایاکي :

– من الذين يهتفون باسمي؟ .

«المفجوعون الضحايا» ، ردَّ مایاکي .

«أهُم هنا ، في القصر؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ مایاکي :

– بعضهم هنا ، في القصر . وهناك حشد خارج البوابة .

«أهُم من أجهض الجُناةُ المشاغبون ذبابهم؟» ، تساءل كاشاجو .

«نعم» ، ردَّ مایاکي .

هرَّ كاشاجو هريراً حجرياً :

– ماذا يجري؟ يستطيع محاربو زينافيري إبدالَ السماء بسماء أخرى ، ولا يقدرون على التقاط جانٍ واحد؟ .

«ثمّت أمر آخر ، ياكاشاجو» ، قال ماياكي . «هؤلاء المفجوعون ، المجتمعون أمام القصر ، يريدون أحكاماً في الاقتصاص من أطفال زينافيري» .

«مابهم أطفال زينافيري؟» ، تساءل كاشاجو بنبرِ حيرة .

«بات الكثيرون منهم يقلدون الجُناة المقنَّعين» ، ردّ ماياكي .

«يقلِّدونهم؟!» ، تساءل كاشاجو بصوت زادت حيرةُ نَبْره . «بِمَ يقلدونهم؟» .

«بالضرب على أيدي الحاضنين ذبابَ استنسال» ، ردَّ ماياكي .

«أوضحْ ، ياماياكي . لم أفهم» ، غمغم سلطان زينافيري .

«واضحٌ ماقلتُ ، ياكاشاجو» ، ردَّ ماياكي .

صمت كاشاجو متأملاً المذاقَ الغريب لكلمات عميد محاربيه عن أطفال يقلدون المشاغبين الكبار . انحنى . صفعَ الأرضَ الرمل فأثار غبرةً استنشقها . همهم : «أطفال زينافيري يقلدون الجناة؟ كيف؟» ، تساءل متبلبلاً . «بِمَ يضربون على الأيدي؟» .

«بالحجارة» ، ردَّ ماياكي .

زأر كاشاجو مبغوتاً :

– لا تقلْ لي إن أحداً لم يستطع القبض على طفل ارتكب جناية كهذه؟ .

«الأطفال الجناة معروفون . لكن المجنيين عليهم لايعرفون ماذا يفعلون بهم» ، رد ماياكي . «هل يهشمون أيدي الأطفال الجناة ، أم رؤوسهم؟ سيكثر الإنتقام بين الجن» .

«هذه جنايات لايستوجب العقاب عليها انتقاماً من أحد» ، قال كاشاجو .

«إن كان القصر هو مدبِّر الحُكْم ، فذلك لا يوجب انتقام أحد

من أحـد» ، قـال مـاياكـي . أوضحَ أكـثـر : «الجن المنكوبون ينتظرون مني العـودة إليـهم بحُكْم منك في هذه الجنايات ، ياكـاشـاجـو» . حدَّق إلى وجه سلطان زينافيري في القناع برهةً خرساءَ . استرسلَ : «لن يسـاعـد هذا القناع في اختيارك للأحكام . اخرجْ من ركنك . اجمع الأسياد ، ولْنَرَ ماذا نحن صانعون» .

«علِّق الستارةَ» ، قال كاشاجو ، ثم صمت منتظراً .

هرَّ ماياكي . عَقَد طرفاً من الستارة الزرقاء بحبل رفيع في طرفه إلى جـهـة من سـقـف المدخل إلى الركن الواسع . ثبَّـتـه ، ثم ثبَّت الطرف الآخر بالجهة الأخرى من سقف المدخل بحبل مثل الأول . ترك لفافةَ الجلد الكبيرة حرَّةً فانسدلت حاجبةً عمق الركن عن كل عين .

ظل ماياكي في الجانب المفتوح على البهو ، فيما ظل سلطان زينافيـري في الجانب المحتجب . تواجـهـا ، على جانبي السـتـارة محجوبين أحدهما عن الآخر . احتجبت المحاورةُ بينهما .

«ماذا الآن ، ياكـاشـاجـو؟» ، تسـاءل مـاياكـي ، عارفاً أن سلطان زينافيـري لايقْدِر على تذوق الكلمـات بلسـانه مـادام لايراه .»هل نطلق فهود الرمال البوابات على أزقة زينافيري؟» .

علا صوت كاشاجو من الجهة الأخرى للستارة :

– أأنت تكلمني ، ياماياكي؟ .

رفع ماياكي جانباً من الستارة ، كاشفاً عن نفسه :

– هل أنجزتَ الحُكْم؟ .

هرَّ كاشاجو . لمس بيديه القناع على وجهه يتحسَّسه :

– اجمَعْ أطفال الأزقة كلهم .

«كلهم؟» ، تمتم ماياكي متسائلاً .

«كلهم» ، كـرر كـاشـاجـو حُكْمـه . «اجـمـعْـهـم من كل إقليم زينافيري» .

«ماذا نفعل بهم إن جمعتُهم؟» ، تساءل ماياكي .

«سُقهُم منفيين عن زينافيري» ، رد كاشاجو بنبرٍ جَزْم .

«نسوقهم منفيين إلى أين؟» ، تساءل ماياكي .

«إلى الأرض المنخفضة ـ مَصْنع مانعات الرياح» ، رد كاشاجو .

«ماذا نفعل بهم هناك؟» ، تساءل ماياكي .

«فلْيُـسـخِّـرْهم صُنَّاع مـانعـات الرياح عـبـيـداً يفـعلون بهم مايشاءون» ، رد كاشاجو .

«ماذا عن آبائهم ، ياكاشاجو؟ قد يثورون» ، قال ماياكي .

«فليذهبوا بأطفالهم إلى ماشفير الأعمى إنْ ثاروا . فلْيأخذوهم من إقليم زينافيري» ، عقَّب كاشاجو .

«أهذا حُكْم نهائي؟ اخرُجْ به إلى الجن . أَخْبـرْهم بنفسك» ، قال ماياكي .

«دَعْني في مُعْتَزَلي الآن ، ياماياكي . أفوِّضك أن تخبرهم . اجْمَع الأطفال وسُقْهم مقيدِيْنَ إلى الأرض المنخفضة» ، قال كاشاجو .

هرَّ ماياكي هريراً طويلاً بنبْرِ المتفكِّر :

- سنسـتـثني أطفـال الأسـيـاد ، والأعـيـان ، والغطاريف ، والمحاربين ، وسمَّار القصر ، والمستشارين .

«هكذا سيكون . هكذا سيكون» ، كـرر كـاشـاجـو قـبـوله استثناءات عميد محاربيه .

«والأفضل أن يقتصر النفي على أطفال الأزقة التي شهدت شغبَهُم» ، اقترح ماياكي ، فردَّ كاشاجو على عجل :

- ليكُن .

خرج ماياكي من ركن سلطان زينافيري . زأر ملفتاً بصرَ مطيته راتو ، فهرع إليه . امتطاه في البهو . أوعز إليه بالوثب ، فهبَّت شيكتان قادمة وثباً ، كأنما كانت تنتظر خروجه . جابهته بسؤال من فورها :

- ماذا اقترح كاشاجو؟ .

«النفي» ، رد ماياكي باقتضاب .

أمسكت شيكتان بذراع مطيته راتو تستمهله :

- ماذا تعني ، ياماياكي؟ .

«النفي . عنيتُ النفي . سنسوق أطفال الأزقة ، التي شهدت شغبَهُم ، إلى المنفى» ، رد ماياكي .

في وثبٍ وسيع انضم ريكما إلى أمه وعميد المحاربين يتبعه زيديكا . بادر بسؤال :

- ماذا ستفعلون لهؤلاء المفجوعين ، ياماياكي؟ .

«معي حُكْمٌ من كاشاجو سيهدِّئهم» ، ردَّ ماياكي .

أوضحت شيكتان أمْرَ الحُكْم لابنها بنبرٍ مستغرب :

- سيرسل كاشاجو الأطفال إلى المنفى .

«قصاصٌ عادل» ، عقَّب ريكما .

«بل قرارٌ عجول» ، قالت شيكتان .

«الجن ، في الخارج ، عجولون إلى حُكم» ، عقَّب ريكما ثانيةً .

«لن تنتهي الفواجع بنفي الأطفال . المقنَّعون الجناة مازالوا في أزقة زينافيري» ، قالت شيكتان متوجهة ببصرها إلى ماياكي على ظهر مطيته ، فرد ماياكي :

- غدا الأمرُ أكثر تعقيداً بتقليد الأطفال للجُناة .

«ماذا عن آبائهم؟» ، تساءلت شيكتان .

«عليهم قبول الحُكم ، أو سينتقم الضحايا من الأطفال بأنفسهم» ، رد ماياكي .

«قصاص كاشاجو قصاصٌ عادل» ، عقَّب ريكما على كلامِ عميد المحاربين .

تأملت شيكتان وجه ابنها بعينيِّ الخديعة ، وهي ترخي قبضتها عن ذراع مطية ماياكي :

- لماذا لا تتولى المسير بالأطفال إلى المنفى؟ أنت ابن القصر .

رفع ريكما عينيه بتوسلٍ فيهما إلى عيني ماياكي :

- أعطِني حظوةَ سَوْقِ الأطفال إلى المنفى .

«إلى أين ستنفونهم؟» ، تساءلت شيكتان ، فرد ماياكي :

- إلى الأرض المنخفضة .

«أتعني موضع صناعة مانعات الرياح؟» ، تساءلت شيكتان ، فرد ماياكي :

- نعم .

أمسك ريكما بيد ماياكي على ظهر مطيته راتو . ناشده :

- فوِّضْني . سأقود الأطفال مقيَّدي الأيدي معصوبي العيون .

«سأستشير الأسياد» ، رد ماياكي .

«لن يردَّ أحد رغبتَك إنْ فوَّضتني» ، قال ريكما . نظر إلى أمه : «لن يردَّ الأسياد رغبةَ شيكتان» .

«تعال معي» ، قال ماياكي ، فهرع ريكما إلى زيديكا . وثب ممتطياً ظهره ، وتتبَّع ماياكي إلى خارج القصر .

وقف ماياكي على عتبة البوابة ، قبالة جمهور الجن المفجوعين . خاطبهم بصوتٍ رعد :

– كل زقاق شهد فاجعةً من فعل طفل سيحلُّ على أطفاله قصاصُ النفي إلى الأرض المنخفضة . سيسخِّرهم صانعو مانعات الرياح على أي وجهٍ أرادوا .

هزَّت جمهرةُ المفجوعين ومناصريهم في الشكوى هريرَ الرضا . تخلخل صفُّهم قليلاً من عبور المنجمين الأربعة قادمين إلى القصر . سمعوا كلمات مایاكي ، فانبرت بونيا إلى مخاطبته :

– هل النفيُ رؤيا؟ أصنعتَ الرؤيا ، يامایاكي؟ .

«صنعها كاشاجو» ، ردَّ مایاكي .

«ماذا عن الجناة ، الذين يرتدون أقنعة؟» ، تساءلت بونيا .

«سنأخذ منهم الأقنعة» ، ردَّ مایاكي بنبرٍ فكاهة .

«الأقنعة رؤيا» ، قالت بونيا ، قبل أن تلتفت جمهرة الواقفين في المعبر ، بين بوابة القصر وحديقته ، إثْرَ سماعهم نباحاً .

هرَّ الجن من رؤية الكلب المرقَّط سواداً تجاوره الأنثى الإنسية واقفةً تتأملهم . صرخت إحدى المنكوبات من بين الجمهرة :

– لماذا استعارَ الجُناة وجهَ هايكاهيكسين؟ .

«للسخرية من الأسياد في زينافيري» ، ردت واحدة أخرى . أضافت شرحاً : «ربما يقول الجناة للأسياد : مادمتم لم تعرفوا نوعَ هايكاهيكسين ، فلن تعرفونا» .

«لا» ، اعترض صوتٌ متشعب النبر من حنجرة أنثى . «إنها رغبةُ الإحتجاب» ، قالت وهي تخرج ظاهرةً من جمع المنكوبين . هزت رأسها بالضفائر الستِّ كلٍّ ثلاث على جهة .

علا صوت داميكو ، شاعر مَجْمع الذباب :

– إن كانت هذه رغبة الجناة في الاحتجاب ، فهم يقلدون سانياري ، أو يقلدونكِ ، ياهِسْتَار .

هرَّ سانياري متقدماً من وراء زوجته هستار . خاطب الشاعرَ :

– كنتُ محتجباً ، وقد ظهرتُ ، ياداميكو .

فحَّ داميكو متبرِّماً من دعوى الجني الغريبة ، ومزاعمه حول انحجابه وظهوره :

– كنتَ دائماً بيننا ، ياسانياري . جسدك هذا الطويل في الثوب من جلد خالتك ؛ أذناك الكبيرتان ؛ خمارك الجلدُ مطلياً أبيضَ ؛ وشْمُك النقاط التسع صُفْراً على صفحتي وجهك ؛ سلاحك الذي من فخذ ذئب . كل شيء فيك كان هنا ، بيننا . كانت هستار معك هنا ، بيننا في زينافيري ، بقرطيها من أسنان ذئب ؛ بثوبها من جلد ابن أختها ؛ بضفائرها الستِّ هذه .

«تفرَّقوا الآن» ، صاح ريكما بالجمهرة في بترٍ للمخاطبات الجُوْف . «نحن في الطريق لإحقاق حُكْم كاشاجو» .

«خذْ هستار معك ، ياريكما» ، قال داميكو بصوت عال . «خذْ سانياري المحتجب إلى أزقة زينافيري . خُذِ المخلِّصيْنِ الخفيين لن يحذرهما الجُناةُ لأنهما لايُرَيان . فلْيتحرَّيا» .

«كنتُ محتجباً قبلاً ، لكنْ ظاهراً في رؤى يصنعها جنُّ زينافيري لأنفسهم . وقد ظهرتُ الآن ، حقّاً» ، قال سانياري ، ثم أشار إلى زوجته : «ظهرت هستار أيضاً . سيظهر ، قريباً ، أولادنا التسعة عشر المحتجبون» .

«اختفِ يوماً ، واظهرْ يوماً لنرى صدقَ انحجابك وظهورك» ، خاطب المنجمُ توهتو مدَّعي أحوالَ انحجابه سانياري .

«لقد ظهرت . تمَّ الأمر» ، ردَّ سانياري .

«ثم ماذا ، ياسانياري؟» . ساءله توهتو .

«سترون ، ياجنَّ زينافيري» ، ردَّ سانياري .

«اصمتوا» ، صرخ ريكما . أضاف : «كنْ ماتشاء ، ياسانياري» . فحَّ آمراً : «تفرَّقوا» .

نينيسو ، التي باتت قريبة مع سيدتها من عتبة بوابة القصر ، سمعت الصوتَ الآمر من حنجرة ريكما . أمسكت بعضد أمه :

- هذه حظوة . إحذري ، ياشيكتان .

«ماا لحظوة؟ لمن؟» ، تساءلت شيكتان .

«حظوة لريكما» ، ردت نينيسو .

«أية حظوة تعنين؟» ، تساءلت شيكتان ، فردَّت مطيتُها :

- أن يسوق الأطفالَ الجناة بنفسه إلى المنفى .

هرَّت شيكتان هريرَ الخديعة . تمتمت :

- بل سيجرُّ على نفسه ضغائنَ الآباء .

تفرَّقت الجمهرةُ عن بوابة القصر . تبع الكلبُ الأنثى الآدميةَ منسحبةً عبر المعبر الرمل إلى موطنها - حديقة القصر ، يتبعها بصرُ داميكو . وثب راتو مبتعداً براكبه ، يلحق به زيديكا براكبه .

بلغ ماياكي ، وريكما ، الشجرة الهيكلَ مصنوعةً تمثالاً من عظام ، شرقَ بوابة المعبد .

«مايْتَا» ، صاح عميدُ المحاربين ، فانتفض جنيٌّ عملاق كالشجرة طولاً ، كان راقداً في حفرة لصق جدار المعبد ، غامراً نفسَه بالرمل حتى بطنه .

«نعم ، ماياكي» ، رد العملاق بصوت أخنَّ عميقٍ .

«انفخ في بوقك مرتين» ، قال ماياكي .

في وثبة واحدة بلغ مايتا ، ذو الصدر العريض ، الشجرةَ . أنزل البوق العظم المعلَّق إلى غصن . أطبق شفتيه الكبيرتين على قصبة النفخ فأفرغ في البوق سيلَ الهواء من رئتيه الواسعتين ، منتفخ

الجلد في وجهه كجراب مليءٍ رملاً .

مرتين شقَّ النفيرُ الريحَ ، عبوراً من جانب المعبد الشرقي إلى مواضع ثكنات المحاربين الموزعة على تخوم زينافيري ، بل أبعدَ ، حتى أعالي الهضبة حيث أنصتت إلى النفير طيورُ لاكيلا العُميُ بمدِّ أعناقها .

أنفار قليلون خرجوا من كل ثكنة ملبِّينَ نفيرَ البوق . حُفرُ غير عميقة في الرمل ، طويلة كخنادق ، عليها قبابُ جلود ـ هي ثكنات محاربي زينافيري ، من الحصونِ الرمال البعيدة ، على الجهات كلها من حدود الإقليم ، إلى القرى الضواحي ، فتخوم المدينة . أسيادُ فِرق ، ومندوبو أسياد ، يتفقدون الثكنات كل يوم من أيام الجن ، إشرافاً على الجاهزية الصارمة للمحاربين ، وتدريباتهم الأقسى ـ تدريبات الليل . وإذْ سُمعَ النفيرُ ، بالعلامة التخصيص فيه نفْخاً مرتين في البوق ، قام الأسياد المعنيون بالنداء ، وحدهم ، إلى مطاياهم فركبوا ظهورها ، مواكبيْنَ بالقليل من الأعوان . غذُّوا الوثبَ الوسيعَ نهباً للأرض الرمل بأقدامهم الحَشَريَّةِ ـ أقدام الجراد ، ميمِّميْنَ إلى حيث انطلق النفير .

ماياكي عرض على الأسياد ، في وصولهم إلى حَرَم الشجرةِ العظام ، حُكْمَ سلطان زينافيري بالقصاص النفي ، فأجابوه موافَقَةً . وتمنى عليهم قبولَ ريكما عميداً للمسير بالمَنفيين إلى الأرض المنخفضة ، فلم يتحفَّظ أحدٌ منهم عنه . أمَّا هو فانبرى متبرِّعاً بالتحري في الأزقة عن أصحاب الأقنعة .

«أعطُوني محاربين هم الأكثر ضخامة في فِرَقكم» ، قال ماياكي .

هرَّ الأسياد طاعةً .

«سـأسـدُّ بهم منافـذَ الأزقـة حين تنتـهـون من جـمع الأطفـال المشاغبين» ، قال ماياكي .

أوكل الأسياد إلى رُقباء كي يأخذوا من المحاربين أرهاطاً ، كلُّ رهط يداهمون زقاقاً بشباك الصيد في أيديهم ، وبالحبال المعقودة الأطراف على حجارة تدور في القذف فتلتف الحبالُ على سيقان المطارَديْن . وقد هبُّوا إلى مهمتهم باصطحاب المنكوبين الضحايا أدلاَّءَ لهم إلى مواضع حدوث الجنايات ، بعد رسم في الرمل لهيئة إقليم زينافيري ، وتخطيطات لمنافذ المسالك الدائريةً ومخارجها حول مُجمَّعات المنازل . نسخواً الخططَ منقولةً عن خرائط الرمل على صفافيح عقولهم . زأروا زئيرَ التنفيذ .

كلُّ زقاق جرَّ نكبةً بأطفاله على ضحيةٍ عصرتْه أقدامُ المحاربين دهماً ، واقتحاماً للمنازل إن لجأ إليها أطفالٌ . كشفوا الرملَ عن الأرض حيثما ظنوا أنها مخابئ غطى الأهل بالجلود على أطفالهم فيها ، وأهالوا عليها رملاً . سدَّ الجن الضخام المسالك . صعدوا سطوح المنازل القباب . فتحوا الجوالقَ الأكياس ، والمطاميرَ ، في مخازن العظام من كل مَسْكن ، منعاً لنجاة أي طفل مختبئ .

جَمَع المحاربون من أزقة الشغب أطفالاً عديداً ، قنْصاً بشباكهم في المطاردات ، وبالحبال القيود . حملوهم على أكتافهم اثنين اثنين حتى عُرْض الساحة المترامية أمام المعبد . قيَّدوا أيديهم ، وعصبوا عيونهم بعصابات نزعوها شقّاً من ثياب الأطفال أنفسهم .

زفر ريكما على ظهر مطيته ، قرب ظل الإله كوياسي ، زفرة الرضا ، وهو يستعرض الحشدَ المقيَّدين يهرون أحياناً ، ويعوون أحيانا عواء الشكاة من أَسْرهم ، فيبادلهم أهلوهم هريراً ، وزفيراً ، وزئيرا ، وفحيحاً حسرةً أسىً من حول جمهرات أطفالهم كلُّ أربعة

موصولون بحبل رفيع واحد ، ليحفظ المحاربون السَّيرَ بهم منتظماً فا
مايقدرون .

«ماالذي يجري ، ياريكما؟» ، صاح النحات آلما متسائلاً مر
موضعه العالي فوق كتف نُصب كوياسي .

رفع ريكما وجهه إلى الأعالي . ساءله بدوره :

- أين أنت؟ .

«أصار النُّصبُ مرتفعاً إلى الحد الذي لا أُرى؟» ، قال آلما .

- ماذا سألتني ، ياآلما؟ .

- ماذا يجري ، ياريكما؟ .

- ألا تعرف ماذا يجري في زينافيري ، ياآلما؟ .

- ماذا يجري؟ لم أعد أنزل عن موضعي فوق كتف الإله
كوياسي ، ياريكما .

- إبقَ هناك . مايجري لايستدعي انتباهاً ، ياآلما .

- لماذا جمعتم أطفالاً مقيدين هنا ، ياريكما؟ .

- لنُلهمك تصوُّراتٍ تنجز بها النُّصبَ ، ياآلما .

- أنت لم تقترحْ عليَّ ، قط ، إضافةً ، أو إنقاصاً . أرِني
خيالَك ، ياريكما .

- قَيِّدْ يدي كوياسي . ضعْ عصابة على عينيه ، ياآلما .

صَمَتَ آلما . نظر إلى رأس الإله كوياسي ، من موضعه على كتف النصب المتنامي الجِرْم هائلاً بالإضافات المتَّصلة ، ثم أعاد بصره إلى ريكما ، في الأسفل ، وقد لامس مطيتُه زيديكا بقدميه حدودَ ظلِّ القدم اليسرى للتمثال . صاح :

- ماذا ستفعلون بهؤلاء الأطفال؟ .

«سنسوقهم إلى المنفى» ، ردَّ ريكما .

«أين؟» ، تساءل آلما ، فردَّ ابن سلطان زينافيري :
- إلى الأرض المنخفضة ، موضع صناعة مانعات الرياح .
«خذوا كوياسي معهم» ، قال آلما .
«بل تعال أنت ، ياآلما . اصنعْ نُصْباً لمانعةِ رياحٍ . قد يقتدي الصُنَّاع بخيالك فينجزوا واحدةً» ، قال ريكما
«على أحدٍ أن يُنجز نُصْباً للريح أولاً ، في الأرض المنخفضة» ، عقَّب آلما .
«كيف يكون شكلُ نُصب الريح ، ياآلما؟» ، تساءل ريكما .
«على النحَّات أن يبدأ بالصفير ، ومن ثم يضيف كلُّ مهندس ، وصانع ، وعامل ، وسيد ، ومحارب ، في زينافيري ، إلى صفيره اقتراحاً . سيتراكم تمثال هائل للريح ، ياريكما» ، ردَّ آلما .
هزَّ ريكما . أنزل بصره عن النحات إلى حشد الأطفال المقيدين . رفع يده وخفضَها إيذاناً بالمسير ، فوثب الجنُّ المحاربون بالحبال المشدودة إلى الصفوف الأمامية للمقيدين . وثب المقيدون الأماميون فلحق بهم الذين خلفهم كلُّ أربعة في حبْلٍ وَصْلةٍ بين رقابهم .
وثْباً موزونَ المسافة ، هادئاً ، كي لايتعثر المقيدون ، تقدم المحاربون بالأطفال غرباً إلى الأرض المنخفضة ، وراء أواخر القرى على تخوم المدينة . جاوزوا القرى إلى الفلاة مديدةً تتناهش فيها كثبانٌ صغار بأسنان الريح ، فيصغر بعضُها أكثر ، ويكبر بعضُها أكثر ، وينمحي بعضُها راجعاً بذاكرته إلى النسيانِ الأصل .
ساروا مقدارَ ماتعصف الريحُ بالرمل عصفتينِ بلا توقف ، أو مقدارَ ما يبذِّره الوقتُ من إرثِه الفراغ نصفَ قوسٍ في دورة الشمس . أهل الأطفال المنفيين واكبوا حشدَهم من جهةٍ ، وواكب حشدهم

من جهة أخرى أولئك المنكوبون الضحايا ، والمتضامنون معهم .

آباء الأطفال المُساقيْنَ إلى المنفى نثروا في أثلام الريح زئيرَهم ، وهريرهم ، فأنبتت الريحُ فوضىً من الأصوات زوابعَ دائرةً على نفْسها ؛ ونثر المنكوبون بفَقْدِ ذبابهم ، في أثلام الريح زمجراتٍ بزوراً أنبتت عزيفاً من محاكاة عزيف الريح .

أمهات ألأطفال المنفيين لم يتوقفن عن غنائهن مرتفعاً همهمات ، ومنخفضاً همهمات ، على مراتب حسراتهن يَرَيْنَ أطفالهن في القيود ، متعثرين كأصواتهم متعثرةً بين الهرير والأنين .

النساء المنكوبات من ضرب الأطفال المشاغبين على أيديهن لم يوقفن غناءَهن أيضاً ، بنبْر امتنان للقصاص من الجناة ، وبنبرٍ تشفٍّ لن يعوض عليهن فقْدَهن ذُبابَ الاستئناس .

تبادل مواكبو الحشد المنفيِّ ، من الجهتين ، ذكوراً وإناثاً ، زئيراً شِجاراً بالأصوات حتى بلوغ المسيرة حدودَ الأرض المنخفضة مقدارَ ساقِ جنيٍّ عمقاً ، على مدى شاسع ، دائري ، بانحدارات سهلة في بعض الأحفة تنزلق منها المحفّات التي عليها جذوع الشجر ، يزحف بها الجن العمال زحفاً ، لاوثباً ، من واحة كيما إلى مشاغل البَتْرِ والنَّجْرِ تحت إشراف أمير المهندسين ليوفا ، المتصاغر اليدين من نزف عمره ، ونائبه بوكلو ذي الإصبعين السبابة والوسطى المقطوعتين في يده اليمنى .

على بُعْد من حشد الأطفال الذكور والإناث المُساقيْنَ ، ومواكبيهم الآباءِ ، والمنكوبين ، كانت ثلة من الإناث تترصد مسيرة النفي ، رصْداً لايُعْرف مقدارُ الفضول فيه من مقدار التمحيص في ثقل القصاص . شاتار وصاحبات لها تتبّعن موكب ريكما منذ انطلاقه ، من غير أن يخالطن أهل الأطفال ، أو التعساء المنكوبين ،

المتشفِّيْنَ الشامتين . كان في وثبهن المتمهِّل فيضٌ من تأمُّل . يتقاربن متهامسات ، ويتباعدن صامتات إلاَّ من همهمات الغناء المحتبس وراء أسنانهن لا يندفع أبعد .

صنَّاع ، وعمال ، سارعوا من الأرض المنخفضة ، الملأى بجذوع الأشجار ، والأخشاب المركومة ، إلى لقاء الحشد مستغربين ، على غير توقع ، رؤيتَهم أطفالاً في القيود يساقون ، نزولاً من منحدر وسيع في إحدى الأحفة ، إلى معقل مصانعهم متوزِّعةً بالأشغال فيها على أنحاء المكان كلها .

بطيئاً ، زحفاً بالقدمين على الأرض ، بلا وثب ، تقدم أمير المهندسين ليوفا العجوز ، المتثاقل ، يتقدمه وثباً قصيراً نائبه بوكلو ، الذي بادر إلى تذكير المكان بالقادم في طليعة المسيرة : «هذا ابن كاشاجو وشيكتان» ، قال ، فبلغت كلماته مسمع ليوفا ، الذي هرَّ بصوتٍ قضم الزمنُ أحفَّته .

«ما هذا؟» ، تساءل ليوفا ، فرَدَّ بوكلو من غير التفات إليه :

- لا أعرف .

نزل ريكما عن ظهر مطيته زيديكا ، مكملاً المسافةَ الباقية بينه وبين المُشرفيْن ، بخيال الحِيَل ، على بناء مانعات الرياح : ظلَّل عينيه الحجريتين من الشمس ، مستطلعاً الأبراجَ الخشبَ أنصافَ هياكل بَعْدُ ، غير مكتملة ، ومستعرضاً على بصره الصُّنَّاعَ الحذَّاق ، والعمالَ في شُغلٍ كالنمل على صخبٍ تسدُّ الريحُ منه أذنيها .

هُمْ طبقاتٌ أُولئك العاملون على تحقيق الخطط أبرمَ توثيقة [illegible] خيالُ ليوفا ، الحالم بنظام للحصار لم يسبقه إليه فكرٌ جنيٌّ [illegible] أيْ أن يسدَّ على قريةٍ مَّا ، أو مدينة ، أو إقليم بتمامه ، [illegible] بأبراجه السدود ، فيحيل قاطني تلك الأمكنة إلى [illegible]

جامدين ، حتى الزمن الذي لا زمن من بعده .

ثمت عمال يقيمون قريباً من واحة كيما ، في حُفَر عليها أغطيةٌ جلود كمساكن . إنهم العمالُ القوارض يتخيَّرهم بوكلو ، نائب أمير المهندسين ، من الجن الضخام الأسنان ، المكينين في قضم الجذوع حتى قطْعها ، وقطْع الغصون الزوائد عنها ، ليتسلَّمها الجنُّ الزواحف ، الذين يجرُّون محفَّات عليها جذوع الأشجار زحفاً قويًا على صدورهم ، وبطونهم ، موصولةً بحبال إلى أكتافهم ، لاستحالة جرِّ المحفات بالجذوع عليها وثباً . دأبُهم نقلُ الجذوع من واحة كيما ، مروراً بتخوم القرى الغربية ، إلى الأرض الغائرة مقدارَ ساق جنيٍّ عمقاً عمَّا سواها من الأرض حولها . هناك يتسلم الجنُّ العمال الجذوعَ ، فينكبُّون على تقطيعها ألواحاً بشفرات من الحجر الصوان صقلوها شحْذاً .

هم يأتون بالحجر من السفح الشمالي لهضبة طيور لاكيلا ، حيث الصخور متفلِّعةٌ رقائقَ ، وشظايا ، فيتخذونها لحاجاتهم ، بعد السَّنِّ والشحذ ، على ثلاثة صنوف : الرقائق المستطيلة كفؤوس بعد ربطها إلى عصيٍّ ، والرقائقُ العِرَاض ، الرهيفة الأحفة ، كمسَاحِجَ لتسوية الخشب صقيلاً ، والرقائق الطوال ، والعِراض ، لقطع الجذوع ألواحاً مستطيلة .

الجن ، الذين ينجزون قطْع الألواح ، وتسويتها ، يسلمون ماينجزون إلى طبقة أخرى هم الصنَّاعُ المنفِّذون ، المتأنون في تركيب الخشب أبراجاً ، وسدوداً موصولة بالأبراج ، بحسب خرائط البناء المرسومة في الرمل ، التي يجدِّد خطوطها أمير المهندسين ليوفا إشرافاً ، ونائبه بوكلو تنفيذاً بأصابعه ، وتدقيقاً ببصره في الهياكل الملتحمة أخشابها ، المنتظرة ربطاً صارماً بالحبالِ اللِّيف ، ولصْقاً

بمسامير خشب أسطوانية يتدبرون لها ثقوباً في الألواح تنغرز فيها .

تلاقى ريكمـا ، في مـقـدَّم الموكب ، بالمهندسين وبالصناع اجتمعوا فضولاً . رفع يده فتوقفت مسيرة المنفيين وسائقيهم من الجن المحاربين .

«لقد جئتكم بمن تسخِّرونهم على أي وجه تريدون» ، قال ريكما مخاطباً الواقفين قبالته من فريق صانعي مانعات الرياح . اقترب من أمير المهندسين : «إنه حُكْم سلطان زينافيري أن يُنفى هؤلاء الأطفال قصاصاً على شغب لايُغتفر» .

كان السؤال الأول ، الذي نطقه لسانُ ليوفا ، بعد شرح من ريكما عن جريمة إجهاض الذباب في الأيدي ، ليس عن كثرة المنفيين ، أو كيف سيسخِّرهم في أشغال البناء ، بل عن المؤنة :

– يلزمهم زادٌ كثير ، ياريكما . أتفكَّرتم في هذا؟ .

«هاتوا الأكياس» ، صاح ريكما ، فتولى زيديكا نقلَ صوت سيده إلى صوته هو بنبر أقوى ، واثباً تجاه خُفراء المنفيين :

– أين أكياس المؤنةً؟ .

تناقلت أيدي المحاربين الخفراء السَّيرَ بأكياسٍ جلدٍ كبار حتى تراكم منها هرم أمام بصر ليوفا ، ونائبه بوكلو . «كلّما نقصت المؤنة نأتيكم بمؤنة» ، قال ريكما . توجه بلسانه إلى مطيته زيديكا : «فليفكوا وثاقَ المنفيين ، وليرفعوا العصائب عن عيونهم» . هرَّ . مال بوجهه إلى ليوفا :

– كيف ستسخِّرونهم؟ .

«لدينا الكثير مما نسخرهم فيه» ، ردَّ بوكلو .

انثنى ريكما . صفع الأرض الرمل بيده فأثارَ غباراً [illegible]
رضىً : «طيِّبٌ غبارُ الأرض المنخفضة . أنتم محظوظون» [illegible]

متتبِّعاً إشارات بوكلو إلى العمال أن يتصرَّفوا بالأطفال .

قام عمال ، من فورهم ، بتقسيم حشد الأطفال المنفيين إلى مجاميع صغار ، قادَ كلَّ جماعة منهم عاملٌ إلى مواضع الشغل المتفرِّقة على أنحاء المكان ، وسط هرير عالٍ ، وزئير مسنون أطلقتهما حناجرُ أهل الأطفال حسرةً ، من جهةٍ ، وحَناجر المَنكوبين ابتهاجاً ، من جهة أخرى .

«فلينصرفوا» ، صاح ريكما يحثُّ المحاربين الخُفراء على تفريق من واكبوهم حتى أحفة الأرض المنهدمة ، فانفلت الخفراء وثباً لتبليغ الجميع بالعودة من حيث أتوا .

سار ريكما إلى جوار ليوفا المتثاقل مشياً ، يجرُّ قدميه . سار وثباً قصيراً جداً ، متفرِّجاً على جماعات العمال ، والهياكل الخشب العوالي . تساءل :

- كيف ستنقلون هذه الأبراج والسدود إذا أُنجزت؟ .

«ستكون لها أجنحة كأجنحة الجراد» ، رد ليوفا بنبر دعابة . وقف لاهثاً من ثقل أغلال العمر في قدميه . وقف ريكما أيضًاً .

«أين صُنَّاع الأجنحة ، ياليوفا؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ أمير المهندسين :

- لقد جئتمونا بهم الآن .

«أوْ» ، غمغم ريكما متفهماً . «سيكبر المنفيون هنا على كل حال ، ياليوفا . قد يبرعون في صناعة أجنحة كأجنحة الجراد لمانعات الرياح» .

«ربما لن يكبروا» ، عقَّب بوكلو على كلام ابن سلطان زينافيري بنبْرٍ تورية .

«ستقتلونهم من شدة التسخير ، إذاً» ، قال ريكما .

«عظام الأطفال مستطابة مضغاً في أفواه الشيوخ هنا» ، غمغم بوكلو .

«هي عظام مسمومة في أعمارهم هذه» ، قال ريكما .

«قليل من السم ينفع في شدِّ عراقيب سيقان الجن» ، قال بوكلو .

زئيرٌ كانشطار رعد واكب العويلَ القويَّ في مفاصل الخشب المنكسر : لقد انهار ، بغتةً ، نصفُ هيكل برج بعمال ستة عليه ، في الموضع الذي بلغه ريكما والمهندسان . أطلق العمالُ ، ساقطين من الأعالي ، زئيرَهم . أطلقت الأخشاب المرصوصة بالحبال عويلَ انهيار من مفاصلها . وثب بوكلو مبتعداً في طيرانٍ . دفع ريكما مطيته زيديكا بذراعيه فدحرجه مقذوفاً ، قبل القذف بنفسه ناجياً من سقطة الهيكل الثقيل .

ارتفع غبار حجب عن الأعين ، لبرهة ، فداحةَ ذلك الأنهيار . وإذ انجلى تبيَّنت نجاةُ العمال الستة مرضوضين بلا كسور لأنهم نهضوا . لكنَّ خيطاً رفيعاً ، ضعيفاً ، من الغبار البرتقالي تصاعد من خلل الأنقاض الخشب ، فوثب بوكلو يزيح العوارض والألواح . هرَّ هريرَ الحسرة من فمه ومن فم قلبه . زأر كالنائح :

- إنه ليوفا .

جرَّت روح ليوفا نفسَها زحفاً كالضبِّ بين الأنقاض . جرّ خيالُه بأمراسٍ طوال آلافاً من الأبراج والسدود ، خفيفةَ الثقل . صعد بها إلى ممالك الجن السيارة في الأعالي كالنجوم . حاصرها قبل أن يُتِمَّ «النسيانُ الأعظم» حصارَ الخلود عليه ، بإعادته ، كالا جني بعد الموت ، إلى الصميم النار ، والمخاطَبات الدائرية بألسنة لهب .

توافد العمال والصناع إلى موضع الأنقاض . تناقل هريرُهم خبرَ موت ليوفا . زأروا ، أجمعين ، زئيرَ الأسى الخافت المنكسر . لمسوا بأيديهم جثةَ الميت تباعاً ، فرداً فرداً ، على عجل سرَّعَهُ هريرُ بوكلو ، الذي نصبته المصادفة ، في تلك البرهة ، أميراً على مهندسي مانعات الرياح .

«سيذهب لحم ليوفا تَقْدمة إلى طيور لاكيلا» ، قال بوكلو . «سنجفِّف عظامه هنا . سنطحَنُها كُسارةً تكفي ليتذوقها كل فرد فيكم منصتَيْنَ إلى الغناء المقدس ـ غناء تارتوك لأرواح الطيور المقدسة . أما جلده فسنعلقه إلى سارية فوق أول برج ننجزه» .

هرَّ الجمع المحتشد . تفرقوا عائدين إلى مشاغلهم ، فيما ظل بوكلو ، وريكما ومطيته زيديكا إلى جوار الجثة .

غمغم ابن سلطان زينافيري كالمعتذر عمَّا تدبرته المصادفة بوجوده في الأرض المنخفضة . «سأعود إلى القصر» ، قال لأمير المهندسين الجديد بوكلو . أضاف : «سيغضب كاشاجو من اللاإنصاف في نهاية ليوفا القاسية» .

غادر ريكما الأرض المنخفضة بموكبه من الخفراء المحاربين . كان في مستطاع بصره أن يتقرَّى ، في مرآة البعيد العميق ، طيوفاً من جمعين منفصلين هم أهالي الأطفال المنفيين ، والمنكوبون ، يسيرون وثباً متباطئاً في عودتهم إلى منازلهم . تساءل :

– ألم يغادروا منذ وقت كان كافياً ليبلغوا تخوم المدينة؟ لِمَ هم بطيئون؟ .

«ثِقلٌ مَّا يُبطئ كلَّ جمع من الجمعين لسبب يخصُّه» ، ردَّ زيديكا .

«ماالذي يبطئ أهل المنفيين؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زيديكا :

- يُبْطئهم توقُّعُ معجزة .

«أية معجزة؟» ، تساءل ريكما ، فرد زيديكا :

- أن يلتفتوا إلى الوراء فيروا أطفالهم أحراراً لاحقين بهم .

«ما الذي يُبطئ المنكوبين الضحايا؟» ، ساءل ريكما مطيته ، فردَّ زيديكا :

- المعجزة نفسها . أيْ أن يلتفتوا إلى الوراء فيروا المحاربين يسوقون آباء الأطفال وأمهاتهم منفييْنَ إلى الأرض المنخفضة .

هرَّ ريكما هريرَ المتأمل في جواب مطيته .

توقف زيديكا بغتةً براكبه . أدار وجهه إلى خلف منكبه :

- أنقذتني اليوم ، ياريكما .

«ماذا أستطيع أن أفعل من دونك ، يازيديكا؟» ، قال ريكما معترضاً على امتنان مطيته . ساءله :

- لماذا توقفتَ؟ .

«لديَّ ماأخبرك به» ، قال زيديكا بنبر معترف .

«لن يضيعَ صوتك في الوثب . سِرْ وأخبرني» ، قال ريكما . التفت إلى الخفراء المحاربين يشير عليهم بيده أن يسبقوه ، فسبقوه من غير ابتعاد ، منقسمين على جهتين في المواكبة .

«ماذا عندك؟» ، سأل ريكما مطيّته .

«أنا جسَّاسُ شيكتان عليك» ، ردَّ زيديكا .

خمدت حركة ريكما . حدق ملياً إلى وجه مطيته الطويل الساعدين بإفراط في الطول . نزل عن ظهره واقفاً قبالته .

«شعرتُ ، مراراً ، أنك لاتنقل إليَّ من الأخبار إلاَّ ناقصة ، أو ملتوية» ، غمغم ريكما . «منذ متى تتجسس لشيكتان عليَّ؟» .

«مُذ أهدتني إليك» ، ردَّ زيديكا .

«أكنتَ تخبرها بكل ما أفعله ، وأقوله؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زيديكا :

- تقريباً . ربما كل شيء .

«ماالأكثر سوءاً نقلتَهُ عني إلى شيكتان؟» ، ساءله ريكما بصوت عميق النبر في لفظ اسم أمه .

«أنك ستستبدل ماياكي بغيره إذا قَدِرتَ على ذلك» ، ردَّ زيديكا .

«لم أُحدِّث أحداً في هذا الأمر» ، غمغم ريكما مستغرباً .

«أنا خمَّنتُ ذلك» ، قال زيديكا .

«أنتَ خمَّنتَ ذلك؟ ماالذي أوحى إليك أن تنسب إليَّ رغبةً لم أعلنها؟» ، ساءله ريكما ، فرد زيديكا :

- لأنه مُطاع ، وأنت لا يُرضيك من يُطاعون كثيراً .

«كاشاجو ، سلطان زينافيري ، مطاع أيضاً» ، قال ريكما . «لِمَ لم تخمن أنني سأستبدله؟» .

«بمن ستستبدله إنْ قَدِرْتَ؟» ، تساءل زيديكا بنبرٍ هامس ، فردَّ ريكما مقرِّباً وجهه من وجه مطيته :

- أتستدرجني كي تخبر شيكتان؟ .

«ليس بعد الآن ، ياريكما» ، ردَّ زيديكا . كرَّر بنبْرٍ امتنانٍ : «ليس بعد الآن» .

دار ريكما بوجهه على الجهات متفكراً . لمح وراءه ، في البُعد ، ثلةً من الأطياف أقرب إلى الأرض المنخفضة التي غادرها . أعاد التحديق ببصره إلى الأفق أمامه ، حيث يسير أهلُ المنفيين ، والمنكوبون ، في جمعين منفصلين : «مَن الذين وراءنا؟» ، تساءل .

«لم ألحظهم قبلاً» ، رد زيديكا .

وثب ريكما ممتطياً ظهر زيديكا . هرَّ ، ثم تكلم :

- استمِرَّ في التظاهر أنك جسَّاسُ شيكتان .

«سأخبركَ أمراً آخر» ، قال زيديكا .

«أرى أن لديك الكثير مما تخبرني به» ، عقَّب ريكما . «هاتِ ماعندك» .

«شيكتان توفد نينيسو كثيراً إلى نساء الأسياد» ، قال زيديكا .

«هكذا إذاً» ، غمغم ريكما . تساءل : «ماذا تحمل نينيسو إليهن؟» .

«هذا مالاأعرفه» ، رد زيديكا .

هرَّ ريكما هريراً صاعداً من قلبه المتحرِّي . شدَّ ضفائر مطيته فهب زيديكا وثباً طويلاً يلحق بالخفراء المحاربين .

حامت الثلة ، التي التفت إليها ريكما عمَّا قليل ، على أحفة الأرض المنخفضة في وثبٍ متمهل . كانت تلك ثُلة شاتار وبعض صاحباتها تتبَّعن ، من قبلُ ، مسيرة المنفيين ، عن بُعد . ولمَّا رجع ريكما بموكبه من الخفراء المحاربين ، أطلقت الإناثُ التَّريكات أقدامَهن في تجوالٍ لن يسائلهن أحدٌ عن غايته هناك .

تأملت الإناثُ التريكاتُ المشاغلَ في الأرض المنخفضة تَوزَّعَها الصناعُ ، والعمال ، في دأبٍ لايتوقفون عن تثبيت ألواح السدود الموقوفة على ركائز غائرة في الرمل ، ويستكملون الهياكل العالية للأبراج الكُثر لم يُنْجَز إلاَّ أنصافها ، أو أقل . وكنَّ يستطعن [illegible] أطياف شبحية في عصف الريح هم الأطفال المنفيون ، [illegible] المشرفون على الأشغال مهماتٍ في حمل الأخشاب ، أو [illegible] زحفاً ، وفي نقل أجْربة الطعام العظام يتناولها العاملون [illegible] عن أعمالهم .

«أسيغزوا محاربو زينافيري ، حقاً ، أقاليمَ الجن بهذه السدود والأبراج؟» ، تساءلت أنثى من الثُّلة .

لم يبدُ على الأُخريات اهتمام بتخمين جوابٍ ، مُذ شغلهن سؤال آخر من صاحبةٍ لهن :

– ما الحيوان الذي تلاعبه هايكاهيكسين؟ .

«إنه مخلوق من نوعها في شكل حيوان» ، ردت إحداهن .

«يلعق الأيدي . جرَّبتُ لمسَه . ذلك مقرف» ، قالت إحداهن .

«لكنه وديع» ، قالت واحدةً أخرى . «ماذا ترين في ذلك الحيوان ، ياشاتار؟» .

«حيوان خاضع . مستكين . متملق» ، ردَّت شاتار .

«كل هذا معاً؟» ، تساءلت إحداهن ، فردَّت شاتار :

– وسهلٌ استمالتُه .

«أنا سأتولى ذلك» ، قال إحداهن .

«بل أربع منكن سيتولين ذلك معاً» ، قالت شاتار .

كانت المحاورة تخطيطاً مختزلاً لِمَا عقدتِ الإناثُ التَّريكات على تنفيذه في حرصٍ صارم .

هرَّت شاتار : «فلْنعدْ» ، قالت . «سيكون هذا يومنا الأول في استمالة الحيوان ـ حارس هايكاهيكسين» .

عادت شاتار أدراجها بالثلةِ الصاحبات إلى مدينة زينافيري . توجهن ، بعد عبورهن قرىً على تخومها ، إلى موضع القصر اختصاراً من الجهةِ الشمال .

طنينُ الذبابِ العادي ، الوضيع الأصل ، الكثيف في الهواء المتخبط ، لم يحجب الطنينَ الأكثر انتظاماً بصدوره من أعماق القصر آتياً من جناح مَجْمَع الذباب فيه . شاتار ، وثلتُها ، سمعن

الطنين نشيداً في عبورهن بوابة القصر الوسيعة .

«سيتخلى المغني تارتوك لذباب المجْمع ، ذات يوم ، عن غنائه» ، علَّقت إحدى التَّريكات .

«لقد تخلى عن ذلك . ذبابُ المجمع هو منشدُ القصر» ، عقَّبت واحدة أخرى .

«يليق بكاشاجو الأصم غناءُ الذباب» ، قالت أنثى أخرى .

هشَّت شاتار بيدها تطرد ذباباً لحوحاً عن ضفائرها : «كيف لا تقْدِرُ الريح على الإطاحة بالذباب؟» ، تساءلت ، فردت أحدى صاحباتها :

- الذباب والريح أُخوَّةٌ في الحركة .

«لم أفهم . اشرحي» ، عقَّبت إحدى التَّريكات ، فشرحت ماقالتْهُ صديقتها :

- الريح تمضي قُدُماً ، لكنها تقذف الذبابةَ عن ظهرها إلى الوراء . تبقى الذبابة دائماً في الموضع ذاته .

«هذا غيرْ مقْنع . الصوابُ أن الذبابة اللاحقة تأخذ موضع الذبابة السابقة ، فيتراءى لنا أنها لم تبارح» ، قالت واحدة منهن .

«أوقفْنَ الثرثرة» ، قالت شاتار . انعطفت عن بوابة القصر إلى المعبر الرمل الوسيع في اتجاه الحديقة .

دخلت ثُلةُ الإناث التريكات الحديقةَ زائراتٍ ، كحال [illegible] آخرين كانوا في تجوالٍ فُرْجَةٍ على أقفاص الذئابً الصف[illegible] البوابات الرمال ، والجن القُزم ، وطيور كارنا الطويلات ال[illegible] كالأفاعي ، مروراً بركن الأنثى الآدمية استلقى الكلب [illegible]

كانت الآدمية تملأ حوض ماء الكلب من قربة [illegible] شاتار منها بثُلتها . طوت جذعها . مسَّدت [illegible]

الوديع ، اللاهث ، فتناوبت أربعٌ أخريات اللمسَ ذاته ، في رقة ، وقد طوين جذوعهن حتى باتت صدورهن على قرب إصبع من الأرض .

ابتسمت الأنثى الإنسية للإناث الجنيات . هي رأت شاتارْ مراراً تقف على باب رُكنها قبلاً ، لكنها المرة الأولى لمست فيها كلبَها . بل أمسكت شاتار ، في دِعة ، بمعصم الأنثى الإنسية فقادتها إلى داخل ركنها المحراب مطيعةً في انقيادها . أجلستْها على السرير الجلود مركومةً على الأرض الرمل . طوت جذعها بانحناء كبير عليها . جمعت شعرها البني ، الطويل ، المتماوج ، المرسل فوضى ، في راحتي يديها الكبيرتين ـ يديّ الجنية . فرَّقت الشعر أقساماً خُصَلاً ، ثم انْكبَّت على جَدْلها ضفائرَ ، بدُرْبة الحِذْق في أصابعها الطوال ، السريعة . أنجزت للأنثى الآدمية ثماني ضفائر ، أربعاً على كل جهة من رأسها ، ثم عقدت نهاياتها مربوطةً بعضها إلى بعض فوق قُلَّة الرأس كعُرْف قُبَّة . استقامت . ساءلتها :

– ألديك حجر ترين صورتكِ فيه ، ياهايكاهيكسين؟ .

نهضت الأنثى الإنسية بدورها . اتجهت إلى حوض مائها الذي يعلو جراباً مليئاً بالرمل ، قرب المخرج من رُكنها . انحنت عليه . تأملت صورتها فيه . هزت رأسها فتراقصت الجدائل متلاطمةً . ضحكت . خرجت من محرابها متجهة إلى الكلب لم تزل صاحبات شاتار الأربع يلاطفنه ، ويكلمنه همساً . طوَّقت وجه الكلب براحتي يديها . رفعت عينيه إليها ليرى رأسها في حاله من الضفائر جديداً ، مثيراً ، وطريفاً . هَأْهَأت جَذْلى .

«أتتكلم هايكاهيكسين؟» ، تساءلت إحدى الأربع اللواتي يداعبن الكلب .

«هذا الصوتُ منها ليس كلاماً» ، ردت إحداهن .

واحد من الأربعة المتعهِّدين حيوانات الحديقة بالطعام ، والماء جاء حاملاً في رقعةٍ جلد قطعاً من اللحم . وضع الرقعة أمام الكلب . نهض الكلب من استلقائه الكسول . هزَّ ذيله سعيداً .

بادل حافظُ الحديقة صاحباتِ شاتار نظرات ودودةً ، ثم انصرف بجراب كبير معه إلى أقفاص الحيوانات اللواحم الأُخر يرمي إليها قِطعاً من لحم بخُطاف خشبي ذي مقبض حتى لا تتسخ يده .

أربع من صاحبات شاتار دأَبْنَ ، أربعة أيام متتالية ، على إطالة زيارتهن لركن الأنثى الإنسية ، في جولاتهن متفرِّجاتٍ ، أو يتظاهرن بالتفرُّج ، على أقفاص الكائنات في حديقة القصر . في ليلة اليوم الخامس كان لهن ، ولشاتار وصاحباتٍ أخريات من التَّريكات ، شأنٌ آخر : لقد تجمعن وراء سور الحديقة المرتفع من قرون البهائم ، في الموضع الملاصق منه لركن الأنثى الإنسية . طوَيْنَ جذوعهن ، واحتفرنَ الرملَ بأيديهن أولاً ، في حذر شديد ، ثم بأقدامهن قذْفاً به إلى الوراء كما يحفر الضبُّ ، وحيوانُ الفَنَك ، جحريهما .

انفتحت ثغرة تحت أساس جدار السور على قَدْرٍ يتسع لجسد [illegible] زحفاً منها . تلطَّت شاتار بالأرض في النفق القصير . أدخ[illegible] رأسها من الثغرة إلى داخل الركن المحراب مستكشفةً في ظلا[illegible] ثم زحفت راجعة . انتصبت . خاطبت الأربع اللواتي تر[illegible] حديقة القصر أربعة أيام . نقرت ، في الظلام ، بلسانها [illegible] فمها نقْراً يحثُّهن على بدء المهمة .

زحفت إحدى صاحبات شاتار من الثغرة [illegible]

ركن الأنثى الإنسية . هرَّ الكلب في الظلام . أقعى بعد استلقاء . زحفت واحدة أخرى منهن إلى عمق المحراب . أكملت زحفها حتى بلغت باب الركن من الداخل حيث الكلب يتأملها فضولاً بخيال الحيوان المتعرِّف عليها . لمستْه فأنَّ مستلطفاً . لعق يدها فلم تسحبها ، كاتمةً قشعريرةً سَرَت في جلدها كله . زحفت ثالثة ، فرابعة ، إلى الداخل في هدوء كالرمل تزحف به الريح إلى كل ركن .

كانت الأنثى الإنسية نائمة على الجلود كُوِّمت فراشاً لها . ربتت إحدى الجنيات على كتفها في الظلام المتشقق من انسياب عتمةٍ ، أقل سواداً ، من فضاء الحديقة على أنحاء الركن ، عِبْرَ بابه ، ومن خلل الفراغات في الجدران العظام .

فتحت الآدمية عينيها . رفعت رأسها في كسل إلى الأشباح الأربعة لمسْنَها معتذرات عن إيقاظها . جمعْنَ قربة مائها ، وجراب الفاكهة ، وجلوداً تفترشها ، والحوضَ الصغير الحجر . أنزلن الستارة المتقاصرة عن مدخل ركنها العالي السقف قليلاً . دلَّلْنَها على الثغرة بإشارات عن كثبٍ من بصرها لتفهم . زحفت واحدة منهن ببعض المتاع خارجةً ، فأشارت الأخريات على الآدمية أن تزحف مثلها .

في دعة جرَّت الآدمية الكلبَ نحوها . وجَّهتْهُ إلى الثغرة . دفعت به زاحفةً من تحت السور حتى صارت في العراء الذي يلي الحديقة . خرجت الأخريات مثلها زحفاً ، محتضنات كل واحدة متاعاً مما تحتاجه الأنثى الإنسية .

«هايكاهيكسين» ، همست شاتار وهي تُنْهِضُها . حضنت الكلب بذراعيها وطوت جذعها . دفعت الأُخريات الأنثى الإنسية ، في رفقٍ ، يرغِّبْنها أن تمتطي ظهر شاتار . تفهمت الآدمية إشاراتهن ،

لكنها سَكنت برهة مستغربة . همهمت بصوت لم تفهم الجنيات نبْرَ اللسان فيه . ألحَحْن أن تفعل فرضخت طائعة . امتطت ظهر شاتار الحاملة كلبها بين ذراعيها الكبيرتين .

انطلقت شاتار وثباً قوياً ، في الظلام ، بحمليْها ـ الكلب وصاحبة الكلب . لم تتوقف هي وصاحباتها إلاَّ عند العلامات الأُوليات الهادية إلى حانة ياموز ، غرب واحة كيما . من هناك تمهَّلن وثباً إلى الجهة الجنوب ، مابعد اسواق كاتراميل ـ أسواق الصمت المقدس .

كل النساء التَّريكات ، اللواتي مزقت الحظوظ مواثيقَ قبولهن شريكات لذكور يقاسمونهن ذبابَ الاستنسال ، تآزرن في الخروج من مدينة زينافيري وقراها ، بزعامة شاتار . استثقلن من أنفسهن أن يبقين في مساكن أهليهن ، أو أن يخالطن الجنيات الأخريات ، اللواتي ذللتِ المصادفاتُ لهن حظوظَ الاستنسال ، وقبول الذُّكران بهن شريكاتٍ . اعتزلن طُرُق الجن ، وأزقة الجن ، وساحات الجن إلاَّ عبوراً بها ، أحياناً ، في استعراضٍ يحتقرن فيه زينافيري كله ، تصريحاً أو تلميحاً بألسنتهن . كثيراتٌ منهن احترفن الصيد على تخوم واحة كيما ، في أوقات لا يخرج الصيادون فيها إلى قنصٍ . وقد استنكفن عن دفع قسم من عظام قنائصهن خَرَاجاً للقصر كحال الصيادين يقتطعون لسلطان زينافيري من محصولهم ، منذ لايعرف بأمرهن أحد . وتأبَّيْنَ عن تقديم لحوم قنائصهن لطي[illegible] لاكيلا ، فكنَّ يدفنَّها في الرمل .

هنَّ التريكات بنين لأنفسهن مساكن حُفَراً في الرمل [illegible] بحجارة ، درءاً من أن تهيلَه الريحُ عليها ، وغطين الحجارة [illegible] رماديٌّ انتزعنه من نبات في واحة كيما ، كما جعلن [illegible]

مجدولة على مداخل مساكنهن المائلة الفتحات بانحدار خفيف ، والمموهَّة لاتنكشف لبصر عن بُعد قفزتين من قفزات الجن .

كنَّ أعددن للأنثى الآدمية ، في ترتيب خططهن لخطفها ، منزلاً في الوسط بين مساكنهن في الحُفَرِ الوسيعة ، بسقف قبة يعلو الأرض مقدار ذراع ، مغطى بجلود عليها طبقةٌ ليفٌ نُثرَ علَيها الرمل . وفرشن ارض المنزل بورق من نبات عريض ، وكَسَوْنَ الجدران من داخله بالقصب . لكنهن تركن باب المنزل بلا غطاء ليفٍ كما فعلن بمساكنهن ، بل تمهَّلن حتى خطفها ، وجلْبِ متاعها القربةِ ، والجراب ، والجلود الفراش ، وكذلك الغطاء الأزرق الذي اتخذته ستارة لباب محرابها ، في حديقة قصر كاشاجو ، بعد ماكان ثوبَها ذات يوم .

غير أنهن حين أنزلن الأنثى الإنسانةَ منزلها صباحاً ، بعد مسيرة الليل ، ورتَّبن حوائجها كحالها في مسكنها المحراب ، دعكْنَ ثوبها السابق ، الأزرق ، بالرمل طويلاً ليموِّهنَ لونَه من الوجه الظاهر حين غطين به باب ركنها الجديد بين الإناث الجن التريكات . ولمَّا استدركن أنهن جلبن حوض مائِها الحجر الصغير ، ونسيْنَ في غمرة الهرب بها ، جلْبَ حوض الكلب ، حفرن على جانب من باب الركن ، قرب عتبته الداخلية ، حفرةً بطَّنَّها حتى حوافها بجلد ملأنه ماءً لايرشح ، بعد تثبيت تلك الحوافِ الجلدِ بأوتادٍ صغار من الغصون .

أما طعام الأنثى الإنسية من الثمار ، وماتأكله من الجراد ، وطعامُ كلبها اللحمُ ، فكان يسيراً عليهن تدبير ذلك من شجر واحة كيما ، وحيواناتها الصغار تُصادُ برمي من الصفائح الحجر مضمونةِ الإصابة قذْفاً من أيدي صياداتهن الحذِّقات .

كان واضحاً للأنثى الإنسية ، حين دخولها ذلك المنزل الممهَّد لها عن سابقِ تدبير ، أنها انتقلت إلى عهدة جديدة من الإقامة في أرض الجن ، مستطيبةً مسارعةَ أولئك الإناث التريكات إلى خدمتها ، ورعاية كلبها ، والتخفيف عنها بغناءٍ همهمات ، وعروض من تقليد طيور واحة كيما وعراك حيواناتها ، وافتراس الذئاب للبهائم ؛ عَدَا عن تقليدهن عزيفَ الريح بحناجرهن ، وحركةِ الريح باستفاضةٍ من تمويج أجسادهن النحيلات الطويلات ، كتماوج القصب بورقه على محيط البركة في واحة كيما . وقد خصَصْنها بحجر صُفَّاحةٍ هو الأكثر صقالة بين حجارتهن المرايا الكامدة قليلاً ، غير الصقيلة ، تعكس وجوههن متعرِّجةً ، متحدِّبةً أو متقعِّرةً . مرآة الأنثى الآدمية أرتها صورتَها أقرب ما تكون إلى صورتها ، وأرتها يدي شاتار تفكان ضفائرها الثماني ، ثم تعيدان فَتْلها ، في تأنٍّ ، تلقيناً لها كي تتولى بنفسها الفَتْلَ والضَّفْرَ .

لم يكن في عيني الأنثى الآدمية تساؤلٌ قط عن معنى انتقالها على النحو الذي نقلتهُ به الإناثُ التريكات إلى موضع آخر من إقليم زينافيري . لقد تأملت الأرضَ القفْرَ من حولها وصولاً بالنظر إلى الطيفِ السراب منعكساً على السماء بصورة واحة كيما مقلوبةً ، شمالاً ، رماديةً شبحية ، ثم أعادت بصرها إلى الإناث الجنيات ، الكثر ، مبتسمة . جلست أمام باب مسكنها الجـ[illegible] فأقعى الكلب إلى جوارها . تنهَّدت فتنهدت جنِّياتٌ يقا[illegible] مداعبةً .

في هدوء تفرقت شاتار وصاحباتها من حول الإنسا[illegible] كل واحدة منهن مسكنَها الحفرةَ . غبْنَ برهةً ، ثم خر[illegible] مضبوطٍ وثباً من داخل المساكن إلى خارجها .

بوغتت الإنسانةُ فاستوت واقفةً من مرآى الجنيات كلهن في أقنعة من صورة وجهها هي ، متفاوتة الشبه جودةً ورداءةً في الرسم ، لكنها ملامحها : عيناها بثقبين في موضعيٍّ البؤبؤين ؛ حاجباها ؛ أهدابها ؛ أنفها ؛ فمها ؛ مع شق صغير فيه . كان ربط الأقنعة بالسيور الرقيقة إلى رؤوسهن تثبيتاً ، يجعل الرسوم على الرقاع الجلود متماوجةً فوق عيونهن الحجر الجواحظ ، ومستويةً فوق أنوفهن المطموسة الممسوحة . إنما ظلٌّ للشكل المرسوم نَسَبهُ الأصل ـ نَسَبُ الوجه الإنسي .

تعجبت الأنثى الآدمية منهن اقتربن منها في سَير لاوثب فيه ، بل زحفٌ بأقدامهن تقليداً لمشيها في نقل قدم وراء أخرى إذْ تمشي . شاتار ، التي وقفت قبالتها عن كثب ، أخرجت من فتحة عنق ثوبها الواسعة رقعةً جلداً صغيرة . بسطتها بين يديها : كان على الرقعة رسمٌ لوجه جنية ، من غير حصر بوجه واحدة منهن . قرَّبت الرقعة ، في رفق ، من وجه الإنسانة كأنما تستميحها القبول بارتداء الرقعة قناعاً ، فبدت الإنسانة ساكنةً بابتسامتها . ألبستها شاتار القناعَ . أثبتته بالسيور ربطاً من وراء رأسها . ابتعدت عنها مقدار ذراع متأملةً . دارت بعينيها على صاحباتها . هَرَرْنَ ابتهاجاً .

هبَّت إحدى الجنيات إلى داخل منزل الإنسانة جالبةً الحجر المرآة . رفعته أمام عينيها تُريها وجهَها الجديد . غمغمت الإنسانة . مشت صوب كلبها . قرفصت جلوساً قبالته . هرَّ الكلب . أنَّ في استكانة المتودِّد إلى سيدته . لعقَ وجهَها القناعَ .

لم يكن صباحُ ذلك اليوم هادئاً في حديقة قصر كاشاجو كهدوئه في أرض مساكن الإناث التريكات ، إلاَّ من عَدْوِ الريح بأحمالها الشبحية في الخلاء القفر . الأربعة الجن ، الموكلون

بأقفاص البهائم رعايةً ، تكشَّف لهم ، في دخول واحد منهم بثمار إلى محراب الأنثى الإنسية ، النفقُ الشغرةُ تحت السور . تحيَّروا . وجدوا في الجهة الخارجية من السور ، المقابلة لركْنها المحراب ، آثارَ أقدام مختلطة . تتبعوها بضع وثبات لاغير ، مذ كانت الريح أنجزت استعادةَ الآثار على الرمل إلى ذاكرةِ رملٍ . عادوا باحثين عنها في أرض الحديقة بلا تفهُّم لمعنى الشغرةِ تحتَ السور . طووا الأرضَ من حول القصر ونشروها بحثاً . وصلوا حتى المعبد جنوباً . سألوا المنجمين عنها . رجعوا خائبين إلى القصر ، مترددين في إخبار أحد عن اختفاء الأنثى الإنسية . صعد أحدهم إلى جناح مجْمع الذباب ، قبل أن ينزل الأدراج يتبعه الشاعر داميكو لاهثاً كالمذعور .

«أين هايكاهيكسين؟» ، ساءلهم داميكو ، فردَّ الذي صعدَ إلى مجمع الذباب ساخراً من سؤاله :

- لو كنا نعرف لَمَا سألناك ، ياداميكو .

«ما الثغرة التي أخبرتني عنها ، تحت السور؟» ، تساءل داميكو طافحَ الذهول من حركات يديه القلقتين .

«نفق» ، ردَّ أحد الموكلين بكائنات الحديقة .

«هل انسلت هايكاهيكسين من النفق هاربةً؟» ، تساءل داميكو .

لم يردَّ أحد منهم على سؤاله الشاحب ، الباهت . تلفتوا بأبصارهم على أبهاء القصر كلها يخمِّنون مَن الأَوْلى بإخباره اختفاءَ الأنثى الإنسية . غمغم أحدهم :

- فلْنخبرْ ريكما .

«بل نخبر شيكتان» ، اقترحَ واحد آخر من الأربعة .

هرَّ ثالثٌ كالمستحصِل اختياراً أنسب :

- الأفضل أن نخبر نينيسو .

غمغموا معاً موافقين . وثبوا ، يتبعهم داميكو بهريره ، في اتجاه ركن شيكتان . مروا من أمام باب الركن مستطلعين داخله . كانت شيكتان هناك منشغلة ببعض الأجربة المعلَّقة إلى خطاطيف من قرون البهائم . عبروا من غير سؤال عن مطيتها . اتجهوا إلى باب القصر . لبثوا هناك وقتاً قبل أن تظهر نينيسو قادمة . هرعوا إليها يستوقفونها .

«أتعرفين أين تكون هايكاهيكسين؟» ، سألها أحد الأربعة .

«لا أعرف» ، ردت نينيسو . تساءلت : «ماالأمر؟» .

«لم نجدها في الحديقة» ، رد أحدُهم .

«ربما تصطحبها المنجمة بونيا في نزهة» ، قالت نينيسو .

«لا أعتقد» ، عقَّب أحدهم نفياً لتخمينها . أردف : «هناك ثغرة تحت السور ، تمتد من ركن هايكاهيكسين إلى الخارج» .

«أتُلمِّح إلى أن هايكاهيكسين خرجت من الحديقة حَفْراً تحت أساس السور؟ ما حاجتها إلى حَفْرِ ثغرة للخروج؟» ، تساءلت نينيسو .

«ذلك ، تحديداً ، مايحيرنا» ، ردَّ أحد الأربعة .

«أدقَّقتم في آثار قدميها خارج السور؟» ، ساءلتهم نينيسو ، فردَّ أحدهم :

- دقَّقْنا . هناك آثار أقدام عديدة ، لكنها تتلاشى أبعدَ من السور بثلاث وثبات . محتها الريح .

هزَّت نينيسو هريرَ استغرابٍ وتحيُّر . دارت بعينيها على وجوههم . ساءلتهم :

- من أخبرتم باختفاء هايكاهيكسين؟ .

«لا أحد سواك» ، ردَّ أحدهم .

«بل يعرف باختفائها شاعر مجمع الذباب داميكو . أنا استعلمتُ منه إن كان يعرف أين تكون هايكاهيكسين» ، قال واحد آخر .

«أنا سأتولى التحري في اختفائها» ، قالت نينيسو . وَثبَت ماضيةً إلى غايتها في أعماق القصر . لم تتوقف عند مستشاري كاشاجو الأربعة أرادوا إيقافها لأمر مَّا . عبرت البهو الأعظم ، ثم بهواً صغيراً يليه ، حتى ركن سيدتها شيكتان الثَّنيةِ العميقة في الجدار الشمال من القصر . دخلته .

«هناك ما يحيِّر الموكلين بحيوانات الحديقة ، ياشيكتان . هم لم يجدوا ، اليوم ، هايكاهيكسين» ، قالت نينيسو .

«ماالمحيِّر في هذا؟» ، تساءلت شيكتان ، فردت نينيسو وهي تتأمل يدي شيكتان منشغلتين بفكِّ وِكاءٍ عن فم أحد الأجربة :

– هناك ثغرة تحت السور ، حيث ركنُ هايكاهيكسين .

«ثغرة؟» ، تساءلت شيكتان ، وهي تعيد إغلاق فم الجراب . «ماذا تعنين ، يانينيسو؟» .

لم تجب نينيسو على سؤال سيدتها ، بل تساءلت : «ألا تخافين لمس هذا الجراب؟» .

حدقت شيكتان إلى مطيتها ، التي تعرف أن ذلك الجراب ، تحديداً ، يحوي طحيناً من عظام سيقان الأجنة الموتى ، الذين لم تكمل الكُراتُ الحجر الحواضنُ أنضاجهم من ذباب استن[illegible] كاشاجو وشيكتان ، فأجهضتهم الكُراتُ الحواضن .

عظام سيقان الأطفال مسمومة ، قبل بلوغهم اليفا[illegible] مات طفل طحنت عائلته عظام ساقيه ، وحفظت الط[illegible]

نفخ جنيٌّ بعضه في وجه جني آخر ، صعق وجَمد ميتاً من فور استنشاقه . طحين سيقان الأجنة المجهضة ، التي تحتفظ شيكتان به في جراب ، مسموم ، بل أشدُّ سُمِّيةً من طحين عظام الأطفال . وهي كانت مشغولة بجراب من تلك الحاوية غبارَ القتل حين دخلت عليها نينيسو بخبر اختفاء الأنثى الإنسية . وإذْ سألت سيدتَها بنبرٍ فضول عن الجراب ، انعطفت شيكتان عن سؤال مطيتها إلى تكرار سؤالها هي ، معيدةً الجراب إلى موضعه :

– ثغرة؟ ماذا تعنين ، يانينيسو؟ .

«أعني ثغرة تستطيع هايكاهيكسين العبور منها إلى خارج السور . ذلك ماقاله لي الموكلون برعاية البهائم في الحديقة» ، ردت نينيسو .

هزَّت شيكتان بنبرٍ مستغرب . تساءلت :

– أتظنينها هربت؟ .

«لم يبدُ في طباعها أنها لاتطيق الإقامة في الحديقة» ، ردت نينيسو .

غمغمت شيكتان تتدبر تأويلاً :

– لانعرف من أين جاءت هايكاهيكسين إلى أرض زينافيري . ربما لن نعرف أين ذهبت أيضاً .

«ماذا يجب أن نفعل؟» ، تساءلت نينيسو . «حين يُنهي كاشاجو عزلتَه ، ويعرف باختفاء هايكاهيكسين سيُصدم» .

«أين مطيته لِيْلُوْت الجديد؟» ، تساءلت شيكتان . «أرسليه يستطلع أزقة زينافيري» .

«ليلوت معتزل كسيده ، ياشيكتان» ، ردت نينيسو .

«ليلوت معتزل؟ أين يعتزل؟ هو لم يبدأ خدمة كاشاجو بعد» ،

تساءلت شيكتان . «أخرجيه من جُحره» ، هتفت .

هرَّت نينيسو مترددةً :

– لن يستحبَّ ليلوت تلقي الأمرَ مني .

«أين هو؟ اجلبيه إليَّ» ، قالت شيكتان .

«في ركنه» ، ردت نينيسو . استردَّت من خاطرها سؤالاً نحَّتْه قليلاً حين رأت سيدتها ممسكة بجراب الطحينِ المسموم . ساءلتها :

– كم في ذلك الجراب من طحينِ عظام نسلك المجْهَضين؟ .

حدقت شيكتان إلى مطيتها برهةً قبل أن تجيب :

– طحين من عظام عشرات السيقان .

«ألن تحاولا ، أنت وكاشاجو ، أن تتشاركا في استنسالٍ جديد ، بعد موت سوك؟» ، ساءلتها نينيسو .

«أحضري ليلوت» ، ردت شيكتان في تجاهل لسؤال نينيسو ، الذي استثقلتْه ربما .

انطلقت نينيسو وثباً إلى الثنايا المطاوي الغائرة عميقاً في الجدار الجنوب من القصر ، المقابل لركن كاشاجو في الشمال ، حيث استقر ليلوت هناك ، في ركن إلى جوار أركان المستشارين ، وأمناء الأسرار ، وبعض السُّمار الدائمين ممن لايفارقون سلطان زينافيري في لياليه المعتمة إذْ لايوقد الجن نيراناً ، والموقوفة ـ في هدوء ـ على الأسئلة الكبار للجن عن أكوانٍ محتَمَلة وراء كونهم ذي الزوايا الثلاث ، وعن قبائل سائرة بلا توقف ، في البعيد الأبعد من ممالك الأعالي السيَّارة كالنجوم .

«ليلوت» ، نادت نينيسو مطيةَ سلطان زينافيري ال[illegible] الواقف ملتصقاً بالجدار الخلفي لركنه كالمتخفِّي ، محاذياً [illegible] إلى ركن سيده المسدل الستار على مدخله .

هرّ ليلوت العملاق ، ذو العين اليمنى البنية الحجر واليسرى الرمادية ، من عمق الثنية الوسيعة ، الغائرة في الجدار . غمغم :

- ماذا تريدين ، يانينيسو؟ .

«تريدك شيكتان» ، ردت نينيسو .

تحرك ليلوت في ثقل زحفاً بقدميه على الأرض الرمل ، قبل أن يثب وثبةً أوصلته إلى باب ركنه ، قبالة نينيسو .

ليلوت جديدٌ في خدمة سلطان زينافيري ، بعد مقتل مطيته شاكد ، لكنه على معرفة بالقصر وبقاطنيه ، مُذ كان يحضر اجتماعات كاشاجو مع سيده الأول darديك ـ سيد إحدى فرق المحاربين السبع عشرة . وقد أهدى darديك عملاقَه ، ذا العينين المتخالفتين لوناً ، والصوت العميق كرعد في كهف ، إلى كاشاجو بعد فقده مطيته ، من غير أن يتسنى للمطية العملاق أن يحظى من كاشاجو بامتطاء ، أو بتكليف في غاية من غاياته ، لأن سيد القصر اعتزم دخول مُعْتَزَله ، فأزمع ، هو أيضاً ، أنْ يخْلد إلى اعتزالٍ بدوره . وها نينيسو في طلبه برغبة سيدتها شيكتان أن يحضر بين يديها .

لبَّى ليلوت الاستدعاءَ ممتثلاً لأمر زوجة سلطان زينافيري . سُراعاً لاقاها مع نينيسو في ركنها ، وعلى عجل وافتْهما شيكتان بطلبها :

- اقْلِبا زينافيري أعاليه أسافله . لا ترجعا إليَّ من غير هايكاهيكسين .

هرَّ ليلوت هريرَ المتلقي مهمتَه الأولى في قصر زينافيري . زأر قبل أن يثب مرتفعاً ، فلحقت به نينيسو .

عادت شيكتان إلى جراب السموم الصغير . حَوَتْه بيديها الكبيرتين . جرَّت قدميها زحفاً ، بلا وثب ، على الأرض الرمل إلى

باب ركنها . طوَّقت البهوَ الأعظم ، فالأبهاءَ الصغار كلَّها ، ببصرها المتفحِّص : أنفارٌ متباعدون ، أو متقاربون في أركان القصر . جماعات صغيرة . عابرون إلى أدراج مَجْمع الذباب . إناث من المستأجَرات ينزلن الأدراج ، أو يصعدنها إلى جناحهن في الطبقة العليا ، مصطحبات ذكوراً يطلبونهن شريكاتٍ في الاستنسال . فلولٌ متفرقة من أولاد الأسياد . عمالٌ بأحمالٍ من العظام على أكتافهم قادمين بها إلى أمين خزائن القصر .

إنها المشاهد معتادةً في البناء القوي ، الوسيع المترامي الأركان .

تراجعت شيكتان قليلاً إلى داخل ركنها ، مستكملةً فحص حركة الأنفار ، والثلل ، من وراء عارضة مدخل الثنية ، متقصِّدةً أن لاتُرى . تأملت الجدار الجنوب من القصر ، حيث الثنايا الغائرة الكثيرات تقابل مثيلاتها من الثنايا في الجدار الشمال : كانت فارغة من قاطنيها في ذلك الوقت من النهار . فكَّت الوِكاءَ عن فمِ جرابِ السموم . أدخلت يدها فيه فالتقطت حفنةً . وضعت الجراب أرضاً . وثبت وثبتين قصيرتين منعطفةً صوب الثنية المجاورة لركنها . وقفت على مدخل الركن في تحديق شديد إلى أعماقه ، من زاوية الستارة التي رفعتها بأناملها .

كان كاشاجو مستديراً بوجهه إلى الجدار الخلفي في ركنه العميق ، الوسيع ، كأنما يتأمل ، في الخلوةِ الاعتزال ، أسلحتَه متدليةً شتىً من خطاطيفَ عظام ، أو ينقل خطوات قلبه على لوحين من الصفافيح الحجر ، على أَحدهما نقشٌ وجه سوك ، وعلى الآ[illegible] رسمٌ لهيئة الأنثى الإنسية فيِ المعبد ، إذ ظهرَ المحرابُ خلفها .

تقدمت شيكتان زحفاً بقدميها في الأرض الرمل [illegible]
ظهر زوجها ، الذي هرَّ بصوته الحجر خفيضاً : «[illegible]

ياشيكتان» ، قال . مال بوجهه إلى كتفه اليمنى من غير نظر إلى الخلف : «أنت تقتحمين عزلتي» .

اقتربت شيكتان أكثر من كاشاجو الأصم . رفعت قبضة يدها اليمنى وراء رأسه . فتحت راحتها على حفنة الطحينِ السم . نقرت بأصابع يدها اليسرى على كتفه .

استدار كاشاجو على مهلٍ شديد في قناعه ـ قناع وجه سوك . فتح فمهُ عن هرير تجمَّد في حنجرته : لقد نفخت شيكتان ، في قوة ، على الطحين السُم في راحتها ، فأرسلت سحابة صغيرة إلى وجه سلطان زينافيري .

رعشةٌ لا تُلْحَظ عَرَت جسد كاشاجو مُذ سمع بأذنيه ـ هو الأصم ـ مخاطباتٍ دائريةً بألسنةِ لهب ، وتذوَّق بلسانه هديرَ الأفلاك التي اجتازتها روحه إلى الصميم النار . نَفَسٌ برتقاليٌّ الغبارِ سال من منخريه ضعيفاً . تجمَّدَ بفمٍ مفتوح ، واقفاً كنُصُبٍ حجر يرتدي قناعاً من جلد .

تراجعت شيكتان إلى قُربٍ من باب ركن زوجها . استرقت النظرَ إلى البهو فلم ترَ من يلحظها . وثبت وثبتين قويتين بانعطافٍ إلى باب ركنها . دخلتْهُ لاهثَةً . مرَّغت يدها اليمنى في الرمل طويلاً تنظفها من الطحينِ السم . أعادت الجراب الملقى أرضاً إلى موقعه في عمق الركن بعد إغلاقه بالوكاء . وضعت أذنها على الجدار الملاصق بالعظام المتراكبة جدارَ مُقام زوجها تتنصَّت ، فلم تلتقط غيرَ صوت الريح ذي اللسانِ الشَّعَبِ الآلاف متسللةً إلى الأبهاء من بوابة القصر الكبيرة ، ومن الثغرات في الجدران . أحست برداً تحت جلدها الجاسئ . زأرت مكمِّمةً فمَها بيديها .

من جهة المعبد الغربية ابتدأ ليلوت ونينيسو بحثهما عن

هايكاهيكسين . استوقفا أطفالاً ممن استثناهم حُكْمُ النفي يستخبرونهم عن الكائنة ذات القدمين اللتين في مقدَّمهما أصابعُ قِصارٌ ، تمشي بهما مشياً بنقلهما متلاحقتين لا وثباً كوثب الجن . سدَّ ليلوت العملاق أزقةً بفتح ذراعيه يستخبر العابرين عن الأنثى التي بأنف نافر في وجهها ، ولعينيها أجفان من جلودٍ رِقاق تغمض وتفتح . دخلا الساحات الدائرية بين مجامع المساكن مستخْبرَيْنِ عن الأنثى التي برجلين تنثنيان من الركبتين إلى أمامٍ ، لا إلى خلف كأرجل الجراد .

كلّ الجن في أزقة الناحية الغربية من المعبد أنكروا رؤية هايكاهيكسين ـ هم الذين كغيرهم من جن إقليم زينافيري يحفظون صورتَها محفورةً في لوح الغرائب من ذاكراتهم الكُلية . وقد وَدُّوا ، إذ سُئل الكثيرون منهم عن الإنسانة ، لو أنهم رأوها عابرة في أزقتهم ، من جديد كرؤيتهم لها ، قبل أمدٍ ، تصحبها المنجمة بونيا في نزهاتها الصاخبة من هَرْج الأطفال محيطين بهما .

«ما الذي قد يستدرج هايكاهيكسين ، بإثارة فضولها ، إلى مغادرة الحديقة؟» ، سأل ليلوت رفيقته نينيسو .

«كل شيء» ، ردت نينيسو . استدركت : «لا أستطيع التخمين» .

«كانت هايكاهيكسين تخرج إلى أزقة زينافيري في صحبة بونيا أحياناً» ، قال ليلوت . «رأيتهما معاً» .

«أعرف» ، عقَّبت نينيسو .

«إلى أين كانت تأخذها بونيا؟» ، تساءل ليلوت .

«ماالذي في إقليم زينافيري سوى الجن ، والق[illegible]
والمعبد ، وأرض صُنَّاع مانعات الرياح ، وواحة كيما ، وهذ[illegible]

لاكيلا؟» ، ردت نينيسو بسؤال على سؤال مطية كاشاجو الجديد .

«أصعدت بونيا بهايكاهيكسين إلى الهضبة؟» ، تساءل ليلوت ، فردت نينيسو :

– لا يصعدها إلاَّ كاشاجو والأسياد في أعيادهم .

«ماذا عن حانة ياموز؟» ، تساءل ليلوت .

«حانة ياموزّ؟» ، تساءلت نينيسو بدورها . أضافت : «أتظن أن هايكاهيكسين زارت حانة ياموز؟ ماذا قد يفعل مخلوق من غير الجن هناك؟» .

رنَّت من الجهة الجنوب ، وتصافعت ، رعودٌ حجر ، قارعةً باسطواناتها اللامرئية المعادن على الفراغ الحجر ، وتمرَّغت بروقٌ في رمال البروق على ساحات الأعالي .

أشار ليلوت بيده إلى آخر لهبٍ أومض بثعبانه :

– واحة كيما مثيرة بمخلوقاتها .

«مثيرة . نعم» ، وافقت نينيسو ، من غير أن يخطر لها سبب ذكر ليلوت للواحة .

«أيُحتمل أن هايكاهيكسين قد تزور الواحة؟» ، تساءل ليلوت . هزَّ غير واثقٍ من تقديره . لكنَّ ومضاً من المعاني أضاء لسانه :

– لو كنتُ هايكاهيكسين ، يانينيسو ، لكان لديَّ فضول واحد لاغير : أين أعثر على كائن من نوعي؟ .

غمغمت نينيسو موافقة . هزَّت رأسها :

– لو كنتَ هايكاهيكسين لابتدأت حيرتك الكبرى هنا ، ياليلوت .

«حيرتي من ماذا؟» ، تساءل ليلوت .

«حيرتك أنك لن تعرف من أين تبدأ البحث عن كائناتِ نوعك» ، ردت نينيسو .

«ألا تعرف هايكاهيكسين من أين جاءت؟» ، تساءل ليلوت .

«لو كانت تعرف لرحلت» ، ردت نينيسو .

«ربما آثرتْ ألاَّ تعود إلى أرض نوعها» ، خمَّن ليلوت .

غطى هياجٌ ، وهرج ، من أحد الأزقة ، على تساؤلاتهما ، لمَّا اندفع جنٌّ مختلطون في وثبٍ جامح ، قادميْنَ في اتجاه نينيسو ، وليلوت الذي حاول إيقاف بعضٍ المندفعين فصدموه ومروا .

«لِمَ يهربون؟» ، تساءلت نينيسو بصوت ضاع في الهياج .

زأر ليلوت متنحياً عن عُرْض الزقاق . ألقى بَصره ـ هو الطويل العملاق ـ على مؤخَّر الحشد المندفع . تكلم بنبرٍ كأنه فوجئ :

– أرى راتو .

تطاولت نينيسو لترى مايراه ليلوت ، فلم تستطع بلوغ مؤخَّر الحشد ببصرها . سألت صاحبها ليلوت :

– ماذا أثارك من رؤية راتو ، مطية ماياكي؟ .

«إنه يركض بأنثى على كتفه» ، رد ليلوت .

غمغمت نينيسو بنبرٍ فضول ، قبل أن يضيف ليلوت فضولاً آخر إلى خبره :

– ماياكي يحمل أنثى على كتفه .

لم يدم تساؤلهما أكثر من لمحة ، لَمَّا تكشَّف واضحاً أن عميد محاربي زينافيري ، وأعوانه الأقوياء ، يطاردون جنًا هاربين اختلطوا بغيرهم من عابري الزقاق . وكان واضحاً أن الهياج أثار عدوى التدافع في المطاردة حتى ممن هم غير معنيين ، فتلاحقوا كأنما الكلٌ يطارد الكلَّ بلا تمييز .

«قبضوا على إناث» ، قال ليلوت ، حين لمح ، إضافة إلى الأنثيين على كتفي ماياكي ، وراتو ، محاربيْنِ أطبقت يداهما على ذراعي أنثى ثالثة ، كلٌّ من جهة ، وهي بعدُ في قناعٍ من صورة هايكاهيكسين لم يسقط عن وجهها .

هرَّت نينيسو إذْ جاورها راتو ، الذي التفت إليها بعينين ينبضُ حجرُهما في محجريه . هتف بها وقد جاوزها وثباً :

- يوم جيد لصيد الأقنعة .

«فلنلحقْ بماياكي ، ياليلوت . لقد تصيَّدوا ، أخيراً ، بعضاً ممن تسبَّبن في نكبة» ، قالت نينيسو . أردفتْ : «إنهن إناث» ، ثم وثبت تلحق بعميد محاربي زينافيري ، فلحق بها العملاق ليلوت .

توزَّع الحشدُ المتخالط من جموع الأزقة ، ومن الجُناة ، على مفارق الأزقة . لم يعد يُعْرَف المطارَدُ من الراكض بلا سبب ، لذا أوقف ماياكي المطاردة ، مكتفياً بالإناث الثلاث ، اللواتي سقط قناعا إثنتين منهن في محاولة النجاة ، وظلت الثالثة في قناعها بعدُ .

ربما كان في الحشد المتداخل هارباً إناثٌ أُخريات من مُجْهِضات ذباب الاستنسال في الأيدي الحواضن . ماياكي لم يهتم بنجاتهن منه مُذ أعلن ، من فور توقفه ، أن اكتفاءه بمن قبض عليهن هو كقبضه على جميعهن . نادى :

- فليُحضِر أحدُكم جلادَنا رادبور . سنستنطق الجانيات في المعبد .

أنزل ماياكي الأنثى المُعتقَلة عن كتفه . دار بوجهه على أتباعه فوقع بصره على العملاق . ناداه :

- احملْ عني ، ياليلوت ، هذه الجانية .

وثب ليلوت ليصير بإزاء عميد المحاربين . رفع الأنثى المأسورة خطْفاً فاستقرت ببطنها فوق كتفه .

كثيرون من جن الأزقة تتبعوا موكب ماياكي راجعاً صوب المعبد بأسيرات ثلاث ، قبل أن يتفرقوا في وصولهم إلى الفناء المحيط بهيكل الإله كوياسي . وفي الموضع هناك ، أيضاً ، صرف ماياكي أعوانه إلى ثكناتهم ، مُبقياً على القليل معه في دخوله المعبد .

راتو ، وليلوت ، ونينيسو ، وثلاثة آخرون من المحاربين الضخام ، كانوا البقية الباقية من موكب ماياكي حين انبرى للقائه خاميدس وبونيا المنجمان ، فبادرهما عميد المحاربين سائلاً :

- أوَصَل رادبور؟ .

«أأرسلتَ في طلبه؟» ، ساءله كبير المنجمين خاميدس وهو يزِن ببصره هيئات الإناث المعتقلات الثلاث ، محدِّقاً إلى القناع على وجه إحداهن . أضافَ : «من هؤلاء؟» .

«هؤلاء أُمهات النكبة في إقليم زينافيري» ، ردَّ ماياكي . عاد إلى سؤاله : «أين رادبور؟ بعثتُ إليه رسولاً» .

«هاهو» ، قالت نينيسو مُذ سمعتِ الزفيرَ الزئيرَ من حنجرة جلاد زينافيري الضخم ضخامةَ ليلوت نفسه .

لم يبطئ رادبور الجلاد وثبَه في دخوله المعبد . جرَّ رملاً وغباراً من خلف قدميه المشتعلتين نَهَماً إلى لقاء أسرى يستنطقهم باستنشاق ذاكراتهم . هرَّ هريراً مديداً لَمَّا لجم اندفاعه : «كلهن إناث» ، تمتم . قرَّب وجهه من وجوههن واحدة واحدة . أبقى بصره ثابتاً على ثالثتهن المحتفظة بقناعها بعد : «ألك ذاكرة هايكاهيكسين؟» ، ساءلها بصوت مستهزئ . نزع القناع عن وجهها .

«إبدأ الآن ، يارادبور» ، قال ماياكي مستعجلاً استنطاقَ الأسيرات . أمسك بِعَضُد جلاد زينافيري مستدركاً : «لا تقل لي إنك ستستكمل استنشاق ذاكراتهن إلى ذاكرتك في أربعين يوماً» .

«هذه مدة لجمع كل تفصيل في ذاكرة معتقَل» ، ردَّ رادبور .

«لانريد كلَّ تفصيل ، يارادبور ، بل اسمَ المحرِّض لهنَّ على هذه النكبة» ، قال مايا كي .

«الآن؟» ، تساءل رادبور .

«الآن» ، رد مايا كي .

فتح رادبور ذراعيه الطويلتين أمام أبصار الأسيرات الثلاث . خاطبهن بصوت بارد :

– لاأراني مضطراً إلى استنشاق ذاكراتهن . سأبدأ بالأسنان .

هزَّت المأسورات الثلاث ارتعاداً . جنيٌّ بلا أسنان لن يأكل ، ماتبقى له من وقت مشكوك فيه ، سوى الرمل مضْغاً بلثته . فَحَحْنَ اضطراباً من تخيُّلِ النَّكَال بخلع أسنانهن . نقلن عيونهن على الوجوه ، من المنجميْنِ إلى مايا كي ، ومن راتو إلى نينيسو فَليْلوت ، في توسُّلٍ لم يجتذب ومضَ رأفةٍ من عيني أحد .

صرَّت إحدى الثلاث بأسنانها . تكلمت :

– أنا حرَّضتُ صاحبتيَّ .

«سأبدأ بصاحبتيك إذاً ، لأنهما لم تعارضا» ، قال رادبور .

ارتجَّ المعبد من زئير مايا كي بغتةً :

– ماهذا التلكُّؤ ، يارادبور؟ ابدأْ خلعَ أسنانهن .

مدَّ رادبور يديه الكبيرتين فاحتوى بهما رأس إحدى الثلاث . ضمَّ رأسها تحت إبطه . أدخل إصبعه معقوفةً في فمها ثم شدَّها فأخرج سنَّيها الثَّنيَّتين العُلويتين . رمى بهما إلى بونيا : «هذه حصة

المعبد» ، قال . أفلت الأسيرةَ غارقةً في هريرها الأنين . مدَّ يديه ، من جديد ، فاطبقهما على رأس واحدة ثانيةً ، لم تنتظر أن يفعل بها جلاد زينافيري مافعل بصاحبتها . زأرت بصوتٍ يأس :

– شاتار .

أرخى رادبور يديه عن رأسها . غمغم :

– ماذا قلت؟ .

انبرت نينسو ناطقةً على عجل :

– ذكرتْ اسمَ شاتار .

«شاتار؟» ، تساءل مایاكي . «أليست هي المتزعمة جماعة الإناث التَّريكات؟» .

«نعم . هي شاتار» ، ردت نينيسو .

التفت مایاكي إلى الأنثى المعترفة :

– أشاتار حرَّضتكن على ماتفعلن؟ .

هزت الأسيرة رأسها إيجاباً بلا كلمات . أطرقت ببصرها أرضاً خجلاً من نظر صاحبتيها إليها .

«كم عددكن؟» ، ساءلها مایاكي .

نينيسو تعرف مصير جُناة يعترفون بهدمهم الأعرافَ في زينافيري ، أو إهانتها . وهؤلاء الثلاث ، ككل الجناة المعترفين ، سيُعدَمْنَ رمياً بالترقوات العظام داخل المعبد ، حتى يصعد من زفيرهن غبار برتقالي ، ناثراً في بَدَدِهِ أرواحَهن على المخاطَبات بألسنة لهب . وهي - نينيسو - لن تنتظر اكتمال استنطاق رادبور للأسيرات ، بأسئلة عن عددهن ، ومعقلهن ، ودوافع شاتار في التحريض على جرائمهن . لذا اقتربت من ليلوت هامسةً :

– أنا عائدة إلى القصر .

حدق إليها العملاق في استغراب . هامسَها بدوره :

- ماذا عن هايكاهيكسين؟ .

«سنجدها . لاتقلق» ، ردت نينيسو . وثبت وثباً طويلاً في مغادرتها المعبدَ إلى سيدتها بخبر افتضاح مكيدة شاتار المروِّعة .

ثلاث من صاحبات شاتار كنَّ في الطريق ، بدورهن ، إلى معقل الإناث التريكات وراء واحة كيما . لقد نجونَ من مطاردة ماياكي وأعوانه ، لكنهن شاهدنَ سقوط ثلاث في أيدي المطاردين . هُنَّ تخلَّصنَ من أقنعتهنَّ فورَ شعورهنَّ أنهن الإناث الست بِتْنَ في مرمى ملاحَقة تتقاصرُ حظوظُ النجاة فيها بطرائق الخداع التي اعتدْنَ سلوكَها ، كإحداث شجار في الزقاق يشتت المطارِدين ، أو افتعال سقوط يجعل العابرين ، واللاحقين بهنَّ ، يتعثر بعضهم ببعض فيَفْلَتْنَ .

كُنَّ ستّاً هذه المرة . كُنَّ قليلات . لم يسعفهُن التمويهُ بالحِيلِ بعد ضرب عددٍ من الأيدي الحاضنة ذباباً . خططُ قيام كَثرةٍ منهن بالشغب المروِّع أبقتهن ، طويلاً ، في نجاةٍ من المتحرِّيْنَ المطارِدين . واحدة ، أو اثنتان ، عادةً ، كان عدد الموكَلاتِ بالمهمة ، فيما تتولى الأخريات تدبير المنفذ لنجاتهن . أمّا أن تقوم ستٌّ منهنَ بتولي الضرب على الأيدي ، معاً ، مرتديات أقنعتهن ، فذلك مَا قلبَ الخطةَ عليهن قَلْباً لن تحتمله عظام الثلاث الأسيرات منهن ، ولحومهن ، وجلودهن : عظامهن ستُجفف مؤنةً للمنجمين في الأرجح ، ولحومهن ستكون وليمة طيور لاكيلا ، وجلودهن سيرتديها ، يوماً ، أطفالٌ في الأزقة حول المعبد .

ليس ذلك حَسْبُ هو التحصيل الأخير من انقلاب الخطة على الست التريكات : رادبور سينتزع ذاكرات المأسورات استنشاقاً ، أو

سيلتقط اعترافهن ، بمنقار طرائقه في الاستنطاق ، من أكبادهن الألياف رَمْلةً رملة .

حَثَّت الثلاث الناجيات أقدامهن وثباً لايشبه الوثبَ ، بل طيرانَ الجراد ، في سباق مع الأقدار إلى معقل زعيمتهن شاتار . محاربون يقودهم رادبور ، مطيةُ مایاكي ، أو إبن سلطان زينافيري ريكما ، أو واحد من أسياد الفِرق ، سيظهرون عاجلاً في القَفْر الذي استوطنتهُ التريكاتُ .

لم تستطع الثلاث المتسابقات تثبيت صور في ذاكراتهن عمَّا سيحدث لجمعهنَّ بعد السقطة . عضضن بنواجذهن على الرمل المعصوف من نفْخ الريح تلقَّفته أفواهُهن المفتوحة لهاثاً .

«ماذا تُسمِّيْنَ هذا الحيوان ، ياهايكاهيكسين؟» ، ذلك ماساءلت إحدى صاحبات شاتار الأنثى الإنسيةَ جالسةً أمام مدخل مسكنها الحفرةِ تأكل ثماراً ، قبل وقت قليل من وصول الثلاث الناجيات .

«ماذا تسمِّيْنه إنْ خُيِّرتِ أنت؟» ، ساءلتها صاحبة لها ، فردت إحداهما :

- أسميه كَالْبَاهُوْند .

- مامعنى ذلك؟

- أينبغي أن يكونَ لاسم هذا الحيوان معنى؟ .

«فِيمَ تتجادلان؟» ، ساءلتهما واحدة أخرى ، فردت إحداهما :

- في منح هذا الحيوان اسماً .

- سمَّيه شاتارْ .

- لِمَ لا؟ .

نادت التي اقترحت الإسمَ على زعيمتهن :

– شاتار .

«نعم» ، ردت شاتار وهي تضيف أضاميمَ من الليف إلى غطاء مسكنها المموَّه .

– رُوْسْدَانْ تريد تسمية حيوان هايكاهيكسين باسمك .

– لا اعتراض لدي .

– ماذ تفضِّلين ، ياشاتار للحيوان : اسمَك أمْ ما اقترحتْه رَابُوْك؟ .

– ماذا اقترحتْ رابوك؟ .

«كالباهوند» ، ردت روسدان . أضافت : «لكنْ لا معنى للاسم» .

– ألاسمك ، ياروسدان ، معنى؟ .

– نعم . له معنى .

– مامعناه؟ .

– بحسب ما أشاءُ له من معنى .

هرَّت إحداهن منتصبة في استقامة كخيط . «لماذا يقفزن هكذا؟» ، تساءلت وقد أبصرت ، في البعيد ، ثلاثاً من فصيلها التريكات ، آتياتٍ في وثبٍ يَعْلَون به عن الأرض كأنهن يطاولن سحائب الغبار المعصوف .

سَرَتِ الغمغمات ، والهرير الخفيض من الحناجر حين صوَّبتِ الإناثُ جميعهن الأبصارَ إلى الآتيات سُراعاً تنبئ قفزاتهن بما يُريب .

خفَّت شاتار وثباً قصيراً ، متمهلاً ، للقاء الثلاث ، تستقرئهن ببصرها المتفحِّص . ولَمَّا صِرْنَ قبالتها انهَرْن أرضاً مستلقياتٍ في لهاثٍ مختنق .

«ماذا بكُنَّ ، ياوَاوَاي؟» ، سألت شاتار إحداهن بنبْرٍ متطيِّر ، مستشعرةً ما لا يُحمد . «أوَصلتُن إلى مدينة زينافيري وعدتُنَّ؟ أأنتنَّ ريحٌ؟ « ، قالت تلميحاً إلى المسافات الطوال قطعنها منذ مغادرتهن فجراً حتى عودتهن عصراً ، على نحوٍ مفرط في سرعته .

«اعتُقِلت نِيْكْسُو ، وباتُوْن ، وَوارُو» ، ردتْ واواي المنهارةُ بنبرٍ متآكل .

«ماذا؟» ، زارت شاتار مصدومة .

«اعتُقِلْنَ» ، ردت واواي في تأكيد .

«مَنِ اعتقلهن؟ ماذا فعلن؟» ، تلاحقت الأسئلة على لسان شاتار .

«عميد المحاربين ماياكي ، وأعوانه» ، ردت واواي .

نقلت شاتار بصرها على الثلاث المستلقياتِ رَهَقاً . كررت نصف سؤالها السابق :

– ماذا فعلنَ؟ .

«ماذا تظنينهنَ فعلنَ ، ياشاتار؟» ، غمغمت واواي .

«سألتُك ماذا فعلن؟ أتسمعين؟» ، هرَّت شاتار في ضِيْقٍ صاحبَه الهريرُ من حلقة الإناث المحيطات بصاحباتهن المُرهَقات .

«أجْهَضْنَ بعضَ الأيدي من ذبابها» ، ردت واواي .

بدت شاتار متحيرة ، منهوبةَ القلب . دارت بوجهها على وجوهٍ كُثُر من حولها . تساءلت بصوت متخبِّط في حنجرتها :

– ماذا كان اتفاقنا بعد أن نفى سلطانُ زينافيري أطفالاً؟ .

لم تنطق أيٌّ من فصيل الإناث التريكات ، كأنْ لا حاجة إلى جواب ما دمن يعرفْنَه بلا نقصان .

«اتفقنا أن لانجهض يداً تحضن الذباب» ، قالت شاتار في نبرٍ

زئير تذكيراً . أردفت : «لم نعرف أن أطفالاً من زينافيري سيقلدوننا . أرأيتم أيَّ مصيرٍ هم فيه؟» .

هزّت واواي وهي تنهض بعد استلقاءٍ من شدة الإعياء :

– ماذا توقّعت من أفعالنا بالحاضنينَ والحاضنات ذباباً؟ ماذا كنا نفعل؟ .

«كنا نثأر لأنفسنا من أقدار ظالمة في إقليم زينافيري» ، ردت شاتار .

«هذا ما حاولنا أن نفعله اليوم أيضاً» ، قالت واواي وهي تُعِيْن صاحبتيها الأُخريين على النهوض واقفتين .

زارت شاتار مقتربة بوجهها من وجه واواي كأنما ستعضها :

– ظَلَمْنا أطفالاً ، ياواواي . لذا اتَّفقنا أن نتوقف .

هزّت الثلاث الناجيات من غير تعقيب على كلام شاتار ، التي استفسرتهن بنبرٍ عنيف :

– أتولَّيْتُنَّ ضربَ الأيدي أنتنَّ الستُّ معاً؟ .

«نعم» ، ردت واواي .

«ياللحماقة !!» ، صرخت شاتار . وثبت هاربةً من أشباح تقتحم خيالَها بالأسئلةِ الشَّفراتِ تَشرُمُ أحشاءَها . زأرت كما لم تزأر من قبل . عادت وثباً إلى الفصيل . بادرتْهنَّ :

– كم سيستغرق استنطاق جلاد زينافيري لصاحباتنا؟

«أظن أن المطارِدين من أعوان مـاياكي هم في الطريق إلينا» ، ردت إحداهن .

«ماذا ننتظر ، إذاً؟» ، صاحت شاتار .

«ننتظر ما تنتظرين» ، ردت التي خمَّنت أن المطارِدين قادمون .

هبَّت شاتار وثباً في اتجاه مسكنها : «احملْن ما تستطعن من

المؤن على عجل» ، قالت .

تفرّق فصيل الإناث التريكات ، في لُمح ، كل واحدة منهن إلى حُـفـرتهـا . دخلْنهـا . خـرجن بأجـربة ، وجًلود ، قَلِقـاتِ الـوثب ، مستعجلات .

«واواي» ، صاحت شاتار راكضة ببعض أحمالها صوب منزل الأنثى الإنسية : «اصعدي الكثيبَ هناك ، ياواواي . قلبي ينبئني أنهم قادمون» .

صعدت واواي كثيباً هو الأوحد في القفر المحيط بمعقلهن ، غيرَ عال . غاصت رجلاها حتى منتصفيّ الساقين في الرمل لمّا انتصبت فوق قُلَّته مستطلعةً أفقَ الأرض الشمال . صاحت : «لا أرى أبعد من طيف واحة كيمـا ، ياشـاتار . الريح تطير بالرمل إلى الشرق» . نزلت تضيف صياحاً إلى صياحها :

– ماذا نفعل بهايكاهيكسين؟ .

«نأخذها معنا» ، ردت شاتار .

سلكت قـافلةُ الإنـاث التّـريكات الأرضَ الرمل جنوباً ، مُـذ ارتأين ، ارتجـالاً من ضـيق الوقت وفـزع الحـال ، أن يبـتـعـدن عن المسـالك إلى واحـة كـيـمـا ، في اتجـاه القـفـر الأبعـد وراء أسـواق كـاتراميل ، بانعطافٍ من الجنوب إلى الغرب ، حيث توجد واحة صغيرة جداً ، بلا اسمٍ ، قد يعتمدن فيها صيد الأرانب المرقطة بنقاط رمادية وخضر على جلودها العارية من الأوبار ، ريثما يتفكرن في محلٍّ آخر يتّخذنه معقلاً لفصيلهن .

سِرْنَ العصـر ، فـالمغيب ، فـالليل كله ، بين وثب طويل ووثب قصير يراعين به حالَ الأنثى الإنسية في مشيها بجراب الثمار ، وقربة الماء ، فيما توزّعن عنها حمْلَ الحوض الحجري ، والجلود . في

الفجر استرحن ، بانكشاف الجهات عليهن فارغةً إلاَّ من الريح يئنُّ الرمل بين أنيابها .

كشفن عن عظام في أجربتهن قضمن بعضها صامتات ، منبطحات على بطونهن كالجراد ، يدور الكلب بينهن حيناً ، ثم يرجع إلى سيدته الآدمية الجالسة ، التي تسلَّت ، في صمت الفصيل الجنيات ، بالرسم في الرمل لأشكال من كائنات نوعها ، متقابلينَ صفَّين صغيرين ، بأذرع ممتدَّة من كل واحد في اتجاه من يقابله ، كأنما هم في جدال ، أو يتبادلون الوعيد .

نهضت شاتار من استلقائها . وثبت إلى حيث الأنثى الإنسية في شُغلٍ برسوم خيالها . عاينتِ الخطوطَ الأشكالَ من عليائها ، فرفعت الإنسانةُ وجهها إلى الجنية . ابتسمت لها لحظةً ، ثم مررت راحة يدها على الرمل فمحت مارسمته .

«مَنْ هؤلاء ، ياهايكاهيكسين؟» ، ساءلتها شاتار ، واثقةً أنْ ما من جواب . زأرت ، بغتةً ، فانتفض فصيلُ التريكات واقفاتٍ على سيقانهن : لقد أبصرتْ شبحاً مختلط الشكل تماوجاً وراء شبكة الرمل المعصوف ، في بُعْدِ القَفْر الهائل ، قادماً من الجهة الجنوب ، حيث لا يتوقعن مَنْ يلحق بهن مِن هناك .

«تهيَّأنَ» ، قالت شاتار لصاحباتها اللواتي انكببن ، من فورهن ، على إخراج عظامٍ أسلحة من الأجربة ، وبعضِ شباك القنص . هَرَرْنَ متأهبات .

لم يطُل الوقت لتتَّضح هيئة الشبح القادم في وثبٍ متزن ، غير عجول . كانت من إناث الجن الضخام ، يتدلى من كتفها عظم طويل ، معقوفٌ ، مربوط الطرف بشريط جلد يجعله معلَّقاً إلى منكبها ، فيما الطرف الآخر في يدها كي لايلتطم بفخذها حين

تثِب . وإذ صارت على بُعد قفزات قليلة من فصيل الإناث التِريكات ، تمهَّلت متفحِّصةً جمعَهن بعينيها المستديرتيِّ الحجرين في وَقْبيهما . توقفت بإزائهن . هرَّت متفاجئة من مرأى الأنثى الإنسية . ساءلتهن بلا تمهيد :

– ما هذا الكائن؟ .

لم تردَّ أيٌّ من جَمْع شاتار على تساؤلها ، ملتزمات تحديقاً صارماً إلى الجنية الضخمة ، التي تملَّكها حذرٌ من ذلك الصمت .

«لستُ غريبة عن زينافيري» ، قالت في تمهيد يُطَمئنُ حذَرهنَّ منها . «أأنتن من زينافيري؟» ، سألتهن ، مبقيةً بصرها على الأنثى الإنسية ، والحيوانِ الكلبِ يجوب بين الجنيات أليفاً ، أنيساً ، ودوداً .

«نحن من زينافيري» ، ردت شاتار . «لم أرَكِ قبلاً» .

هرَّت الجنية الضخمة هريراً هادئاً تمهِّد به التعريف بنفسها لهنَّ :

– أنا شَاتيْك ، مطية تايتون الزرقاء الضفائر .

غمغمت شاتار في استغراب :

– أأنت مطية زوجة ماياكي؟ .

«نعم» ، ردت شاتيك .

«لم أرَكِ قبلاً» ، عقَّبت شاتار .

«لم تدم إقامتي في أرض زينافيري وقتاً طويلاً» ، ردت شاتيك .

«أنت لستِ من زينافيري .» ، قالت شاتار .

«لستَُ من زينافيري . أنا من قبيلة تُونسو . نجوتُ بص[illegible] الأولى وابنها داميكو من غزو قرود هيهمو» ، قالت [illegible]

فقاطعتْها غمغماتُ كُثر تهيُّباً من ذِكر القرود .

اقتربت منها شاتار . سألتها مستوضحة :

– من كانت سيدتك الأولى؟ .

– أم داميكو .

«شاعر مجْمع الباب؟!» ، تساءلت شاتار ، فردت شاتيك :

– نعم . هو .

بادلت شاتار صاحباتها نظراتٍ مغلقةَ المعنى . عادت ببصرها ، من جديد ، إلى شاتيك :

– كيف صرتِ مطيةَ تايتون ، زوجة ماياكي؟ .

«بعد موت سيدتي الأولى ، صرتُ في عهدة سيدتي الثانية تايتون» ، ردت شاتيك . استرسلتْ توضيحاً : «أمضيتُ أحد عشر عاماً في متاهات صحراء راموس ، هرباً بسيدتي وابنها من غزو القرود لأرض قبيلة تونسو . ماياكي عثر علينا على تخوم إقليم زينافيري ، فأسكنَنا حديقة منزله . تدبَّر للشاعر داميكو ، الحاذق في تصانيف الذباب ، عملاً في القصر . بعد وقت على وفاة سيدتي الأولى ، وانتقالي إلى عهدة سيدتي الثانية ، توسلتُ عميدَ محاربي زينافيري فرصةً للعودة إلى أرض تونسوكي أتفقّد أمرَها بعد غزو القرود» .

هزَّت الإناث التريكات مراراً في سماعهن الحكاية من فم شاتيك الضخمة . ساءلتها شاتار :

– ما أخبار قبيلة تونسو بعد الغزو؟ .

«لم أجد ناجياً . لم أقترب كثيراً من المساكن المقوَّضة ، والمندثرة . رأيت أشباح قرود هيهمو على التخوم كلها . أظنها ستنزح في اتجاه الشمال» ، قالت شاتيك .

زأر بعضُ الجنيات استفظاعاً ، واستهوالاً من فكرة أن تنزح القرود في اتجاه الشمال .

زحـفت شـاتيك بقـدمـيـهـا على الأرض الرمل ، بلا وثبٍ ، مقتربة من الأنثى الإنسية . غمغمت :

- بها شبهٌ من قرود هيمهو .

نبح الكلب مرة واحدة ، بنبرٍ قصير من حنجرته فضولاً . هرول صوب شاتيك يستقرئ وجودها بيدي خياله ، فتراجعت شاتيك وثباً إلى الوراء .

«ما هذا الحيوان؟» ، ساءلتهن الجنية الضخمة .

«حيوان» ، ردت شاتار .

«أَجْزِمُ أنكن لا تعرفن نوعه» ، قالت شاتيك محدِّقة إلى لسان الكلب متدلياً من فمه اللاهث ، ساكناً قبالتها . نقلت بصرها إلى الأنثى الإنسية . أضافت : «وأجزم أنكن لا تعرفن ماالكائن هذا» .

«هي هايكاهيكسين . هي أنثى» ، قالت شاتار .

«ما هذا الاسم؟» ، تساءلت شاتيك .

«هو اسمها» ، ردت شاتار .

«ما معناه؟» ، تساءلت شاتيك .

«الكائن الناطق بصوت غير مسموع» ، ردت شاتار . «أأنت على دراية بلغة أهل زينافيري؟» .

«على دراية ، لكن ليس إلى الحد الذي أعرف ماذا يعنيه الاسم هايكاس» ، ردت شاتيك .

«هايكاهيكسين» ، قال شاتار مصوِّبةً لفظَ شاتيك .

غمغمت شاتيك تعقيباً :

- إنه اسمٌ يشبه اللهاث .

«أظنك عائدة إلى منزل سيدتك تايتون» ، قالت شاتار [illegible] ، ببصرها على صاحباتها .

«نعم» ، ردت شاتيك . أتبعت جوابَها بسؤالٍ : «إلى أين أنتن ذاهبات؟» .

«إلى مجْمَع الذباب» ، ردت شاتار في تورية تفهَّمت منها صاحباتها لعباً .

«هل من مجمع ذباب آخر ، في زينافيري ، غير الذي في قصر كاشاجو؟» ، تساءلت شاتيك ، فردت شاتار بنبرٍ هازئ :

- نعم . مجمع ذباب لا يديره الشعراءُ الجنّ ، بل كائنات مثل هايكاهيكسين .

تلقفت شاتيك منطقَ اللعب في ردِّ شاتار . عاينت ببصرها الحيوانَ الكلب ملاطفاً سيدته الإنسية لَعْقاً ليديها بلسانه . هرت مستأذنةً مواصلةَ مسيرها : «أراكُنَّ في مدينة زينافيري» ، قالت . «اجلبْنَ هذه الكائنة معكن . سيكافئكنَ كاشاجو بسخاء» .

«أليتَّخذها شريكةً للاستنسال؟» ، ساءلتها شاتار بنبْرٍ خُبْثٍ .

«مَنْ؟» ، تساءلت شاتيك غير متفهمة مقصد شاتار .

«كاشاجو» ، ردت شاتار .

أبدت شاتيك من وجهها استغراباً :

- أنا واثقة أنه سيضمها ، مسروراً ، إلى مخلوقات حديقته . أمَّا أن يتخذها شريكة للاستنسال فهذا مزاحٌ أقبلهُ منك .

«ماذا لو أعطيناك هذا الحيوان الذي مع هايكاهيكسين ، لتأخذيه إلى حديقة عميد المحاربين ماياكي؟» ، ساءلتها شاتار كأنها تتقصَّد أن تُبطئ شاتيك عن المغادرة ، فيما كانت تُلقي ، خلسةً ، على صاحباتها بنظرات فيها إيعازٌ بالاستنفار والتأهب . طوت جذعها حتى قاربت الكلبَ بصدرها . لمست جلده بيدها . «تعالي» ، غمغمت تحثُّها على لمس الكلب مثلها .

«أتريدينني أن أفعل؟» ، ساءلتها شاتيك ، فردت شاتار :

– لن تُتاح للجن فُرصٌ ، في أعمارهم ، كي يلمسوا حيواناً كهذا . نعم . تعالي المسيْهِ .

تلفتت شاتيك من حولها بقلب أدركه بعضُ الحذر من نبر الصوت في حنجرة شاتار . غمغمت :

– لي بضعُ سنين وأنا في الفلوات ، والقفار . أحنُّ إلى راحة في زينافيري .

استقامت شاتار . غمغمت بدروها :

– حقُّك أن تستعجلي العودة إلى مسكن سيدتك . ألن تلمسي هذا الحيوان؟ .

لبَّت شاتيك الضخمة دعوة شاتار الصادرة عن لسانها بنبرٍ فيه توسُّل لطيف . طوت نفسها محدِّقة أولاً إلى الأنثى الإنسية المحتضنة عنقَ الكلب ، ثم مدت يدها ، في حذرٍ ثقيل ، إلى الوبر القصير في الجلد المرقط بياضاً وسواداً .

في خفَّة كالومض ضربت شاتار رقبة شاتيك ، المنحنية على الأنثى الإنسية وكلبها ، بعظم صلب . هرت شاتيك هريراً مختنقاً من فداحة الضربة الغادرة قبل أن يكبسَها بالضرب صاحباتُ شاتار المتأهبات للبرهة تلك في النداء الصامت لنظرات زعيمتهن ، طوال محاورتها مطية زوجة ماياكي . ارتفعت أذرعهن ونزلت بالأسلحة العظام ، القوية ، على رأس شاتيك ، وسط نباح الكلب المضطرب ، وغمغمات الأنثى الإنسية وهمهماتها مضطربةً ككلبها ، متباغتة من ضراوة انقضاض الجنيات التريكات على الجنية الضخمة .

لم تتمكن شاتيك ، في غمرة الكَبْسَةِ المفاجئة ، من امتشاق سلاحها المعلق إلى منكبها ، لكنها ، في محاولة لدفع [illegible]

عنها ، ركلت ثلاثاً منهن فاردتهن مهشماتِ الصدور فوق قلوبهن ، قبل أن تسقط صريعةً .

ما من خاطر آخر عَرَضَ لخيال شاتار حين التقت شاتيك إلاّ قتلها في ذلك القفر ، تخلُّصاً من شاهدة على وجود الأنثى الإنسية مع فصيلها من التَّريكات . ولما انطرحت شاتيك أرضاً ، انبرت هي وصاحباتها إلى مَعْس كلِّ جارحة في جسدها الضخم إمعاناً منهن في الإجهاز عليها ، حتى رأين ، أخيراً ، خيطين من الغبار برتقالياً تنزفهما من منخريها الثقبين .

أهالت الإناث التريكات رملاً على جثة شاتيك ، وجثث صاحباتهن الثلاث القتيلات . حملن متاعَهن ، وتوزَّعن بعضَ متاع الأنثى الإنسية عليهن . حدَّقن مليّا إلى عينيها الملتمعتين ترقرق فيهما ماءٌ من أثرِ البَغْتَةِ في قَتْلهن الأنثى الضخمة .

لم يعتذرن بعيونهن الحجر لعينيها الرطبتين . هَزَزْن للريح امتناناً على ما ستفعله من استعادتها آثارهن إلى ذاكرةٍ رملٍ .

الفصل السابع
(زمجرات في القصر)

زأر مـاياكي غـضـبـاً . صـفع الأرضَ في الفناء المحيط ببـوابة القصر . أثار غباراً تَنَشَّقَهُ بقوة . أنشدَ كلمات الوعيد في سجْعٍ من لغة زينافيري :

- لن تنجو شاتار .

راتو ، الذي كلفه مـاياكي مع أعوانٍ بملاحـقـة فـصيـل الإناث التَّريكات ، بعد اعتراف أسيرة منهن بالجرائم ، عاد بلا أثرٍ منهن في يديه ، أو معرفةٍ إلى أثر لهن في القِفار .

وصل إلى معـقلهنّ المهجور . تفقد المسـاكن الغريبةَ الحُفَرَ في الرمل لم يزل على مـداخلهـا المائلة بقـايا ليف مـوَّهنهـا به . حـاولَ استقراءَ أثرٍ مَّا ، مع صحبهِ الحذَّاق في استراداتٍ من ذاكرة الرمل ، لكن الريح ذاتَ الأمـشـاط سرَّحتِ الأرضَ فـسـوَّتْهـا ملسـاءَ ، أو منطويةً تلافيفَ رملاً تحضن الأثرَ ثم تَلِدهُ خالداً مفقوداً .

في انكسـار ، بنبرٍ من الصوت مخذولاً ، أطلعَ راتو سيده على جِراب المهـمة الفارغ : «قَطْعاً هناك من سبقَنا إلى تحذير شـاتار من قدومنا إلى معقلها ، ياماياكي» ، برَّر راتو خيبتَه من فشل المداهمة .

«لم يدُم استنطاق الجلاد رادبور للمعـتـقلات إلاَّ برهات» ، قال ماياكي مستغرباً رحيل فصيل شاتار عن منازلهن في الوقت الضيق بين القبض على الفاعلات ومداهمة راتو لمعقلهن .

«اعتقلنا ثلاثاً، لكنْ كم كان عددهن، في الأزقة، ياماياكي؟»، ساءله راتو. «من نجون منهن، يوم المطاردة، اتجهن إلى معقل شاتار من فورهن»، غمغم راتو. «لا شيء آخر يفسِّر سرعةَ إخلائهن لمنازلهن، والفرار إلى ما لا ندري أين». هزَّ رأسه ببعض التعجب: «منازلُ حُفَرٌ لا تشبه إلاَّ حفرة مايتا، بوَّاق زينافيري، لكنها أعمق بكثير». استدركَ: «رأيتُ قشورَ ثمار على باب حفرة».

«أيأكلن ثماراً؟»، تساءل ماياكي. ضرب جبينه براحة يده. هرَّ: «أخطَرَ لكَ، ياراتو، ماخطر لي الآن؟».

«تفكَّرتُ في هايكاهيكسين»، ردَّ راتو.

«ذلكَ هو»، غمغم ماياكي. فحَّ فحيحاً طويلاً: «أهن خطفنَ هايكاهيكسين؟».

هرَّ السامعون من حوله استنكاراً لفعْلة شاتار.

جاوزت نينيسو سيدتها شيكتان، مقتربة من عميد المحاربين:

- لماذا يخطفن هايكاهيكسين؟ ماذا يصنعن بها؟.

انبرى راتو مجيباً بنبْرٍ دعابة:

- ربما يخططن لبناء حديقة تخصهن.

زأر داميكو منفلتاً من بين الجمع بحسرته الصاعقة المستعادة بعد إنصات:

- شاتار تتعمَّد ابتزازي.

تبادل الجميع نظرات استفسار. كلمته شيكتان:

- لِمَ تبتزك شاتار، ياداميكو؟.

«ساومتْني على منحها ذُباب استنسال»، ردَّ داميكو.

«ساومتْكَ على ماذا؟»، تساءلت شيكتان، فردَّ داميكو:

- على ذبابٍ مقابل هايكاهيكسين.

«ماهذا التدبير الفارغ؟» ، قال ماياكي . «أيمنحنكَ ماليس لهُن؟ أين كنتَ ستخبئ هايكاهيكسين إن منحنها لكَ؟» .

«لم يكن الأمر مفهوماً لي» ، رد داميكو . «لكنْ إن كن هُنَّ من خطفْنها فهذا ابتزاز» .

«ماذا إن أعطيتهن ذباباً ، ياداميكو؟» ، تساءلت شيكتان . «لا ذكَرَ يرغب فيهن شريكات» .

«ربما سيستنسلن بعضُهُن من بعض» ، ردَّ داميكو .

علت الهــرهراتُ في الحناجــر اســتكراهاً للفكرة الفظة اللامصدَّقة .

«أيُّ نسل سيكون نسلهن إن تشاركن في ذلك؟» ، تساءلت نينيسو .

هرَّ راتو مستحضراً ، من جديد ، نبرَ الدعابة تعليقاً على الموقف المُرْبك للأسئلة :

- ربما يحصلن على نسل من نوع هايكاهيكسين .

«لا نسل لأنثى من الجن مع أنثى» ، هرَّ سانياري . صاح من موضعه بين الجَمْع : «الأمر خُدْعة . هنَّ لم يخطفن هايكاهيكسين . هايكاهيكسين تسترشد بهنَّ إلى غيبتها» .

«ماذا تفعل في زينافيري ، ياسانياري؟» ، صرخ به ريكما . «خُذْ عتاهتك ، وبلاهتك ، إلى إقليم آخر» .

«هايكاهيكسين ستحتجب» ، غمغم سانياري في يقين ، وإصرار واضحيْنِ من نبر صوته الخفيض . «هي أيضاً ستتبعني» .

دار داميكو حول نفسه : «سأفعل شيئاً» ، قال كالمحرِّض خيالَه . «عليَّ أن أفعل شيئاً» .

«لوعتُه تعضه من جديد» ، علَّقت نينيسو على حال داميكو .

اقتربت شيكتان من الشاعر مواسيةً :

– ألم تملَّ رؤية هايكاهيكسين في حديقة القصر؟ كدتَ تُقيم في الحديقة لا في جناح مجْمع الذباب .

صفع داميكو الأرض . استنشقَ غباراً . وضع راحة يده اليسرى على عينيه يحجبهما . هرَّ بنبرٍ تهديد :

– ويلٌ للذباب . ويْلٌ للمَجْمَع .

«مـاذا الآن؟» ، تسـاءل ليكمـورا ، أمين خـزائن العظام في القصر ، وهو يتبع ببصره الشاعرَ منصرفاً وثباً كالومض . «سيغضب كاشاجو حين يعرف باختفاء هايكاهيكسين» .

دنت شيكتان من ليكمورا جراً بقدميها في الأرض الرمل بلا وثب . سألتهُ سؤالاً باغتَهُ قليلاً :

– أصحيح أن بعض الصيادين يتغافلون عن دفع الإتاوة للقصر عن عظام قنائصهم؟ .

حدَّق إليها ليكمورا المغطى الرأس بخمارٍ جلد ، متفحصاً سؤالها برهةً ، قبل أن يُجيب :

– ليس في علمي شيء من هذا ، ياشيكتان . لم أسمع بصياد تخلَّف ، قط ، عن دفع ما يتوجب عليه للقصر .

هرَّ مايا كي بنبْرٍ كأنْ لم يستسغ من شيكتان أن تسأل ليكمورا عن تصاريف شؤونه كأمين على خزائن العظام في القصر . عاد بالمحاورةِ إلى أصل الأسباب ، التي جمعتهم في الفناء أمام البوابة : «أنصرِفُ النظرَ ، مؤقتاً ، عن ملاحقة شاتار ، ياميلدان؟» ، سألَ أحدَ أسياد فرق المحاربين .

«لاأظنها غبية لتعود ، بعد افتضاح أمرِها ، إلى إثارة شغب . لكنْ فلْنَبقَ حَذريْنَ» ، ردَّ ميلدان .

وثب ماياكي ممتطياً ظهرَ راتو . «رومْسو .أوْبا . ستتفقدان معي الحصونَ الرمال شرقاً» ، قال بإشارة إلى سيدين من أسياد فرق المحاربين . «سنمكث أياماً هناك» . حدّق إلى شيكتان : «عسى أن يكون كاشاجو أنهى خلوته حين نرجع» .

«متى تفقَّدتَ الحصونَ الرمال ، آخر مرة ، ياماياكي؟» ، ساءلتهُ شيكتان متصنِّعةً ، باستدارة إلى مدخل البوابة ، أنها ستنصرف ، فردَّ ماياكي :

- لا أخبركِ ، عادةً ، حين أتفقَّد الحصون ، ياشيكتان .

«لماذا لا يتفقدها آماروك ، أمين سر كاشاجو في شؤون الحصون؟» ، ساءلته شيكتان .

نزل ماياكي عن ظهر مطيته راتو بزفير انتفخ منه الجلد حول منخريه الثقبين . غمغم : «اسمعي ، ياشيكتان ، آماروك ، كغيره من أمناء أسرار كاشاجو ، الذينَ لا يتولون بأنفسهم الإشرافَ على الشؤون بتفاصيلها في زينافيري . يأتيهم محصِّلو الأخبار ، ومنفِّذو التدابير ، ومتفقِّدو تخوم الإقليم وحدوده ، بسجلاّتهم المحفوظة ـ كلٌّ يحفظها في ذاكرته . أمناء الأسرار يستخلصونَ منها ، بحسب اختصاصهم ، أحكاماً ودروساً ، وتقديرات ، وتوصيات ، إلى كاشاجو ، كلما سُئلوا عن أحوال الحصون ، وخزائن العظام ، وتجارة القصر ، والأعياد وما يتصل بها ، والمناسبات غير المتفق عليها أعياداً مؤكَّدةً مفروضة» ، قال ماياكي في نَفَس لم يقطعْهُ . استرسل : «ها أنا ذاهبٌ لأتفقد الحصون ، وسيأتي آماروكْ بتقديرات في أحوالها يرفعها إلى كاشاجو» .

«لماذا لا ترفع تقديراتك إلى كاشاجو بنفسك ، ياماياكي؟» ، ساءلتهُ شيكتان ، فردَّ عميد المحاربين :

- أسئلتُك كثُر هذا اليوم ، ياشيكتان . اجمعيها . أضيفي إليها ، واحمليها إلى كاشاجو حين يُنهي عزلته .

هزَّت نينيسو تلفت نظرَ سيدتها إلى وجوب اكتفائها بذلك القدْر من محاورة مايكي ، مذْ أحست نفادَ صبر في زفيره .

هزَّ ريكما أيضاً في اقترابه من عميد المحاربين . كلمه :

- بي رغبة في مواكبتك إلى الحصون الرمال .

«إبقَ أمام ركن كاشاجو . عليه أن يكتفي بهذا القدر من خلوته» ، قال مايكي . وثب ممتطياً ظهر راتو من جديد .

عاد ريكما إلى داخلِ القصر وثباً قصيراً ، هيناً ، من وراء أمه ، على بُعد منها ، متجهةً إلى جمْع من الإناث اللواتي يُستأجَرْنَ للاستنسال ، وهنَّ يتبادلن جدالاً ذا نبر محتدم ، قرب الأدراج إلى جناحهن في الطبقة العليا منَ القصرِ البناءِ من جماجم الحيوان .

«ماذا يجري؟» ، سألتهنَّ شيكتان .

«بعض الإناث هنا لا يلتزمنَ حصصهن ، فيقبلنَ عروضَ الذكور الطالبين استنسالاً على حساب غيرهن» ، قالت إحدى اللواتي ترجع أثمان استئجارهن إلى خزْنة القصر عظاماً .

هُنَّ يقبلْنَ الذكور ، الذينَ لا يحظون بإناث في زينافيري ، شركاءَ في الاستنسال مداورةً كلٌّ في دَوْرها ، لابحسب ما يرغب الذكر أنْ يختار منهن شريكةً لوقت محدد ، مقدارُه بلوغُ وليدهما الخروجَ تامّا من الكُرةِ الحجر الحاضنة . لكل واحدة دورٌ في الترتيب : ذلك هو نظام الخدمة في الجناح ، بتوافق يلتزمنه من غير إشراف أحد .

كان واضحاً أن عدداً منهن خالفَ ذلك الالتزام ، فقَبلْنَ مشاركة ذكور اختاروهن بإهمال التراتُب الحسابيِّ دورياً . جدالهن ،

ذلك اليوم ، أخرج الخلاف غير المعهود إلى علن في القصر ، فأغلظَ بعضهن لبعض في التوبيخ ، والاستنكار ، وتهدَّد بعضُهن البعضَ بالثأر .

شيكتان استغربت تلك الحال . «ماذا يجري؟» ـ كان ذلك سؤالها واقفةً إلى جوار مطيتها قُبالة الإناث المؤجرات .

«ترُوْكي ، لِيْنانْدا ، بُوْس ، لايلتزمن الحصص المخصصة لهن في التناوب على قبول الذكور الطالبين . يأخذن حصصَ غيرهن في الدَّور المتعاقب» ، قالت إحدى المستأجَرات .

«أين الاتفاق بينكن ، إذاً؟» ، ساءلتها شيكتان ، فردت تلك المتحدثة :

- اسأليهن .

وثب ريكما وثبتين قصيرتين أوصلتاه إلى جوار أمه . شاركهن المحاورة :

- مَنْ لا تلتزم بالنظام تُصْرف مطرودةً .

«ذلك ما يهدِّدننا به» ، عقَّبت إحدى المستأجَرات . «هؤلاء المتملِّصات من حقِّ الدور المتعاقب يتمنين أن يُصْرَفنَ من الخدمة في القصر» .

همَّ ريكما بالتعليق فاستوقفته أُمه :

- دعْ شؤون الإناث للإناث .

«هذا شأن يخص القصر» ، قال ابنها .

«أنا أنثى ، وأنا من القصر» ، قالت شيكتان .

حدق إليها ريكما مستشعراً فظاظةً في نبرِ لسانها . غمغم :

- أنا من القصر أيضاً .

«لستَ أنثى» ، قالت شيكتان في تعليقٍ لا منفذ إلى فهمه ،

فرد ريكما بتهكُّم لامنفذ إلى فهمه :

- أنا أنثى أيضاً إن أردتُ ، ياشيكتان .

تجاهلته أمه . عادت ببصرها إلى الإناث المؤجَّرات . ساءلتهنَّ :

- من منكن الثلاث اللواتي لا يلتزمنَ النظامَ الدَّوريَّ؟ .

خرجت ثلاث من بين الجمع وثباً رشيقاً ، خفيفاً ، مرتفعاً وقصيراً في الآن ذاته ، كأنهن في رقص .

«أتفتعلنَ ، حقاً ، الخروجَ على النظام الدوري في الحصص كي تُصْرفْنَ من الخدمة في القصر؟» ، سألتهن شيكتان .

«ليس ذلك تحديداً» ، قالت إحدى المتمردات على الحصص الدورية . «نحن مرغوبات أكثر من غيرنا» .

«ذلك لا يجعلكن استثناءاً» ، علَّقت شيكتان .

«إنْ نكن مرغوبات من الطالبين أكثر من غيرنا ، فنحنُ استثناءٌ ، ياشيكتان» ، ردَّت الأنثى المؤجَّرة .

«ماذا لو طُردتُّن من الخدمة في القصر؟» ، تساءلت شيكتان ، فردَّ ريكما مقتحماً سؤالها :

- سيعملن شريكاتٍ للذكور الطالبين استنسالاً على حسابهن .

«ماذا؟» ، همهمت نينيسو مستهجنةً أنْ يلجأن إلى ذلك .

«هذا ، تحديداً ، ما تهددنا به هؤلاء الثلاث . إمَّا أن يكُنَّ استثناءً فيحصلن على حصص من صاحباتهن ، أو يدفعن بالقصر إلى طردهن فيعملن ، في زينافيري ، لحسابهن» ، أكدت إحدى المؤجَّرات الحانقات عليهن .

قرَّبت شيكتان وجهها من وجه إحدى المتمردات على نظام الحصص الدَّورية . ساءلتْها بنبرٍ فيه وعيدٌ مُضْمر :

- أحقًا تفكرن بالعمل لحسابكن في زينافيري؟ .

«ولِمَ لا؟» ، تساءلت المتمردة .

«أتقولين : لِمَ لا؟» ، صرخت شيكتان باستفظاع لردِّ المتمرِّدة . «منذ متى تعرض إناث ، في زينافيري ، أنفسهن للذّكور الطالبين استنسالاً ، خارج جناح القصر؟ أم أنتن تمهِّدن لخروج من يشاء من إناث زينافيري إلى الأزقة يعملن لحسابهن؟» . طوت نفسَها . صفعت الأرض الرمل غضباً وتنشقت الغبار . همهمت : «أأنتن من طلائع ماشفير الأعمى؟» . التفتت إلى مطيتها نينيسو هاتفةً بها : «أحضري أعواناً محاربين يأخذون هؤلاء المتمردات إلى المنفى . هن لسن أفضل من أطفال زينافيري الجناة» .

غمغمت نينيسو متردِّدةً . تنبَّهت شيكتان إلى تردُّدها :

- مابك ، يانينيسو؟ أحضري بعض المحاربين .

أمسك ريكما بعضد نينيسيو يستوقفها : «لاتذهبي» ، قال . «كاشاجو هو الذي سيقرر ماذا يفعل بهؤلاء الإناث إن ظلَلن على تمرُّدهن» . حدَّق إلى الثلاث المؤجَّرات منفصلات مقدار وثبة عن صاحباتهن الحانقات عليهن : «ستجلبن على أنفسكن ما لن تحتملنه» . أشار عليهن برأسه آمراً : «عُدْنَ إلى النظام في الحصص الدورية كالأخريات . هَيُّوا ، اصعدنَ الدرجَ إلى جناحكن قبل فوات الأوان» .

أمسكت شيكتان بمعصم ابنها تنزع يده عن عضد مطيتها : «دعْ نينيسو» ، قالت في هرير . زفرت من أعماقها : «ماذا تفعل هنا ، ياريكما؟ ألستَ محارباً؟ عُد إلى المحاربين» .

سحب ريكما يده من قبضة أمه . زأرَ فالتفتت إليه أبصار كثيرة من أبهاء القصر :

– عودي أنتِ إلى زائراتك من نساء الأسياد . لستِ كاشاجو .

لهث قلب شيكتان من نبر الزفير في فم ابنها . تداركت ارتباكَها فأومأت للإناث المؤجَّرات جميعاً : «عُدْنَ إلى جناحكُنَّ» ، قالت . لبثت برهةً تَرْقَبهن منصرفاتٍ وثباً موزوناً على الأدراج إلى الطبقة العليا ، في صمت . غمغمت : «سأكلمك ، ياريكما ، منفرداً» .

ابتعدت مطيتها نينيسو ، ومطية ابنها زيديكا ، عنهما تاركَيْنِ الأم وريكما في خلوة .

مشت شيكتان بابنها وثباً متمادي القِصَر ، تكاد كتفها تلاصق كتفه :

– لماذا تكلمني هكذا أمام الإناث المؤجَّرات؟

«لِمَ تتصرفين هكذا ، ياشيكتان؟» ، ردَّ ريكما .

«كيف تصرَّفتُ؟» ، ساءلته شيكتان .

«تستَبقِين خروج كاشاجو من عزلته» ، ردَّ ابنها .

«طَبْعُك الغاضب ، ياريكما ، يُريك كلَّ شيءٍ مبالَغاً فيه» ، عقَّبت شيكتان على ملاحظة ابنها . توقفت : «كاشاجو في عزلته منذ وقت» ، حدَّقت إليه : «القصر ليس فارغاً إن غابَ كاشاجو» .

«كاشاجو وراء تلك الستارة المسدلة على باب ركنه» ، قال ريكما . «لو كان يسمع لتناثرتِ رملاً من هبوب صرخته» .

«لو كان يسمع ماذا؟» ، ساءلته شيكتان .

«جدالك مع ماياكي ، وحكمك على الإناث المؤجَّرات» ، رد ريكما .

«يُغضِبُك كلُّ أحدٍ في القصر إلاَّ ماياكي» ، عقَّبت شيكتان على النَّبر التقدير في ذِكرِ ابنها اسمَ عميد المحاربين .

«قويٌّ مدبِّر» ، ردَّ ابنها . «مايا كي بلا أهواء كالتي أراها في عيون أسياد الفرق» .

«هكذا إذاً!!» ، علَّقت شيكتان على تقريظ ابنها لعميد المحاربين . «ربما لاترى الكثير» ، غمغمت بنبرٍ فيه تلميح لم يفهمه ريكما . ساءلها :

– ما الذي لاأراه؟ .

«كل أحد في القصر لديه أهواء ، حتى مطيتي نينيسو» ، قالت شيكتان .

«ما الأهواء الخفيَّة في قلب نينيسو؟» ، سأل مايا كي أمه .

«الوفاء الكبير» ، ردت شيكتان .

«ما الذي يجعل الوفَاءَ هوىً يُحْذَر ؟» ، سأل ريكما أمه .

«الوفاءُ بلا حدود ، يجعل من صاحبه شديد الرقة إزاء من يدين له بالوفاء ، فإن مُسَّ في مشاعره سهواً ، أو عَمْداً ممن هو وفيٌّ لهُ انقلب مجروحاً بلا حدود» ، قالت شيكتان . أضافت : «المجروحون في مشاعرهم يثأرون ثأراً عنيفاً قاتلاً» .

«أأسأتِ سهواً ، أو عمداً ، إلى نينيسو؟» ، ساءلها ابنها .

«ليس بعد» ، ردت شيكتان . تأملت ابنها :

– أأسأتُ إليكَ ، ياريكما؟ .

تأملها ابنها بدوره صامتاً . نقل بصره على أبهاء القصر ، والعابرين منها وإليها فرادى ، أو ثِللاً ؛ والواقفين زُمراً في أحاديثهم الخفيضة كأنهم يتجنَّبون إحداثَ ثلم في خلوة سلطان زينافيري الأصمِّ وعزلته الحجرية . غمغم من غير كلمات . هرَّ هريراً خافتاً . مديداً .

«لم تجبني» ، قالت شيكتان .

«عمَّ؟» ، تساءل ريكما متجاهلاً ماسألتْه .

«متى ستتولى مَقامَ عميد المحاربين؟» ، سألته أمه .

فحَّ ريكما مستغرباً سؤالها :

- لدينا عميد للمحاربين . ما تلميحُك هذا؟ .

«ألم تتصاغر يدا ماياكي قليلاً؟» ، تساءلت شيكتان .

«يَداه فَتيَّتان» ، ردَّ ريكما .

تجاهلت أمه ردَّه . غمغمت :

- فكِّرْ بالأمر .

«لن أفكر بالأمر . التفكير في هذا يخص كاشاجو» ، رد ريكما . هرَّ : «لماذا طلبْتِني في خلوةٍ؟ لا أراكِ تعرضين عليَّ ما يستوجب اختلاءً منكِ بي» .

رجعت شيكتان إلى سؤال لم يُجب عليه ابنُها :

- بِمَ أسأتُ إليك؟ .

«لم أرَ احتجاجاً منكِ على اتخاذ كاشاجو لسوك شريكةً» ، قال ريكما .

«هكذا إذاً!!» ، غمغمت شيكتان» . «ماذا كان علي أن أفعل؟» .

«لا أعرف . لكن لم ألحظ رداً منك عليه» ، قال ريكما .

«لماذا لم تعارض ، ياريكما؟ كانت سوك مُلكُ رغبتك» ، قالت أمه . أردفت : «تعال» .

وثبت شيكتان وثباً قصيراً ، رزيناً ، في اتجاه رُكن زوجها المُسدل الستارة الجلد على مدخله . جاورت المدخلَ إلى الركن متصنِّعةً تنصُّتاً إلى زوجها :

- ما الذي يدور في خَلَدِ كاشاجو الآن؟ .

لم يردَّ ريكما ، مبقياً بصره على أمه التي أجابت هي عن سؤالها :

- لا تعرف . لا أعرف . ربما يتهيَّأ لشريكة جديدة .

غمغم ريكما مشيحاً ببصره عن أمه إلى أرجاء القصر الشاسع يدخله زائرون من غير داعٍ ، أو يزور زائرون زائرين مثلهم ، على اجتماعٍ في الأحاديث يقرضونها أحيناً في وثبهم ، ووقوفهم .

«أتَرين ، ياشيكتان ، أنهم يكثرون هذه الأيام» . قال ريكما لأمه في إشارة إلى الجموع الصغيرة ، والفلول متفرِّقيْنَ على الأبهاء . «ليس عليك أن تسألي ماذا يدور في خاطر كاشاجو ، بل في خواطر هؤلاء عن كاشاجو» . هرَّ هريراً عالياً .

«لن يسمعك كاشاجو» ، قالت شيكتان تعقيباً على هرير ابنها المُتصنَّع عالياً . أدارت بصرها على الجن في القصر . «لفتتَ الأنظار إليك» .

«هُم يرصدوننا كلَّ برهة . عيونهم لاتفارقنا ، ياشيكتان ، منذ اعتزال كاشاجو . كان فيها فضولٌ ، والآن لاأرى ذلك الفضول ، بل أرى قلقاً ، وبعضَ الهواجس أيضاً» . قرَّب أذنه من الستارة على مدخل ركن أبيه : «لماذا أطالَ عزلتَه؟» . تساءل بنبرٍ متوجِّس .

«هو في رؤيا» ، قالت شيكتان .

«ما الرؤيا الطويلة هذه؟» ، تساءل ريكما ، فردَّت أمه :

- يداعب طيفَ سوك .

هرَّ ريكما محدِّقاً إلى أمه في تبرُّم من وقفته معها أمام مدخل رُكن أبيه . مدَّ يده في حذر إلى الستارة . لمسها لمساً خفيفاً بأطراف أنامله ، فاحتوت أمه معصمَه بيدها تستوقفه :

- ماذا تفعل؟ .

«لا شيء . أتحسَّس هذه الستارة» ، ردَّ ريكما .

بلَغَتْهما ، بغتةً ، صوتُ المنجمّة بونيا الطويلة ، قادمةً وئ ا عجولاً يرافقها خاميدس . عاجلتهما بسؤال :

– أكاشاجو يعتزم الخروج من عُزلته ، ياشيكتان؟ أم يكلمكما؟ .

التفتت شيكتان إلى بونيا مستثقلَةً مداهمتَها خلوتَها بابنها . ردَّت : «ليس بعد» ، بنبرٍ كأنما تصرفها ، فلم تلجم بونيا استعجالها : «لديَّ ماأعرضه» .

قاطها خاميدس بلسانه نيابةً عن لسانها :

– لدى بونيا ماتعرضه على كاشاجو . لا أوافقها .

هزَّت بونيا من كلمات خاميدس الذي بدا كمن يعفي نفسه من تورُّط لايريده .

«أرأيتما كاشاجو خارجاً من ركنه؟» ، سأل ريكما المنجميْنِ لَفْتاً لنظريهما إلى أن أباه على حاله من الاعتزال بعْدُ .

«ظننَّاه يحدِّثكما» ، قالت بونيا بصوتها النَّقْر من لسانها على سقف فمها .

قربت شيكتان وجهها من وجه بونيا :

– ما الذي يستعجلك إلى لقاء كاشاجو؟ .

في غمغماتٍ متداخلة انضم مايشا وأمه وصاحبته ، وسانياري وزوجته هِستار إلى شيكتان ومن معها ، قادميْنَ كأنهم كانوا في محاورة مع المنجمة قبل إسراعها إلى شيكتان وابنها . كانت الكلمات تتدحرج ، طوال الوثب ، من فم مايشا تحديداً :

– لا تدَعي كاشاجو يصغي إلى هذيان بونيا ، ياشيكتان .

«ما الذي يجري؟» ، تساءل ريكما مستاءً من الجمع تحلَّق عليه

وعلى أمه أمام مدخل ركن أبيه . برز العملاق ليلوت ، مطية كاشاجو الجديد مستغرباً اللغطَ بدوره . بادل ريكما نظراتِ استياء مثله : «ماذا يجري؟» ، تساءل ذو الصوت العميق كرعد في كهف . أضاف : «هل أبعِدهُم ، ياريكما؟» .

«سأرى ما عند بونيا ، ياليلوت» ، ردت شيكتان عليه قبل ابنها ، محدقة إلى وجه المنجمة .

غمغمت بونيا ترتب خواطرها في سياق واضح ، مترددة قليلاً :

- أفَضِّلُ لو كشفت لكاشاجو ماعندي ، أولاً . أخشى أن تُستثاري مما سأقوله ، ياشيكتان .

«جرِّبيني . سألجم نفسي» ، قالت شيكتان .

«لن تحتملي ما ستقوله بونيا» ، قال مايشا محتدماً .

«وماذا جاء بكما ، يامايشا ، وسانياري؟» ، سأل ريكما الجنييْنِ في فحيح .

احتدَّمت شيكتان . هرَّت :

- ألن نسمع ماعند بونيا؟ تكلمي ، يابونيا .

زفرت بونيا فانتفخ الجلد حول منخريها الثقبين . استهلَّت فكرتها الصفعةَ :

- تخامرني شكوك حول الفردوسِ الشمس .

«ماذا؟» ، تساءلت شيكتان وابنها بنبرٍ واحد .

«منْ رتَّب سياقَ إيماننا بذهاب أرواحِ الجن ، في «النسيان الأعظم» ، إلى الصميم النار ، والمخاطبات بألسنةٍ لهب؟» ، تساءلت بونيا .

«إنها تهين النسيان الأعظم» ، غمغم سانياري في إشارة إلى الموت .

«لا أهين شيئاً» ، قالت بونيا في حزم . «ما علاقة «النسيان الأعظم» بما أعتقده الآن من رحلة أرواح الجن؟ «النسيان الأعظم» ، حاضِنةٌ كالكرة الحجر الحاضن ذبابَ المستنسليْنَ ، لاغير» .

«ما فكرتُك ، حقاً ، يابونيا؟ أسمِعيني شيئاً أفهمه» ، قالت شيكتان . أدارت وجهها على سانياري ، ومايشا مهدِّدةً :

«لا تقاطعاها» .

«بونيا تثير الهلع» ، قالت هستار زوجة سانياري .

فحَّت بونيا في وجه هستار :

- الهلع هو الذي يصنع ذاكرةَ الجن .

«الهلع مِمَّ؟» ، تساءلت هستار ، فردت بونيا :

- الهلع من أن يخرج الجن من مساكنهم ، ذات يوم ، فلا يجدوا أنفسهم في زينافيري .

- فحَّت هستار في استهزاء :

- ألدى أحد منكم هلعٌ كهذا؟ .

«لن تكمل بونيا فكرتها وهؤلاء هنا» ، غمغم ريكما مقرِّباً رأسه من رأس أمه .

«ليلوت» ، نادت شيكتان مطية زوجها العملاقَ .

هرَّ ليلوت ملبياً :

- أنا هنا .

أدارت شيكتان بصرها على سانياري وزوجته ، ومايشا ، في تهديد واضح بتكليف العملاق أن يطردهم . أعادت بصرها إلى بونيا تحثها على الكلام في صمت .

«كلُّ جنيٍّ سيتخذ كوكباً ، أو نجماً ، أو نيزكاً ، ، أو مجرة تخصُّ روحه وحدها . ستكون لأرواحنا خاصِّيةُ المعدن الذي هو

معدن الكواكب ، والنجوم ، اللواتي تستقرُّ عليها . ستكون أرواحنا لهباً في النجوم اللهب ؛ جليداً في الكواكب الجليد ؛ رياحاً في المجرَّاتِ الرياح ؛ رملاً في النيازك الرمل . فردوس الجن الأوحد ، بعد عبور «النسيان الأعظم» ، هو ما سيصيرونه لغةً من لغة معادن الكواكب ، وعناصر نشأة النجوم» ، قالت بونيا .

هرهرَ ريكما بنبرٍ متحيِّر :

– تجعلين الحياة حفرة بين أقدام العابرين ، يابونيا .

«لم أفهم» ، غمغمت بونيا . «ما شأن الحياة بما بعد النسيان الأعظم؟» .

«كل حفرة في أرض الجن تقابلها حفرة في سمائهم» ، قال ريكما . «أليس كذلك؟» .

«أنت تدور بي ، ياريكما ، في وثب يقلب خيالي رأساً على عقب» ، ردت بونيا . «الحياة ليست إلاَّ ماهي هنا . ليست حفرةً . ليست كثيباً . لا تُعامل سوى أنها أقلُّ أو أكثر» .

«أقلُّ من ماذا؟ أكثر من ماذا؟» ، تساءل مايشا غمغمةً لم يستطع لجمَها .

«لا أعرف» ، ردت بونيا .

تقاطر جنٌّ كثر من الحاضرين في أبهاء القصر إلى المجتمعين أمام ركن كاشاجو . خرج همسُهم عن حدوده إلى أصوات واضحة : «هل أنهى كاشاجو عزلته؟» . «ما الأحكام التي عاد بها إلينا؟» . كانت التساؤلات تغدو ، رويداً ، رويداً ، أجوبةً يقينية عن وجود سلطان زينافيري محاطاً بحشد يحجبه ، حتى إن بعضهم سأل بعضهم : «أترون كاشاجو؟» ، فردوا : «نكاد نراه» .

زأرت شيكتان مستاءةً من ذلك التهافت على ركن زوجها

صاحت : «لا تلتموا علينا . تفرَّقوا» . ثم أردفت صيحتها بنداء إلى العملاق : «ليلوت . قفْ على مدخل ركن كاشاجو» ، مذ استشعرت أن بعض المتقاطريْنَ قد يندفعون داخلين على سلطان زينافيري ، من تزاحمهم .

سدَّ العملاق ليلوت مدخل ركن السلطان بجسده الضخم ، ملتصق الظهر بالستارة المسدلة .

هزَّ ريكما متذمراً :

- جمعتِ علينا الكثيرين ، يابونيا .

«لا شأن لي في اجتماعهم عليكم . هم يريدون كاشاجو» ، ردت بونيا .

التفت ريكما إلى خاميدس :

- قلتَ في قدومك أن لدى بونيا خواطرَ لا توافقها . أين خواطرها؟ لم أفهم شيئاً .

«أنا لديَّ رؤىً تُفهم ، ياريكما» ، قال سانياري مقتحماً سؤال ابن سلطان زينافيري .

هاج ريكما . عوى أولاً قبل أن ينطق بَرَمَه :

- أعفونا من خواطركم ، ورؤاكم .

«فليقُلْ سانياري مالديه» ، غمغمت بونيا .

التقط سانياري دعوة بونيا . تكلَّم على عجل :

- في غيبتي كانت الأجساد مجنَّحة . كان الجن في حروب لتثبيت الأمكنة تمهيداً لظهور أسيادهم المحتجَبيْنَ . كل قبيلة في الأعالي تنتظر سيِّدَها . الحروب ، في غيبتي ، لم تكن على أرض الجن ، بل في سماء أقاليم الجن . كانت الأسلحة العظام ، والأسلحة الحجر ، والقِرَب المليئات رملاً تتساقط من الأعالي ،

والقتلى تتذرّى جثثهم معادنَ لا نعرفها في زينافيري .

«أكان كل ذلك في غيبتك ، ياسانياري؟ ماذا في ظهورك؟» ، ساءله خاميدس مستهزئاً ، فبادله سانياري استهزاءً :

– ماذا تتمنى أن تكون لو لم تكن منجّماً؟ .

«أن أكون النسيانَ الأعظم» ، ردَّ خاميدس .

«لو سألتني ، ياسانياري ، ماذا أتمنى أن أكون ، لقلتُ أن أكون الزمنَ» ، قالت بونيا . أردفت : «الزمن أكثر قوة من النسيان الأعظم» .

«لا هذا ، لا ذاك ، أقوى من ظهوري هنا ، الآن» ، قالت هستار . «ظهوري يعني أنني موجودة في رؤيا كل جني» .

«ماذا لو كفَّ الجن عن رؤاهم؟ أكنتِ اختفيتِ؟» ، ساءلها مايشا .

«سأبتعد من هنا» ، قال ريكما . «أو سأقتل أحداً» . زأرَ . «كلُّكم مريدو ماشفير ، أو تبشِّرونَ به» .

صمت الحشد أجمعين . تلاصق البعض محدِّقاً إلى ريكما في اتهامه الموزَّع ريحاً عليهم .

لم يبدُ حرجٌ على ريكما في ماقال . صاح :

– كاشاجو لن يخرج من عزلته اليوم . انصَرِفوا .

غمغم الحشد . ظلوا في أمكنتهم .

اقتربت شيكتان من خاميدس . ساءلته في إلهاءٍ للحشد عن تهمة ابنها لهم :

– أظنُّك قابلتَ ماشفير .

«نعم» ، ردَّ خاميدس . «مرة واحدة» .

«كيف هو؟» ، ساءلته شيكتان .

«أعمى ، في راحتي يديه ثقبان لا يقدِرُ على حضن ذبابة فيهما» ، ردَّ خاميدس .

«أيعرف الجن جميعاً ، في زينافيري ، مذهبَ ماشفير؟» ، سألته شيكتان .

«لا أعرف» ، ردَّ خاميدس .

«ماذا تعرف من مذهبه؟» ، سألته شيكتان ، فردَّ كبير المنجمين :

- يدَّعي أنَّ المكانَ الخطأَ صالحٌ لِما يُراد منه أن يكون ، والمكانُ الصوابُ هو الأصلح لإقامة إله خطأً . ويزعم أن كل الأمكنة صوابٌ إذا خَلَت ، أو كانت مهجورةً . قلتُ لهُ : اذهبْ وحدك إلى القِفار المهجورة ، فردَّ أنه لن يترك الأمكنة في شقاء الخطأ ؛ سيحررها من عبوديتها بإعادتها مهجورةً . وأنه لن يترك الجن في شقاء وجودهم مجموعات ؛ سيحررهم بالعزلة فرادى في القفر . ويزعم ، أيضاً ، أنَّ الرمل معذَّبٌ في إقليم زينافيري ، وكذلك الريح معذَّبة .

«أكانَ يزعم ماشفير كلَّ هذا وهو بين يديك ، ياخاميدس؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ كبير المنجمين :

- كان بين يدي كاشاجو .

«كيف نجا ماشفير من كاشاجو إذاً؟» ، تساءل ريكما .

«خَالَه كاشاجو معتوهاً مُذ تعوَّدنا قليلاً ، في زينافيري ، على معْتوهيْنَ مثل سانياري ، وهستار ، ومايشا» ، ردَّ خاميدس .

فحَّ مايشا مستهجناً :

- لن أقودَ منجميْنَ إلى أبي .

«لن تقود أحداً إلى أبيك» ، قال سانياري . «ستمضي وحيداً» . التفت إلى أمِّ مايشا في صباغ وجهها الأسود : «متى

ستقتلينه؟» . قرَّب وجهه من الأنثى الأخرى التي مع مايشا : «أَمْ أنت ستقتلينه في الطريق إلى أبيه؟» .

حدَّقت أم مايشا إلى سانياري ، مسترسلة في همهماتِها الغناءِ الخافت ، فأضاف سانياري سؤالاً إلى سابقه :

- ألم تسأمي المشي وراء ابنك؟ أنتِ تكذبين عليه .

هرَّ مايشا غاضباً :

- سأخفيك في غيبةٍ لا ظهورَ لك بعدها ، قبل الذهاب إلى أبي .

«اهدأْ ، يامايشا» ، قال سانياري بصوت ودود . «أنت قوي . أنت مؤمن أنك قويٌّ بأبيك . لكل قوي حلقةٌ من المقرَّبين يكذبوا عليه . مهمتهم أن يكذبوا ليحفظوه متَّزناً حتى حلول لحظة انهياره . إن لم يكذبوا عليه يكونوا منافقين» . قرَّب وجهه من مايشا يسدِّد إلى قلبه آخر كلماته : «الكذبُ عَظَمةُ القوة» .

«ما عَظَمة الضعف ، ياسانياري؟» ، ساءله خاميدس ، فردَّ سانياري :

- هذه الأنثى الأخرى ، التي مع مايشا .

«أتعني هذه التي بلا نَسَب؟» ، ساءله خاميدس ، فردَّ سانياري :

- نعم . هي التي أعْني . ألا يدَّعي مايشا أنها المشيئةُ؟ .

زاحم ريكما كلاً من مايشا وسانياري بكتفيه يفصلهما الواحدَ عن الآخر . توسَّطهما :

- على كاشاجو ، بعد الخروج من عزلته ، أن يجعل على بوابة القصر حرساً لا يسمحون بدخول من يشاء . هذا القصر لم يعُد قصرَ حاكم ، بل باتَ متنزَّهاً للبطَّالِيْنَ بثرثراتهم .

«هذه بعضُ مهمة القصر ، ياريكما» ، قالت أُمه . «فليثرثر الجن هُنا كيفما شاؤوا ، لا في ساحات زينافيري» . التفتت إلى خاميدس . ساءلته : «لا أرى لكَ أشغالاً كثيرة . تبدو خاملاً» .

هزَّ خاميدس بنَبْرِ اعتراضٍ على وصمه بالخامل :

– أنا منكبٌّ على البحث في سيرة الخطأ : كيف بدأ ، وترعرع ، واستُلهِمَ ، وأُعتنِقَ ، وفُرِضَ كنظام .

«هذا كثير» ، عقَّبت شيكتان .

«لديَّ أكثر» ، قال خاميدس . «أرتِّب البراهين على أن خداع النفْس ضرورة لتجاوز المأزق» .

«هذا عِلْم يعرف أصوله كل جنِّي» ، قال مايشا . «لكن فَسِّر لي معنى اعتزال كاشاجو كل هذا الوقت» .

«العزلة تصحيح للعدالة المتهاونة في توزيع النور على الأفلاك» ، ردَّ خاميدس .

«أهذه حقيقة تجرُّها جراً لتجلس إلى جوارك في المعبد ، ياخاميدس؟» ، ساءله مايشا .

«يرضيني أن تجلس الحقيقة ، أبداً ، إلى جواري» ، ردَّ خاميدس .

«كيفما كانت؟» ، ساءله مايشا .

«أنا أقبل الحقيقة إلى جواري كيفما كانت» ، قال سانياري واثباً بلسانه إلى حديثهما .

«حتى لو كانت هزيلة ، ياسانياري؟» ، ساءله مايشا ، فردَّ سانياري :

– لا حقيقة هزيلة إن كانت قادرة على صناعة الشك .

«أقترِحُ ، إذاً ، ترتيبَ كون الجن على سِت زوايا» ، قال مايشا .

«ما معنى ذلك؟» ، ساءله سانياري .

دفع ريكما سانياري ، ومايشا ، بيديه كُلاً إلى جنب فأسقطهما فوق بعض المحتشدين من حوله وأمه . «أنتم شؤم» ، قال ، غير مكْتف بالإشارة إليهما بعينيه ، بل عبر ببصره على خاميدس ، وبونيا ، وهستار أيضاً . نضنض بلسانه خارج فمه : «أستطيع أن أتذوق الشؤمَ في هذه الأبهاء كما يتذوق كاشاجو الكلمات» . اقترب من كبير المنجمين . ساءله مستذكراً برهةً ماضية لم يتمَّ إنضاجَها بتساؤلاته :

- أأخبرتنا ، ياخاميدس ، أنك حاورتَ ماشفير بين يدي كاشاجو؟ .

«نعم» ، ردَّ خاميدس .

«وأنَّ كاشاجو تركه طليقاً؟» ، تساءل ريكما .

«نعم . تركه طليقاً» ، ردَّ خاميدس .

«لماذا؟» ، تساءل ريكما ، فردَّ كبير المنجمين :

- لاعتقاد كاشاجو أن ماشفير معتوه .

«مثل من؟» ، تساءل ريكما .

«مثل سانياري ، ومايشا» ، رد خاميدس .

زأر ريكما :

- إلى متى ننتظر كي نعرف أن مايشا ، وسانياري ، ليسا معتوهين ، بل كل منهما هو ماشفير أيضاً؟ .

هرَّ مايشا ، وسانياري ، من نَفَس القلق مسَّ قلبيهما . هرَّت شيكتان . استدارت بونيا إلى حلقة الجن تكاثفت من حولهم : «سأرجع إلى المعبد» ، قالت .

غمغم مايشا :

- أستتركين بونيا مسترسلة في إشهار معتقدِها الجديد ، ياشيكتان؟ .

«أهو مُعتقَدٌ بِحقٍّ؟» ، تساءلت شيكتان . حدَّقت إلى خاميدس : «إن كانت رؤيا بونيا عن فردوس جديد للجن معتَقدا تُشهِره ، فماذا يترتب على ذلك؟» .

«لا أوافقها» ، كرَّر خاميدس تنصُّله من مزاعم بونيا .

«لا توافقْها . لكن ماذا يترتب على بونيا من ذلك؟» ، كرَّرت شيكتان تساؤلها .

«أن لا تداعب طيفَ الذئب الأبيض بعـــد الآن . أن لا تستشرف رؤيا . أن لاتستنزل على نفسها حلماً تصنعه» ، قال مايشا مستبقاً أيَّ رد من كبير المنجمين .

شدَّ ريكما أمه من ذراعها : «كاشاجو لايسمع هذا الصخب . لكن لم يعد الهواء كافياً ليتنفَّسه . لقد استنفد هذا الحشدُ الهواء من قُبالة ركنه» ، قال . وثب مصطدماً ببعض الجن ابتعاداً بأمه عن ركن أبيه . هتف بصوتٍ عالٍ : «إن اقترب أحد منك ، ياليلوت ، اقتلْه» .

زأر ليلوت العـمـلاَق في وقفته أمام مدخل ركن سلطان زينافيري بنبرٍ وعيد ، فتفرَّق المحتشدون وثباً متردداً ، بأسئلتهم ذاتها في الأفواه يتبادلونها عن عزلة كاشاجو التي طالت ، وعن أحوال القصر في غيابه الصامت الصاخب .

تكاثرت الأسئلة . تلاطمَ الهمسُ عزيفاً موصولاً بعزيف الريح تنفذ من البوابة ، ومن الفتحات في جدران القصر إلى أبهائه . ستة عشر يوماً ، منذ ذلك الاحتشاد أمام ركن كاشاجو ، تبادلَ أسياد الفِرق الإقامةَ في القصر مع أعوانٍ محاربين ، يعيْنون شيكتان على تصريف الشؤون الصغار ، بعيونٍ على الستارة التي تخفي سلطان

زينافيري ، المقتدر في تصريف الشؤون الكبار .

عينا ريكما كانتا ، أيضاً ، على ركن أبيه ، في قلقه المتدرج ، وعلى أمه في انتقالها بين أبهاء القصر ، محاطةً ، أبداً ، ببعض نساء الأسياد وبناتهن .

واضحاً كان اشتغال شيكتان ، بتصميم هادئ ، على تدبير المقاصد للقاصدين ، فلا يغادرها واحد من أمناء أسرار كاشاجو المقتدرين إلاَّ ويحضر آخر تستلهمه شيكتان تقديرَ الأحوال ، وإبرامَ الأحكام . وكَمِثْل الحركة في اجتماع الأنفار بالأنفار ، داخل أبهاء القصر ، والثلل بالثلل ، ترويجاً للشروح والتأويل في احتجاب كاشاجو ، كانت حركة نينيسو ذهاباً وإياباً بين سيدتها ، وبين المدينة ، يرافقها العملاق ليلوت .

«أتمهِّد شيكتان القصرَ ، بهذا التثبيت لاقتدارها على تصريف الشؤون ، لمجيء ماشفير؟» ، ساءل ريكما مطيته زيديكا بنبْرٍ خَلْطٍ من الجد والهزل ، في رقابته لسلوك أمه ومطيتها ستة عشر يوماً بعد خلوتهما المنتهَكة أمام ركن أبيه .

«أهذه رؤيا ، أمْ لكَ عينا ريح؟» ، رد زيديكا بتساؤل .

هرَّ ريكما . حدَّق إلى مطيته :

- لم تزل ، بالطبع ، جسَّاس شيكتان عليَّ . هي تثق بك في هذا ، يازيديكا .

«لم أزل» ، أكَّد زيديكا بصوتٍ متردِدِ النبْر «لكنها لم تعُد تسألني عن خفاياك» .

«ما ثقتها هذه بكَ ، إذاً؟» ، تساءل ريكما ، فردَّ زيديكا :

- ثقة مقلقة .

«ماذا تعني؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زيديكا بنبرٍ متأنٍّ :

- أتعذُرُني إنْ صارحتُك ، ياريكما؟ .

«صارحني» ، ردَّ ريكما . «سأصغي إليك» .

«ربما صرفتْ شيكتان قلبَها عن الظنون فيك» ، قال زيديكا .

«أصارت تثق بي؟» ، تساءل ريكما باستخفاف .

«خُذِ الأمرَ على هذا النحو ، ياريكما» ، قال زيديكا متمهِّلا في كلماته . «ربما لم تعد شيكتان متوجسة منك مذْ هي متيقِّنة من استمالة الكثير من الأسياد» .

هرَّ ريكما كأنَّما نخزتْه الفكرةُ . تساءل :

- بِمَ تَعِدهُم لتستميلهم؟ .

«تَعِدُ نساءهم ربما . لا أعرف ، ياريكما . انظر من حولك إلى نساء الأسياد لايخلو تجوال شيكتان في موضع من القصر ، أو خارج القصر ، منهن ، ومن بناتهن» ، قال زيديكا . أضاف : «ألا ترى نينيسو داخلة على أمين خزائن القصر ، خارجة من عنده؟» .

«أراها» ، هرَّ ريكما .

«ماذا تظنها تفعل ، ياريكما؟» ، تساءل زيديكا . «تخرج بجلود ملونة ، وشرائط من جلود فهود البوابات الرمال ، وأجربةٍ صغار لا أعرف ماذا فيها . هي توزع هدايا شيكتان على نساء الأسياد» .

«أرى ذلك» ، غمغم ريكما متصنِّعاً دهاءً .

«هل استشارتك شيكتان في تناوب الأسياد على الإقامة في القصر؟» ، سأل زيديكا سيده .

نُخِز ريكما مرةً ثانية في موضع مَّا من قلبه . هرَّ متجنِّباً أن يحكم عليه خيالُه بالغفلة . استظهرَ تبرِّيراً :

- كاشاجو أطالَ عزلته ، والأسياد حريصون على الهدوء في القصر .

«لكن شيكتان هي التي تبذلُ الأحكام ، وتصرفُ الشؤون ، وهم يتغاضون» ، قال زيديكا .

اهتز ريكما في وقفته . غمغمَ بنبْرٍ عجلةٍ :

- يكفي . سأقتحم خلوةَ كاشاجو .

لم يقتحم ريكما خلوة أبيه . ماياكي عاد ذلك اليوم إلى القصر مع صاحبيه رومسو ، وأُوْبا ، السيدين من أسياد الفرق ، بعد تفقُّدهم بعضاً من الحصون الرمال . دخل القصر وثباً يجاوره راتو ، وأعوانٌ محاربون ، متجهاً إلى البهو الأعظم . توسَّطَ البهو بهريرٍ فيه نبرُ الاستفسار ، فتقاطر عليه أمناء أسرار كاشاجو ومعاونوهم . بادرهم من فوره ، وهو يدور بعينيه على أرجاء القصر مزدحماً بالجماعات الصغار المتهامسة :

- أين كاشاجو؟ .

أشار أمناء أسرار كاشاجو برؤوسهم إلى ركن السلطان المسدل الستارةِ على مدخله .

هرَّ ماياكي هريراً خافتاً ، مديداً ، مرفقاً بإشارات التساؤل والاستغراب من يديه ، ومن التفاتاته ، فهرع إليه ريكما وثباً عالياً ، كالعارف تماماً ماالذي أثارَ حيرة عميد المحاربين . هتفَ :

- لم يخرُج من عزلته بَعْدُ ، ياماياكي .

فحَّ ماياكي من رئتيه اللتين ضاقتا عتَباً :

- أين شيكتان؟

«ليست في القصر» ، ردَّ ريكما .

«لم يحدث هذا قبلاً . لم يختَلِ كاشاجو بنفسه طويلاً كخلوته هذه» ، غمغم ماياكي . أردفَ : «هل حاولت شيكتان الدخول على كاشاجو؟» .

«لا» ، رد ريكما .

نادى ماياكي مطيته :

- راتو . أريد أسياد الفرق ، جميعاً ، في الساحة قرب الإله كوياسي . فلْينفخ مايتا في بوقه مرة واحدة .

«ما المُقلق ، ياماياكي؟» ، ساءله دايجيك ، أمين سر تجارة القصر مع القوافل .

«وجدنا نفقاً تحت أحد الحصونِ الشرق» . رد ماياكي . وثب وثباً قصيراً ، متمهلاً ، في اتجاه ركن سلطان زينافيري . وقف على بُعد أشبار قليلة من الستارة الجلد ترتعش أحياناً من نَفَس الريح الحرَّة في دخول القصر من حيث شاءت . مدَّ ذراعهُ الطويلة فلامسها بأطراف أنامله . أدار وجهه على الجماعات الصغار في الأبهاء باتوا يتوافدون صوبه ، في أملٍ منهم أن يحظوا بما يلجم تمادي حيرتهم ، ويكبحوا اقتحام الظنون عقولهم بمخالبها خَمْشاً .

قرَّب ماياكي رأسه من الستارة . وضع أذنه عليها برهةً قطَعَها صوتُ شيكتان قادمةً وثباً عجولاً :

- ماذا تفعل ، ياماياكي؟ .

«سأُخرج كاشاجو من عزلته» ، ردَّ ماياكي من غير أن يلتفت إليها .

قرَّب ريكما نفْسَه من ماياكي مغمغماً :

- دعْني أدخل معك عليه .

«لا أحد يدخل على كاشاجو في عزلته» ، صاحت شيكتان .

فحَّ ماياكي ، مستديراً بعينيه إلى شيكتان ، فحيحَ الوعيد . ضمَّ طرف الستارة بِجُمْع يده اليمنى فأزاحها . وثبَ داخلاً ، فوثبَ ريكما يتبعه .

توقف ماياكي على بُعد وثبة من كاشاجو ، المنتصب في النور المغبرِّ يتخلَّل الفراغات بين الجدران الجماجم . لم تُخطئ عيناه في استقراء الجلد المنكمش على عضل ذراعي سلطان زينافيري ، الملتفت نصف التفاتة إلى الوراء بالقناع من صورة سوك على وجهه .

«كاشاجو» ، غمغم ريكما رافعاً يده كأنما يلفت بصر أبيه إليه ليخاطبه ، فأمسك ماياكي بيده . أنزلها . مشى زحفاً بقدميه في الأرض الرمل . هرَّ هريراً متقطِّعاً ، مصحوباً بزفير التوجُّس .

«لن يرضى كاشاجو عن هذا ، ياماياكي» ، قالت شيكتان واقفةً على مدخل الركْن .

لم يعِرْها ماياكي التفاتاً . استمرَّ في مشيه الزَّحف بقدميه . قارب كاشاجو عن كثب . خمدَ خريرُه .

«كلِّمْه» ، قال ريكما .

نفخ ماياكي زفيراً خشناً من حنجرته وهو يتقرى ببصره الجفافَ الرماديَّ ازدادَ دكنةً في جلد عنق سلطان زينافيري ، وفي كل موضع آخر يُرى من جسده في الثوب الذي بلا كمين . أنزل بصره إلى يديه المتصلبتيِّ الأصابع منعقفَةً كأنما تهمُّ بالقبض على شيء ما . زأرَ زئير الفجيعة .

اختلطت السماء بالأرض في زينافيري . زحف الخبرُ عليها بأقدام الريح ، بلا نوْح مُذ الجن لاينوحون ؛ بلا تدبير للأحزان تقاليدَ مُذِ الجن يكتفونَ بالغناء الخفيض إناثاً وذكوراً . ماياكي لم يتباطأ ريثما تكتمل دورة البلاغ بموت كاشاجو على أركان الإقليم ، بل أجرى مراسم ترتيب الحقيقة الثانية لجسد كاشاجو باتفاق مع شيكتان ، وريكما ، وأسياد الفِرق : أوكلَ رادبور بسلخ جلده في أناة إذ بات شديد اللصوق بلحمه اللِّيف المنكمش . نُشِرَ الجلدُ على

حبل في مدخل القصر ليجف. حُمِلَ اللحمُ إلى طيور لاكيلا، وعُلِّقت العظام - كلُّ عظمة بخيطٍ جلد إلى جانب من ركنه المهجور.

ماياكي - الذي أوعز، منذ وصوله من تفقُّد الحصون الرمال، باجتماع الأسياد في ساحة الإله كوياسي، كي يتأوَّلوا معاً عثورَ الراصدَيْنَ على نفق تحت حصن في الشمال - صار في همٍّ آخر يتداوله معهم: معضلة شغور القصر من سلطان.

انتقل تدبير الإجتماع، في اليوم التاليً على توزيع جسد كاشاجو أقاليمَ ثلاثةٍ كحاصل المصائر في أجساد الجن بعد الموت، إلى البهو الأعظم في القصر، بحضور أسياد الفرق جميعاً، وعميد المحاربين، والغطاريف الأقوياء، والمنجمين الأربعة، وأمناء أسرار كاشاجو، وزوجة السلطان، وابنه. نشروا حرساً من حولهم يحجبون حلقتهم عن كل متطفل، أو مستَرِق عليهم سمعاً، ثم سدَّد كلٌّ خيالَه تسديد المعقول على المعقول في شأن من يرث كاشاجو على التصريف والأَحكام.

لم يكن الأمر، على أيةِ حال، ليخرج عن التزام المجتمعين بإناطة القوة، والسيادة، في القصر إلى أهل القصر، وقد رأوا أن يستتبَّ التقديرُ على قبولٍ جامع، سلس، هيِّنٍ، في تحصيل الولاء والطاعة.

خاميدس، كبير المنجمين، تولى استهلالَ العبور إلى المخاطبات بألسِنة الأحكام الكبائر: «عاد كاشاجو إلى ركنه الآخر في النسيان الأعظم. شعبه الآخر معه - شعب الشمس. الأقاليمُ الكُثر الأخرياتُ معه - أقاليم اللهب السيارة في أرجاء كون الجن. ستة جلود طِباقاً على جسده هناك. طبقاتٌ لحمٌ فوق طبقات لحم تحت

جلوده الستة . عظام تحت اللحم تُغلِّف عظاماً ستَّ طبقات . هادئ لايتفكَّر في شيء . رزين كالفراغ» ، قال خاميدس . أدار وجهه إلى ريكما ابن سلطان زينافيري : «نَسْلُه هنا» . نقل بصره إلى شيكتان : «حافظةٌ عهدها بشراكة في نسله هي هنا» . صمت برهةً في العزيف الملجوم للريح لم تكمل هبوبها العاصف من البوابة إلى البهو الأعظم ، بل تشعبت جداولَ على المخارج الثغرات في جدران القصر .

غمغم ميلدان ، سيد إحدى الفِرق السبع عشرة :

- أودَعَتِ الريحُ وريثَها في القصر .

تحركت ضفائر أهل الحلقة باهتزاز خفيف . تحرك لسانُ خاميدس من جديد :

- أُنبِئْتُ ، البارحة ، أن قاطني المساكن ، إلى الشرق من المعبد ، عثروا على طائر لاكيلا متجولاً في زقاق هناك . لم يعهد أحد ، في زينافيري ، هبوطَ طيور لاكيلا من الهضَبة إلى الأرض الرمال .

هرهرت حناجر الواقفين تعجباً .

«ماذا فعلوا به؟» ، تساءل نوكاك ، سيد إحدى الفرق .

«لم يزل هناك . لم يمسه أحد» ، رد خاميدس .

«كيف يتجول الطائر الأعمى؟» ، تساءل نوكاك .

«مَحجَرا عينيه فارغان ، لكنَّ فيهما ريحاً» ، ردت بونيا بصوتها النَّقْر من لسانها على سقف فمها .

هرَّ نوكاك مُذ فاته تأويل المعنى في كلمات المنجمة الجاحظة العينين الحجر البنيتين .

«الآن نعهد إلى شيكتان إعلانَ اسم وارث القصر» ، قال خاميدس محدِّداً مجرى المعنى من وقوفهم في البهو الأعظم .

غمغمت شيكتان بلا كلمات . أدارت وجهها على أسياد الفرق قبل أن تستقر ببصرها على ماياكي :

– أمهِلوني ريثما يهدأ قلبي .

«ماذا؟» ، غمغم ريكما مستنكراً ذلك التأجيل في إعلانه وريثاً .

نظرت شيكتان إلى ابنها نظرة التأكيد على التأجيل ، باطمئنان من قلبها إلى أن الأسياد الذين استمالتهم بزوجاتهم ، لن يعترضوا إلاَّ ماياكي الذي أبدى تساؤلاً بصوت خفيض :

– إلى متى؟ .

«إلى أن يهدأ قلبي» ، كررت شيكتان وصفَ التبرير في دواعي التأجيل .

«فلْيهدأ قلْبُك قريباً ، ياشيكتان» ، قال ماياكي . هرَّ كأنما يعود بخياله إلى استفسارٍ أجَّله . سأل الأسياد : «ماذا عن النفق تحت أحد الحصون؟» .

قاطعه ريكما مستشعراً حيلةً من أمه في تأجيلها توريثَه :

– فلْينتظر النفقُ ، ياماياكي . ماذا عنِّي؟ .

«ماذا عنك؟» ، تساءل ماياكي .

«لِمَ هذا التأجيل في إعلاني وريثاً؟» ، ردَّ ماياكي .

نظر ماياكي إلى شيكتان :

– قلب شيكتان سيهدأ ، ياريكما . حين يهدأ قلبها سيبدأ صخبُ قلبِك .

«قلبها هادئ» ، ردَّ ريكما . «هادئ كإقليم زينافيري الهادئ» . جال ببصره على المنجمين ، أولاً ، فالأسياد : «فلْيُحْسَم الأمرُ الآن» .

«سيُحسم حين يصير لك نسل ، ياريكما» ، قالت شيكتان .

فوجئ ريكما بالشرط أضافته أمه إلى شرطها الأول ، وهي تومئ برأسها للأسياد استجلاباً لموافقتهم ، فوافقوها بهزٍّ رؤوسهم .

وثب ريكما ليصير قبالة عميد المحاربين :

– أتؤيد شيكتان ، أنتَ أيضاً ، ياماياكي؟ .

ظلَّ ماياكي على صمته . أدار وجهه على الأسياد في الحلقة متردِّداً في أن يعارض موافقتهم على شرط شيكتان ، أم يضمَّ موافقته إليهم أيضاً . هزَّ . حدَّق إلى المنجمة بونيا :

– ماذا ترين في نزول طائر لاكيلا إلى أزقة زينافيري ، يابونيا؟ .

«سأتيك بجواب إذا اتجه الطائر ، في تجواله ، إلى المعبد أو إلى تمثال الإله كوياسي» ، ردت بونيا .

«ماذا إن اتجه إلى القصر؟» ، تساءل نِيْدج ، أحد أسياد الفرق .

«سيصير من مخلوقات حديقة القصر إلى جوار طيور كارنا» ، ردت بونيا .

زأر ريكما زئيراً مكتوماً من حنقه على المحاورات التي لا تعنيه :

– ماذا عني؟ .

تقدم ليلوت العملاق من الحلقة بغتة ، في وثب بطيء كالزحف . تساءل مستبقاً أن يرد أحد على ريكما :

– ماذا عنِّي؟ .

نظرت شيكتان إلى سيد ليلوت الأول داردِيك ، الذي أهدى المطية إلى كاشاجو . ساءلته :

– ماذا عن ليلوت ياداردِيك؟ .

«فلْيعُد إليَّ» ، رد داردِيك سيد إحدى الفرق .

هزَّ ليلوت ، الذي لم تتدبَّر له المصادفة أن يمتطيه سلطان

زينافيري . أدار بصره إلى نينيسو الواقفة على بُعْد وثبتين من حلقة المجتمعين إلى جوار بعض الأعوان الحرس . رفع صوته لتسمعه مطية شيكتان :

- أتقبلين بي ، يانينيسو ، شريكاً في ذبابةِ استنسال؟ .

هزّت نينيسو متفاجئة . وجهت بصرها تلقاءً إلى سيدتها شيكتان . ردّت ردَّها كأنما تلقّنته :

- سأفكر بالأمر حين يهدأ قلب شيكتان .

صفع ريكما الأرض براحة يده . أثارَ غباراً تنشّقه في هياج :

- ربما سيكون شرط نينيسو الثاني هو أن تنتظر ردَّها ، ياليلوت ، إلى حين خروج وليدي من الكُرةِ الحجَرِ الحاضنة .

«ولِمَ لا؟» ، تساءلت شيكتان . «سيخرجُ الزمنُ ناضجاً لك في القصر كوليدك ، آنئذ ، ياريكما» .

في نبرٍ خيبة ، فحَّ ليلوت متراجعاً عن حلقة الأسياد . لكنَّ ريكما ألحفَ ، ثانيةً ، على ماياكي بسؤاله الذي تجاهله عميد المحاربين قبلاً :

- أتؤيد شيكتان ، يامايكي؟ .

«تدبَّر لك شريكة ، ياريكما» ، ردَّ ماياكي بنبرٍ هادئ . «استنْسِل . سينصت القصر إلى لسان كاشاجو في فمك ، وسينصت إلى لسانك في فم وليدك» . استعاد تساؤله الذي لم يحظَ بإتمام تداوله بين الأسياد : «ماالنفق ذاك ، تحت الحصن؟» .

«كيف كان؟ كيف عثرتم عليه؟» ، ساءله ميهانيس ، سيد إحدى الفرق .

«حصل انهدام» ، ردَّ رومسو ، الذي رافق عميد المحاربين في تفقُّد الحصون الرمال . «انهدم النفق . انهدم جزء من الحصن فوقه .

كان آخر النفق ينتهي أسفلَ الحصن ، أما امتداده في الفيافي ، من حيث جاء ، فلا نعرف» .

«زعمَ رادبور الجلاد ، مراراً ، أنه استنشق من ذاكرات من استنطقهم ، من أتباع ماشفير ، رؤىً أنفاقاً لم يتعدَّها حصولاً على سرٍّ منهم . لا رادبور ، لا المنجمون ، تأوَّلوا معنى لتلك الصور الرؤى» ، قال ماياكي .

«هل النفق ، تحت الحصن ، من صُنع ماشفير؟» ، تساءل ميهانيس باستنتاج حذر .

فحَّ أوبا ، الذيً رافق بدوره ماياكي في تفقُّد الحصون : «لامعنى لذلك» ، قال . «ماشفير أعمى» .

«الأعمى لايهمه النفق المظلم لأنه أعمى . لكن ماذا عن أتباعه؟ أصيَّرهم ماشفير عمياناً يقودهم في أنفاق؟» ، تساءل ميلدان سيد إحدى الفرق .

«ما حاجة ماشفير إلى نفق إنْ كان من صُنعه؟» ، تساءل ميهانيس .

«لربما يريد أن يُفاجئ زينافيري من تحت رمالها» ، علَّقَ لالاك سيد إحدى الفرق .

زمجر ريكما يأساً مِنْ حسْمِ إعلانه وريثاً تلك الساعة . وثب إلى ظهر مطيته زيديكا على نحوٍ لايفعله داخل القصر ، هاتفاً : «سآتي بشريكة» ، قال بصوت فيه نبرُ الوعيد . لكزَ مطيته خارجاً من القصر على عجل ، تاركاً عميد المحاربين وأسياد الفرق في تأويلهم لمعاني نفق تحت أحد الحصون . «خذني إلى القرى غرباً ، يازيديكا» .

في الطريق إلى ضواحي مدينة زينافيري غرباً ، أوعز ريكما إلى

زيديكا أن يبطئ وثبه . جمعت الريحُ في عصفها العزيف على خياله رملَ الريبة كثيباً . باح لمطيته بمشاغل قلبه :

– ماذا حدث لكاشاجو؟ .

«ربما هي الحسرة على سوك ساقتْه إلى النسيان الأعظم» ، ردَّ زيديكا الطويل الساعدين بإفراطٍ .

هزَّ ريكما غير مقتنع :

– هذا من تصاميم الحِيَل .

«مِنْ تصاميم الحِيَل؟» ، تساءل زيديكا . «ماذا تعني؟» .

«تُنبئُني الريبةُ أن لشيكتان يداً في ماجرى لكاشاجو» ، قال ريكما .

غمغم زيديكا بنَبْرٍ حيرة :

– ألا تبالغ في ريبتك ، ياريكما؟ .

«رأيتَ بعينيك ، يازيديكا ، مافعلتهُ شيكتان ونينيسو بسوك ومطيتها» ، قال ريكما . زأر زئيراً خافتاً : «لِمَ لم تدخل شيكتان على كاشاجو في خلوته حين أطالَ ، فاستكثرَ بعزلته الهمسَ في القصر بين الجن؟» . شدَّ ضفائر مطيته فأوقفه عن وثبه القصير الهادئ : «ماذا عن تأجيل التوريث؟ هذا من تصاميم الحِيل في عقلِ شيكتان» . زفرَ زفيراً انتفخَ منه الجلدُ حول ثقبي منخريه : «عليَّ أن أستميل ماياكي» .

عبر زيديكا براكبه ثلاث قرى ذوات ساحات دائرية تحفُّ بها المنازل ، متوجِّهاً إلى الرابعة ، الصغيرة ببيوتها الغائرات أنصافها في الأرض الرمل . وقف جنٌّ في الدرب ، أمام أبواب مساكنهم ، يستعرضون الراكب ومطيته . حام أطفال حولهما . هرُّوا ، وعووا ، وزمجروا لاهينَ . هرَّ زيديكا . عوى ، وزمجرَ مُدَعِباً ، قبل أن يُشيرَ

ريكما عليه بالانعطاف إلى سور رمل يفصل المسكن الذي يحيط به عن بيوت القرية . دخل ريكما بمطيته من البوابة الوسيعة . تلقَّفهُ صوتٌ من تحت سقيفة من الجلد مرفوعة أمام باب المسكن على أربعة أعمدة .

«ريكما» ، نادتهُ فتاةٌ مرحِّبةً تثب قادمة بفتى من خلفها .

نزل ريكما عن ظهر مطيته . ردَّد اسمَ الأنثى القادمة صوبهُ : «آسْما . لِمَ لا تزورين القصر؟» .

توقفت الفتاة قبالة ريكما ومطيته . ردَّت :

– زرتُ القصرَ مرَّةً ، حين وُزِّعَ جسدُ سوك جلداً ، ولحماً ، وعظاماً .

غمغم زيديكا مستفسراً ، ببصره على آسما يتفحَّصها :

– كم تشبه سوكْ .

«يدُ أنثى واحدة ، ويد ذكر واحد ، ، حضنتا ذبابة استنسال سوك ، وآسما ،» ، ردَّ ريكما . نظر إلى الفتى الذي جاور الفتاة :

– متى ستنضم إلى المحاربين ، ياديْكْتو؟ .

«سننضم معاً ، ديكتو وأنا ، إلى فرقة نوكاك السيد» ، ردت آسما .

«لِمَ لاتنضمين إليّ؟» ، ساءلها ريكما .

هرَّت آسما هريراً خفيضاً :

– أصرتَ سيدَ فرقة؟ .

«بل سيد الفرق كلها» ، رد ريكما ، أضاف : «قريباً» . رنَّت الكلمةُ مع زفيرٍ أطلقهُ . دار ببصره على الساحة : «أين كُوْمات؟ أين كالُوْنكي؟» .

كان واضحاً أن ريكما يستفسر أختَ سوك عن أبيها ، وأمها ،

محدِّقاً إليها بعينيٍّ الرغبة الصريحة في انضمامها إليه .

«هُما في صيد» ، ردت آسما ، مستشعرة في نبر صوت ريكما عَرْضاً .

«سآخذك إلى القصر . شاركيني نسلي ، يا آسما» ، قال ريكما مُلْقياً عرْضَه مكشوفاً على قلب الفتاة ، وخيالها .

في أناة تخيَّرَ شاعر مجْمَع الذباب داميكو ذبابة ذهبية لريكما وآسما . وفي أناة أنجزت الرسامة آردو نحتاً نافراً لوجه الفتاة على لوح علَّقه ريكما إلى جوار لوح آخر عليه رسمُ سوك ، في ركن أبيه الذيّ اتخذه مُقاماً ، وأسكنَ الفَتَاةَ ركنَه هو إلى يمين ركنه الجديد .

انتقلت الذبابة الذهبية ، بعد حَضْن معلوم في راحتي يدي ريكما ، وآسما ، إلى كرة حجر سُدَّ ثقبُها ، وأُرْكِنَتْ ناحيةً من مُقام ريكما الثنية العميقة في الجدار الشمال للقصر .

مراراً تهيَّأ لريكما ، في وقوفه داخل ركنه يستنزل حلماً على خياله من صناعته ، كفعل الجن بصناعة أحلامهم عَمْداً دقيقاً ، أن الذبابةَ تُريه نفسَها في الكيان الصلب الحجري ؛ تكلِّمه ؛ ترشق خيالهُ بصورة نحت من حجر أسود للجنين المنتَظَر . وكلَّما همَّ ريكما في إمعان النظر إلى النحت أهو لجنين أنثى ، أم لجنين ذكر ، حجبت الذبابةُ نفسَها ، وتلاشى النحت المحفور متذرِّياً رملاً أسود في عبور الريح من بوابة القصر إلى أبهائه ، فالأركان الثنايا في الجدران .

شيكتان ، أيضاً ، كانت تستنزل على خيالها حلماً تتصنَّع تفاصيله من نَسْج رغائبها ، في مُقامها إلى يسار ركن ابنها ريكما ، مدى أيام من استقرار ذبابته في الكُرةِ الحجر الحاضنة ، وتسرد حُلمَها ـ حلمَ الجن الذين لاينامون على مطيتها نينيسو : «كلما

أقصيتُ صورة ريكما عن اجتماع الأسياد ، في الحلم ، ظهرت صورة سوكِ على ظهر مطيتها ناكولي . فإن لم تظهر صورتها ظهر الأسياد مبتلّيْنَ يقطرون ماءً في البهو الأعظم» .

«استبدلي حلمك هذا بغيره . اصنعيه مرغوباً ، لامقلقاً ، ياشيكتان» ، عقّبت نينيسو . «بل الأفضل أن تتوقفي عن صناعة أي حلم» .

كان الحُلْمُ المُحْكَم الذي لايتصنَّعهُ خيالُ شيكتان ، يجري في واقع القصر تديرهُ هي ريثما يُنضِجُ الزمن نسلَ ابنها في الكرة الحجر بحسب اقتراحها في تأجيل التوريث . لم تكن في حاجة إلى استنزال حلم ، عن سابق تصوُّر بتفصيله ، على خيالها : الأسيادُ يُلبُّونها إن دعتهم . تستشير ماياكي في تصريف الأمور وتشير عليه بالتصريف . تستعلم من أمناء أسرار كاشاجو وقائع تجارة القصر مع القبائل ، وتحصيلَ الإتاوات من العظام للخزائن ، وَمَنْعَةَ الحصون الرمال ، وبأسَ المحاربين في أُهبتِهم الدائمة . أمَّا المنجمون فكانوا رهنَ إشاراتِها تستقدمهم إلى القصر في تأويل حركات الريح هبوباً إلى أبهاء القصر ، وفي اتجاهات خروج الجراد من فراغات الجدران بعد دخوله ، وتأويل عصف الذباب وخمود حشوده ؛ أو تزورهم في المعبد آناءَ ظهور طيف الذئب الأبيض عليهم فيداعبونه متوهِّمين مستوهمين لايرى ذلك الطيفَ سواهم .

لكنَّ قلب شيكتان لم يكن كواقع القصر في اقتدارها الظاهر على إدارته بسلطانها إدارةً هادئة . كان قلبها يتمرَّد على اطمئنان بصرها في النظر إلى شؤون إقليم زينافيري من حولها ، منكمشاً من فكرة أن ينجز الوقتُ لابنها خروجَ وليده من الكرة الحجر الحاضن . ربما لاشيء سيوقف ريكما ، آنئذ ، من استرداد ماهو لَهُ موروثاً من

أبيه ، ولن تستطيع هي اعتراضَ الأعراف ، والتأجيل عليها بشروط الحِيَل .

«كم تبقّى لوليد ريكما من وقت لتُنجبَه الصخرةُ؟» ، سألت شيكتان مطيتها نينيسو في خلوة جَرَيا فيها وثباً رقيقاً في مسالك حديقة القصر ، بين أقفاص فهود البوابات الرمال .

«لا أعدُّ الأيام» ، ردَّت نينيسو .

توقفت شيكتان ، في تجوالها ، أمام المسكن الخراب ، أُقيم لسُكنى الأنثى الإنسية لصقَ جدار . نظرت إليه خالياً مهجوراً على حالهِ لم يُمَسَّ ، أو يُهدم ، أو يُسْكن : «أيُّ نسلٍ كانت هايكاهيكسين؟» ، تساءلت . «أيُّ حجر حواها جنيناً؟» . حدقت إلى نينيسو . همست : «التقطي ذبابةً وضيعة» .

اختلست نينيسو براحة يدها ، خَطْفاً سريعاً كَرَشْق ضفادع واحة كيما الحشراتِ بألسنتها ، ذبابةً من الجو . قرَّبت يدها المضمومة من أذنها تتسمَّع الطنينَ الخانق . تساءلت :

- ماذا أفعل بها ، ياشيكتان؟ .

كحال يدها الشديدة السرعة في خطف الذبابة من الجو كانت حال نينيسو ، في وقتٍ من عصر ذلك اليوم ، وهي تتسلل في خلسةٍ من سهو الأعين عنها ، إلى ركن ريكما ، بعدما تصنَّعت دخولاً إلى ركن سيدتها شيكتان برهةً ، تستطلع من مدخله أبهاء القصر ، وتجوال الجن فيه ، على قُرب أو بعد . هرعت إلى الكرة الحجر . نزعت سدادةَ الجلد عن ثقبها فأودعتها الذبابة العادية ، الوضيعةَ النَّسَب ، وسدَّت الثقب . خرجت بعد تفحُّص ، بانعطافٍ إلى ركن شيكتان من جديد . أعادت ، من مدخل مُقام سيدتها ، استقراءَ أعين العابرين لتطمئن إلى أنها لم تُلْحَظ ، فاطمأنت .

سريعاً ، قبل نضوج الوقت المعلوم لولادات الجن بالأيام عداداً ، انفلقت الكرة الحجر عن جنين ريكما ، وآسما ، مسخاً هلاميَّ الأعضاء ، لهُ رأسُ ذبابة ذهبيٌّ ، وجناحان كجناح الجراد . تخبَّط المسخ في دبَق هلامه قليلاً ثم خمد .

آسما عثرت على المسخ في دخولِها ركن ريكما تستجلب لهُ جِرَابَ عظام . زأرت هلعاً . تردد الزئير ، بعد ذلك ، في أرجاء القصر من الحناجر كلها أسفاً على فَقْد ابن سلطان زينافيري نسلَه البكر ، الجهيض .

زأر ريكما كما لم يزأر قبلاً ، لا على فقْد وليده حَسْبُ ، بل فقده فرصةَ العبور إلى وراثة القصر .

فحَّت شيكتان تأسِّياً لابنها ، فلم يُقنعهُ فحيحُ أمه . تلبَّد قلبه بسحائبَ ذبابٍ . صفع الأرض الرمل . أثار غبار تنشَّقه . سارع إلى الشاعرين في جناحهما العالي . تخيَّر ذبابة أخرى ، حمراء ، بعينين زرقاوين لاحتضان جديد في يده ويد آسما . لكنه لم يَخْلَد هذه المرة إلى الإكتفاء بما سينجزه الوقت عادلاً في سيرورته بذبابة ريكما إلى إحقاق الوعد به سلطاناً على زينافيري . قرر البدء بالنفاذ إلى حيلة أمه لينحرها ، أو ليرتب انتقالاً للإرث إليه في موعدٍ لن تؤجله مصادفةُ غدر الكرة الحجرية فتُجهِض جنينه .

قصد ريكما عميد المحاربين ماياكي في معسكره الشاسع ، غرب الهضبة لحمراء ، المديدِ بالخيام الجلود قباباً فوق حُفَر قليلة العمق يتشاركها كلُّ محاربيْن خيمةً واحدة .

كانت استعراضات التأهب المتواصل تجري متفرقة في أرجاء المكان تدريباً بالمنازلات ، والمطاردات ، والمُعَاركات ، وصنوف الوثب اتِّقاءً من رميٍ ، والاختباء تمويهاً تحت الرمال ، والمخادَعة بالزحف

كالجراد على البطون . تعبئةٌ لا تكِلُّ ، وأهْبَةٌ لا يملُّها المحاربون في حضور سيدهم ، أو في غيابه عن معسكره الأكبر بحشده القوي من معسكرات الأسياد السبعة عشر .

سأل ريكما عن عميد المحاربين فدُلَّ على موضعِهِ شرق المعسكر ، في نهايات خيام المحاربين الأقرب إلى سفح الهضبة . كان ماياكي مجتمعاً تحت سقيفة من الجلد ، على أعمدة تخفق بها الريحُ خفقَ قلبٍ هائج ، بأربعة من السُعاة بالأخبار ، والأوامر ، بين مَضارب الفرق المتواصلة استعلاماً بعضها من بعض . ويلابو ، قياف البروق ، الذي كان في الجمع الصغير ، بدوره ، إلى جوار راتو ، ومطايا السعاة ، لفت بصر ماياكي إلى ابن سلطان زينافيري قادما على ظهر مطيته زيديكا ، في وثبٍ قصير متأنٍّ .

هرَّ ماياكي معلناً ختام لقائه بالسعاة ، الذين وثبوا إلى ظهور مطاياهم منصرفين . زحف بقدميه في الرمل أشباراً ، بلا وثب ، إلى لقاء ريكما ، من غير أن يخرج من تحت السقيفة الجلد الظليلة ، فبادله ريكما من مَبْعَدةٍ بَعْدُ :

– أيأتي ويلابو المحاربين ببروق؟ .

«إن كان في جِرابكَ رعدٌ ، ياريكما ، فقد يهديك ويلابو برقاً» ، ردَّ ريكما .

نزل ريكما عن ظهر مطيته . اقترب من ماياكي . أشار بيده إلى قمة الهضبة :

– سمعتُ بعثور جن ، شرق المدينة ، على طائر آخر من طيورنا المقدسة متجولاً في الأزقة .

«هذه رؤيا ، في الأرجح» ، عقَّب ماياكي .

اقترب ريكما من ماياكي حتى كاد أن يلامسه . هامسَهُ :

- أتمنحني حظوةَ اختلاءٍ بك ، ياماياكي؟ .

زفر ماياكي في هدوء ، متفحِّصاً عيني ريكما .ردَّ :

- أمنحك .

سار ماياكي وريكما وثباً قصيراً ، رزيناً ، مبتعدين عن مطيتيهما ، وعن قياف البروق ، في اتجاه أهضام الهضبة الحمراء . اعتليا كثيباً غير عال . أشرفا من قُلَّته على منابع الريح ، وشلالات الريح منسكبةً من أوقيّانوسها الخفيِّ بمكاييل الوجود .

«ماذا عندك لي؟» ، سأل ماياكي ابنَ سلطان زينافيري ، من غير أن يرفع بصره عن الأفقِ الشمال .

«أخَامَركَ ، ياماياكي ، أنَّ شيئاً جرى لسوك؟» ، سأل ريكما عميدَ المحاربين .

التفت ماياكي بوجهه إلى ريكما يزنُ سؤالَه الذي بدا فارغاً . ردَّ :

- جرى لسوك أنها غرقت .

«نعم . غرقت» ، غمغم ريكما . «لكن ، أخَامَرك أنها لم تسقط في الماء سهواً بمطيتها؟» .

أبقى ماياكي بصره المتفحص على عيني ريكما . ردَّ :

- لم يخامرني شيء من هذا . لم أفكر في الأمر أبعدَ من غَرَق .

«فكِّرِ الآنَ» ، قال ريكما .

«أفكر ، عادةً ، بحصون زينافيري ؛ بأحوال المحاربين ؛ ببقاء القصر منيعاً ، متأنياً في صناعة الأحكام» ، رد ماياكي .

هزَّ ريكما يصحح لنفسه مسارَ المحادثة بتلميحٍ مَّا قد يثير ريبة في عقل عميد المحاربين . ساءله :

- ماذا جرى لكاشاجو فجأةً؟ .

«إلى أين عليَّ أن أتبع خيالك ، ياريكما؟» ، ساءله ماياكي ، فردَّ ابن سلطان زينافيري عليه بسؤال :

- أين أنت في الوسط بيني وبين شيكتان؟ .

زفر ماياكي مدركاً أن وراء التلميح على لسان ريكما تصريحا ردَّ :

- أنا في الوسط من إقليم زينافيري .

«أأنت في وسط زينافيري ، الآن؟» ، ساءله ريكما ، فرد ماياكي :

- حيثما أكُنْ يكُنْ وسطُ إقليم زينافيري .

زفر ريكما يتهيَّأ لاجتذاب مافي أعماقه إلى لسانه . انتفخ الجلد من حول منخريه الثقبين . نفخ على يده الحاضنة ذبابتَه :

- لماذا قصدتُك ، ياماياكي؟ .

«لتكونَ دليلي إلى الريبة» ، ردَّ ماياكي .

تحرك ريكما بقدمين زحف بهما على الرمل فوق قُلَّة الكثيب . ألقى كلماته رشقاً مثيراً :

- أنا وزيديكا شهدنا غرقَ سوك ومطيتها ناكولي .

هرَّ ماياكي منزلقَ القلب إلى حافة الحيرة من كلمات ابن سلطان زينافيري . ساءله :

- أتركتماهما تغرقان؟ .

«أُغرقتا عمداً» ، قال ريكما .

«عَمْداً؟!!!» ، فحَّ ماياكي بصوتٍ محتبِس .

«شيكتان ونينيسو أغرقتا سوكْ ومطيتها» ، ردَّ ريكما في همس .

زأر ماياكي متصادمَ الضفائر بجانبي رأسه . قرَّب وجهه من وجه ريكما . ساءلَهُ بنبْرٍ مَسْنونٍ :

- أحاولت منعهما؟ .

«كان قد فات الأوان ، ياماياكي . كنا على الضفة المقابلة من بركة النبع» ، ردَّ ريكما .

«لماذا كتمتَ الأمر؟» ، ساءله ماياكي بلسانٍ غاضب ، ملبَّد بالحيرة أيضاً .

«تساوى لديَّ الكتمانُ والتصريح . لا أعرف حتى اليوم أيهما الصواب» ، رد ريكما . حدق إلى ماياكي : «ماذا كنت تفعل لو أنك ريكما ، ياماياكي؟» .

هرَّ ماياكي مرتاباً . ظلَّ صامتاً ، فبادره ريكما بالسؤال الآخر المقلق :

- أظنُّ أن شيئاً ما حدث لكاشاجو .

«ماذا في خاطرك ، ياريكما؟» ، ساءله ماياكي . «دخلنا على كاشاجو في ركنه معاً . مامن أثر يشير ريبةً كان هناك» .

«كان الأثر في مكان آخر ، ياماياكي» ، قال ريكما . «ألا ترى تودُّد شيكتان إلى نساء الأسياد ، والأسياد؟ ألا ترى هذا التأجيل الفارغ ، بشروط شيكتان ، في نقل إرث القصر إليَّ؟ ظنوني أكثر من خيام معسكرك» ، قال ريكما .

زأر ماياكي زئيراً خفيضاً ، متقطعاً :

- أتتهم شيكتان؟ .

حدق إليه ريكما صامتاً ، تاركاً لخيال عميد المحاربين ترتيب يقين . انخفض . صفع الرمل على الكثيب فأثارَ غباراً تنشَّقه . استقام من غير نظر إلى ماياكي :

- ماذا لو أقمتَ معي في القصر؟

«أقيم معك في القصر؟!» ، تساءل ماياكي مستغرباً عرْضَ ريكما . «ماالداعي؟» .

«تقيم معي في القصر أنت وأهلُك ، في ركن يجاورني ، ياماياكي . أقاسمك خزائن المؤن ، ومحاصيل القصر من موارد الإتاوات» ، قال ريكما بصوتٍ مثير النبْر .

«عندي مايكفيني ، ويكفي معسكري من خزائن المؤن ، ياريكما» ، ردَّ ماياكي همساً .

«ماذا لو قدِرتَ ، بإمكانات إضافية ، من توسيع معسكرك حتى حدود أرض مانعات الرياح؟ ستكون لديك ، ياماياكي ، خزائن تكفي لأجور أضعاف مالديك من المحاربين» ، قال ريكما . وزّع الإشارات بيده المضمومة على ذبابته على الجهات من حوله : «إن أخضعْنا الأقاليم التي هناك ، ستكون حظوظُك من الأسلاب ، بكثرة محاربيك ، مالن تتخيلها ، ياماياكي» .

فحَّ ماياكي بلا ردٍّ . أبقى بصره على بعض الجهات حيث أشارَ ريكما بيده . تمتم :

- أين شيكتان من عرْضك هذا ، ياريكما؟ .

«شيكتان» ، غمغم ريكما في حنق واضح . قرَّب رأسه من رأس عميد المحاربين :

- هِيْدْس يتردد كثيراً على شيكتان .

«أسياد الفرق كلهم يترددون على شيكتان . وسيبقى الأمر كذلك إلى حين انتقال الإرث إليك» ، عقَّب ماياكي .

هرَّ ريكما بنبرٍ فيه تحذير :

- ستستبدلكَ شيكتان .

«بمن؟» ، غمغم ماياكي . «أتلمِّح إلى هيدس؟» ، تساءل .

«نعم» ، ردَّ ريكما .

«ذلك صعبٌ تدبيره ، ياريكما ، حتى لو أقنعت شيكتان سيدين آخرين بضمِّ محاربيهما إلى فرقة هيدس» . قال ماياكي . وثب وثبة قصيرة يمهد بها لنزوله عن قُلَّة الكثيب . التفت إلى ابن سلطان زينافيري : «لن يقع الأسياد في فخ كهذا» .

«الأسياد» ، قال ريكما الكلمة في زفيرٍ قوي . «لقد استمالتهم شيكتان» .

«ليس بعد» ، ردَّ ماياكي . أكمل نزوله عن الكثيب .

لحق به ريكما . جاوره على الأرض الرمل في العراء على حفاف المعسكر . خاطبه :

- ما يقلقني ، يا ماياكي ، لا يقلقك . شيكتان ستلفِّق تأجيلاً بعد تأجيل .

«لِمَ ستفعل ذلك؟ أنت وريث كاشاجو» ، قال ماياكي .

«أصدَّقتني أنها أغرقت سوك؟» ، ساءله ريكما ، فرد ماياكي :

- ماذا تتوقع مني؟

«لا أعرف» ، رد ريكما . «أنت في الوسط بيني وبين شيكتان» .

«إلى أين تريدني أن أثِب من الوسط بينك وبين شيكتان ، ياريكما؟» ، ساءله عميد المحاربين .

«اجعلْ وثبتك في اتجاه زينافيري» ، قال ريكما .

«أنا في زينافيري» ، عقَّب ماياكي .

«لكنك لا ترى زينافيري» ، قال ريكما .

حدَّجه ماياكي بنظرة ثقيلة . واصل وثبه صوب الخيام وهو يتمتم بصوت يسمعه ريكما :

– ما بينك وبين شيكتان ستحسمه الأعراف .

«لستَ قلقاً ، ياماياكي . أحسدك» ، قال ريكما .

توقف ماياكي عن سيرِه الوثبِ القصير . نفض عن ضفائره رملاً عَلِقتْه وهو يكلم ريكما :

– ستكون الأمور على مايرام . انتبهْ إلى ذبابتك .

«إن كانت هذه الذبابة هي التي ستورِّثني القصر فأنا لا أريدها» ، قال ريكما . رفع يده المضمومة على الذبابة أمام بصر ماياكي . أرخى أصابعه .

«ماذا تفعل ، أيها الأخرق؟» ، صرخ ماياكي بابن سلطان زينافيري ، وهو يرى الذبابة الحمراء طليقة حرة . زأر : «ماذا فعلت؟» ، قالها بنبر الحسرة على أنْ لاجني ترتخي قبضته على ذبابته إلاَّ ويفقد حظَّه في الاستنسال نهائياً .

زأرَ ريكما بدوره . ردَّ : «حرَّرتُ الذبابة . حررتُ شيكتان من شرطِ أن يكونَ لي نسلٌ لأرثَ كاشاجو . أنا حرٌّ» . حدَّق إلى ماياكي المنتفخ الجلد حول منخريه من ذهوله : «سيكون إقليم زينافيري هو نسلي ، ياماياكي» . وثب وثباً طويلاً حتى بلغ مطيته زيديكا . اعتلى ظهره وانطلقا منصرفيْن .

جمد ماياكي في موضعه . أدرك راتو ، وويلابو ، أن ريكما صبَّ على قلب عميد المحاربين رملاً ذهولاً . هرعا إليه . توقَّفا قبالته .

«ماذا جرى؟ لماذا سكنتَ هكذا جامداً؟» ، ساءل راتو سيده .

«حرَّر الأحمقُ ذبابته» ، غمغم ماياكي بنبرٍ ثقيلٍ من العجب فيه .

«أطلقَها؟!!» ، تساءل ويلابو بصوتٍ فحيحٍ .

لم يردَّ مـاياكي المندهش سائراً ببصـره وراء طيف ريكمـا على ظهر مطيته .

«كيفَ سيستحصل إرثَ القصر بلا نسل؟» ، تساءل راتو . «لِمَ فَعَلها؟» .

«أظُنُّهُ يدفع المجـابهـة مع شـيكتـان إلى طريق اللاعـودة» ، ردَّ ماياكي . وثبَ ممتطياً ظهرَ راتو ، رافعاً صوته : «اتبع البروقَ في قصر زينافيري ، ياويلابو» ، ثم ابتعد عن مطيته صوب المَعسكر .

«أخبرني ريكما ما يقلق ، ياراتو» ، قال ماياكي لمطيته في المعبر الرمل بين خيام المحاربين . «إنه يعرف من أغرقَ سوكْ ومطيتها» .

هرَّ راتو متفاجئاً . غمغم بصوتٍ فيه نبْرُ الإجفالة :

- مَنْ أغرقَ سوكْ؟ .

«يزعم أن شـيكتـان ، ونينيسـو ، أغـرقـتـا سـوكْ ومطيـتـهـا» ، ردَّ ماياكي . «ولديه شكوكٌ في أن يكون ماجرى لكاشاجو مُدَبَّراً» .

«أصدَّقتَه؟» ، تساءل راتو ، فردَّ ماياكي :

- محيِّر هذا الذي يجري بين شيكتان وريكما .

رجع راتو إلى سؤاله ذاته :

- أصدَّقتَهُ؟

«أنا في الوسط بين التصديق والتكذيب» ، ردَّ ماياكي .

«كيف بدا كاشاجو حين دخلتَ عليه؟» ، سأل راتو سيده ، فردَّ ماياكي :

- كان واقفاً في ثبات ، مستديراً قليلاً بوجهه ، في قناع سوك ، إلى الوراء .

«إلى مَ كان ينظر؟» ، ساءله راتو ، فرد ماياكي :

- إلى طيف سوك ، ربما . كيف لي أن أخمِّن؟ .

«منذُ متى يعبُرُ الجنُّ النسيانَ الأعظم واقفين؟» ، تساءل راتو .
فرد ماياكي بتردُّد في صوته :

- ربما رتَّبت المصادفة لسلطان زينافيري عبورَ النسيان الأعظم واقفاً ، ياراتو . بل ربما كان ملتفتاً إلى شبحه الذي غادر قصر زينافيري .

«ألديك شكوك حول شيكتان ، ياماياكي؟» ، ساءل راتو سيده .

«شيكتان حذرة في ماتفعل . نينيسو هي سرُّها» ، ردَّ ماياكي .

«ماذا لو استنشق جلاد زينافيري ذاكرةَ نينيسو؟» ، تساءل راتو .

«كيف له أن يفعل؟» ، ردَّ ماياكي .

هزَّ راتو لا يعرفُ أين يَثْبت بيقينه . غمغم :

- أسرار القصر هي للقصر ، ياماياكي .

ألقى ماياكي بصره إلى البعيد ، وراء خيام معسكره ، متتبِّعا ريكما الذي لم يعُد يُرى في حجاب الأفق المختلط رملاً معصوفاً :

- خرج ريكما خائباً من لقائي .

«أيقلقُك ذلك؟» ، ساءله راتو فردَّ سيده :

- ليس بعد .

كانت هيئة ريكما ، فوق ظهر مطيته ، مرئية ، متجانسة الأبعاد ، وراء حجاب الأفق الذي لم يخرقه بصر مايكي . كانت همَّته واضحة الحزم في خطَّتها . وقد مضى ، متتبِّعاً عصفَ قلبه إلى معسكرات الأسياد على تخوم زينافيري ، من الجهات كلها .

لأسياد الفرق استقلالهم بعامَّة ، حتى إن كانوا يتلقَّون من القصر أجور المحاربين ، فيما يقْدِرون ، هُم ، على تحصيل مداخيل

لخزائنهم من صيد جماعاتهم المرتبطة بهم برابطِ وظائفِ المحاربين تحت إمرتهم ، أو من مجامع ذباب في نواحيهم ، لكنهم لم يقيموا مجامع ، إذ تركوا الأمرَ حكراً على القصر . وكان في مستطاعهم القيام بأنفسهم إلى تجارة مع القبائل تخصُّهم في أسواق كاتراميل . لقد ظلوا على رباط النظام معقوداً مع القصر كمرجع في كل تحصيل للموارد ، مذ كان ذلك الرباط هو المِنْعة الحقَّة لهم كقوة واحدة ، مرهوبة برمزها السلطان على إقليم زينافيري . أمَّا المِنْعةُ الأخرى ، الخاصة بأحاسيس الأسياد وفِرقهم ، فكانت هضبة طيور لاكيلا المقدسة استقروا بيقينهم على أنها حافظةُ الخطوط القوية ، ومَجْلَبةُ المصائر كما تُرتجى . ربما لايقيمون ، كأجمعين الجن في زينافيري ، إلاَّ إنشغالاً فاتراً من يقينهم بجدوى المعبد كمنفذ للنجاة من مأزق الوجود ، أو بجدوى الإله كوياسي ـ غير الثابت على تصوُّرٍ في بناء النحات آلما ـ كتسليمٍ بالمشيئة . ذلك ليس في حسابهم على كل حال .

قصر سلطان زينافيري ، وهضبة طيور لاكيلا العُمي ، هُما آصِرتا وحدة الفِرق بأسيادها ، على تبعية في أَحكام الخطط للأقوى بأتباعه : عميد المحاربين ماياكي . وريكما ، الذي يعرف ذلك كإبنِ سلطان عليه أن يرِثَ القصر ؛ أن يكون هو القصر ؛ أن يكون الكفَّة الثانيةً قبالة كفة طيور لاكيلا في ميزان الحقائق على أرض زينافيري . لكنَّ بينه وبين القصر شيكتان ، بنازع لم يفهم سببه من أمٍّ تستأخر توريثه ، وتؤجله ، بل ربما تفرِّغه من حقٍّ ابنها فيه .

لن يشْغل ريكما نفسه بنوازع أمه ، بل بحيلتها في التأجيل ، لذا توجه إلى ماياكي يستميله ، فخرج من عنده خائباً ، فآلى أن يستكمل ماقد يهَبُه قدرةَ النَّخر في خططها من جوف الخطط .

سيداً سيداً زارَ ريكما الفِرق بعروض تثير الغبارَ مستطابا إ،
اسْتُنْشقَ : عرَضَ القرعة عليهم مَنْ يَفُزْ منهم يتولَّ حُكمَ القص ,
مناصفةً ، لأمدٍ معلوم ، مع ريكما ، فيقاسمه ، في هذا الأمد ، كا
مداخيل القصر من العظام ، والجلود ، والطرائد الحية ، وفهو،
البوابات الرمال الحَكْر ، قبلاً ، على حديقة كاشاجو . يقاسمه
مداخيل مجمع الذباب ، والإناث المؤجرات ، وإتاوات الصيد ،
وتجارة القصر مع القوافل في أسواق كاترامیل .

كل سيد عرضَ عليه ريكما مقترحَه المثير ، المغري ، استنزل
على خياله حلماً ، في سَبْقٍ من تصوُّر الأماني ، يُريه خزائنه
ملأى ، طافحة ، بل فائضة فيضاً عظيماً ، وفي ذلك ما فيه من
استطاعة واحدهم أن يستأجر المزيد من المحاربين ، فيوسِّع على
نفْسه ، في آتي إقليم زينافيري ، حصصَه من المغانم إن غَزَوا ، أو
خاضوا حرباً فكسبوها .

ريكما خصَّ هِيْدْسْ ، السيد الأكثر سعةً بمعسكره الفاره بعد
مایاكي ، بالوعد أن يكون عميدَ محاربي زينافيري إنْ ضمَّ إليه فرقة
أخرى . انتشى هيدس . تحيَّنَ خطفَ المنصب إن استكملَ ريكما
نقل الإرث إلى نفسه سلطاناً على القصر .

أياماً لم يعُد ريكما إلى القصر ، في مطارحاته العُروضَ على
الأسياد كُلٍّ في معسكره أو داره المحصَّنة بسور يضم حدائقه . ولما
رجع ، بعد غيبته ، كانت آسما ، حظيَّتهُ ، ، هي الأولى نشرت بزئيرها
نبأ الفجيعة من إقدام ريكما على إجهاض ذبابتهما الثانية عَمْداً .

لم يعتذر ريكما إليها عمَّا فعل . أوعزَ إلى مطيته زيديكا أن يملأ
لها جرابيْنِ من عظام الجن القُزم ، المكرَّمة مذاقاً ، وحفنة من أسنان
موتى العائلة هي الأثمن في أسواق كاترامیل ، وأن يمنحها صورتها

النحت على اللوح الحجر ثم يصرفها إلى مسكن أهلها .

ارتعشت عينا شيكتان الحجرُ في محجريهما حين تلقَّت النبأ ، بعد حرث آسما بزئيرها هواءَ القصر ، وفضولَ جوَّابي القصر . هي لم تكن هناك ، في برهة الزئير الفاجع ، الموحش ، لكنها إذْ رجعت من جولة لها ، كان صدى الزئير جارياً بجداوله مع الريح منسلَّةً عصفاً حرّاً إلى الأبهاء ، تردِّده حناجرُ في نقل الخبر من لسان إلى لسان .

غصَّت شيكتان بكلمة «ماذا؟» ، إذْ نطقتها . تلعثمت . تعثر لسانها بالكلمات فتدحرجت غمغمات مقصوصةَ الحروف من أذيالها . أيُّ خبلٍ دفع ريكما إلى تهشيم حظّه في عبور الإرث إليه؟ أم ذلك تعجيل الوعيد بمجابهات لم يتحسَّب لها خيالُ شيكتان؟ .

«ماذا ترين في هذا ، يانينيسو؟» ، ساءلت زوجة السلطان مطيتها وهي ترى المتوافدين المنجمين ، وأمناء أسرار كاشاجو ، وبعض الغطاريف والأعوان ، فيما تصاعد صخبُ الإناث المؤجَّرات ينزلن السلالم من جناحهن العالي إلى البهو الأعظم ، مذهولات من إجهاض جنيٍّ ذَبَابته عمداً .

«ذلك يجفلني» ، ردَّت نينيسو . «هو يائس ، ربما» .

«لطالما لم أعرف ماذا يضمر ريكما.. وها أظنه الآن أغلق على نفْسه ضدَّ كلِّ فهم ، يانينيسو» ، قالت شيكتان . «ماذا تعتقدين أن في استطاعته أن يفعل؟» . عرضت على خيالها اللحظةَ العاصفة من خطتها القاتلة وهي تنفخ سمّاً على وجه كاشاجو . غمغمت : «سأفعلها ثانيةً» .

«ماذا ستفعلين؟» ، ساءلتها نينيسو ملتقطةً من غمغمة سيدتها كميناً .

لم تجبها شيكتان . سارعت إلى البحث عن ابنها ، فأُخْبِرَت

بوجوده في مجمع الذباب . تحيَّرت ملتفتةً إلى أبهاء القصر برهةً ، وإلى عيني نينيسو برهةً . صعدت الأدراج تتبعها مطيتها إلى الجناح العلوي من القصر . دخلت المجمعْ لترى ابنها ومطيته ، والشاعرين ، وكبير المنجمين خاميدس . هتفت به :

- أية ذبابة تُغوي الآن ، ياريكما؟ .

هرَّ ريكما . ردَّ ساخراً :

- أُخيِّر الذبابَ بين القُرعة وبين القبول طوعاً .

«ألديْك ، بعْدُ ، ماتعرضهُ على الذباب؟» ، ساءلته أمه في سخرية بدورها .

«لي عرْض لكِ ، ياشيكتان» ، قال ريكما . «سأجمع الأسياد في رُكنك ، وأخيِّرهم بيني وبينك» ، أكملَ نبْرٍ هادئ . غمغم : «لا تأجيل بعد الآن» .

تنفست شيكتان كأنما أفرج ريكما عن قلبها المُعتقَل في حيرتها من أمره . ردت :

- ليكنْ .

«غداً» ، قال ريكما يحدِّد موعدَ اللقاء في ركنها ، فردت شيكتان :

- أمهلني ثلاثة أيام .

صمت ريكما صمتَ القبول ، فيما استدارت شيكتان مغادرة جناح مجمع الذباب ، متجاهلةً سؤالَ عقلها عمَّا يفعله ابنها في المجمع مُذْ لا حظَّ له باقياً في استنسال .

عند أسفل الدرج نزولاً إلى البهوِ الأعظم ، همست شيكتان إلى مطيتها :

- جِدِي لي ماياكي . سألتقيه في المعبد ، يانينيسو .

قبل العصر بقليل عادت نينيسو إلى سيدتها : « سيوافيك ماياكي في المعبد» ، قالت . خرجتا من القصر . امتطت شيكتان ظهرَ مطيتها غير مهتمة بأبصار ثللِ الجن الجوَّالين ، والزائرين ، والمتطفلين ، يحاولون أن يَزِنوا في عينيها مدى استثقالها لِمَا فعله ابنها بذبابته .

توهتو ، وكاساك ، المنجمان ، كانا الوحيدين في المعبد ، يخاطبهما مياكي مصحوباً بمطيته راتو . انصرف عميد المحاربين عنهما وعن راتو حين رأى شيكتان داخلة من البوابة الواسعة ، متجهاً وحده إلى محراب المعبد ، الذي أتُّخذ ذات يوم ، مُقاماً لسُكنى الأنثى الإنسية . انفصلت شيكتان عن مطيتها . وافتْه وحدها . دخلا المحراب مُتهامسيْنِ .

«طلب ريكما اجتماعاً للأسياد في القصر ، لنحسم توريثه» ، بادرت شيكتان عميدَ المحاربين بحديثها .

«قبل أن أعرف أيَّ شيء ، ياشيكتان ، أوضحي لي قصدَكِ من تأجيل التوريث . أكنتِ تنتظرين أن يُقْدِم ريكما على مافعل؟» ، ساءلها مياكي .

«لم يخطر لي قطُّ أن يفعل ذلك ، يامياكي» ، ردَّت شيكتان .

«لِمَ أجَّلْتِ التوريث ، إذاً؟» ، ساءلها مياكي .

«ريكما جنِّيٌّ حاقد ، من غير أن يفصح مرَّةً على مَنْ يحقد بالتحديد» ، ردَّت شيكتان .

«لا أرى في هذا عذراً كبيراً للتأجيل ، ياشيكتان» ، عقَّب مياكي .

«لا يُصادم» ، قالت شيكتان .

«من تريدينه أن يُصادم؟» ، ساءلها مياكي ، فردت شيكتان :

- خطف كاشاجو منه سوكْ ، ولم يدافع عن رغبته .

«لم يخطفها كاشاجو . طلبَها فقبلتْ سوك» ، قال ماياكي .

«لم يكن في مكنة سوك أن ترفض ، ياماياكي . ذلك ليس قبولاً ، ولم يفعل ريكما شيئاً» ، قالت شيكتان . غمغمت مضيفة : «أنا أعْرَفُ به منك» .

«أقنعيني أكثر» ، قال ماياكي ، مبدياً لها ، في لطْفٍ من النَّبْر ، عدم اقتناعه بعد بأسباب تأجيلها توريث ابنها .

«لا أحد يعرف مايدور في خَلَدِه» ، شرحت شيكتان آخر أعذارِها في التأجيل .

«لماذا دعا الأسياد ، بعد إجهاضه ذبابته؟» ، تساءل ماياكي ، فردت شيكتان :

- لديه عروض ، أو مقترحات .

«احذريه الآن» ، قال ماياكي غمغمةً .

«باتَ بلا أملٍ في نسل . لن يربحَ القصرَ» ، عقَّبت شيكتان .

«ريكما نسلكِ ، لا نسلَ آخر لكِ ، ياشيكتان» ، قال ماياكي .

«سأستنسل» ، ردت شيكتان بنبرٍ واثق .

فوجئ ماياكي بردها . تأملها . انعطف بخياله عمَّا أثارتهُ فيه إلى سؤالٍ غير متوقَّع :

- كيف غرقت سوك؟ .

«إلى ماذا تلمِّح ، ياماياكي؟» ، ساءلته شيكتان .

لم يجبها ماياكي على تساؤلها . سار بلسانه إلى سؤالٍ آخر :

«ألا تساورك ريبة في عبور كاشاجو إلى النسيان الأعظم بلا تمهيد؟» ، ساءلها ماياكي بتلميحٍ إلى أن موت سلطان زينافيري ربما كان مدَّبراً ، فردَّت شيكتان :

- أخْفى نفْسه معتزلاً . أخفى وجهه في قناع كقناع سوك . ربما قتله طيفُ سوك .

هرَّ ماياكي . أدارَ خيالَ لسانه إلى جهة أخرى :

- من ستتخذين شريكاً تستنسلينَ معه؟ .

حدَّقت إليه شيكتان متمعنة في أعماق عينيه الحجريتين . ردَّت في همس :

- ماذا عنك؟ .

بوغت ماياكي . تشتَّت خيالُه إذ كررت السؤال عليه بهدوءٍ في النبر :

- ماذا عنك؟ .

قلَّب ماياكي حجارَة أفكاره متصادمةً في قرعٍ بارد . زحف لسانه إلى الكلمات :

- أنتِ تفاجئينني ، ياشيكتان . هذا عَرْض لا يُرمى هكذا .

«كيفَ عليَّ أن أرميه ، إذاً؟ . ربما كان عليَّ المجيء إليك بذبابة في يدي» ، عقَّبت شيكتان . اقتربت منه زحفاً ثقيلاً بقدميها في الرمل :

- ماذا عنك؟ . الأسياد قادمونَ لاجتماعٍ بعد ثلاثة أيام . أعْطِني ماأفاجئهم به .

«داهَمْتِني ، ياشيكتان ، فتشتَّتُ . هذا عرض ثقيل عليّ» ، رد ماياكي .

«ما الثقيل عليك في زينافيري ، ياماياكي؟ . لا وقت . أعطني جواباً» ، قالت شيكتان .

لم ينطق ماياكي . دار ببصره على أنحاء المحراب بلا تعيين . هرَّ هريراً خافتاً .

«أين أنت في الوسط بيني وبين ريكما؟» ، ساءلته شيكتان بنبرٍ فيه استياء من تردُّده ، وتحديق بقلب نافد الصبر .

«ريكما ، أيضاً سألني السؤال ذاته» ، رد ماياكي .

«أَسَبقني ريكما إليك؟ ماذا كان عرضُهُ عليك؟» ، ساءلته .

أدرك ماياكي أنه تعجَّل في التصريح بزيارة ريكما إليه . تمتم :

- أنا في حيرة .

«ابقَ حيث تشاء» ، قالت شيكتان . «لايهمني ماعرضَ عليك ريكما أو على الأسياد . لن يربح القصر» . استدارت كي تنصرف . سألته من غير التفات إليه : «أراك في اجتماع الأسياد» .

«لن أحضر» ، رد ماياكي .

جمدت شيكتان في موضعها بظهرها إليه . هرَّت هريراً خافتاً ، طويلاً ، قبل أن تثب في اتجاه مطيتها نينيسو . تجاورتا مغادرتين المعبدَ في وثبٍ طويل .

تقاطر الأسياد إلى ركن شيكتان بعد الثلاثة الأيام حدَّدها ريكما للقائهم بطلب من أمه . توزَّعوا حلقة مفتوحة على الرُّكن الواسع بظهورهم إلى الجدران ، فيما ظلَّت مطاياهم على مبعدة وثبتين من مدخل مُقام زوجة السلطان صفًا يحجب عن جوَّابي القصر أن يروا جمعهم .

وقف ريكما وأمه في القوس المفتوحة من حلقة الأسياد داخل الثَّنيةِ الركنِ في الجدار الشمال من القصر . ابتدرتهم شيكتان متحدِّثةً :

- اشترطتُ أن يهدأ قلبي قبل نقل الإرث إلى ريكما . لم يهدأ قلبي بعد . لكنني أتنازل عن هذا الشرط . أما الشرط الآخر فقد أخلَّ به ريكما في طيشٍ يُذهِل .

«تعنينَ إجهاضَ الذبابة» ، عقَّب ريكما .

«كان هو الشرط الثاني مامن شرطٍ آخر يليه» ، قالت شيكتان .

«نَحَرتَ حظَّك ، ياريكما» .

تقدم ريكما نصفَ وثبة بطيئة إلى منتصف الحلقة المفتوحة . دار بوجهه على السبعة عشر الأسياد : «أنا وريث كاشاجو . سيشاركني كل واحد منكم ، بالاقتراع ، حكمَ القصر لأمدٍ معلوم يعقبه اقتراع جديد . مايدخل خزائن القصر سيُصرف مناصفةً بيني وبين شريكي» .

زأرت شيكتان مستفظعةً عرض ابنها . وثبت إلى منتصف الحلقة بدورها :

- ما هذا السخف؟ لم تملك القصر بعْدُ لتوزع خزائنه على من تشاء .

هرَّ ريكما . أدارَ عينيه ، من جديد ، على وجوه الأسياد . ساءلهم :

- أتقْبلونَ عَرْضيٍ؟ .

هرَّ الأسياد تباعاً بلا كلمات ، لكنْ بنبْرٍ واضح التأييد .

«القصر ليس لريكما» ، غمغمت شيكتان في استياء قوي .

«ريكما وريث كاشاجو ، ياشيكتان» ، قال هيدس ، الموعود بمنصب عميد المحاربين .

«وريث بلا نسلٍ وريث لايَرث» ، ردت شيكتان بنبرِ حقد .

«ماذا عنك ، ياشيكتان؟» ، ساءلها هيدس . أضافَ : «ريكما وريثك أيضاً ، لاوريثَ آخر لك» .

«بل سيكون لي وريث آخر» ، قالت شيكتان . زفرت . وضعت يدها في شق ثوبها عند الصدر فأخرجت حُقًا حجرياً صغيراً .

نزعت غطاءهُ في حذَر، ثم أمسكت بطرف شعرة سَلَّتها من جوف الحُقّ.

حلَّقت ذبابة مربوطة إلى طرف الشعرة الطويلة، زرقاء بجناحين أحمرين، وعينين ذهبيتين.

هرَّ الجمعُ كلهُ مستغرباً مشهد يد شيكتان مرفوعة أمام أبصارهم بالذبابة تخفق بجناحيها خَفْقَ النزوع إلى حريتها.

«سيشاركني أحدكم هذه الذبابة»، قالت شيكتان.

عمَّ الصمتُ المترقِّب إلاَّ من جداول الريح بعزيفها المتهدِّل في أرجاء القصر، قبل أن يتلاحق زفيرُ الاستثارة، رويداً رويداً، من أفواه الأسياد:

ما أعلنته شيكتان كان مدوِّخاً. ريكما نفسُه ترنَّحَ خيالُه من الرَّكلة اللامرئية لإعلانها الجَسُور. تمَالَكَ الخَدَرَ الذي أرخى عَصَبَ حيلته من المفاجأة. غمغم بصوت ممعوس في حنجرته: «عرْضُك ليسَ كعَرضي، ياشيكتان»، قال. لهث مكملاً: «أنا أبذل لهم أن يشاركوني حُكم القصر واحداً بعد آخر. أمَّا أنت..». صمت. دار ببصره على وجوه الأسياد وقد اختطفتهم شيكتان بمفاجأتها ليتكهنوا من سيكون المختار. همَّ بالكلام فقاطعتهُ أمه:

ـ أتقبلون اقتراعاً تحت قدمي الإله كوياسي؟ مَنْ يَفُزْ يكن شريكي.

هرَّ الأسياد هريراً عميقاً، واتبعوا الهريرَ بأنفاسٍ من رئة الرغبة.

«هذا لا يَعْدل ماعرضتُ عليكم»، هتف بهم ريكما. «ستختار شيكتان واحداً لاسواه. ماأمرُ بقيتكم إذاً؟».

تبادل الأسياد نظرات فيما بينهم، يوازنون ـ بحقٍّ ـ بين العَرضين المتصادمين. لكنَّ شيكتان قوَّضت تردُّدَهم الذي أثار بريقاً

خافتاً من الرضا في عمق عيني ابنها الحجريتين . تمادت في توسيع عرضها : «يعرض ريكما على كل منكم شراكةً في الحُكم لأمد معلوم . أمَّا أنا فأترك الأمدَ كله لكم . لن أُبقي حظَّ واحد فيكم محتكِراً حظوظ الآخرين . ستتوالى القرعة بينكم . سأتَّخذكم واحداً بعد آخر شريكاً . نسلكم ـ نَسْلي سيرث القصر حتى ضياع آخر عظم بُني منه هذا القصر» .

زأرَ الأسياد باتِّزان من أصواتهم لهفةً . تقحَّمتِ الرِّيحُ بغبارِ نارٍ قلبَ ريكما . التفَّ بوثبة قصيرة من وراء أمه . أخرجَ من جُعبتِه عظمَ ساقِ ثورٍ هوى به على جمجمة شيكتان ، في لمح خاطف أمامَ أبصار الأسيادِ ، الذين لم يخطر لهم ، قط ، ولم يخمِّنوا ماهو فاعلٌ حقًّا حين سلَّ العظمَ من الجُعبة .

هوت شيكتان أرضاً بأنفاس من غبار برتقالي لم يصعد أعلى من ذراع ، ثم تلاشى .

«أنا القصر» ، قال ريكما منتشياً .

هَرْهَر الأسياد مذهولين . تقافزوا وثباً قصيراً في مواضعهم لايعرفون تدبيراً لحُكْم على ما شهِدوه . تمالكوا أنفسهم ناظرين ، في تحديق ثقيل ، إلى ريكّما ، الذي سارع إلى اقتطاف البرهة الثقيلة ، التي لجمتهم ، قبل أن يتحرَّروا من المفاجأة الصادمة :

– ماذا تنتظرون؟ فلْنقْترِع .

لن تعرف نينيسو ، الواقفة حجاباً مع مطايا الأسياد بين ركن سيدتها وأبهاء القصر ، ما الذي شدَّ بصرَ قلبها إلى الوراء ، فاستدارت . رأت الحركة مختلطة في ركن سيدتها من غير أن ترى سيدتَها . أنزلت بصرها المصوَّب من المدخل إلى أعماق الركن أرضاً . تهشَّم صوتُها في فمِها الذي انفتح عن لسانٍ مذهول ،

أخرس ، إذْ رأت ساقي شيكتان المنطرحة على الأرض الرمل ، من الثغرات بين سيقان الجن المتحلِّقين حولها . هبَّت مندفعة إلى داخل الركن فصدمها ريكما مطيحاً بها .

«أنتَ» ، قالت نينيسو بصوت خرج ، أخيراً ، مقذوفاً كنبض قلبها . سلَّت عظماً طويلاً ذا كعبرة من غمد لفافةٍ كان يتدلى من حزامها . أغارت بكيانها على ريكما تروم تمزيقه .

تداعى الأسياد هائجين إلى نجدة ريكما بالعظام مشرَّعة في أيديهم ، فتراجعت نينيسو ، وهي تلوِّح بالسلاح في وجوههم دفاعاً . خرجت من الركن الثَّنية الوسيعة . نادى الأسياد على مطاياهم لينقضوا عليها ، ويسدوا طريقها إلى الهرب ، فانبرى لها المطايا بأسلحتهم ، إلاَّ زيديكا الذي تصنَّع انشغالاً بالدوران حول نفسه . صدمت نينيسو أكتافَ بعضهم في اندفاعها عليهم ، وصدموها . ركلت بعضهم ورُكِلت . تشقَّق الغبار بين الأقدام وتلاحَمَ . ضاقت حلقة المطايا على نينيسو برهةً قبلَ أن تتخلخل الحلقةُ مزقَها العملاق ليلوت قَرْعاً بسلاحه على أسلحة المطايا الآخرين يصدُّهم عن مطية شيكتان المرهَقة ، التي غمرت عينَيْ ليلوت بامتنان من عينيها لاامتِنانَ يعدِلُ البوحَ الذي فيه . استشرست دفاعاً عن نفسها .

«ماذا تفعل ، ياليلوت؟» ، صرخ به سيده درديك .

لم يلتفت ليلوت إلى درديك . صكَّ بزئيره العالي زئيرَ المطايا دُهشوا من دفاعه عن نينيسو ، لكنهم جَبَهوه . سقط اثنان منهم مطحونيِّ العنقين . سقط ليلوت من ضربة على ساقه ، ثم استوى واقفاً . تتابعت عليه الضربات وتلاحقت من الجن المطايا ، فيما انشغل اثنان بحصْر نينيسو أمام ركن ريكما ، الذي هبَّ صارخاً بهم جميعاً :

- اعْتقِلوا نينيسو . لا تقتلوها .

كان في بال ريكما من طلبه اعتقالَ نينيسو حيَّةً أن ينبش عن خزْنة عقلها على أسرار أمه ؛ أن يعرضها على الجلاد رادبور فيستنشق ذاكرتها التي فيها مافي ذاكرة شيكتان القتيلة . لذا هرع إلى الإثنين المحاصِريْنِ نينيسو قبل أن ينضم المطايا الآخرون إلى حصارها ، إلاَّ زيديكا ، بعدما هشَّموا كل عظم في جسم ليلوت العملاق بكثرتهم عليه .

«نينيسو» ، ناداها ريكما . «لن نؤذيكِ ، يانينيسو . دعي سلاحك أرضاً» .

«أنتَ؟» ، هرَّت نينيسو الكلمةَ لاتجد سواها عاريةً تَجْمعُ كلَّ حقدِها عليه ، وحنقها منه . دخلت أعماق الركن ، فتباطأ محاصروها ولم يدخلوا خلفها .

وقف ريكما على باب الثِّنيةِ الركن . كلمها :

- ترفَّقي بنفسك ، يانينيسو . لن نؤذيكِ .

ألقت نينيسو بسلاحها أرضاً ، في زفيرٍ انتفخَ منه الجلد حول ثقْبَيْ منخريها . انحنت . صفعت الأرضَ الرمل فأثارت غباراً تنشَّقته . زأرت زئيراً طويلاً . أمسكت بيدها اليسرى رأسها من الخلف ، وأمسكت ذقنها باليمنى . صرَّت أسنانها المفرطة ضخامةً وهي تلوي رأسها ، في عنف ، بشدٍّ فجائي متعاكس من يديها . فرقعَ صوتُ الكسر من عنقِها . هوت منتحرةً .

زأر ريكما زئير الخذلان . لم تمنحه نينيسو لذة العبور إلى ذاكرتها المتدحرجة معها ، مغلقةً ، إلى المخاطبات الدائرية بألسنة لهبٍ ، في ماوراء برزخ «النسيان الأعظم» .

عاد ريكما إلى الأسياد مختلطين في البهو الأعظم بمطاياهم ،

على بُعـدٍ قليل من ركنه . «فلْنقـتَـرعْ» ، صـاح بهـم . «هيـدس لن يقترع . هو عميد المحاربين الآن» . استدار إلى زيديكا : «هاتِ جراباً من ركني فيه ست عشرة كُعْبرة من كعابر الذئاب الصفرِ . ضعْ لطخة من عصارة جوف الجراد علامةً على واحدة منها» ، قال . أشار على الأسياد أن ينتقلوا إلى ركن شيكتان من جديد .

غُطِّيت عيون الأسياد المقترعين بعصائب جلد ، وأُديرَ جرابُ العظام الكبار عليهم واحداً واحداً أدخلوا أيديهم فيه ، واستخرجوا كلٌّ كعبرةً . نُزعت العصائب من عيونهم . هرَّ نِيْدْج مسروراً : كانت العظمة المستديرة ، التي حَوَتْها يدُه ، تحمل لطخة صفراء على بياضها .

داميكو ، الذي هبَّ مع شريكه توكا ، وجنٌّ آخرين ، إلى البهو اجتذبتهم جلبةُ العراك بين نينيسو ومطايا الأسياد ، استرعاه غياب ماياكي عن البهو بماجَرياته الثقيلة . تبرع ، من تلقاء نفسه ، بالبحث عنه بحثاً لم يطُل ، إذْ ألفاه قادماً على ظهر مطيته من الساحة الغرب ، المديدة ، وراء تمثال الإله كوياسي ، يصحبه كبير المنجمين خاميدس ، الذي سبق داميكو إلى عميد المحاربين بالأنباء ناقصةً عمَّا يجري بالتحديد ، لكنْ مثقلةً قلقاً بحدوث مالم يشهده قصر زينافيري قبلاً .

نزل ماياكي عن ظهر مطيته أمام بوابة القصر . عبر الجماعات في الأبهاء شقّاً لصفوفها المتداخلة حتى الجدار الشمال ، حيث مُقام ريكما الذي شغله أبوه قبله : كانت جثتا شيكتان ونينيسو ممدَّدتين أرضاً أمام مدخل المُقام ، والأسيادُ ـ بعدُ ـ في شغلٍ من تدارس الخطط ، منفصلينَ كل ثلاثة أو أربعة ، يتهامسون ، أو يطلِّقون النبرَ صريحاً بالكلمات على ألسنتهم المتلمِّسةِ مذاقَ النهج الجديد .

تقارب الأسياد إلى جوار ريكما لمّا رأوا ماياكي يتفحص جثة شيكتان لم تزل الشعرة في قبضة يدها بالذبابة اسْتَعَرَ طنينُها نزوعاً إلى النجاة من قيدها . دار من حولهم يتفحصهم أيضاً : «من فعل هذا؟» ، هتفَ بصوتٍ تقارعَ في نبرهِ الحيرةُ ، والدَّهش ، والاستنكار .

وثب ريكما نصف وثبة . صار قبالة ماياكي . ردَّ :

- هذه أقدار القصر .

«أيَّة أقدار هذه ، ياريكما؟من قتلهما؟» ، ساءله ماياكي .

أدار ريكما وجهه إلى الأسياد . سألهم بدوره في نبرٍ من السخرية مضمرةً :

- من قتلهما؟ .

بادله الأسياد نظراتٍ صامتة ، من غير أن يتبرع أحدهم بجواب .

«أترى ، ياماياكي؟» ، غمغم ريكما . «لا أحد يعرف ماذا جرى» . اقترب منه بوجهه حتى تداخلت أنفاسهما . همسَ : «أنا القصر» ، ثم تراجع وثبتين قصيرتين منضماً إلى جمع الأسياد المترقبين مجرى المخاطبات . كلَّمه ، من بُعْدِه ذاك : «ما خبر الغيمة في سماء الهضبة ، ياماياكي؟» .

كان خبر ظهور غيمة فوق هضبة طيور لاكيلا سيكون ـ قَطْعاً ـ شغلَ العقول في زينافيري ، لولا تشاغلات الألسنة بوقائع تتهيأ للعصف من داخل القصر على زينافيري . سمع الجنُّ ، في إقليمهم ذاك ، بالغيوم كسماعهم بقرود هيهمو ، لكن لم يروها قط . بروق ورعود تتجاور في فراغات السماء فوقهم ، من تصادم الجيوش الغالبة والمقهورة في رياح الأعالي . بروق ورعودٌ قرعٌ بالحجارة الشفيفة في أيدي جنٍّ ممالك الأعالي . لا مطر قبل الوميض والهزيم ؛ لا مطر

بعدهما . جفافٌ صاخب من صوت وألسنة نار ناطقة بالصوت . سحبٌ غبارٌ عادةً في سمائهم ، ورملٌ تهيلهُ السَّماءُ بأيديها على شقوقها . جن زينافيري يعرفون ذلك ، أمَّا تلك الغيمة السوداء المتسلِّلةُ صغيرةً ، متماسكةً ، لم تشتِّتها الريحُ العَصوف ، فكانت بلاغاً يُحْتَسَب رؤيا .

«أكانت الغيمة قريبة من معسكرك ، يامايامكي؟» ، ساءله ريكما من جديد . لم ينتظر جواباً . أشار بيده إلى أحد الأسياد : «هيدس هو عميد المحاربين الآن» .

هرَّ راتو الواقف خلف سيده مغضباً ، فالتفت إليه مايامكي بإشارة تهدِّئه . أعاد النظر إلى الأسياد يتقرَّى وجوههم بأنامل بصره الخشنة :

- إلى أين يأخذ ريكما إقليم زينافيري؟ .

زأر ريكما . ردَّ بلسان صاخب :

- إلى أين كان ماياكّي يأخذ زينافيري بتردُّدهِ ، في الوسط الحفرةِ بيني وبين شيكتان؟ .

«كنتُ أُبقي زينافيري في موضعه» ، رد ماياكي .

«هو في موضعه معي هنا» ، عقَّب ريكما . أبقى بصره على عيني ماياكي وهو يخاطب الأسياد :

- من منكم يريد معسكر عميد محاربينا السابق؟ .

زمجر راتو ملجوماً ، فبادله سيده زمجرةً . تقدَّم هيدس من ريكما . هامسه :

- لا تفعل هذا . دعْ معسكره له .

تمايل ريكما في وقفته : «هذه حكمة عميد محاربينا الجديد هيدس . معسكرك لك ، ياماياكي . لكنك تلتزمنا في الخطط» .

حطَّ ببصره على الجثتين : «أحضروا من يوزع الأجسادَ على حظوظها في النسيان الأعظم» ، زمجر منادياً : «زيديكا ، فليأتِ الأعوان بالعِظام النفيسة من خزائن القصر» . فتح ذراعيه أمام الأسياد : «سنولم لكم في البهو هنا ، أمام ركني» ، قال . تتبَّع بعينيه عميد محاربيه السابق ماياكي وراتو مغادرين . رفع صوته قَدْرَ مايستطيع : «أين بونيا؟» .

«ماذا تريد من بونيا؟» ، ساءله كبير المنجمين خاميدس ، مقترباً في تهيُّب .

«ستكون بونيا شريكتي» ، ردَّ ريكما بصوت أراده واسعاً على جداول الريح الحرة جاريةً في أنحاء القصر .

ذهل خاميدس . اضطربَ في وقفته مرتعش الكيان ، مُذ أرعدَ ريكما برغبته المجنونة أرواحَ المنجمين الأسلاف ، الذين هم وحدهم يستنسلون جنًّا منجمين . وقد خال خاميدس أنه سمع زمجراتهم في المخاطبات الدائرية بألسنةٍ لهب ، هناكَ وراء الأعالي الأبعد من «النسيان الأعظم» .

«أريد بونيا» ، كرر ريكما رغبته . دار ببصره على وجوه الأسياد ، ومطاياهم ، ومن انضمَّ من جوَّابي القصر إلى الحشد المنتظر وليمةً أمام مدخل ركنه . بسَط لهم تبريره : «مَنْ يُجهِض ذبابتَه عمداً لايستنسل . هذا حُكْم وجودنا . حُكم القاعدة أن لايستنسل مثلي بعد الآن . بونيا قد تُصْلح خطأَ القاعدة» . صمت يتأمل الوجوه .

هزَّ البعضُ تأييداً . جمدَ آخرون لا يتدبَّرون لأنفسهم موقفاً .

«أهذه رؤيا ، ياريكما؟» ، ساءله أمين أسرار الحصون الرمال آماروك .

التفت ريكما إلى خاميدس الواجم :

- أتُعَدُّ رغبتي رؤيا ، ياخاميدس؟ .

ظلَّ خاميدس مشتَّتَ القلب بعقْلٍ ثُقْبٍ لاتثبت فيه رمال فكرته .

«جئْني بالمنجمة بونيا ، ياخاميدس . جئني بأقرانك المنجمين إلى الوليمة» ، قال ريكما . مدَّ ذراعه صوب بوابة القصر إشارة منه إلى كبير المنجمين بالإنصراف إلى مهمته . نادى : «زيديكا . أبْعِدْ هذا الحشدَ الزائد» ، فهبَّ زيديكا ، ومطايا الأسياد ، إلى صرْف من يعرفون أنهم ليسوا مرغوبين في وليمة سلطان زينافيري الجديد .

انصرف الفضوليون ثللاً ، وأنفاراً . عادت الأبهاء الصغار واسعة من حول البهو الأعظم ، الذي أحضرَ الأعوان أجربةَ العظام إليه . تقارب الأسياد . خفضوا أجسادهم كما فعل ريكما حتى كادوا يلمسونَ الأرض ببطونهم كالجراد . هَرْهَروا وهم يفتحونَ الأجربة هريرَ الخيال مستحضِراً مذاق العظام النفائس بين الأسنان . هرَّ زيديكا قادماً في وثبٍ قصير إلى سيده المنبطح :

- سانياري ، ومايشا ، لايريدان الإنصراف . ماذا نفعل بهما؟ .

«أحضِرْهما» ، ردَّ ريكما . جال ببصره على الأسياد أثبتوا جسومهم ، في الاستلقاء ، على مرافق أذرعهم : «سأعيدهما إلى حيث ينبغي أن يعودا» .

بعد برهات قصار حضر زيديكا بزوجة سانياري ، وبه ، وبمايشا ، وأمه ، والأنثى صاحبته التي بلا نَسَب . رفع ريكما وجهه إليهم منبطحاً إذْ مثلوا على قرب منه . غمغم :

- ما الثياب الغريبة هذه التي عليك ، يامايشا؟ .

لمس مايشا صدره براحة يده متحسساً ثوبَه الحبال بفراغات كثيرة فيها . ردَّ :

- هذه ثيابي المقدسة في الرحلة إلى أبي .

«ما بك تضفي قداسةً على ثيابك ، أيضاً ، يامايشا؟» ، ساءله ريكما .

«كل شيء مقدس في الرحلة إلى أبي» ، ردَّ مايشا . أكملَ : «الثياب مقدسة . الرمال مقدسة . الرياح مقدسة . النمل والجراد مقدسان . الذباب مقدس . المساكن ، التيه ، المنهارون ، الأقوياء ، العظام ، الكراهية ، الرضا ، التعب ، كلها مقدسات ، ياريكما . الغبار ، وآثار الأقدام ، والشر ، والمعارك مقدسات» .

هَرهَرَ ريكما طويلاً . ساءله :

- ماذا عنّي؟ .

«عنيتُك في الذي قُلت» ، رد مايشا .

«ما الفرق بيني وبينك الآن؟» ، ساءله ريكما ، فرد مايشا :

- سأعود بجواب من أبي .

«أنت لن ترجع» ، قال ريكما .

«إنْ لم أرجعْ تكُنْ مشيئة أبي» ، قال مايشا .

«ماذا عن هذه الأنثى التي تتبعك مع أمك؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ مايشا :

- هي المشيئة تتبعني .

«سأحررك من أبيك ، ومن الرحلة إلى أبيك ، ومن القبائل التي ستخذلك ، والتي لن تخذلك» ، قال ريكما . حوَّل بصره في استلقائه إلى سانياري الواقف مع زوجته هستار . ساءله :

- ماذا أفعل بمايشا؟

«أوقفْه ثابتاً أمامَ أبيه» ، ردَّ سانياري .

«كيف؟» ، تساءل ريكما .

«علِّقْه من ذراعيه إلى الشجرة العظام ، تحت بوق مايتا» ، ردّ سانياري .

هرَّ مايشا . زمجرت أمه لأول مرة .

«ماذا أفعل بسانياري ، يامايشا؟» ، سأله ريكما .

«أعدْهُ محتجباً في الرمل تحت الشجرة العظام . أعِدْ هستا محتجبةً» ، قال مايشا بنبرٍ حقد .

«أكانت كلماتك صحيحة عن جنٍّ سيتبعونك إلى أبيك ، يامايشا؟» ، ساءله ريكما فردَّ مايشا :

- صحيحة كالريح .

«ماذا لو قادتني كلماتك الصحيحة إلى الخطأ؟» ، ساءله ريكما .

«لاتستخدمها على نحوٍ خاطئ» ، ردَّ مايشا .

«كيف نستخدم كلماتٍ صحيحة على نحوٍ خاطئ؟» ، تساءل ريكما ، فرد مايشا :

- حين لانثق بها .

هرَّ ريكما . قضمَ عظماً طحنه بأناة بين أسنانه ، قبل أن يكمل المحاورة :

- أتقبَلُ حُكمي فيك ، ياسانياري؟ .

«حُكْمٍ؟!» ، تساءل سانياري . «أأنا هُنا لتُصدِر حكماً عليَّ؟» ، غمغم دائراً بعينيه على الأسياد ماضيْنَ في قضم العظام بزمجراتٍ خافتة استمتاعاً . «أنا قديم بلا عمر» .

هرَّ مايشا :

- تشبه الوقت مثلي ، ياسانياري .

استقام ريكما واقفاً على ساقيه . نادى : «زيديكا» ، فهرع زيديكا إليه . «أحضِرْ من يأخذ مايشا إلى الشجرة العظام فيعلقه إليها من ذراعيه تحت البوق . ولتُحفَرِ الأرضُ عميقةً قرب الشجرة العظام» . نظر إلى سانياري وزوجته : «اردموا الرمل على هذين . سيحتجبان» .

تعالت الهمهمات ، والغمغمات ، بنبْرٍ متوسلٍ من لسان سانياري وزوجته ، ومايشا وأمه ، والأنثى التي تصحبهما ، فيما استلقى ريكما ، من جديد ، لايصغي إلاَّ إلى طحن العظام بين الأضراس .

بعد برهاتٍ تَخَالَطَ طحنُ العظام في أفواهِ الآكلين بما يشبه العويل في أفواه سانياري ، ومايشا ، ومن معهما ، حين جُرُّوا مقيَّديْنَ من الأقدام سحلاً على أرض القصر جرَّهم أقوياءُ من المحاربين يتقدمهم زيديكا .

التقى المنجمون ، القادمون من المعبد إلى القصر ، بمطية ريكما يتقدم المجروريْنَ سحلاً بالحبال مربوطة إلى أقدامهم . ذُهِلوا .

«ما هذا ، يازيديكا؟» ، سأله كبير المنجمين ، فردَّ زيديكا من غير أن يتوقف :

- فاضت المشيئة فأغرقت سانياري ، ومايشا .

تبادل المنجمون نظراتٍ مستفسرة في مالم يفهموه من ردِّ زيديكا . أكملوا وثبهم القصير ، القلق ، في اتجاه القصر ، بعيون لا تني تلتفت إلى وجه بونيا ، مستطلعةً ثقل المحنة في عينيها الحـ ر البنيتين .

بعد انتهاء الأسياد من الوليمة ، صعد ريكما وبونيا ،

وحدهما ، إلى مجمع الذباب . اختارا واحدةً بيضاء الجسم ، بيضاء العينين والجناحين ، وضعها ريكما ، من فوره ، في يد بونيا . نفخ على قبضتها المضمومة : «سيكون لي نسل ، يابونيا» ، قال فهرَّت المنجمة في انكسار .

هرَّ داميكو في انكسار . هرَّ توكا الأخرس ، أو المتخارس ، بنبْرٍ خامل .

نزل داميكو الدرج إلى منتصفه ، من الطبقة العليا ، وراء ريكما وبونيا . استعرض بعينيه الأبهاء أُفْرِغت من الجوَّابين إلاَّ الأسياد ، ومطاياهم ، وبعض الأتباع . لكن الجمع ما لبث أن تفرق ، كلٌّ إلى تدبيرِ ماينبغي تدبيره من شؤون العهد الجديد ومواثيقه الجديدة ، فيما خرج ريكما ، وبونيا ، وأمناء أسرار أبيه ـ أسراره ، وأعوانه إلى حديقة القصر في نزهةٍ .

لم يكمل داميكو الشاعر نزوله الأدراج وهو في منتصف السلم بعدُ . رجع إلى جناح المجْمع في الطبقة العليا . وثب وثباً هادئاً في اتجاه شريكه توكا المنهمك بربط ذباب جديد إلى خيوط من شعر الجن . أمسك بمعصمه . كلَّمه :

– أية ذبابة كنت تختار ، ياتوكا ، لو شاركتك جنية في الاستنسال اليوم؟ .

تلفت توكا من حوله في غمغمة بلا كلمات ، يستعرض الحُقق الكثار ، والآنية الحجر المجوَّفة ، المسدودة المنافذ . أبقى خَيْطَيْ ذبابتين في يده ، وهو يزحف بقدميه زحفاً ثقيلاً ، ناظراً إلى عظام طوالٍ متوازية الرصف في سقف المجمع . أشار بعينيه إلى كتلة حجرٍ رقيقةً ، مجوَّفة ، حتى غدت شفافة تقريباً ، هي عينُ جنيٍّ أُبقي منها قشرها بعد الحَفْر ، يمكن رؤية ظلَّيْ ذبابتين فيهما ، تدوران

متجاورتين على محيط داخلها .

مدَّ داميكو عظماً رقيقاً ، مستوياً ، إلى الحجر الصغير ـ العين ، المعلَّق بخيط من الجلد إلى عظام السقف . أنزله . تأمَّل شبح الذبابتين في جوف الكتلة بلا تمكن من تحديد ألوانهما . ساءل شريكه :

– هل اختيارك هذا نهائيٌّ ، ياتوكا؟ .

هرَّ توكا محدِّقاً في اهتمام إلى داميكو ، كأنما يستخبره ، من عينيه ، إن كان قد قرر ، أخيراً ، أن يتخذ شريكه للاستنسال .

تفهَّم داميكو نظرةَ توكا . وضع العين الحجر على مصطبة مسطحة ، قصيرة . قرَّب وجهه من وجه شريكه في المجمع . همس :

– لستَ أبكمَ ، ياتوكا . لماذا تتصنَّع الخَرَس؟ .

أبدى توكا استغراباً من ملامح وجهه . زمجر فانتفخ الجلد من حول منخريه الثقبين .

«كلِّمْني ، ياتوكا» ، قال داميكو بصوت رقيق .

أطرق توكا متفكِّراً . زمجر زمجرة خافتة ، ثم عاد إلى تدبيره في تعليق الذباب بخيطٍ شعرٍ إلى أوتاد مغروزة في مسطبة .

دار داميكو من وراء توكاً . طوَّق عنقه بذراعيه ، واعتصرهُ قَدْرَ مايستطيع .

حاول توكا جهده أن يحرر عنقه من ذراعي داميكو لجوءاً إلى الركل من دون جدوى . أسرف في مد يديه إلى الخلف ليمسك برأس داميكو فلم يفلح . تلوَّى في عنف عساه يتحرَّر بإرخائه ذراعي داميكو ، لكنه أخفق . رويداً رويداً ، في ترنُّح جسميهما مصطدمين بالمصاطب ، والأرفف ، زفر توكا زفيره البرتقالي دفقةً خفيفة وراء دفقة خفيفة .

أرخى داميكو ذراعيه عن عنق توكا فسقط الشاعر الأبكم ، أو المتخارس ، على أرض مجمع الذباب . وثب إلى حيث وضع العين الحجر الحاوية في جوفها ذبابتين . مدَّ رقعةً من الجلد ، طويلة ، على مسطبة . وضع العين الحجر عليها ، وطوى بعضها على بعض حتى غدت عصابة لفَّها على عضدهِ الأيسر . ربطها من طرفيها ربطا محكماً . جلب من ركن في المجمع سلاحه ـ عظمَ الزرافة كما يزعم . هوى على الحُقق ضرباً فهشمها أجمعين على الأرفف ، والمساطب ، بأجساد الذباب ممعوسةً فيها . هشم الحجارة المجوَّفة ، الرقيقة الجدران . كسر الأوتاد كلها حيث عُلِّق الذباب إليها بخيوط من شعر الجن . سحق براحتي يديه ذباباً أنَّى قَدِرَ على سحقه . انقلب المجمع ركاماً من العظامِ المكسورة ، والحقق المكسورة ، والآنية الحجر المكسورة . زمجرَ ملءَ حنجرته ، ثم اندفع وثباً إلى خارج المجمع .

لم يكد داميكو ينزل الدرجة الأولى من السلم حتى ألفى جاراته الموجَّرات يهرعن من جناحهن المجاور إليه . بُهتنَ إذْ أبصرن جوف المجمع والجثة المنطرحَةَ ، والذبابَ الناجي طليقاً حرّاً يطنُّ في الأنحاء . أطلقنَ عواءً مجروحاً من الذهول هزَّ سقف القصر .

قبل أن يتفهَّم عقلهن المُزَلْزَل ماجرى ، كان داميكو قد بلغ الدرجة الأخيرة من السلم . تبعته الإناث المؤجرات نزولاً عاجزات عن ربط سببٍ بمعناه ، أو ربط معنى بنقيض أسبابه . صرخن بأصوات متصادمة ، ونبرٍ صاعد هابط :

– من فعل هذا ، ياداميكو؟ .

التفت داميكو إليهن . فتح ذراعيه محلِّقاً في وثبه الطويل ، الجامح :

- سأعثر على هايكاهيكسين .

سبعة أيام ، بعد اختفاء داميكو ، عجز الجن في زينافيري عن استعادة ذبابة واحدة من تلك المُتَنَشِّئة على الوساطة إلى استنسال الجن بوضعها في الكراتِ الحجر الحواضن . ذباب إقليم زينافيري العاديُّ ، الوضيع ، الكثير بأسرابه ، التَهَم ما تبقى من الذباب الجليل المَحْتِد ، الذي صرف أجيالٌ من شعراء المجمع المتعاقبين اختصاصاتِ عقولهم في استنباط أنواعه ، وتنشئة أعراقه على إسعاد الجن بتوريثهم نسلاً .

ذهول كبير أحنى السماءَ ، أو قَصَمها ، فوق زينافيري . لكنَّ خبر هلاك الذباب الجليل وفنائه ، لم يكُن وقعُه مذعراً في موضع من أرض زينافيري ، إلى الجنوب البعيد من أسواق كاتراميل . أربع إناث حملنَ الخبر إلى صاحباتهن : «لا ذباب للاستنسال بعد الآن ، ياشاتار» ، قالت إحداهن للأنثى الطويلة ، المتزعمة فصيلَ الإناث التريكات ، اللواتي نزحن من مساكنهن القديمة بعد انكشاف أمرهن في إجهاض الأيدي الحاضنة ذبابَها . لكنهن ظللن متسللات فرادى ، أو أنفاراً قليلة لا يُثِرْنَ الشُبهة ، ولا يعمدن إلى تكرار ماكنٍ يفعلنه قبلاً ، بل يستطلعنَ الأنباء ، ويتزوَّدنَ من زينافيري بالأقاصيص للفصيل في عرائهن البعيد .

زمجرت شاتار بنبرٍ رضىً في صوتها الصفير . زمجرت أكثر إذ أبلغتها القادماتُ من زينافيري بانقلاب المواثيق القديمة في القصر على نفسها ، وبتفسُّخ الأعراف بالمزاج العاصف من السلطان الجديد على الأعراف .

«قتل ريكما أمه شيكتان» ، قالت إحدى القادمات . «ريكما يستنسل المنجمة بونيا» . هرَّت الأربع المتجسِّسات على زينافيري

معاً : «ماياكي اعتزلَ القصر لايخرج إليه من معسكره» ، قُلْنَ . أضفنَ في همسٍ مهيب : «ظهرت طيور لاكيلا في أزقة القرى» .

هرهرات ، وزمجرات ، وفحيح ، وعواء ، تقلَّبت في حناجر الإناث التَّريكات مع أنفاسهن . وثبت شاتار بضع وثبات إلى حيث انشغلت الأنثى الإنسية بأرنبٍ قنيصة ، مرقَّطة رماديًا وخُضرةً ، فوق حجر صفيح ، تسلخها ، وتطعم كلبهاً كبدَ الأرنب . حدَّقت إليها من عليائها وقد اعتادت أن ترى يدي الإنسانة ملطَّختين بدماء القنائص يتصيَّدنها من الواحة الصغيرة ، القريبة . انحنت عليها . نادتها باسمها : «هايكاهيكسين» ، فرفعت الآدميَّةُ وجهها إلى شاتار مبتسمة .

«زمجري مثلي» ، قالت شاتار للأنثى الإنسية . حركت يديها أمام فمها تريدها أن تقلِّدها .

ضحكت الأنثى الإنسية . زمجرت في حياءٍ .

الفصل الثامن
(نهايات مؤجَّلة)

لا المنجمون ، لا المتفكرون من نجباء الجن في المعضلات الكبار ، اهتدوا إلى تغليب المعقول على اللامعقول من نزوح طيور لاكيلا أسراباً متفرقة ، عن الهضبة الحمراء إلى الساحات ، والأزقة ، في أرض زينافيري . ما من سبب واضح ألجأَ الطيور المقدسة إلى ترك مجاثمها العريقة فوق القمة العالية . أسلاف تلك الطيور حطَّت أسراباً على القمة في عهد السلالة الثانية من سلالات جن زينافيري التسع ، قادمةً من مجهولٍ لم يجدوا تعريفاً له إلاَّ بإسناده إلى أساطيرهم عن ممالك الأعالي . حُسِمَ الشكُّ في موطنها الأصل : هي من هناك . لا يتأتَّى لطيور عُمْي مثلها ، برؤوس جماجمَ عظام لا لحم عليها أو جلد ، أن تهتدي إلى الهضبة إن لم تكن من معاقلَ ممالك الأعالي السيَّارة كالنجوم . طيورٌ عُمْي تخيَّرت ، بعد طيرانٍ متقن ، موضعاً هو الأكثر مواءمة لطباعها في العزلة ، تتأمل أحوال ممالك الجن الدفينة في منابع الرمل ، بمحاجرها الفارغة من العيون .

طائر لهُ جسمٌ حي ، بلحم ، وجلد ، وريش ، ومشي ، ينتمي به إلى أحياء الأرض الرمال ، ولهُ رأسٌ كجمجمةِ ميت ينتمي به إلى العالم الذي وراء «النسيان الأعظم» . لربما ترك عينيه في موطنه الأصل رَهْناً على أنه سيرجع إليه بعد كشوفٍ في العوالم الأسافل ، أو هو لا يحتاجهما مُذْ تقْدِرُ مصادفاتُ الموطن الجديد على تدبير

خيال ذي عينين لهُ يُقدِّسهُما جن زينافيري ، فيقدمون لهُ لحوم قنائصهم تقدِمةً من امتنانهم على وجوده مُشْرِفاً من القُلَّةِ العالية على الوجود في عزيفه المتصل من حنجرة الريح .

لم تكن الهضبةُ حمراءَ آنَ هبوطها عليها ، بل رمادية على صُفرة معتكرة كرمل الأرض في أقاليم الجن . باتت الطيور تلك تتنشَّق الرمل المعصوف عليها ، ومن ثم تزفره أحمرَ من ثقوب مناخيرها على أنحاء القمة ، ومن ثم نزولاً حتى أهضامها . ولمَّا أنجزت الدِّهانَ الزفيرَ على جِرْمها كله عادت صاعدة إلى الأعلى ، جائمةً لاتطير ولاتريم .

لم يخطر على بال أحد من جن زينافيري أن الطائر المقدس ربما يرتب لنفسه عودة إلى موطنه الأصل ، بنزوله متجولاً في ساحات زينافيري ، وأزقتها ، وتشكَّكوا يوماً بعد يوم ، أن يكون ذلك التجوال الغريب تهيئةً للهجرة . لكن أسياد الفِرق حملوا إلى المنجمين في المعبد ، زائرِيْنَ فرادى ، أسئلةً في مراتب العلامات .

عميد المحاربين الجديد هِيْدْس كان أول الوافدين إلى المنجمين باتوا ثلاثة ، بعد انتقال بونيا إلى القصر . ساءل كبيرهم الواقف على مدخل المحراب ، الذي قطنتهُ الأنثى الإنسية ذات يوم :

– أأنت على قلقٍ ، ياخاميدس ، من أمر طيور لاكيلا؟ .

«ليس أكثر من خراب مجمع الذباب ، ونزوح ماياكي ومحاربيه إلى تخوم الأرض المنخفضة» ، رد خاميدس .

هزَّ هيدس محدِّقاً إلى عيون المنجميْنِ الآخرين ، توهتو ، وكاساك ، المصغيين ببعض الشرود في وجهيهما . سألهما أيضاً :

– ماذا في بال ماياكي من نزوحه إلى أرض مانعات الرياح؟ ريكما غير متوجس من أمر ماياكي .

قـرَّب كـاسـاك ، الأقـصـر بين الجن ، نفـسَـه بنصف وثبـة من هيدس . ساءله بدوره :

- لِمَ عزل ريكما عميدَ المحاربين ماياكي؟ .

«لا شأنَ لي في ذلك إن كُنتَ تُلمِّح إلى شيءٍ مَّا ، ياكاساك» ، ردَّ هيـدس . رجعَ بالكلام إلى مسـتـهلٍّ سؤاله : «مـاذا تعني طيـور لاكيلا ، بحقٍّ ، لجنِّ زينافيري؟» .

«هذه الطيور بصرُ الإقليم من قمة الهضبة» ، رد كاساك .

غمغم توهتو غيرَ موافق . عقَّبَ :

- أسيـغـدو إقليم زينافـيـري أعـمى مـا دامت الطيور تنزح عن الهضبة؟ .

«لم ننشغل بطيور لاكـيلا على أنهـا بصـر إقليم زينافـيري ، أو عمـاه» ، قـال خاميـدس . بسط الصـورة أكثر شرحاً بسؤال صـغـير : «كم كائناً أبصرتموه لهُ جسمُ حيٍّ ، وجمجمةُ ميتٍ؟ لا كـائن يجمع عالَمْيِن كطير لاكيلا . نصفه الأسفل في الحياة ، ونصفه الأعلى في ماوراء النسيان الأعظم» .

«لم يتأوَّل لي أحدُ منكم نزوح طيور لاكيلا» ، قال هيدس .

«لدينا الكثـيـر لنتأوَّله ، ياهيـدس» ، قـال توهتـو . «نزوح طيـور لاكـيـلا . خـراب مـجـمع الذباب . إختـفـاء هايكاهيكسين . ظهـور الغيوم» .

«علامات» ، تمتم كاساك .

«ما العلامات؟ ما مقاصد العلامات؟» ، تساءل هيدس .

«أشم روائح رمل مـسـتـخـرج من منابع الرمال الدفينة . شيء ما يجري تحت أرض زينافيري» ، ردَّ كـاسـاك بصوته الزفير . التـفـت إلى توهتو : «قَرُبَ مجيء طيف الذئب الأبيض . سنُحْضِر بونيا لتداعبه» .

كان على هيدس أن يتوجَّس من نزوح ماياكي بمحاربيه إلى أرض مانعات الرياح، بحقٍّ، لا من نزوح طيور لاكيلا إلى ساحات زينافيري، والأزقة بين منازله. مِزَقٌ من أخبار متأخرة وفدت مع الراصدين إلى القصر: ماياكي أخرجَ بعض البروجِ الأسوار - مانعات الرياح من الأرض المنخفضة إلى العراء، من حول الوهدة الشاسعة. وقطع رتلٌ من محاربيه الطرقَ بين أواخر تخوم زينافيري جنوباً، ومحا العلامات السبع المرشدة إلى حانة ياموز، في تدبير واضح إلى منع أي عبور صوب واحة كيما - مَنْجَم الصيد الذي يمدُّ إقليم زينافيري بعظام القنائص وجلودها.

من أرض البهو الأعظم، بتحديق إلى فتحة السقف في القصر، كان ريكما يترصَّد غيوماً تتلاحقُ، متعالقةً بخُطافات لاتُرى، عنيدة كأنَّما تتقدَّم الريحَ فلا تلحقُها الريحُ لتُشتِّتها.

خمولُ اللاتدبير، وترقُّبٌ باهت، تناسجا في حركاته، ونظراته إلى الأسياد، الذين ظاهَرَهم القلقُ واثباً في وثوبهم متخاطبيْنَ للإعداد لنقل المعسكرات إلى جهات جديدة، لكنهم مترددون لم يحسموا من أين يبدأون، مادام سلطان زينافيري الجديد لم يحسم شكل صراعه الخفي مع ماياكي.

«أهذا تمرُّد؟»، تساءل نيدْجْ، شريك ريكما في حكمِ القصر.

غمغم آخرون من الأسياد غمغمات ليست تأكيداً، أو نفياً، بل تردُّداً في نقل الأحكام إلى حافَّة مأزق.

«ماذا نُعدُّ قطعَ طرق إلى واحة كيماً، وإخراج مانعات الرياح من الأرضِ الانهدام؟»، تساءل نيدج يستدرج الآخرين إلى توصيف بلا لبس.

«هل فيكم من يصدِّق مانعات الرياح؟»، ساءلهم ريكما.

«دأْبُ المهندسين ، والصنَّاع ، كـافٍ لإقناعي بتـصـديق مايفعلون» ، ردَّ رومسو .

«من منكم كان يتفقد ماينجزه الصنَّاع؟» ، ساءلهم ريكما .

صمت الأسيادُ إلاَّ سافتار . ردَّ بصوتٍ هامس :

- ماياكي .

«ماذا يُقلقكم؟ فِرقكم من المحاربين مجتمعةً أكثر من محاربي ماياكي» ، قال ريكما .

تطلع عميد المحاربين الجديد هيدس إلى سقف القصر ، جائلاً ببصره على نسيج الغيوم من فتحته الواسعة . تساءل من غير أن يلتفت إلى سلطان زينافيري :

- ما الذي سيتبقى منا إن نشبت حرب بيننا وبين ماياكي ، ياريكما؟ .

هرهرَ ريكما . حدَّق إلى شريكه في حكم القصر نيدج . ساءله :

- ماذا ترى؟ .

«للمنتصر حقٌّ يحترمه المهزوم ، ويشرِّعه لنفسه قانوناً» ، ردَّ نيدج بصوتٍ فيه زفرة .

أبدى ريكما استغراباً من رد نيدج الغامض . سأله :

- إلى أين تأخذنا؟ .

«غزو الجن للجن حقٌّ يتعهَّده الإله كوياسي» ، رد نيدج .

تبادل الأسياد نظراتٍ مستغربة سياقَ الأحكام المُقْحَم من لسان نيدج في المحادثة بينهم .

فحَّ ريكما :

- أهذه رؤيا ، يانيدج ، في تدبير الأحكام؟ .

زأر نيدج زئيراً خفيفاً . جال ببصره على أنحاء القصر يزِنُ سلطته الجديدة فيه . تكلَّم :

– الغزو من حقوق الجن ، ومواثيقهم . إنه عقْدٌ بينَ الجن يبادر الأقوياء ، عادةً ، إلى تطْهيرهِ إنْ أُهْمِل .

«ماذا إن لم يبادر الأقوياء إلى تنفيذ حقهم في العقد ـ حقِّ الغزو؟» ، تساءل ماكالوني ، فردَّ نيدْج :

– يبقى حقّاً مؤجَّلاً .

«لم أسمعكَ محدِّثاً على هذا النحو ، يانيدج» ، قال هيدس . فاستبقَ نَانْسْ الردَّ قبل أن يتكلم نيدج :

– إنه يتهيأ لتدبير الأحكام . هذا حقٌّ نيدج كنصف سلطان .

غمغم ريكما متعضاً من ذلك االتصريح بحقيقة حاله في الميثاق الجديد بينه وبين الأسياد . غمغم نيدج أيضاً ، لكنْ من موضع الرضا . استرسلَ في السياق المُقْحَم من حديثه الغامض :

– الخضوع حقٌّ يحفظه الميثاق للخاضع . والخاضعون ، كي يعيدوا الاعتبارَ إلى وجودهم المنهزم ، يتمثَّلون طباعَ المنتصر في التشريع . إنهم يصيرونَ ، بتمثُّلِ طِباع المنتصر ، منتصرين .

زأرَ هيدس بَرَماً : «ماذا عن مجمعْ الذباب ، ياريكما؟» ، ساءل السلطان ، في استعادة منه للمجتمعين إلى تدارس الأحوال ، بعدما مال نيدج بهم ، في منطقهِ اللَّبس ، إلى خمول .

«سنعيد ترميمه» ، ردَّ ريكما . التفتَ إلى نيدج : «أليس كذلك ، أيها الشريك؟» .

«لا بقايا كي نرمِّمها ، ياريكما» ، ردَّ نيدج . «لا ذباب» .

فحَّ ريكما :

– ثمَّ ماذا إذاً؟ .

حرك نيدج يده خَطْفاً . ضمَّ راحتها على ذباب من الفلول المتجولة في القصر :

– عندنا هذا .

«منذ متى يتخذ الجن هذا الذباب الوضيع النَّسب وسيطاً في استنسالهم؟» ، تساءل هيدس ، فردَّ نيدج :

– سنلقِّنه طِباعَ الرِّفعة .

«أراكَ شاحباً ، يانيدج ، من كثرة مافكَّرتَ بترويض المآزق ، منذ اشتركتَ في حكم القصر» ، عقَّب هيدس على كلام نيدج في سخرية .

زمجر نيدج مستثقلاً سخرية هيدس . ماحَكَهُ :

– أراكَ فتحتَ الطرق إلى واحة كيما ، وأعدتَ مانعات الرياح إلى أرض صُنَّاعها ، مُذ صرتَ عميداً للمحاربين .

تَحاكَكَ زئيرٌ خافت وفحيحٌ في الوسط بين نيدج وهيدس .

فحَّ ريكما بدوره يلجم وثبَ قلبيهما إلى الكلمات . نادى :

– زيديكا . أين الرسَّامات؟ أهُنَّ يُصوِّرنَ الغيوم؟ .

«يصوِّرنَ بونيا في حديقة القصر» ، ردَّ زيديكا مقترباً وثبتين من بين مطايا الأسياد . «أرادت بونيا أن يصورنها على مدخل مسكن هايكاهيكسين» .

«أين تُراها الآن؟ أين اختفت هايكاهيكسين؟» ، تساءل هيدس .

«ربما هي التي تقود الغيوم إلينا» ، عقَّب نيدج .

في البعيد ، جنوباً من أسواق كاتراميل ، كانت الأنثى الإنسية ترصد بعينيها البنيتين تشابك الغيوم متقلِّبةً في عراكٍ هادئ . لم تكن الريح ، ذلك اليوم ، زفيراً هائلاً كعهدها من فم الوجود . أقلَّ

عَصفاً بَدَت في خفضها الرمل ورفعه ، وتراءت الآفاق ، في الجهات ، أقلَّ كدراً ، حتى كان في مستطاع الإناث التريكات أن يلمحنَ الظلال الباهتة لأعالي البوابات الرمال إلى الأسواق تأتيها القبائل ، عادةً ، بعد عيد العاصفة الزرقاء .

كانت مساكن الإناث التريكات الجديدةُ ، بعد نزوحهن من جنوب واحة كيما ، على تطابق في الهيئات مع مساكنهن القديمة : حفَرٌ غير عميقة ، منحدرة المداخل قليلاً ، مموَّهة بالألياف ، لا يُلْحظ فارقُها عن الرمل إلاَّ عن كثب ، على نظام من الأقواس كلُّ عشرين مسكناً موزَّعة على قوس تليه قوس ، وتواجِّهها قوس . وفي يومهن ذاك كان أكثرهن في شَغْلٍ ، مثل الآدمية ، بتراكب الغيوم ، متهيِّباتٍ قليلاً من خفض الريح بعضَ جموحها . لكنَّهنَّ كنَّ مسترسلاتٍ ، أيضاً ، في عروض الخيال يُبديه بعضهن على بعض تأويلاً للغيوم ، وتفسيراً لأحوال قصر زينافيري بمواثيقه الجديدة ، ويُسرِّيْنَ عن خواطرهن بعاقبة خراب مجْمع الذباب .

«ماذا سيفعل جن زينافيري بأنفسهم الآن؟» ، تساءلت إحداهن ، فردَّت أخرى :

- سيعوِّضون عن الذباب بالنمل الأزرق .

«هل كان النفخ بالأفواه على الأيدي الحاضنة ذباباً هو الوساطة الحقيقية لإنضاج الأجنَّة في الكرات الحجر ، أم الذباب؟» ، تساءلت واحدة من الفصيل المخذول .

«غير مفهوم . كل هذا التدبير في استنسال الجن غير مفهوم» ، عرضت واحدة تقديرها للأحوال . استرسلت متصنِّعةً حركاتٍ ساخرةً : «ذبابٌ مختار . إطباق الأيدي على الذباب . نفخٌ عليه . نقلٌ من يد ذكر إلى يد أنثى . أيداعُ الذبابِ الكراتِ الحجرَ ، وغَلْقُ

الثقوب حتى انفلاق الكرات» . غمغمت : «لماذا حجارةُ كُراتٌ؟» ، التفتت إلى الأنثى الإنسية تُداعبُ كلبها جالسةً ، وترصد الغيوم بوجه مرفوع إلى الأعالي : «أيستنسل نوع هايكاهيكسين على هذا النحو الزريّ؟» .

«كيف تتخيلين تناسل نوعها؟» ، ساءلتها إحدى التريكات ، فردَّت المتحدِّثة :

- يرسمون في الهواء ، نفخاً بأنفاسهم ، أشكالاً كأشكالهم . يتكاثف الهواء حتى يصير كائناً على صورتهم تماماً .

«تْرُشِي ، أنتِ منجمة العهد الجديد في زينافيري» ، عقَّبت إحداهن على تصوُّر صاحبتها للخَلْق .

«لماذا لا تنفخ كل واحدة منَّا أنفاساً في كرةٍ حجر؟ فلنجرب» ، اقترحت أُخرى .

- أينبغي أن يكون الحجر كُرةً؟ .

- كل حجر يصلُح للنفخ فيه . لن تخْسرْنَ شيئاً .

توزعت الإناث التريكات يجتلبن حجارة من العراء حيثما يعثرن عليها . جلبْنَها صغاراً في أكثرها لا يوجد سواها ، مسطحةً ، مستويةً ، بل صقيلة جداً أحياناً من تدبير الريح حَتّاً نَحْتاً . وتولَّيْنَ بمثاقب من أنياب الذئب إنشاءَ ثقوب فيها قَدْرَ ما استطعنَ عُمقاً . ولَمَّا هممن بالنفخ في الثقوب بادرتهنَّ شاتار باقتراح أثارهن :

- فلتشارك هايكاهيكسين كلَّ واحدة منكّن نفخةً في حجرها .

هرهرت الإناث التريكات ، وزمجرن سروراً . حملن حجارتهن الصغار إلى الأنثى الإنسية . نفخن في ثقوبها بإشارات منهن أن تقلِّدهن نفخاً منها كنفخهن ، فقلدتهن بعينين تلتمعان فضولاً

مَرِحاً . سَدَدْنَ الثقوبَ على الأنفاس فيها بألياف لَدِنة كوَّرْنها بين أصابعهن ، ووضعن حجارتهن كلُّ واحدةٍ حجرَها على جانب من مدخل مسكنها .

كُنَّ كما في لعب ، يتعزَّينَ باختراعهن الساذج لحظوظ وفيَّة ما حرمتهنَّ منه الحظوظ الغادرة في زينافيري . لم يأخذ التدبيرُ الطقوسيُّ المتصَنَّع ذاك منهن إلاَّ وقتاً لاثقل له في ميزان الوقت ، قبل أن يرجعن إلى تأمُّلٍ في أحوال الريح المتكاسلة قليلاً ، وأحوال الغيوم مستشاطةً نَهَماً إلى التهام السماء قضْماً ذريعاً .

«ما الغيوم؟» ، تساءلت إحدى التريكات .

اثنتان من مخبرات الفصيل التريكات قطعتا عليهن استرسالَ قلوبهن في تقليب ظاهر الحادثات على باطن المعاني . هتفتا بصوت واحد وهما بعدُ تثبان وثباً طويلاً ، بعيون على السماء الغيوم :

- إقليم زينافيري موشك على حرب .

تمطَّت أعناق الإناث التريكات من سرد مُخبرتيهن لوقائع الخلاف في الإقليم : ماياكي يقطع الطرق إلى واحة كيما على أي موكب ، أو صيادين ، ويتأهب بمانعات الرياح لحصار المعسكرات ، بل القصر ربما . لم تبدأ المجابهة بعْدُ ـ هكذا قَدَّرتا الآثارَ اللامنظورة للصيرورات .

لربما لم تشغل المخبرتان خيالَ صاحباتهما بوميض الحرب المُحتَمَلَة قَدْر ماشغلتاه بما جرى لمايشا ، وسانياري .

«مايشا معلَّق من ذراعيه إلى الشجرة العظام ، شرق بوابة المعبد . أمه ، والأنثى التي تصحبها ، مستلقيتان أرضاً ، تحت قدميه ، تأكلان الرمل» ، قالت إحدى المخبرتين ، فسبقتها الأخرى إلى النصف الآخر من وقائع القصص الضاري : «سمعتُ بأذني أنين سانياري ، وهستار ، تحت الرمل موؤودَيْنِ» .

زمجرت الإناث التريكات استفظاعاً . ساءلتهما شاتار :

- ممَّنِ الأحكام؟ .

«من ريكما» ، ردَّتا .

«ما الذي فعلاه؟» ، تساءلت شاتار . «ماذا فعلت هستار؟» .

«لا نعرف» ، ردَّتا ، ثم رفعتا وجهيهما إلى السماء مرصوصةً بحجارة الغيوم البيض .

بونيا ، التي صحبَها المنجِّمون الثلاثة ، توقفت عن وثبها قبل العبور إلى بوابة المعبد ، مُذ حان موعد ظهور طيف الذئب الأبيض ، بتقديرِ النِّسَب المتراصَّة من أبعاد الوقت ، والنِّسَب المتخلخلة ، واستنباءِ الأرقام الواضحة بأعشارها ، وكذلك الأرقام الغُبْشِ - الأرقام الأسيادِ الخلفيين في مُعَسكر الحساب . هي لم تغادر القصر منذ خروجها من المعبد صَفيَّةً لريكما جاهرَ بها شريكةً للاستنسال . هالها أن ترى مايشا معلَّقاً على ذلك النحو إلى الشجرة ، وتعثر نبضُ قلبها بعضُه ببعض إذْ سمعت أنين الموؤودَيْنِ سانياري وزوجته هستار ، فيما استرسل المغني تارتوك بصوته الأزيز إنشاداً ، ترافقه زوجته وابنتاه قرعاً بأيديهن على رؤوسهن ، واقفيْن مع البوَّاق مايتا إلى جهة من البوابة .

عوت بونيا عواءً خفيضاً . خفضت جذعها لتلمس رأسي أم مايشا والأنثى التي معها ، فرفعتا وجهيهما المعفرين رملاً إليها ، في استلقائهما شبيهتين بالجراد . عَوَتا .

هرهر مايشا بصوتٍ خفيض مرهق ، منكمش الجلد من طول تعليقه جائعاً إلى الشجرة . استقامت بونيا لا تدري أتكلمهم أمْ تُؤثِر الصمتَ عاضًا بالنواجذ على حواشي الريح الغضوب . التفتت إلى خاميدس :

- ألا نستطيع أن نفعل شيئاً؟ .

هرَّ خاميدس هريرَ العاجز :

- فلْنداعب ، أولاً ، طيف الذئب الأبيض .

أكمل الأربعة المنجمون وثبهم ، داخلين من البوابة الواسعة إلى عُرْض المعبد شاسعاً باستدارات جدرانه العظام . توقفوا في الوسط ، رافعين وجوههم إلى الفراغ المتصبِّب بياضاً في السماء تراءت لهم من فتحة السقف ، التي تصل جداولَ الريح من الأعلى بنهرها الجاري من البوابة .

«ما الغيوم؟» ، غمغم كاساك مردِّداً السؤالَ لا يهتدي إلى يقينٍ يستعير منه رداً .

فحَّت بونيا وهي ترفع قبضة يدها اليسرى المضمومة على ذبابتها أمام أبصارهم :

- ما الذبابة هذه؟ .

جرَّ خاميدس قدميه جراً ثقيلاً يُرهِقُ الجنَّ إذ يفعلون ، كأنه يمشي حاملاً المعبدَ على كتفيه . تقدم بطيئاً حتى بلغ المحرابَ الجُوْرَةَ المتطاولة في الجدار .

وثب الثلاثة الآخرون وثباً قصيراً ، موزوناً ، فدخلوا المحراب خلف خاميدس .

«إنه هنا» ، غمغم كبير المنجمين . رفع يديه فوق رأسه يداعب ما لا يُرى . مدَّ الآخرون أيديهم يمسدون بها جسدَ الخفيِّ ناعماً ، متطاولاً ، لولبيَّ الحركة بدليل تحرُّك أيديهم لولبياً .

«إننا ننقل زينافيري إلى إله آخر» ، قال خاميدس كالمحدِّث نفسه بصوتٍ متأنٍّ في نبره . «إله حولهُ جنٌ مجنَّحون في كهفه . قضاة مجنَّحون . خَلْقٌ أمام الكهف مجنَّحون ، تائهون ، حائرون

أيطيعون شرائع لم يقُلْها أم يعصونه؟ إله لم يبشر خَلْقَه بشيء ، ولم يَعِدْهم بشيء . لم يصطفِ رُسلاً منجِّمِيْنَ إليهم . إله ينتظر من خَلْقه أن يرتجلوا ما يريدون وما لا يريدون . خَلْقٌ بلا خصائص ينتظرهم أن يرتجلوا خصائصَ لأنفسهم» .

وضع الأربعة المنجمون أيديهم بعضها فوق بعض : «أتحسُّونَ نبضَ قلبه؟» ، سألتهم بونيا في إشارة إلى طيف الذئب الأبيض اللامرئي .

زأر خاميدس زئيراً خافتاً . سحب يده من بين الأيدي . رفع وجهه في تحديق إلى سقف المحراب : «جنٌّ مجنَّحون يدخلون على إلههم فلا يخرجون ، وإن خرجوا لا يعودون» . خفض نفْسه . صفع الأرضَ الرمل فأثارَ غباراً تنشَّقه الأربعة معاً . وثب خارجاً من المحراب . دار على نفسه مزمجراً : «إننا ننتقل بإقليم زينافيري إلى إله آخر ، من حوله جن مجنحون يرتبون السماء الأخرى ، بحجارتها الملساء خلف منابع الرمال ، على عَجَلٍ . إله عجول لا يحب الأناة في شيء . إلهُ العجلة هو . يؤمن به خَلَقُه على عجل ، وينكرونه على عجل . يبجِّلونه على عجل . إلهٌ يُهين ويُهان . يُخذَل على عجلٍ ، ويَخذل على عجل . يُلقِّن كما يُلَقِّن . يَخدَع ويُخدع . يُحاصر ويُحاصَر . يستغيب حين يُستغاب . يغضب حين لا يجد غاضباً . يتذمَّر حين لا يجد متذمِّراً . وهو في حيرةٍ لِمَ الجنُّ المجنَّحون مجنحون؟ لِمَ المجهول قويٌّ في عصيانه ، رقيقٌ في وحيه الذي يُستوحى؟» .

لحق الثلاثة المنجمون الآخرون بكبيرهم خاميدس ، دائرين معه من حول أنفسهم في وثبٍ راقص .

«إلهٌ طباعه طباع كلِّ مكان ؛ طباعُ كل كائن . يأسى

للخسارات كلها لأنها خساراته» ، قال خاميدس . «يُقامر بالمعقولات كلما تراكمت المعقولات في خَزْنتهِ الحجر» . زمجرَ بصوتٍ عالٍ : «جِنّانِ مُجنَّحان ، هائلان ، يُخفيانَ الإله بأجنحتهما الثمانية . يحجبانه عن خلقه من الجن ، ويحجبان خَلقه عنه . لا معنى لأن يُرى أو يَرى . خلقه ذوو أجنحة لايَرون ولا يُرون . به ، أو من دونه ، هم خَلقُه . بهم ، أو من دونهم ، هو إلههم» .

استلقى خاميدس ، فجاءةً ، على الأرض الرمل . تمرغ عليها كفعل الصيادين الجن بعد اقتناص الطرائد . نهض . نفضَ نفْسه هزاً شديداً فتذرّى من ضفائره الرملُ ومن ثيابه . قفز صاعداً هابطاً في موضعه . زأر : «إلهٌ أن يحب أو يكره أمران لايعنيانه . أن يُطاع أو يُعصى أمران لايعنيانه . إلهٌ في محنة . إله يلتزم وجودَهُ في محنة . خصِّيصةُ جلاله أنه محنةٌ . إلهٌ محنةٌ مُذْ كانت المحنةُ أصلَ الإيمان بعَدْل الخسارة» .

تراخى خاميدس كأنه أنجز نقل الثقل عن كتفيه إلى كهف الإله الآخر في الرؤيا . غمغم :

– إقليم زينافيري لم يعُد هنا .

هرَّ كاساك القصير :

– إنه الآن بين أقاليم الأعالي السيارة كالنجوم .

فحَّت بونيا . نفخت على يدها اليسرى المضمومة على الذبابة ، ثم فتحتها فطارت الذبابة .

زمجر الثلاثة المنجمون ، محدِّقين إلى بونيا استغرقتها سكينةٌ رخيَّة . تقدموا منها . لمسوها كلٌّ لمسةً عطوفة براحة يده . غمغم خاميدس :

– أنا ذاهب إلى مايكي . لن أرجع .

دارت بونيا بعينيها على فراغ المعبد تلاحقُ ، في اللامرئيِّ ، طيفَ الوحي الذئب . غمغمت بدورها :

- أراك ، أيها الطيف ، في مكان آخر . لن أعود إلى هنا .

خرج الأربعة المنجمون من المعبد وثباً طويلاً ، عجولاً ، حاملين على عواتقهم أجربة تتلاطم فيها العظام وتتصايح بأصواتٍ همس .

استأخر ريكما عودة بونيا من زيارة المعبد في مغيب يوم زينافيري . أرسل مطيته زيديكا يتفقدها فعاد زيديكا خائباً لم يعثر عليها .

أمضى السلطان الجديد ليله واقفاً ، لافي مُقامه هو بل في مقام بونيا الثَّنيَةِ ، التي شغلتْه آسما أخت سوك مرة ، وشغَلَه هو قبل انتقاله إلى ركن أبيه . استذكرَ ، حانقاً بَعْدُ على تأخر بونيا ، ماجريات القصر الأصاغر والأكابر . عضَّ خيالُه عضّاً رقيقاً على قلبه من التنازل الفاضح عن سلطته الكاملة على القصر مقابل أن يهزم أمَّه في المجابهة حيلةً بحيلة . لكنه لحظة وقوفه في أعماق الركن المعتم ، لم يحس بانتصار على شيكتان : غلبها بانتصارٍ مهزوم .

هرَّ إذْ تسللت المرارة إلى لسانه ، فتناهى إليه هريرٌ من جوار ركن أبيه ، تبعتْهُ كلماتٌ من فم نيدج - شريكه في حُكم القصر :

- أهذا أنت ، ياريكما؟ .

زحفاً ثقيلاً بقدميه على الأرض الرمل تقدم ريكما من عمق الركن إلى بابه ، ثم وثب باستدارةً فبلغَ ركنَه هو - ركنَ كاشاجو سابقاً . نادى شريكه القابع في ركن شيكتان الذي كان لها قبل قتلها :

- هلاَّ خرجتَ ، يانيدج؟ .

في زحف ثقيل بقدميه خرج نيدج من ركنه المجاور لركن السلطان سابقاً ، وابنه السلطان لاحقاً . بادره :

– أتحبِّذ أحاديثَ الليل ، ياريكما؟ كان كاشاجو يحبِّذها فيجتمع في ظلام البهو الأعظم سُمَّارٌ كُثر .

فحَّ ريكما في الظلام لا يرى أحدهما فيه من الآخر إلاَّ خطوطاً سوداً ذائبة على لوح سواد . سأل شريكه :

– بِم يوحي لكً القصر في السكينة هذه؟ .

«لا سكينةَ ، ياريكما . ألا تسمع زفيرَ الريح؟» ، ردَّ نيدج .

«بِمَ يوحي لكَ زفير الريح مختلطاً بزفير القصر؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ نيدج :

– أن أبقى ساكناً حتى يُريني النهارُ حدودي في هذا المكان .

«ما حدودك مُذ صرتَ شريكي؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ نيدج :

– هي المتقدمة حين تتراجع حدودك ، ياريكما ؛ والمتراجعة حين تتقدم حدودُك .

«أأبصرني خيالُك أنني تراجعتُ ، يانيدج؟» ، ساءله ريكما ، فرد شريكهُ :

– لا تتراجعُ أنتَ ، بل يتراجع القصر .

«ما الفرق بيني وبين القصر؟» سأله ريكما ، فرد نيدج :

– أنت تعرف أنك في القصر ، لكن القصر لايعرف أنك فيه .

«أكلُّ سلطتي على القصر والقصرُ لايعرف أنني فيه ، يانيدج؟ ما تخبُّطُ الكلمات هذا على لسانك؟» ، قال ريكما بنبرٍ خشن ، فردَّ نيدج :

– أنتَ بصرُ القصر . ضعْ عِصابة على عينيك لن يرى القصرُ شيئاً .

«ها هو الظلام عِصابة على عينيَّ ، الآن ، يانيدج ، لكن المشيئة التي تتـدبَّر بي تصـريف شـؤونه كلَّ نهـار ، وكل ليل أيضـاً ، لا يحجبها حجاب» ، قال ريكما .

«هي المشـيـئـة التي يرى بعـينيـها كلٌّ قـادر على امتـلاكـهـا ، ياريكما ، وليس القصر» ، عقَّب نيدج .

زمجر ريكما زمجرة خافتة :

– ها أعـدْتني إلى الدَّرَج الأول ، يانـيدج : مـا الفرق بيني وبين القصر؟ .

«أنا» ، ردَّ نيدج .

«ماذا؟» ، تساءل ريكما بنبر خافت . «لم أفهم» .

فحَّ نيدج . صمتَ مقلِّباً ردَّه ذاك على مقادير فهم ريكما له .

«لم أفهم» ، كرَّر ريكما استيضاحه .

«أنا أيضاً» ، رد نيدج .

«لم تفهم ماقلتَ؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ نيدج :

– ألـم يحـدث لكَ مـرة أنك قلتَ شـيـئـاً لم تفـهم مـرادَك منه ، كأنما سبقك لسانك متعثراً ، من عجلته ، بفكرتك؟ .

«لا أتذكر» ، رد ريكما .

«تذكَّر الآن أنَّ هذا قد يحدث» ، قال نيدج .

هرهر ريكمـا في الظلام كـأنْ لم يقنعـه عـذرُ نيـدج في تدبيـر المَخرج . أدار المحادثة إلى تفصيلٍ آخر من أحوال وقت زينافيري .

– مَن من السادة سيبدأ مواجهة مایاكي بمحاربيه؟ .

«تقـضي الخطط أن تبـدأ الفِرق كلهـا ، مـجـتـمـعـةً ، مـواجـهـة مایاكي» ، رد نيدج .

«ماذا لو أننا في خطأ من التقدير ، وأنَّ مایاكي لا يريد مواجهة

حقّاً؟» ، تساءل ريكما ، فردَّ نيدج بنبرٍ فيه استغراب من تردد ريكما في التقدير :

– لِمَ قاطع القصر ، إذاً؟ لِمَ نزحَ بمحاربيه إلى جهة الأرض المنهدمة ، وقطع طرقاً إلى واحة كيما ، وحرك مانعات الرياح؟ .

«يعني ذلك لزاماً أن نحاربه» ، غمغم ريكما .

«نعرض عليه أن يرجع طائعاً» ، قال نيدج .

«من يتوسط في هذا بيننا وبينه؟» ، سأله ريكما ، فرد نيدج :

– المنجمون .

جرَّ ريكما قدميه جراً لايثب بهما في الظلام . ابتعد عن نيدج ، الذي تراجع بدوره إلى عمق ركنه .

«شيكتان» ، غمغم ريكما حروف اسم أمه مطحونةً ، بنبرٍ خافت مختنق في حنجرته ، يستحضرها : «أتسخرين من انتصاري عليك ، يا صاحبةَ الظلِّ الحيلة؟» ، زفر متطلِّعاً من باب ركنه إلى الجهة الجنوب من القصر لايرى منها شيئاً . «أروح نينيسو هناك إلى جوار ركن زيديكا؟ ألم تغادر روحها إلى المخاطبات الدائرية بألسنة لهب ، ياشيكتان؟ ، أهي تخاطب زيديكا؟ لم تترك لي نينيسو فرصة لآخذ منها خبايا قلبك . أم أخذْتُ كل شيء ـ أخذتُ القصر؟» .

جر ريكما قدميه من أعماق ركنه صوب الباب . كلم نفسه بلسان أعماقه : «أكان في اقتداري كسب الأسياد بمقترح آخر غير إشراكهم معي في الحكم ، ياشيكتان؟ آهِ لو قتلتُهم واحداً واحداً . هم كانوا العقبة أمامي لأتسلَّم ماهو لي . جعلتِهم عقبةً باستمالتهم إليك ، ياشيكتان» . زفر حاقداً : «تنازلتُ فربحتُ» . لوى عنقه يساراً ينظر إلى ركن نيدج : «هاهو من يقطن ركنك ، ياشيكتان .

أيؤلمك أن يتبادل الأسياد السُّكنى في ركنك، ياشيكتان؟ أنتِ فعلتِ هذا. كلُّهم سيتبادلون الوقوف، تباعاً، في الموضع الذي كنت تقفين فيه. سيعلقون أجربة أسلحتهم، وطعامهم، في المواضع التي علَّقت إليها أجربتك قبلاً. سيصفعون الأرض الرمل يستنشقون غبارها حيث كنتِ تستنشقين. ممزقة أنت الآن».

صمت ريكما برهة. تنفس عميقاً من منخريه الثقبين: «من هذا الذي إلى جوارك؟»، ساءلها بلا كلمات من لسانه. «أوه. كاشاجو. هذا أنت. أتسألها شيئاً؟ كأنني سمعتك تقول لها: لِمَ قتَلتِني؟ كيف خطر لك أنها قتلتك؟ أتخيفها؟ هيهْ. شيكتان، ردِّي. أأنت قتلت كاشاجو؟». مطَّ عنقه كأنما يقرِّب وجهه من شبح أبيه: «هي التي أغرقت سوك، وأغرقت نينيسو مطيتها ناكولي. اقتُلْها، ياكاشاجو، قبل أن تقتلك ثانيةً. واحذرْ نينيسو. إنها أبداً وراء شيكتان».

فحَّ ريكما: «لم تساعدني، ياكاشاجو. انتحرتَ في عزلتك. ربما نفخت سوك عليك. خنقتك روحُ سوك. خذلتَني، وها أنا أخذلك أيضاً. انظرْ إلى ركن شيكتان. نيدج يقيم فيه. أكنتَ تخيَّلت، في أكثر برهات روحك انهياراً، أنَّ سيداً من أسياد الفِرق سيشاركك القصر؟ إن ماتوا ستشارك أرواحُهم شبحَكَ في القصر. خذلتَني. خذْ مني خذلاناً أكبر. خذْ سلاحاً واطحن عظام شيكتان». هرَّ ساخراً: «أهديتُ عظامها للمغني تارتوك. أهديتُ عظام نينيسو لقيَّاف البروق ويْلابو، وأهديتُ نصف هذا القصر للحيلة التي انتصرتُ بها على حِيَل شيكتان. ربحٌ قاس. ربحٌ لا يُطاق».

أصدرَ ريكما عواءً خافتاً: «أين النهار؟ ربما عليَّ الذهاب

بنفسي إلى ماياكي ، وأن أحضرهُ إلى القصر ؛ أن أُحضر الأسياد فأحاصرهم في ركن ؛ أن أفنيهم ؛ أن يجمع مایاكي فِرَقَهم كلَّها تحت إمرته» . زمجرَ : «أين النهار؟» .

في الشعاعات الأولى من الشمس محتجِبَةً ، بَعْدُ ، في حصنها خلف الأفقِ الرمل ، أطلق ريكما مطيته زيديكا إلى المعبد ثانيةً ، يستطلع الغيابَ المريب للمنجمة بونيا ، فعاد زيديكا بالخبر المريب :

– لا بونيا . لا أحد من المنجمين هناك .

«ماذا؟» ، غمغم ريكما . دار نصف دورة حول نفسه يلاحق ذبابةَ القلق حائمةً حوله : «فلْينْفخْ مايتا في بوقه . أريد الأسياد جميعاً هنا» .

«لحظةً ، يازيديكا» ، قال نيدج يؤخره في الذهاب . «لماذا نطلب الأسياد؟» .

هرَّ ريكما بنبرٍ ممتعض :

– علينا أن نحسِم أموراً اليوم .

«ألم نتفق أن نعرض على مایاكي العودةَ طائعاً؟» ، ساءله نيدج .

«بلى . وقد اقرحتُ أن نجد وسيطاً» ، رد ريكما .

«ليكن المنجمون وسطاءنا . قلتُ لك ذلك» ، عقَّب نيدج .

«لم نتفق بعد» ، قال ريكما . «هم ليسوا في المعبد ، على أية حال» .

دار نيدج بوجهه على أبواب الأركان المجاورة لركن ريكما . تساءل :

– أين بونيا؟ .

«لم ترجع بعد» ، رد ريكما .

هزَّ نيدج بنبرٍ فيه استغراب :

- هي لـم تعُـد . والمنجـمـون ليـسـوا في المعـبـد!! لـم أعـرف أن النمجمين يقضون الليل خارج معبدهم .

«ها هم يفعلون» ، عقَّب ريكما . أعاد بصره إلى زيديكا :

- ماذا تفعل هنا ، يازيديكا؟ لم أسمع نفير البوق .

النفـيـر الـذي أطلقـه مـايتـا من البـوق العـظم مـديداً ، عـمـيـقـاً ، متصلاً ، بلغ الحدود الأقرب إلى الأرض المنخفضة ، حيث أمضى المنجـمـون بعضَ ليلهم سـاكنين على تخـومـهـا . في الـفـجـر أكـملوا قدومهم إلى معسكر ماياكي المنتشر في الأنحاء كلها . راصدون من المحاربين هرعوا إلى لقائهم . واكبـهم بعـضُـهم كـالخـفـراء لـهم حـتى أحفَّة الأرض الوهدة الوسيعة . تركوهم يكملون وثبهم إلى عُرْضها ، حيث بروج مانعات الرياح وسدودها موزعة على الجهات . بل رأوا بعضـها خارج الأرض المنخفضة لـم يعرفوا كيف أخرجها الصنَّاع والعاملون . لكن هزَّتهم الفـجـاءةُ لَمَّا أبصـروا عـديداً من طيور لاكـيـلا العُـمـي جوَّابةً في المسـالك الرمل بين مـجـاميع المشـاغل المنفـصلة بعـمـالهـا ، لا يُعيـرها الجـائلون لـقـضـاء مـهـمـاتهـم اهتـمـامـاً يُسـتـحقُّ ، كـأنهـم ألِفوها ، فيـمـا تتوالى لفتـاتُ الذاهبين والآيبين إلى السـمـاء يقيسون بأبصارهم أسوار الغيوم ، وحصونها البيض . أحسوا نفْخاً مشوباً ببردٍ مكتوم في الريح ، فانكمشت جلودهم قليلاً .

كـبـيـر المهندسين بوكلو ، الذي تولَّى إدارة المشـاغل ، وتفـصـيل الأعمال ، بعد موت ليوفا غارقاً في رمل عمره ، لاقاهم وثباً يحيط به بعض الأطفال المنفيين ، قادماً من مـجـثـمـه بين الرمـال الخـرائط مـحـاطـةً بسـيـاج من القـصـب القـصـيـر ، المرصوص كـجـدار كـي لا تبعثرها الريح . ساءلهم وهو على بُعد وثبات منهم :

- ألم يعترضكم الرواصدُ الجوّالون من محاربي هيدس، سائلين إلى أين أنتم ذاهبون؟.

«لم نلتق أحداً في الطريق إلى هنا»، ردَّ توهتو.

حدَّق بوكلو إلى بونيا:

- ألست شريكة ريكما في ذبابته؟ ماذا تفعلين هنا؟.

فتحت بونيا راحتي يديها أمام بصر بوكلو. مازحتْه:

- علِّمْني كيف أتسلق بيديَّ معاً برجاً من أبراج مانعات الرياح.

وجم بوكلو قليلاً من مرأى يديها فارغتين. لم يستوضحها أمرَ ذبابة ريكما. عَبَر بلسانه إلى سؤال آخر:

- ماذا تفعلون هنا؟.

«مامن إقليم يُدعى زينافيري نرجع إليه»، ردَّ خاميدس.

هرَّ بوكلو. استعصت التوريةُ عليه. تساءل:

- أهذه رؤيا، ياخاميدس؟.

«لا»، رد خاميدس.

«ما الأرض التي حولنا، من هنا حتى أسواق كاتراميل، وأبعد؟»، تساءل بوكلو.

«هي الأرض المفقودة»، رد خاميدس.

فحَّ بوكلو حاملاً مايقوله كبير المنجمين على محمل الدعابة. ساءله:

- أين زينافيري، إذاً؟.

«بين الممالك السيارة في الأعالي»، رد خاميدس رافعاً إصبعه السبابة اليمنى إلى الغيوم: «لزينافيري، هناك، حصونٌ حجر، لا حصونٌ رمال».

أبقى بوكلو بصره على الأعالي بحدائقها الغيوم . رفع يده اليسرى ، الناقصة السبابة والوسطى المكسورتين ، إلى الاتجاه الذي أشار إليه خاميدس . ساءله :

- هناك؟ .

«نعم . هناك» ، رد خاميدس .

«أنت تضيف مهمة أخرى ، ياخاميدس ، إلى مشاغل ماياكي» ، قال بوكلو . «كيف يصعد بمانعات الرياح إلى الأعالي ليحاصر زينافيري؟» .

«فلْيحاصر الظلالَ الآثارَ لإقليم زينافيري . إنْ أخضعَها خضعَ زينافيري الأعالي» ، رد خاميدس . تلفت من حوله : «أين ماياكي؟» .

«هو في الجهة الجنوب من الأرض المنخفضة» ، رد بوكلو ، مشيراً بيده اليسرى المكسورة الإصبعين إلى الأفق تراءت في نهاياته أشباح أبراج . أضاف : «يختبر واحداً من سدود مانعات الرياح» .

وثباً طويلاً عبر المنجمون الأرضَ المنخفضة ذراعاً عن كل محيطها من الرمال . بلغوا الجهة الجنوب بعد وقت يُحسَب من نوافل الوقت لا من أُسُسه . كان عمال كثرٌ ، حشدٌ ، يوجههم الصُّنَّاعُ الحُذَّاق ، بالعلامات الخرائط في أصواتهم ، كيف يلحمون الأجزاءَ الكثر للأبراج بالسدود بينها واقفةً على عِجالٍ ضخام ، بأعمدة نافرة من أجنبتها تتداخل كالأضلاع وتتواشج .

كان الزفير ، والهرير ، قويين تمازجهما الزمجرات الخفيضة أيضاً ، من حناجر العمال يرفعون أجزاء مانعات الرياح بعضها إلى بعض ، فتتشابك عرْضاً كسدود . تعالت الأصواتُ قرقعاتٍ هائلة من تصادم الأخشاب بالألواح ، والأسطوانات بالجذوع إذْ تلتحم .

كادت بونيا تصمُّ أذنيها بيديها لولا أن سحبها كاساك من ذراعها مُذ عثر على ماياكي ممتطياً ظهر راتو يجول به أمام البرج الأول من البروج اكتملت، أو كادت، ملحقاتُه من السدود العِراض عن جانبيه. حشد كبير من الأولاد المنفيين كانوا متحلقين نصف حلقة من حوله، يتولى محاربون إبقاءهم مجتمعين لا يتشتتون.

استرعى المنجمون بصرَ ماياكي قادمين إليه وثباً موزوناً. هرَّ مستغرباً. ولما جاوروه بادرهم:

- ماذا تفعلون هنا؟.

«هجرْنا المعبد»، ردَّ خاميدس.

فحَّ ماياكي وقد ازداد استغرابه:

- أتعني أنكم لن ترجعوا؟.

تطلع خاميدس من حوله إلى الخلاءات الرمل توزَّع فيها المحاربون ثللاً حتى الأقاصي الأبعد. أعاد بصره إلى ماياكي:

- سنقيم معبداً بين مانعات الرياح.

هرَّ ماياكي من المزاح في كلمات خاميدس. مرَّ ببصره على وجوه المنجمين الآخرين في رضىً. كلمهم بدوره مزاحاً: «ستكون منازلكم على رؤوس البروج»، قال. خفض نظره إلى يدي بونيا المفتوحتين. تفاجأ: «أين نسلُ ريكما؟».

«في الأعالي»، ردَّت بونيا بإشارة إلى ذبابة طليقة لا تُرى، قبل أن تلتفت إلى لغطٍ خفيف، منفصل عن زفير العمال وهريرهم. صاحت مندهشة:

- تركناك البارحة تغني قرب الشجرة العظام.

هرَّ المغني تارتوك مصحوباً بزوجته، وابنتيه، وقياف البروق ويلابو. ردَّ:

- نحن هنا الآن .

«سيغني لطيور لاكيلا» ، عقَّب مایاكي محدِّقاً ، في رضىً ، إلى تارتوك : «سأضع طيوراً على سطوح الأبراج كلها ، وعلى أحفَّة السدود العِراض» .

«أبْقِ مكاناً شاغراً لبعض البروق أيضاً ، یامایاكي» ، قال ويلابو ، فعقَّب مایاكي :

- إقليم زينافيري كله سيمتلئ بروقاً . سيمتلئ القصر .

تململ راتو ، مطية مایاكي ، يقاطعه في المحادثة ، ويحثه بغمغمة على وجوب متابعة العمل .

«اعذروني» ، قال مایاكي . همَّ بالانصراف عن المنجمين فوثب إليه خاميدس بسؤال لم يستطع تأجيله :

- كيف انقاد مهندسو مانعات الرياح وصُنَّاعها لك ، یامایاكي؟ أراهم منصاعين ، موالين .

«يعرفون أنهم لن يخسروا شيئاً» ، ردَّ مایاكي ردّاً فيه لبْسٌ خفيف . أشار بيده اليمنى إلى حشد الأطفال المنفيين : «سيكون هؤلاء اختبارنا الأول» .

تبادل المنجمون نظراتٍ تتأوَّل خطط مایاكي ، الذي هرع به راتو جائلاً على الصنَّاع يستوضحهم ، ويحثهم على الإسراع ، يواكبه خُفراء ضخامٌ .

صعد من الأرض المنخفضة برج آخر على عِجال ، تمتدُّ عن جانبيه أضلاعٌ ألواح طويلات ، يجره عاملون بحبال ، ويدفعه من الخلف عاملون . أداروا البرج إلى جوار الأول . دفعوه فاشتبكت الأضلاع بتلك الأخريات النافرة من جانبي البرج الأول . اكتمل سور بينهما ، وسوران من جانبيهما لم يلبث أن أُلْحِقتْ بهما

عوارضٌ مسطحة ، متراصة ، فاكتملت دائرة مضلَّعة ، عالية . دفع العاملون الأطفالَ إلى وسطها ، ولحم العمال الشقَّ الباقي بباب ضيق قرعته الريح نّطْحاً فصرَّت مفاصله .

تباطأ صخبُ الأطفال المنفيين . خفتت صيحاتُهم الأزيز من غيرِ أن تتلاشى . وضع ماياكي عينه اليمنى ، من فوق ظهر مطيته ، على ثقب صغير جداً في الباب كان قد سُدَّ بسدادة كالإصبع . رأى الأطفال متقاربين ، مترقبين ، بطيئين في الحركة على خمول ، بوجوه إلى الأعالي المستشاطة بياضاً بغيومها . انتظر خمودهم كلِّياً ، ساعة أو أكثر في وقفة مطيته الثابتة ، فلم يكتمل خمودهم كمأموله من صناعة المانعات . نزل عن ظهر راتو . وثب إلى لفيف الصناع الحذَّاق . أشار على بعضهم أن يتبادلوا استراقَ النظر من الثقب إلى الأطفال المحاصَرين ليتأوَّلوا الحقائقَ لم تُنْجزْ بليغةً .

دُعيَ كبير المهندسين بوكلو ومعاونوه هي لينضموا إلى المستقصين ثَغَرةً لم يفهموها في الخُططِ التصاميم .

وضعَ الصناع أعينهم ، واحداً واحداً ، على الثقب ، ثم عادوا مجتمعين يتدارسون الخللَ ، في همسٍ ، على مقرُبةٍ من بوكلو .

أعاد ماياكي النظر ، من الثقب ، إلى الأطفال ، فألفاهم على الحال تلك الخاملة قليلاً ، لكن من غير جمود كامل . خفَّ راجعاً ، في وثبتين ، إلى لفيف الصنَّاع وكبير مهندسيهم : «ماالخلل ، يابوكلو؟» ، ساءله؟

«الخلل من فوق» ، رد بوكلو . «تصدمُ الريحُ الجدرانَ السدودَ بينَ البروج فترتدُّ ملتفَّةً إلى الخلف . لكنَّ بعضها ينشقُّ على أحفة السدود منقلباً إلى داخلها . ذلك لايساعد على شلِّ الحرجة كليّاً» .

«أيمكن وضع سقوف فوق طوق السدود تحجب الريح من

الأعلى؟» ، تساءل ماياكي ، فردَّ بوكلو :

- أنّى لنا أن نفعل ذلك ، ياماياكي؟ .

«أينفع لو جعلنا المسافة بين طوق السدود أكثر ضيْقاً؟» ، تساءل ماياكي ، فردَّ بوكلو :

- ربما . لكن ما المكان الذي ستقسِّم حصارك عليه ، موزعاً مانعات الرياح على قِطَع صغارٍ من أجزائه؟ .

أدرك ماياكي المنطقَ في ردِّ بوكلو . أحسَّ نخْزاً على جلده من خشية الإخفاق . اقتربَ من بوكلو . أمسك بذراعه يدعوه إلى خلوة . وثَبَا مبتعدين قليلاً عن المنجمين والصناع . هامسَ ماياكي كبيرَ المهندسين :

- أهذه بداية إخفاق؟ .

«ليس بعد» ، رد بوكلو .

«ماذا ستفعل؟» ، ساءله ماياكي ، فرد بوكلو :

- لا أعرف .

فحَّ ماياكي فحيحاً طويلاً ، مثبتاً عينيه على وجه بوكلو . أتْبَعَ الفحيحَ بزفير . صرخ :

- راتو .

وثب راتو ملبياً نداء سيده .

«أحْضِرْ بعضَ آمري فصائل المحاربين» ، قال ماياكي .

حضر أربعة من آمري الفصائل . هروا منتظرين أن يعرفوا لِمَ استدعاهم .

حرَّك ماياكي ذراعه اليسرى في إشارة واسعة الطوق ، يحصر بها مواضع من الأرض المنخفضة :

- أطلِقوا الأطفالَ المنفيين جميعاً ، أحراراً . فلْيواكبهم بعضُ

الخفراء حتى منتصف الطريق إلى القرى ، ويتركوهم يكملون الرجوع إلى أهليهم .

غمغم آمرو الفصائل طاعةً . وثبوا منصرفين إلى قضاء ما أُمروا به .

حدق ماياكي إلى عيني بوكلو ، مستجمعاً تصميم خياله على خُطَّة :

- سآخذ مانعات الرياح أحاصر بها المعسكرات كما هي .

«ستُبطئ حركةَ من ستحاصرهم ، ياماياكي . لكنَّ ذلك قد لن يكفي» ، عقَّب بوكلو .

قرَّب ماياكي وجهه من وجه بوكلو :

- تصنَّعْ أنَّكَ تدبَّرتَ حلاً للخلل بإضافة بعض الألواح إلى هياكل الأبراج .

«أتريدني أن أتصنَّع ذلك؟» ، ساءله بوكلو مستغرباً ، فرد ماياكي :

- من سيعرف سواك وسواي بالأمر؟ .

«ماذا إن رغب الصنَّاع في تجريبها؟» ، رد بوكلو بسؤال .

«لن أنتظر أن يجرِّبها أحد . سآخذ مانعات الرياح بلا تجريب» ، قال ماياكي .

«ماذا عنهم؟» ، تساءل بوكلو .

«من تعني؟» ، غمغم ماياكي .

«أسياد الفرق» ، رد بوكلو .

«أيعرفونَ أن في مانعات الرياح خللاً لم يُصحح؟» ، تساءل ماياكي .

«لا» ، ردَّ بوكلو

«ماذا أنتظر إذاً؟» ، قال ماياكي . زمجر : «سأمزقهم هَلَعاً» .

في حديقة قصر السلطان ، كان ريكما على جدال مع أسياد الفرق ، واثبين من حوله بين أقفاص فهود البوابات الرمال :

- ما الطريق الذي لم يقطعه ماياكي ، بَعْدُ ، إلى واحة كيما؟ .

«قطع الأربعَ الطرق إليها ، وجعل من حول الواحة كمائن كُثراً» ، ردَّ هيدس .

زمجر ريكما :

- ألديه من المحاربين مالم نعرف عددهم؟ .

«ضمَّ عديداً من أقرباء محاربيه في عبوره القرى إلى الأرض المنخفضة» ، رد هيدس .

«أجَرى كلُّ هذا وأنتَ عارفٌ؟» ، ساءله ريكما مغتاظاً .

«لم يجرِ ذلك وأنا عارف أنه يجري . عرفتُ فيما بعد» ، ردَّ هيدس بنبرٍ يدفع التقصيرَ عنه .

توقف ريكما عن وثبه . دار ببصره من حوله : «زيديكا» ، نادى مطيته بنبرٍ محتدم . «ألم تظهر بونيا؟» .

«لا بونيا . لا المنجمون» ، رد زيديكا .

مدَّ ريكما يده بغتةً فأطبقها على عضد شريكه نيدج :

- لماذا يجري كل شيء في بطء؟ .

«ما الذي يجري في بطء؟» ، تساءل نيدج .

«أتدبَّرتَ شعراء يرمِّمون مجمع الذباب؟» ، سأله ريكما ، فرد شريكه :

- ليس بعد .

«ماذا تنتظر؟» ، زمجر ريكما .

«الأمر ليس سهلاً» ، رد نيدج .

«متى كان حُكم زينافيري سهلاً؟ أمِ استسهلتَهُ؟» ، ساءله ريكما في نبرٍ توبيخ .

«سأخترعُ شعراء إذاً ، وأنصب منجمين أيضاً . أين منجمونا؟ ربما غادرونا إلى ماشفير الأعمى» ، قال نيدج .

«سأُبوِّئ الصيادين الحُذَّاق مناصبَ المنجمين في المعبد» ، عقَّب ريكما . «دعْ أمر المنجمين لي» .

«لك ولي» ، قال نيدج بصوت الشريك المذكِّر ريكما بالعهد .

فحَّ ريكما في وجه نيدج . أدار بصره إلى هيدس :

- أعطِ نيدج فرقتين يقودهما إلى الأرض المنخفضة الآن .

فحَّ نيدج بدوره :

- هيدس سيقود مايشاء من الفِرق إلى الأرض المنخفضة . هو عميد المحاربين .

زمجر ريكما فجاوبته فهودُ البوابات الرمال في أقفاصها هريراً :

«دعوني مع هيدس» ، قال ريكما للأسياد . «رتِّبوا خططَ المجابهات . حان الوقت» .

انصرف الأسياد متجهين إلى القصر على عجل .

«اقترِبْ» ، قال ريكما لعميد المحاربين الجديد هيدس . كان يتطلع باهتمام إلى واحد من فهود البوابات الرمال أبيض الجلد ، مرقَّطاً دوائرَ رمادية . «انظر إلى عينيه ، ياهيدس» .

«هما كعيني هايكاهيكسين ، لولا أنهما زرقاوان» ، قال هيدس .

وقف الفهد ، بعد حَوْم ، قبالتهما في قفصه العظام متشابكةً كالأضلاعِ صُنْعاً . نقر ريكما بأنامله على القضبان الملتويةَ . غمغم :

- ماذا لو تراجعتُ عن ميثاقِ مشاركة الأسياد، دورياً، في حُكم القصر؟ .

«احْذرْ، ياريكما، قد ينقلبون عليك»، رد هيدس .

هرَّ ريكما حنقاً فهرَّ الفهد .

زمجر ريكما فتراجع الفهد حائماً بين جدران قفصه .

تطلع سلطان زينافيري الجديد إلى وجه عميد المحاربين الجديد . ثبَّت عينيه على عينيه تجذبهما إلى نجدةٍ من الخُطط تُرضي نزوعه إلى نقض الميثاق . تساءل هامساً :

- ماذا أفعل؟ .

«ماذا تفعل؟»، تساءل هيدس بنبرٍ كصدىً من سؤال ريكما . أضافَ : «لامخرج . ستبقى على ميثاقٍ أنت وطَّدتَ حُكمَه في القصر» .

كشر ريكما عن أسنانه في غضبٍ يتآكله صامتاً :

- سأعزل نيدج أولاً . أين ستكونُ، ياهيدس، إن فعلتُ؟ .

«أين سأكون؟»، تمتم هيدس متبلبلاً من عوارض تراجع ريكما عن عهده . حوَّل بصره عن عيني سلطان زينافيري إلى المعبر الوسيع صوب بوابة القصر . أردف : «لاتعزلْ نيدج . إنه موقف لم تعد قادراً على صنعه» .

«سأصنعه»، دمدم ريكما من باطن حنجرته . زفر : «كيف أستعيد ماياكي؟» .

«اسْأَلْ شريكك نيدج في مخرج لاستعادة ماياكي»، رد هيدس .

«ماذا لو رددنا إليه منصبه؟»، ساءله ريكما مختبراً، فرد هيدس :

– أعِدْهُ إليه .

«ماذا عنك؟» ، ساءله ريكما ، فرد هيدس :

– لا مشكلة عندي .

«ماذا لو رفض نيدج مقترحي؟» ، تساءل ريكما .

«مقترحُك؟ أتعني إعادة ماياكي عميداً للمحاربين؟» ، قال هيدس .

«أبْعَد من ذلك . أن يحكم ماياكي القصر وحده سنةً» ، رد ريكما .

أطال هيدس النظر إلى تخبط ريكما ظاهراً في مقترحاته المخارج المبتذلة من مأزقه . استصغره ، لكنه آثر رداً في سياق المنطق :

– إن لم يقبل نيدج ، تعرض مقترحاتك على اقتراع الأسياد عليه .

«ماذا لو خسرتُ؟» ، تساءل ريكما .

زمجر هيدس كأنما يذكِّر ريكما أنه في وهمٍ من صناعة الخطط الركيكة :

– لقد خسرتَ ، ياريكما ، على كل حال .

«مَن أنا الآن؟» ، زأرَ ريكما .

«سلطان زينافيري» ، ردَّ هيدس مخفِّفاً عن ريكما حصار خياله المطحون .

«سأبعثر زينافيري ، إذاً» ، قال ريكما .

فلول من الذباب صدمت وجه ريكما هائجةً في طنينها . هاجت الفهود ، فجاءةً ، في الأقفاص ، حائمة مذعورة ، في هريرٍ متَّصل . عوت الذئاب الصفر . تخبط الجن القزمُ في أقفاصهم الصغار يفرُّون من جهة فيها إلى جهة . مدت طيور كارنا الطويلة

الأعناق كالأفاعي أعناقها من الفراغات الضيقة في جدران أقفاصها ؛ أدارتها لولبيًا في الهواء ، ودائريًا ، كأنما تهرب رؤوسها مغادرةً جسومها الحبيسة . جراد كثيف غطى الأرض الرمل متراكباً طبقات ، زاحفاً من المعبر الوسيع في مدخل الحديقة صوب بوابة القصر .

تراجع ريكما وهيدس عن قفص الفهد مبهوتين من ذلك الغَمْر الصوتِ متنافراً ، موحشاً ، مذعوراً ، مُرْعداً قلقاً ، جاوبت به الحيواناتُ الحيواناتِ في الحديقة إنذاراً ، وتحذيراً ، بالعواء والهرير ، وصَدْمِ الأقفاص بجسومِها طلباً للهرب .

بَعد برهاتٍ من الصرير الطاحن صادراً عن أرواح الحيوانات الحية ، خمد الصوت في حناجرها ، وسكنت جسومها منشلَّةً ، فيماعلا عزيف الريح كما لم يَعْلُ قبلاً في زينافيري .

«لنعدْ إلى القصر» ، غمغم ريكما مبلبلاً .

هرَّ هيدس موافقاً فلم يصل هريره إلى سمع ريكما : دويٌّ صاعقٌ ، عميق ، ثقيل ، باهظُ الارتِداد ، شقَّق الأرجاءَ مِزَقاً كثياب الجن قبلَ رتقِها . توالى الصدى موجاً خفيفاً أول الأمر ، لحقه موجٌ جامح ، فموجٌ هائلُ الهَيْجِ هاذٍ قلبَ الريحَ أعاليها أسافلَ ، وأدارها على نفسِها برؤوس من الرمل تسعى إلى عضِّ أذيالِها خَبَلاً .

تمايلت الأقفاص في الحديقة لولا ثقل العظام متراكبةً فيها ، والفراغات في الجدران لانقلبت ، إلاَّ الأقفاص الصغار الحاوية جنًا قُزماً ، مفرطي الضآلة فإنها انقلبت متدحرجةً ، فاقتنص الجنُّ القُزم حظَّ المصادفة . تفرَّقوا هاربين يصيئون كالعقارب في اتجاه سور الحديقة . صعدوا السور المرصوص من قرون البهائم . تبدَّدوا .

سحاب أحمر ارتفع في السماء شمال شرق زينافيري . رآه

ريكما وهيدس من موضعهما ذاك ، لكنهما لم يخمِّنا سببه مُذ حجبَ عنهما القصرُ منبعَ السحاب . هرعا وثباً قويًا إلى الشرق علّهما يبصران ، بالتفاف من حول جدران القصر ، موضعَ الدوي المهول .

ما سمعه ريكما ، وهيدس ، ولم يرياه ، سمعه ورآه جنٌّ كثر من مواضعهم في الجهات شتَّى : نيزكٌ قضمَ الحافةَ الجنوبَ من هضبة طيور لاكيلا . رفع التراب ، والرمل ، والحجر أبراجاً إلى السماء ثم أهالها على الأنحاء غباراً أحمر ، لن يهدأ راكداً على الأرض إلاَّ بعد يوم ونصف اليوم من أيام الجن .

سيزعم آلما النحات أنه أول من رأى النيزك . ظنَّه انشطار غيم رمادي من بحر البياض في السماء . كان على كتفِ نُصب الإله كوياسي . تزلزل النصبُ فهوى آلما جارفاً ، في سقوطه ، عظاماً كثراً من هيكل إلهه . أعانته طبقات العظام التي هوى فوقها على لجم سقوطه عنيفاً من علياء النصب ، فنجا بكسور قليلة في ذراعه اليسرى وقدميه .

كثيرون غيره سيروون ، لاحقاً ، أنهم كانوا أوائل من رأوا النيزك أبيضَ مرةً ، أسودَ مرةً ، رمادياً مرة ، أحمرَ مرةً ، مُكْتنَفاً بصواعقَ أقواسٍ حول جِرمه مرةً . قيَّاف البروق ويلابو لفت الأبصار بزمجرةٍ عنيفةٍ إلى الهضبة ، من موضعه على حافة الأرض المنخفضة . مايا كي ، وبوكلو ، والصنَّاع ، والعمال ، انشلت حركاتهم في التفاتهم إلى الهضبة البعيدة وقد تَفلَّع الجزء الجنوبي من قمتها مرتفعاً سحاباً من هشيم الحجر والرمل إلى السماء ، ثم تمدد السحابُ فوقها سقفاً دائرياً ، وانتشر ليغطيها منحدراً من السفوح في الاتجاهات كلها غباراً أحمر .

انشقت حنجرة تارتوك بغناء صاحب النبر، فجاوبته زوجته وابنتاه بقرع عنيف على رؤوسهن الحليقة يخال لمن يراهُنَّ، في الحال تلك، أنهن يطردن ذباباً انسل من آذانهن إلى الأقحاف فوق الأدمغة. أمير المهندسين الجديد، بوكلو، الذي خلَّف الأمير المقتول ليوفا، لم يصرفه الذهولُ عن جمع لسانه في سؤال إلى ماياكي:

- أتعتقد أن إلهاً آخر يختبر خططَ الإله كوياسي؟.

بفم مفتوح التفت ماياكي إلى بوكلو: «أتكلمني؟»، ساءله، فأعاد بوكلو السؤال ذاته عليه.

«لا أعرف إن كان يختبرها أم يبدِّلها»، رد ماياكي.

«أنت تؤمن بإله آخر، إذاً؟»، عقَّب بوكلو.

«اسألِ المنجمين، يابوكلو»، قال ماياكي، ناظراً من خلفه إلى المنجمين الأربعة متقلِّصي الأعناق ذهولاً، بأبصار خاشعة إلى الهضبة في البعيد الأقصى من معالم الأرض الرملِ منبسطةً، إلاَّ من كثبانٍ متفرقة.

«هجروا معبدهم»، قال بوكلو. «هجروا إلههم».

«جاءوا بمعبدهم معهم»، عقَّب ماياكي.

«هل المعبد، في زينافيري، هو معبد الإله كوياسي ياماياكي؟»، تساءل بوكلو. أردف: «لم أسمع المنجمين يطلبون من أحد ذِكْرَ كوياسي في معبدهم».

«هم لا يذْكرونه»، قال ماياكي.

«أيؤمنون به؟»، تساءل بوكلو. «هو نُصبٌ قرب المعبد، لاأكثر. من يمر به يتذكره، ومن يبتعد عنه يسهو عنه».

«إلهٌ لا يُذْكَر إلهٌ استثنائيٌّ»، عقَّب ماياكي. أرجع خيالهُ من المحاورة الطارئة إلى الحال التي هُم فيها من الحيرة الذهول. ...

صوب البرج الأول من أبراج مانعات الرياح . أبعد عمالاً عن أسفل سُلَّمه وارتقاه حتى أعلاه . وقف إلى جوار سارية رُفعتْ عليها رُقعة من جلد الأمير الراحل ليوفا . خفقَ الجلدُ العَلَمُ خفقاً شديداً .

صرَّ ويلابو بأسنانه الكبار . وثب قاصداً جهةَ الهضبة رافعاً صوته بنبر عويل :

- هناك من يسرق البروق .

هرَّ المنجمون هريراً مختلطاً بزمجرات خفيضة . تقدَّموا وثباً من البرج الذي صعده ماياكي . رفعوا وجوههم إليه .

«ماذا ترى؟» ، ساءلته بونيا .

«لا شيء غير الغبار الأحمر» ، رد ماياكي بصوت عال من علياء البرج .

اقترب أمير المهندسين بوكلو من المنجمين . لمس كتف خاميدس متمتماً :

- انفجرت الهضبة .

نظر إليه خاميدس متمهِّلاً في التعقيب . جاوزه ببصره إلى صِحابه الثلاثة الآخرين : «ما تقديركم؟» ، ساءلهم ، ثم سبقهم إلى الرد : «دخل إقليم زينافيري حيِّزه المتحقِّق ، المحفوظ له ، بين ممالك الأعالي السيَّارة كالنجوم» . عوى .

على نحوٍ كعواء خاميدس تبادلت الإناث التريكات عواءً متقطع النبر هيبةً ، من موضع مساكنهن في الجنوب الأبعد من أسواق كاتراميل . نبح كلب الأنثى الإنسية بصوت متكسر كأنما يزجر نفسه بنفسه ، دائراً من حول سيدته ، التي انتصبت مستغرقة في استقصاء ذلك الدوي الصارم من إشارات الغيظ فيه . هي ، كالإناث التريكات ، لم تبصر سقوط النيزك ، أو ارتطامه بالهضبة

مُذ الهضبةُ لا تُرى من خلائهن يحجبها البُعدُ والأفقُ المعتكر من الرمل معصوفاً في الهواء . لكنَّ الرجَّةَ المصحوبة بزئير السماء في كهفها ، أرعشت الرمالَ من حول المساكن ، ومن تحت الأقدام على الأرض الرمل .

بردٌ غيرُ صارم ، إنما غيرُ معهود في زينافيري ، مسَّ أسنانَ التريكات الضخام ، المفتوحات الأفواه متهيِّبات ، مجفلات ، حَنَيْنَ ظهورَهن في تأهُّبٍ لا يعرفن أيهربن ، أم ينبطحنَّ جاثمات أرضاً .

تحركت شاتار زحفاً بقدميها على الأرض الرمل بثقل كبير ، صوب الأنثى الإنسية . وقفت إلى جوارها متطلعة إلى حيث تتطلع بعينيها الملتمعتين ، البنيتين ، الخجولتين ، حيث المسارب الأُوَل البعيدة من غَمام أحمر منفوش ، تتذرَّاه الريحُ بمذراتها فلا تستحكم ذَرْيَه .

«أأحسستِ بما أحسستُ ، ياهايكاهيكسين؟» ، تساءلت شاتار . ألوت عنقها صوب الأنثى الإنسية ، التي لن تفهمها على أية حال .

عقدت الأنثى الإنسية ذراعيها متصالبتين فوق صدرها اتقاءً من تسلل البرد الخافت إلى جلدها . قلَّدتها شاتار برهةً قبل أن تنحني الإنسانة رافعة كلبها عن الأرض . ضمَّته إلى صدرها تتقي بهِ وتَقِيه ، فقربت شاتار كتفها من كتف الإنسانة التي تقصرها بكثير . لاصقتها متدفئةً .

أرخت الأنثى الإنسية ذراعها اليسرى عن كلبها . طوقت بها خصرَ شاتار تجذبها في رفق لتتماسًّا مستدفئتين .

فصيل الإناث التريكَات عَمَدن ، كلهن ، إلى تلاصق ، على صورة الأنثى الإنسية وزعيمتهن ، اثنتين اثنتين معاً ، بأذرع لفقتها

على الأعناق احتضاناً يستدفئن . تفحَّصن ، بقلوبهن المدَّهَنة برداً ، غمامةَ الأفق الشمال الحمراء تتشعب ، وتترسَّب بعد علوٍّ ، غامرةً ما يتراءى لهن من المعالم الشبحية وراء بوابات أسواق كاتراميل العالية .

أرخت الأنثى الإنسية ذراعها عن خصر شاتار . أنزلت كلبها أرضاً . رفعت راحة يدها أمام نثرة بيضاء شاردة ، مرت سراعاً بنفخ الريح عليها فلم تلتقطها . وجهت بصرها إلى السماء . بضع نثرات أخريات ، متباعدات جداً ، عبَرْنَ لمْحاً ، ثم ذُبنَ قبل بلوغهن الأرض .

نثراتٌ ثلجٌ كانت تلك . طلائعُ متفرقات لا يُلحظن ، أو يَذُبْنَ قبل أن يُلحظن . الإناثُ التريكات ظننَّها ، بلا استرعاءٍ كبير لانتباههن في حالهن تلك من المهابة ، هبرات من أجنحة الجراد ، أو قشوراً من نبت الليف في الواحة الصغيرة قريباً من مساكنهن . لكنَّ جنِّياً آخر في بيداء لم تتفق الجهاتُ على تخمين موضعها ، استلقى على صدره أرضاً ، في هلع لا يعرف كيف يتقيه لمَّا لامستهُ نثراتٌ من نثيث الثلج على جلد وجْهه وكتفيه العاريتين ، ذائبةً من فورها .

داميكو الهائم على وجهه في الفيافي ، هو الذي استلقى على الأرض الرمل يأساً من النجاة بجلده من ندْف الثلج المتباعد : لقد تقشَّر دهانُ السماء الأبيضُ متساقطاً رقائقَ صغيرة تخفضها الريح ، وترفعها ، وتدور بها ، قبل بلوغها الأرض أنصافَ ذائبات ، أو ذائبات . رُوِّعَ داميكو من البلل المتفرق عليه في مواضع رسوِّ النثرات التجأ منها هرباً إلى جهات أربعين تائهاً بخياله . ولمَّا أيقن بالعجز عنيفاً عن تفادي القشور الباردة البيض ، استلقى . دفن وجهه في

الأرض . زفر لاهثاً فتناثرت ذراتُ رمل من حول منخريه الثقبين .

لبث شاعر مجمع الذباب برهاتٍ على حاله ، تقشعرُّ المواضع العارية من جلده كلَّما نخزتها نثْرةٌ في السقوط أحسَّها تغور حتى عظامه في غلافها اللحم الليفِ . نهض يائساً ، متصاكَّ الساقين . أدار وجهه على الجهات يتلمس ملجأً ، فأعادته الجهاتُ إلى موضعه خائباً . تراخى ، لكنه أزمع أن لا يستسلم للخيبة الساحقة ، وللهلع المُحْكم ، الموصد لا ثغرة فيه . وثب متعثراً وثباتٍ قصاراً إلى حيث لا يدري ، مُذ اختلطت الأرض عليه فتقشرت اتجاهاتها كالسماءِ تقشَّرَ بياضُها رقائقَ لم تشهدها قبلاً أيةُ سُلالة من سلالات جن زينافيري .

عوى داميكو مراراً في متاهته المستقيمة . تلمس العِصابة الجلد ، التي طوَّق بها عضده ، ملفوفة على حُقٍّ فيه ذبابتان انتقاهما قبل تنكيله بمجمع الذباب تهشيماً ، وتحطيماً . وضع أذنه على عضده متنصِّتاً إلى طنينهما الخافت كنبض قلبه المتخافت .

بعد مسيرة متباطئة ، مثقلة بالعجز ، مقدار ساعة من زمن الجن ، توقف النشيث الأبيض ، المتفرق . خلع داميكو مئزره . مسح به كتفيه وعنقه ، وذراعيه ، ثم إئتزر به ثانيةً . بحث بعينيه في الأرض ربما يجد عظماً لِقْيةً ، مُذ لم يتموَّن بعظام في هربه المفاجئ ، المُرتَجَل . أمسك بجرادة كبيرة من حشد الجراد على الأرض الرمل بطيئاً حتى الشلل في زحفه ، بخيالٍ كخيال داميكو . رفع الجرادة في يده أمام عينيه ، مستذكراً صورةً الأنثى الإنسية تأكل جراداً . فتح فمه . قضم رأسها في حَذَرٍ بالغٍ مبلغَه قَرفاً . مضغ رأس الجرادة . زمجر . بصقَ المضغة مستفظعاً مَذاقها . استلقى يحشو فمه بالرمل ويبصقه تنظيفاً لم يسبقه إليه أحد . زأر بصوت محسور ،

فجاوبهُ صوتٌ وَهْوَهَةُ خشنة ، عميقةُ بُعْداً . تأمل مصدر الصوت . لمح ، في البعيد ، نتوءات بارزة لم يَخْفَ عليه ، بإدامته النظر إليها ، أنها بقايا الأجزاء العليا من بوابة مدفونة من هبوب الرمال عليها . توجه نحوها زحفاً بقدميه ، لا وثباً .

ارتعد داميكو بعد النقلة الخامسة من قدمه اليسرى بأثر عميق في الرمل ، حين برز له ، من وراء النتوءات الثمانية ، رأسٌ لم تحتمل مفاصله مرأى تفصيله المذعر . خارت ساقاه . تصككت مفاصله ، وطقطقت أسنانه رِعْدةً .

ربما يكون داميكو من قلائل الأقلِّيْنَ ، من الجن ، رأوا قرود هيهمو . قبيلته ـ قبيلة تونسو أُبيدت مَغْزوَّةً من قرود هيهمو . نجت به وبأمه مطيتُها شاتيك ، متبوعةً بقرد طاردهم كالموتور المنتقم . لن ينسى شاعر مجمع الذباب أنياب القرد ؛ هريرَه المسنون ؛ خَمْشَهُ الهواءَ بأظافر يديه الطوال على بُعد أنملة من جلودهم .

أبقت السنون المنصرمة من عمر داميكو تفاصيلَ المطاردة لا تمحو خلجَةَ صوتٍ منها ، ولا تنتقص عدَدَ التواءات المطية شاتيك في وثبها المتعرج تتفادى لحاق القرد بهم . وهاهو ، في متاهته المستقيمة ، يرى رؤوس القرود تتوالى ظهوراً من وراء رأس القرد الأول ، حمرَ العيون ، رمادية اللون ، لم تفتح أشداقها بعد عن الأنياب الذهبية .

تراخى داميكو . تقوَّس ، ووجم خامداً .

الأطفال المنفيون ، الذين أطلق مايكي سراحهم من الأرض المنخفضة ، كانوا متراخين أيضاً بالعيون متهيِّبةً من قشور السماء متفرقةَ السقوط تستقر على رؤوسهم فيهزونها مقشعرِّين . واقشعروا أكثر إذ رأوا طيور لاكيلا المقدسة يتناهش بعضُها بعضاً في الأعراء ،

ويهشم بعضها ، بمناقيرها الحجرية الكبار ، جماجمَ بعضها العارية من الجلد واللحم ، الفارغة المحاجر من العيون .

رسامات زينافيري تولّين ، من مدخل مكمنهن في المسكنِ الفسطاط لايبارحنه خوفَ البلَل ، رسمَ الغمامة الحمراء ، والجزء المقضوم من كتف الهضبة . ثلاث منهن شغلن ألواحهن بالألوان الحجر خامدةَ اللون ، خابيةً ، تلتقط صور المساكن ، والجن المجفلين المذعورين ، في المدى الذي يستطيع بصر الرسامات استجلاءه من الأرض الممتدة حتى الهضبة . أما رابعتهن فآثرت رسمَ طيور لاكيلا المنتشرة في نزوحها أسراباً تتهارش ، وتتصادم بأجنحتها الثقالِ الطوالِ ، كأنها ترى بعيون قلوبها المختزنة عصراً من القهر لم تصرفه في صيد ، أو شجار ، فإذ هي في السانحة الدهرية من إطلاق سراح طباعها الأُوَل ـ طباعِ الجحيم مقدَّسةً كالفردوس أختها . ولربما لو مُنِحتِ الرسامات أنَ يرينَ قذَّراً صافياً من الأفق لامعتَكرَ فيه من رملٍ معصوف ، أو غمام أحمر ينتشر ويترسب ، لرأينَ قيافَ البروق ويلابو يصعد وحده ، من دون سائر الجن في زينافيري ، مطلعَ سفح الهضبة الجنوبَ ، كأنما هي فرصةٌ خياله الأخيرة لالتقاطِ برقٍ هو الأنقى نظاماً بين البروق بدوائره اللهب ، وشباكه اللهب محيطةً بأشكالِ فهودٍ لهبٍ ، وجنٍّ ناريين لهم أجنحةُ صواعق ، كلٌّ صاعقة بثلاثين شعبةً .

ويلابو ، في ارتقائه السفح ، لم يأبه كثيراً للنثار الأبيض من قشور السماء غدا مصبوغاً حمرةً ، بل لأولئك الأشباح الخارجين ، مُنهكينَ إعياءً في خروجهم من بين الرم والهشيم التراب ، والرمل ، والشظايا الحجارة . أشباحٌ خدَّرهم الهلعُ الصاعق من ارتطام النيزك بكتف الهضبة ، على الأرجح الأكيد ، فخرجوا من بقايا أقنية

متفلِّعة ، ، ممزقة ، كشف عنها طائرُ السماء ذو البراثن الحجر ، والريش الحجري . كانوا يتبعون ، في حالهم المنذهلة ، شيخاً شبحاً سبقهم خروجاً ، واضعاً يده على كتف أنثى تُعينه على تلمُّس سيره .

لم تعبر صورٌ خيالَ ويلابو في برهته تلك ، بل حروفٌ كلُّ حرف خَدَرٌ في باطن اللسان . زفرَ قيافُ البروق الحروفَ من حريق في حنجرته : «ماشفير» .

هي أنفاق ماشفير تلك الآثار المحفورة ، البقايا المتفلِّقة ، الظاهرةُ بعض أحفَّتها الأسطوانية . لن يعرف أحدٌ مبتدأَ حَفْرها ، والمسالك التي شقتها في باطن الأرض الأعمى كماشفير للوصول إلى سفح الهضبة .

ماذا كان المتمرد الأعمى يهيِّئ لزينافيري من هناك؟ ذعرٌ وأسئلة عضَّ بعضها بعضاً ، نزلت نثاراً ناراً من خيال ويلابو إلى أحشائه . تلفت من حوله فإذا هو في وسطٍ بين مخارجِ الأنفاق المترادمة كأنه واحد ممن كشف عنهم النيزك مغبَّرَيْنَ حمرةً .

لم يكن للنكوص جدوى إن أراد ويلابو نكوصاً على عقبيه ـ عقبَيٍّ الجرادة . كانت الأرض متصالحة مع السماء بأناقة الحيلة تعهَّدها غبارُ الهضبة الأحمر ، والقشورُ الثلج .

اندفع ويلابو ، كذعره ، مرتقياً السفحَ إلى حيث تقود الأنثى سيدَها الأعمى زحفاً ثقيلاً بقدميها ، وقدميه المنهكتين من فجاءة الصدمة الصاعقة ـ صدمة النيزك . وثباً ارتقى ويلابو الهضبةَ لم تخمَد فيه ، بعْدُ ، عضلةُ يقينه في تصيُّد برق . عبر كثيراً من مريدي ماشفير المرتثِّين لايعيرون شيئاً من حولهم انتباهاً ، مخدَّرين فرَّغهم الهولُ .

بلغَ ويلابو مطرحَ ماشفير المتعثر. قارَبَه من خلفه. ناداه سائلاً:

- إلى أين أنت صاعد، ياماشفير؟.

أدرك ماشفير الأعمى من نبر الصوت أن سائله ليس من مريديه. التفت إلى مصدر الصوت بطيئاً، بفم مفتوح عن أسنان سود. ساءله:

- ماذا ترى، أيها الغريب؟.

«أرى الخوف»، رد ويلابو.

«أنت آتٍ إلينا، إذاً»، قال ماشفير، ذو العباءة القصيرة حتى ردفه، العاري الصدر.

ارتعش ويلابو من نثار الثلج ساقطاً بطيئاً. استقر بعضه على خديه وأذنيه. استعاد سؤاله الأول:

- إلى أين أنت صاعد؟.

«إلى قمة الهضبة»، رد ماشفير.

«ما الذي ينتظرك هناك؟»، ساءله ويلابو، فرد ماشفير بسؤال:

- لِمَ تصعد الهضبة في يوم كهذا، أيها الغريب؟.

«لا أعرف. ربما هو فضولي كي أرى ما ستصنع على قمة الهضبة»، رد ويلابو.

«بل تعرف، أيها الغريب. هما سيّان الآن صعودُك الهضبة، أو نزولك إلى زينافيري»، قال ماشفير. أردفَ: «تعال. دعني أتحسس وجهك بيدي. أرِني ذاكرتك». رفع وجهه إلى السماء وهو يمد ذراعه اليمنى إليها كأنه سيمسك بها بأصابعه الطوال. «أرني ذاكرتك، أيها الفراغ الأبيض».

لم يتقدم ويلابو أكثر . لم يتراجع . رفع وجهه إلى الأعالي . ارتعد إذ سقطت نثرتان من الثلج على عينيه الحجريتين .

ماياكي مسح عن عينيه نثاراً من الثلج بطرف ثوبه . حشر نفسه إلى جوار أمير المهندسين بوكلو في جوف برج من مانعات الرياح اتِّقاءً . بسط العمال ، والصناع ، ألواحاً على أعمدة قصار ، وانبطحوا تحتها على امتداد الأرض المنخفضة .

لم يكن ريكما والأسياد في حاجة إلى اتقاء الثلج البطيء بعدُ ، ينثُّ نثيثاً خفيفاً ، متباعداً ، وهم في البهو الأعظم من قصر السلطان . وقفوا حلقة تعادل قطر الكوة الواسعة في السقف العالي ، على محيط البقعة التي يتساقط عليها الثلج من الكوة في عمق البهو . كان القليل من النثرات يلبث أبيضَ برهةً قبل أن يذوب ، فيما الكثير يذوب أولَ بلوغه الأرضَ الرمل ، أو يتلاشى في منتصف المسافة بين الكوة وأرض البهو .

«أُفكِّر في إغلاق كوَّة سقف القصر» ، قال نيدج . أضاف بنبرٍ مستخفٍّ : «مانفعُها؟» .

«أتفكر في إقفال الجهات على الريح ، يانيدج؟ أتريد مَن في القصر من الجن خامدين متجمدين؟» ، تساءل ريكما .

«ألا تكفي البوابة ، والفراغات في الجدران ، لدخول كفايةٍ من الريح لانخمد معها أو نتجمد؟» ، ردَّ نيدج بسؤال .

«لماذا لم نعيِّنك أميراً على أرض مانعات الرياح؟» ، غمغم ريكما . أدار وجهه على الأسياد : «نيدج مهندسُ رياح» .

«لا حاجة للأرض المنخفضة إلى أمير ، الآن . مانعات الرياح آتية يجرُّها ماياكي» ، عقَّب نيدج .

«ليس في هذه الأحوال» ، قال عميد المحارين هيدس .

«أليس هذا الوقت هو الأنسب لمباغتة مايا كي؟» ، تساءل نيدج .

«لديه خطط» ، عقب ريكما ساخراً ، من غير نظر إلى نيدج ، بل إلى الكوة العالية في سقف القصر .

«ما خططك أنت ، ياريكما؟ لا تحرِّكُ ساكناً ، كأن تمرد ماياكي لا يعنيك» ، قال نيدج . «تنحَّ لأهل الخُطط» .

زمجر ريكما مقرِّباً وجهه من وجه نيدج :

- تنحَّ أنت إن لم يعجبك ماأفعله .

«أنا شريكك . سأضع خططاً أضِفْ إليها إن شئت ، ياريكما» ، قال نيدج .

فحَّ ريكما :

- تذكَّر ، يانيدج ، أنك شريكي لأمد معلوم .

«طالما أنا شريكك الآن ، فأنا شريكك ، ياريكما . فلْنباغت ماياكي» ، غمغم نيدج .

«اذهبْ . داهمه بمحاربين سيخورون قبل الوصول إلى أرض مانعات الرياح» ، قال ريكما . هرَّ محدِّقاً إلى هيدس : «أيوم كهذا جيد لمعركة؟ لِمَ لاتتكلم؟» .

«أرى سلطانين يتكلمان . لا داعي لي . سأستمع» ، رد هيدس .

«سلطانان؟!!» ، تساءل ريكما مستهجناً نطق هيدس باللقب هكذا موزَّعاً ، فاستدرك هيدس :

- بِمَ نَصِفُ وضع الحُكم بين شريكين يديران قصر زينافيري؟ .

«نصِفُه بالقول : أنت السلطان ، أيها السلطان ريكما ، ياهيدس» ، قال ريكما متعضاً .

«ماذا نسمِّي نيدجْ؟» ، ساءله هيدس ، فرد ريكما :

- نسميه نيدجْ .

«ما لقبُه؟» ، تساءل هيدس ، فرد ريكما :

- ظلُّ ريكما .

زمجر نيدج . حرك قدميه في موضعهما رفعاً وخفضاً :

- لستُ ظلك .

«كما تشاء ، يانيدج . لن تكون ظلي» ، قال ريكما . تراجع عن حلقة الأسياد إلى حلقة المطايا يحيطون بهم . استلَّ من حزام مطيته زيديكا عظماً ثخيناً ، معقوفاً . تقدم ثانيةً صوب حلقة الأسياد يحدِّقون إليه متوجِّسين .

خمَّن هيدس وعيداً في حركة ريكما بالسلاح في يده . التفت بوجهه إلى نيدج المتوجس مثله .

هزَّ الأسياد لَّما مدَّ ريكما يده بالسلاح إلى نيدج قائلاً :

- لا أرى سلاحاً معك اليوم . خُذْ هذا .

لم يفهم أحد توريةَ ريكما الملتبسة قبل أن يفصح أكثر :

- خذ هذا السلاح . سأتبعك وحدي إلى ماياكي .

«أهذه خطة جديدة ، ياريكما؟» ، تساءل نيدج بنبر ساخر . نظر إلى هيدس : «ما تقدير عميد المحاربين؟ أسنهزم ماياكيً؟» .

«سنباغته» ، عقَّب ريكما ساخراً بدوره من نيدج . «لا نحتاج إلى جيش لمعركة في يوم كهذا . اثنان يكفيان» .

استدار نيدج يهمُّ بالانصراف بَرَماً من المحادثة الفارغة .

زمجر ريكما بنبر ينتثر استياءً :

- لماذا يُدير ظلِّي ظهرَه إليَّ؟ .

تجاهل نيدج كلمات ريكما . لم يلتفت إليه . وثب نصف وثبةٍ منصرفاً ، بغمغمة واضحة الحروف :

- لستُ ظلك .

عوى ريكما واثباً بدوره يلحق بشريكه في حكم القصر . صرخ : «لستَ ظلي . لن تكون» . هوى بالسلاح على قذال نيدج من ورائه .

ترنح نيدج مصعوقاً ، لكنه لم يسقط .

زمجر الأسياد كلٌ بنبرٍ مستنكر . وثب هيدس إلى ريكما ليردعه عن ضربة أخرى . كانت وثبته متأخرة ، إذْ هوت يد ريكما بالسلاح ، من جديد ، على قحف نيدج ، في طنين من لسانه يكرر الكلمات : «لستَ ظلي . لن تكون» .

ترنح نيدج أكثر من غير سقوط ، مطلقاً فحيحاً مختنقاً .

دفعَ هيدس سلطانَ زينافيري فقذفَ به مقدار وثبة ، حنقاً مما فعل بنيدج . تعثر ريكما . عاود هيدس دفعه متقصداً أن يطرحه أرضاً .

هبَّ من بين الجن المطايا واحد ضخم شاهراً سلاحه . ضرب على عاتق ريكما ضربةً سُمع منها طَحْنُ عظام .

«توقَّفْ ، ياتِيْكُو» ، صاح أحد الأسياد بالجنيِّ مطيةِ نيدج المنتقم لسيده .

«لا تتوقَّف ، ياتيكو» ، صرخ هيدس شاهراً سلاحه بدوره ، متهيِّئاً لمن يريد اعتراض مطية نيدج ، الذي أمالَ جسده الضخم قليلاً ليُحْكِمَ الضربة الثانية على ساق ريكما . بُترَتِ الساق بتمامها . هوى ريكما في عواء سدَّتِ الريحُ منه أذنيها .

كان واضحاً ، بالرغم من الهرج في حركة الأسياد وزمجراتهم ، أن لا أحد منهم يتهيأ لردع مطية نيدج عن الدفع بهياجه إلى خاتمة قاتلة ، إلاَّ هيدس . اعترض بجسده المطية ، حاجزاً بينه وبين

ريكما ، رافعاً إحدى ذراعيه : «توقف ، ياتيكو» ، قال . نثر صوتَه واضحاً على الأسياد مثاقيلَ تخصُّ كل واحد بمقدار لا يزيد عن الاخر مثقالاً : «نادوا مطاياكم» . التفت ببصره إلى ريكما المنهار : «لكلٍّ مطية ضربةٌ» .

هرهر الأسياد . لم يزِنوا التبعات بميزان الخوف ، أو الرهبة . كلٌّ أوعز إلى مطيته أن يسدِّد ضربة إلى ريكما .

زيديكا ، مطية ريكما ، بدا كالمختنق بفمه المفتوح لا يتنشَّق الهواءَ ولا يزفره ، محدِّقاً إلى المطايا تناوبوا على ضرب ريكما كلٌّ بسلاحه ، حتى باتت أعضاؤه الممزقة تكاد تنفصل لولا أعصابٌ خارجة من اللحم الليف المتفلِّع لم تزل تربطها ، ولولا شرائط من جلده .

لم يتحرك زيديكا . خذله خيالُه عن فعلٍ هربٍ ، أو مجابهة . ظلَّ مصعوقاً على حاله حتى ناداه هيدس :

- إنه دورك ، يازيديكا .

شهق زيديكا للمرة الأولى وقد أفاقَ معتصَراً في ذهوله . زحف بقدميه على الأرض الرمل حتى بلغ جثة ريكما الممزقة . التقط سلاحه العظم المعقوف الذي اختطفه منه سيده . رفع السلاح عالياً . تأمَّل الجثة في استجلاء لموضعٍ مَّا فيها يهوي بسلاحه عليه . تردَّد فحثَّه صوتٌ من الأسياد :

- اضرِبْ ذاكرَته .

ضرب زيديكا سيده على أسنانه بالسلاح . تراجع زحفاً بقدميه ، فبادره هيدس :

- جُرَّ ريكما إلى الأرضَ المكشوفة تحت كوَّة السقف .

جرَّ زيديكا سيده من أطراف جثته ، المتعالقة الأعضاء بشرائطَ

جلدٍ وعصب ، إلى الأرض المكشوفة دائرةً تحت الكوَّة الواسعة في سقف القصر . اهتزَّ من نثيث الثلج المتراقص حول كيانه في النزول من الأعلى . ترك الجثة على الأرض المبتلة مَّا ذاب فوقها من نثار السماء ، ومما لم يذُب بعدُ أبيضَ رقيقاً . تراجع على عجل في وثبٍ جانبيٍّ عالٍ .

وقف الأسياد جميعاً حلقة من حول الأرض المكشوفة دائرياً تحت الكوة العالية تلقي السماءُ منها بزرَها الأبيض ، وفي حلقة مثلهم اصطفَّ مطاياهم من ورائهم .

رويداً رويداً رقدت نثراتُ الثلج متجاورة فوق جثة ريكما .

في الجنوب البعيد ، وراء أسواق كاترامبل ، كان الثلج أخفَّ ، بعدُ ، في نزوله متفرقاً تُذرّيه الريحُ علواً ، وخفْضاً ، وتدويراً ، قبل وصول رقائقه إلى الأرض الرملِ مُنهَكةً . شاتار ، وفصيلها من التّريكات ، ترقبن حتى الظُّهر الأبيض عودةَ بعض صاحباتهن الصيَّادات بثمار ، وقنائص ، للأنثى الإنسية وكلبها من الواحة الصغيرة ، القريبة .

لم يكنَّ قلقات من تأخرهن في أحوال من البرد لم يعهدنها . كُنَّ ، جميعاً ، بطيئات في الحركة ، خاملات الخيال لا يهتدينَ إلى مقارنة لرقائق الثلج بشيء حصل قبلاً في إقليم زينافيري . جرادٌ ، أسراباً سُحباً بلا نهايات ، يعبر سماء زينافيري مراراً في الشهر الواحد من أشهر الجن . ذبابٌ وضيع لا تهدأ حشوده يدور زوابع مع الريح حولهن . نمل أزرق ، مهاجر ، يغزوهن بين وقت ووقت . لكنَّ الثلج أمرٌ آخر - خَمْشٌ بارد بأظافر باردة على جلودهن تحت الثيابِ الجلودِ لا تغطي إلاّ مواضع قليلة من أجسادهن في أرضهن الريحِ الحَاميَةِ .

كُنَّ خارجات بأنصافهن ، لا غير ، من مداخل مساكنهن الحُفر ، يتقين ببعضٍ الجلود ، والليف ، فوق رؤوسهن ، ما يقْدِرْن على اتقائه من النشيث الأبيض ، إلاَّ الأنثى الإنسية ، التي لفت كتفيها وعنقها بستارة مدخل مسكنها ـ ثوبها الأزرق القديم ، جالسة على جلود ، وقد أقعى كلبها إلى جوارها ، بعينين منها ومن الكلب على الأفق الشَمال غائصاً بأسواره الخفية في أنهار الرمال .

هرَّ الكلب . انتصب على قوائمه . نبح نباحَ النبرِ الترحيب ، ثم عدا على مهل عَدْوَ من يستقبل وافدِيْنَ .

ظهرت الأربع الإناث الصيادات ، قادمات يئبن في إعياء واضح ، فارغات الأيدي من أي شيء ، فارغات الأَجربة مُذْ كانت تتأرجح خفيفة على خصورهن لا أحمال فيها إلاَّ الأسلحة ، الظاهرة المقابض من فتحاتها .

نهضت بضعُ إناث تريكات من مجاثمهن ، ضامَّاتٍ أيديهن تحت آباطهن ، منكمشات الأجساد ، يتفحصن صاحباتهن الراجعات من الواحة .

في تراخٍ نهضت شاتار ، أيضاً ، من غير أن تبارح مدخل مسكنها .

وصلت الأربع الصيادات لاهثاتٍ إعياءً ، بأفواه مفتوحة عن خبر يتقدم ويتراجع في حناجرهن . اتجهن بعيونهن إلى الأنثى الإنسية ، وبإشارات من أيديهن إليها أيضاً ، قبل أن يُعِدْن توجيه تلك الأيدي صوب الواحة : «هايكاهيكسين هناك» ، قُلنَ في غمغمات متداخلة .

هبَّت شاتار إليهن في وثب قوي بالرغم من إعيائها . ساءلتهن :

- أوَجَدْتُنَّ هايكاهيكسين أخرى؟ .

«عـددٌ من هايكاهيكسين هناك» ، ردت واحـدة . ثم تجـاذبت الأربعُ خيوطَ الخبر ملتفًا بعضُها على بعض : «كُثُرٌ هُم . ثمانية . لهم أجساد هايكاهيكسين ، في ثياب غريبة» ، قُلْنَ . وزِدْنَ الإثارةَ الغامرة بوصفٍ مُلْغِزٍ لَمَا قام به جمعُ الإنسيين :

- صنعوا بروقاً . أنبتوها من الأرض وجلسوا حولها .

«صنعوا بروقاً؟!!» ، هرت صاحباتهن منذهلات .

«أنبتوها من الأرض لها ألسنة تتمايل» ، ردت إحدى الصيادات .

زمجرت شاتار متهيبةً . تطلعت إلى الأنثى الإنسية متفحِّصة فيها بلا تحديد لَمَا تتفحصه ، وهي تسأل الصيادات :

- أرأكن سِربُ هايكاهيكسين؟ .

«لا» ، ردت الصيادات . «احتمينا ببعض الشجر حين ظهروا قادمين من الجنوب . كانوا حذرين . تفقَّدوا الجهات من حولهم . جمعوا أليافاً وغصوناً يابسة ، وأوراقاً ، ثم أنبتوا فيها البروق ، وجلسوا حولها حلقة» .

«ألم يلحظوكن حين رجعتن؟» ، ساءلتهن شاتار ، فردت إحداهن :

- رجعنا زحفاً في الرمل .

وثبت شاتار وثباً قصيراً صوب الأنثى الإنسية . انحنت عليها مشيرة بيدها إلى جهة الواحة :

- ظهرت كائنات مثلك في الواحة ، ياهايكاهيكسين .

تطلعت الأنثى الإنسية بإمعان إلى حركات شاتار ، متذوِّقةً ببصرها إثارةً في صوتها الصفير .

«سنأخذ هايكاهيكسين لتراهم» ، قالت شاتار للصيادات الباديات الرَّهَق من البرد .

لم يكن الفضول القوي في قلوب الإناث التريكات كافياً ليذهبن إلى الواحة مع شاتار ، من شدَّة إعيائهن . أنفارٌ منهن ، لا غير ، واكبن الأنثى الإنسية وكلبها ليشهدن ما سيكون حين تلتقي بكائنات من نوعها . لففْن أقدامهن ، قبل الذهاب ، بجلود ، وغطين رؤوسهن بجلود ، تتقدمهن واحدة فقط من الصيادات ، لترشدهن إلى موضع الغرباء على التحديد .

بطيئات تقدَّمن في الأرض الرمل ، بالتواءات في المسير وثباً قصيراً بين القليل القليل من الكثبان المضمحلَّة أو بقاياها . وقد سعَت مرشدتهن جهدها أن تأخذهن إلى جهة يحتجبن فيها بمطالع الشجر ، والجُنُب القصار من نبت السَّلَم الشائك ، عن الجهة التي حلَّ فيها النوع الغريب ـ نوع الإنسان .

حين بلغن مطالع الواحة المستطيلة ، الصغيرة ، حذَّرتهن مرشدتهن من الوثب ، مشيرةً عليهن بالزحف أرضاً ، فجذبن الأنثى الإنسية من كتفها لتزحف مثلهن ففعلت .

عند جذوع الشجرات الأُوَل ، غير الكثيفة ، تفرَّقن كل واحدة ، أو اثنتين ، خلف جذع من تلك الضخام ، العريقة ، المتقشرة اللحاء الخشن من تسلق السنين عليها . لم يبذلن جهداً للبحث عن الغرباء ، مذ بدت لهن الكائنات الثمانية من نوع الأنثى الإنسية ، من المدى المفتوح تحت الغصون المتهدلة بأوراقها الطوالِ النِّصال ، جالسين من حولِ بروقهم المتراقصة بألسنتها ، يرمون إليها ، بين حين وحين ، ليفاً ، أو أغصاناً طعاماً يسعِّرها .

لا يوقد الجنُّ النيران . لا يستخدمون النار . صاحبات شاتار

الصيادات ، اللواتي عدن من الواحة إثرَ ظهور الكائنات تلك فيها ، خمَّنَّ بالوصف التقريب لِما شاهدنَ من إشعالِهم النارَ أنهم إنما يستنبتونَ بروقاً ، مُذ هُنَّ لايعرفنَ من النار إلاَّ البروق . وقد رأت شاتار وصاحباتها ، الكامنات خلف جذوع الشجر ، البروقَ الصغار المتمايلة مروَّضةً وسط حلقة الإنسيين .

هرَّت الأنثى الإنسية لأول مرة كما يهرُّ الجن إذْ أبصرت أنفاراً من نوعها . تأملتهم جاثية على ركبتيها . نهضت لا تلتفت إلى شاتار الممسكة بطرف ثوبها كي تعيدها مختبئةً . نبح كلبها . انفلت راكضاً صوب الأنفار الثمانية البشريين . لحقت به سيدته وهي تدمدم كلمات أذهلت شاتارْ وصاحباتها ـ هُنَّ اللواتي لم يعهدنها تتكلم قبلاً إلاَّ غمغمات وهمهماتٍ بلا حروف .

أسقطت الإناث التريكات بعضَ الحذر عن قلوبهن لَمّا بلغت الأنثى الإنسية الأنفارَ الذين من نوعها ، وقد هبُّوا واقفين أول الأمر من نباح الكلب ، ثم مهرولين صوبه وصوب سيدته بأذرع ملْؤها ضراعةُ العثور على مفقودٍ . عانقوها تخفق ثيابهم العباءات السود ، الطويلة ، في كل عناق ، وتتماوج الخُمر الرمادية على رؤوسهم . تبادلوها حَضْناً . ضموا الكلب إلى صدورهم واحداً بعد آخر مسترسلاً في لعق وجوههم وأيديهم .

لبثوا على حال اللقاء المتوقِّد كنارهم دقائقَ مُكتَنِزَةً تَرَفاً ، قبل أن تهدأ حركاتهم من قول قالته لهم الأنثى الإنسية ، فالتفتوا بوجوه متفحِّصة صوب جهة الجذوع التي احتجبت بها شاتار وثلَّتها مختبئات .

هرَّت ثُلَّةُ التريكات من أبصار الآدميين متجهة إلى مخبئهن ، وقد أدركن أن الأنثى الإنسية دلتهم عليهُنَّ . أظهرن أنصاف

جذوعهن من وراء جذوع الأشجار في تردُّدٍ حذِر .

ظنت شاتار أنها تسمع اسمها للمرة الأولى في زينافيري ، حين نادتها الأنثى الإنسية ، متلفِّظةً الحروفَ على نسق نقلتها الريحُ مدلَّلةً إلى الأسماع . «شاتار» ، قالت الأنثى الإنسية بصوت مديدِ النبر ، رخيٍّ ، رقيق .

زأرت شاتار زئيراً خافتاً بانتشاءٍ من حنجرتها . أخرجت كامل جسدها من وراء الشجرة ، فأخرجت صاحباتُها أنفسهن ظاهراتٍ .

لوَّحت الأنثى الإنسية لهن بذراعها تحثُّهنَّ أن يقتربنَ .

زحفت ثلَّة الإناث التريكات بأقدامهن في الأرض الرمل والقشور من سَقْط الشجر . تبادلن النظرَ فضولاً مستثاراً . هرَرْنَ ، ثم وجمْنَ إذْ أبصرنَ أنفاراً آخرين ، أربعة عشر في الأرجح ، يظهرون بغتةً من خلف جماعة الأنثى الإنسية ، في ثيابٍ عباءاتٍ صُفر ، وخُمرٍ على الرؤوس ، كأنما كانوا كامنين هناك ، قبلاً ، تحت الرمل .

دبَّ هياج في أصحاب الأنثى الإنسية . اضطربوا . تصادموا إذْ أعمتهم الإجفالة في طلبهم النجاةَ هرباً ، وتبادلوا نبراً عويلاً من الأصوات تتشقق جفافاً في حناجرهم .

سُراعاً طوَّق المهاجمون ، ذوو العباءات الصفر ، جمْعَ الأنثى الإنسية . استلُّوا خناجرَ من أحزمتهم . ارتفعت أذرعهم بها وانخفضت في الطعن ذريعاً بلا هوادة ، حتى انطرح الثمانية من صحاب الأنثى الإنسية أرضاً مجندلين بلا حراك .

تلاصقت ثُلَّة شاتار مصعوقاتِ الأعماق . هررن بأفواهٍ مفتوحة من الهول . تراجعن إلى الخلف زحفاً بأقدامهن في الأرض الرمل ، مبقياتٍ أبصارهن على الأنثى الإنسية جاثيةً تحضنُ كلبها ، في يأسٍ نائحٍ خارَ بساقيها مخدَّرتَيْنِ ، عاجزتين عن حملها .

نبح الكلب بين ذراعيها نباحاً يُجاوب به نَوْحَ سيدته الخافت . تقدم أحد المهاجمين منهما . خطف الكلب من ذراعيها ، ممسكاً به من جلد قَذاله . رفعه عالياً تتخبط قوائمه في الهواء . مرَّر شفرةَ خنجره على عنق الكلب . انبثق الدم نافراً مع النفخ من الحنجرة المقطوعة . رمى به أرضاً . دار الكلب على نفسه . تمرَّغ في الرمل مبتلاً بنثيث الثلج عليه . زحف على بطنه أشباراً ثم خمد .

رفع أحد المهاجمين الأنثى الإنسية من ظفائرها المجدولة ضمَّها قبْضاً براحته ، فأستقرت واقفة على ساقيها المخذولتين . مسح خنجره بكتف ثوبها . أعاده إلى حزامه . طوَّق عنقها بحبل قصير كان معلَّقاً إلى عاتقه . جرَّها جراً خشناً .

مضى الأربعة عشر نفراً ، متجاورين في ثيابهم العباءات الصفر تخفق قوياً ، إلى الجهة الجنوب الشرق ، تتبعهم الأنثى الإنسية منقادةً في رَسَنها الحبل .

تمالكت ثُلةُ شاتار قواهن المتذرذرة كقشور . تمالكنَ خيالَ الهربِ المرتضَّ فيهن . رجعن على أعقابهن وثباً متعثراً ، هزيلاً ، متعباً ، إلى مساكنهن .

لم تخرج أيٌّ من صاحباتهن من الحُفرِ المساكن للقائهن . كُنَّ كما في سُبات ، طريحاتٍ على مداخل المساكن بأنصاف جذوع في أجوافها وأنصافَ جذوع خارجها .

أوَتِ الراجعاتُ بأثر الفجيعة حرثَ أعماقهن حرثاً إلى الحُفَر ، مستلقياتٍ فيها استلقاءَ استسلام للخَدَر البارد .

طوت شاتار نفسها أمام مدخل مسكنها متقوِّسةً ، تكاد تلمس الأرض بصدرها . صفعت الأرضَ الرمل اكتست بياضاً براحة يدها الخاملةِ الحركة . تنشَّقت غباراً لم يصعد من الأرض البليلة بل من

رمال النعاس ، الذي لايعرفه الجنُّ إذْ هم لاينامون . خرَّت منطرحة على بطنها . لحظت البياضَ ، بآخر مافيها من رَمَق البصر ، يتكاثف وينسدل . هرَّت هريراً لم يُقاطعه صوتُ الريح التي لجُمَتْ .

تمرَّغ وجه شاتار في البياض حين التفتت به ، في ثقلٍ طاحن ، إلى الموضع الذي وضعت فيه حجَرها على قُرب من مدخلٍ حُفْرتها المسكنِ ككل إناث فصيلها وضعن حجارةً تَقَبْنَها ، وتسلَّين بالنفخ هن والأنثى الإنسية في ثقوبها اقتداءً منهن سخريةً بالجن إذْ يستنسلون من الكُرات الحجر الحواضن .

ظنت شاتار ، المنحدرة بخيالها المتلاشي إلى بَياضه المَحْو ، أنها سمعت صوتاً خفيضاً ، هامساً . أصغت بما فيها ، بَعْدُ ، من سَمَع قلبها المتباطئ نبضاً : انفلقَ شيءٌ مَّا ، صُلبٌ ، أو تصدَّع ، بصوتٍ دفين ، تحت طبقة الثلج ، في موضع حَجَرِها .

غابة سْكُوغوس
مملكة السويد
٢٠١٤ ـ ٢٠١٥

صدر للمؤلف

* كل داخل سيهتف لأجلي، وكل خارج أيضاً	(شعر)
* هكذا أبعثر موسيسانا	(شعر)
* للغبار، لشمدين، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك	(شعر)
* الجمهرات	(شعر)
* الجندب الحديدي (سيرة الطفولة)	(سيرة)
* الكراكي	(شعر)
* هاتِه عالياً؛ هاتِ النَّفير على آخره (سيرة الصبا)	(سيرة)
* فقهاء الظلام	(رواية)
* بالشّباك ذاتها؛ بالثعالب التي تقود الريح	(شعر)
* أرواح هندسية	(رواية)
* الريش	(رواية)
* البازيار	(شعر)
* الأعمال الشعرية	(شعر)
* معسكرات الأبد	(رواية)
* طيش الياقوت	(شعر)
* الفلكيون في ثلثاء الموت: عبور البشروش	(رواية)
* الفلكيون في ثلثاء الموت: الكون	(رواية)
* الفلكيون في ثلثاء الموت: كبد ميلاؤس	(رواية)

* الجابهات ؛ المواثيق الأجران ؛ التصاريف ، وغيرها (شعر)
* أنقاض الأزل الثاني (رواية)
* الأقراباذين (مقالات في علوم النَّظر)
* المثاقيل (شعر)
* الأختام والسديم (رواية)
* دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة) (رواية)
* كهوف هَايْدْرَاهُوْدَاهُوْس (رواية)
* المعجم (شعر)
* تَادْرِيْمِيْسْ (رواية)
* موتى مبتدئون (رواية)
* السلالم الرملية (رواية)
* شعب الثالثة فجراً من الخميس الثالث (شعر)
* لوعة الأليف اللاموصوف المُحير في صوت سارماك (رواية)
* ترجمة البازلت (شعر)
* هياج الإوز (رواية)
* التعجيل في قروض النثر (نصوص)
* حوافر مهشَّمة في هايدراهوداهوس (رواية)
* السَّيل (بلغتُنَّ ، أخيراً ، عُمرَ الأربعاء) (شعر)
* السماء شاغرة فوق أورشليم (رواية)

نبذة عن حياة الكاتب
سليم بركات وأعماله

روائي وشاعر وأديب كردي سوري من مواليد عام ١٩٥١ في مدينة القامشلي، سوريا، قضى فترة الطفولة والشباب الأول في مدينته والتي كانت كافية ليتعرف على مفرداته الثقافية بالإضافة إلى الثقافات المجاورة كالآشورية والأرمنية. انتقل في عام ١٩٧٠ إلى العاصمة دمشق ليدرس الأدب العربي ولكنه لم يستمر أكثر من سنة، ولينتقل من هناك إلى بيروت ليبقى فيها حتى عام ١٩٨٢ ومن بعدها انتقل إلى قبرص وفي عام ١٩٩٩ انتقل إلى السويد.

أعماله تعكس شخصية أدبية فريدة، كما كانت أعماله الشعرية الأولى تنبئ بمولد أديب من مستوى رفيع... وبالفعل أتت أعماله التالية لتقطع أشواط وأشواط في عالم إبداعي لم يعتد عليه قرآء الأدب المكتوب باللغة العربية.

كما جاءت أعماله مغامرات لغوية كبري، تحتوي على فتوحات في الدوال والمعاني والتصريفات. طبعاً أضيف إلى ذلك أن سليم عمل على إحياء الكثير من الكلمات العربية التي كانت ميتة تماما واستطاع توظيفها ضمن قالب احيائي فريد.

PROVINCES OF THE DJIN



أقاليم الجنّ

هم ساكنو الخرائب والمهجورات، ويسمّونهم «العُمّار» إن كانوا كالبشر من ساكني المنازل الّتي لا تحفظ الأساطير هندستها. ولهم لقب «الخافياء» المستترين عن الأبصار، يزاحمون الإنسان في الحيّز المحجوب من الوجود. لكنّهم يظهرون له عيانًا، في أحوالٍ، أشرارًا حذّاقًا في الأخاديع القاتلة، أو المفضية إلى الجنون؛ ويظهرون له، في أحوال، أخيارًا يدلّونه على الكنوز، ويروّضون له السحر في تحقيق الأماني.

«لا تخلو أساطير الأمم وخرافاتهم من الجنّ بترتيب الخيال للضرورات اللازمة في بناء النقائض، والمتعارضات، وتطبيقات الثنائيّة اللانهائيّة من أمثلة الظلام والنور، والخير والشرّ، والظاهر والباطن، كمخارج للأقدار من مغاليقها، والتنبيه إلى أبوابها المفتوحة والموصدة.

إرث هائل من الأقاصيص. لكنّها أقاصيص لم تبلغ، في أيّ معتقَدٍ، مبلغ البناء مطوّلًا في شؤون هذه المخلوقات: هم نتفٌ، مجزوءاتٌ في سياق اعتماد الخرافة على تقريب ما لا يُعقَل، أو تأويل المُستغلَق، أو التخمين في أحوال المجهول الملغِز.

